الآثار الإيمانية
لأسماء الله الحسنى العلية

الجزء الأول

د/ عبد الرقيب الراشدي


بسم الله الرحمن الرحيم

استـــهـلال

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

الإهـــــــــــداء

إلى من نَحْسِبُ أنه من مجددي الإيمان في القرن الخامس عشر الهجري، من وهب في سبيل تعليم حقائق الإيمان وآثاره زهرة شبابة، ومن أفنى سني عمره في سبيل نشر معاني الإيمان في وطنه وأمَّته، ومن نَحْسِبُ أنه كان من بقية السلف الصالح في عصرنا الحاضر،

إلى شيخنا العلامة الشيخ عبد المجيد بن الزنداني

أهدي هذا الجهد المتواضع.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله، وأصحابه، وسَلَّم تسليماً كثيراً، أمّا بعد:

فقبل أكثر من عشرين سنة أكرمني الله تعالى بالتتلمذ على يد شيخنا العلامة، الشيخ عبد المجيد الزنداني، فدرسنا على يديه كتابه الإيمان، وقد كان شرحه لهذا الكتاب يأخذ بألباب طلابه وبعقولهم ويحلق بهم عاليا في ملكوت الله وفي عظمته، وخاصة عند شرحه لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، فكان يركز في شرحه على الآثار الإيمانية لهذه الأسماء في حياة الناس، وكان يدعم شرحه لهذه الأسماء بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، وكان يربط بين هذه الأسماء وما بثه الله تعالى من آيات في الآفاق وفي الأنفس، وكان يرد على كثير من الشبهات التي يثيرها الملاحدة في القديم والحديث، وكان يفندها بأسلوب سهل وبطريقة ممتعة، وكان يدعم ردوده بالأدلة النقلية والعقلية، فكان معظم الطلاب يخرجون من هذه الدروس وقد ارتفع منسوب الإيمان عندهم ارتفاعاً ملحوظا.

ونحسب أن شيخنا العلامة كان ممن يتخلق بهذه الآثار الإيمانية لأسماء الله الحسنى في حياته وفي واقعه، فكنا نراه معظماً لله تعالى في كل أقواله وأفعاله وأحواله، وكم من مرة دعا فيها ربه بأسمائه وصفاته فيثني عليه بما هو أهله

فتخنقه العبرة، ولا يتمالك نفسه حتى يبكي من خشية الله ويبكي معه معظم طلابه ممن يؤمنون على دعائه.

أما إذا قدَّر الله لاحد طلابه وصلى إلى جواره في إحدى الصلوات الخمس، فلا تسأل عن حسن خشوع شيخنا في صلاته وثنائه على ربه فيها وخاصة في سجوده ويسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل، وذلك من فضل الله تعالى عليه، والله ذو الفضل العظيم.

وكنت أرى ـ ومعي كثير من الطلاب ـ أننا أمام منهج جديد في التعامل مع أسماء الله الحسنى، ونحن في أمس الحاجة إليه وخاصة في عصرنا هذا الذي طغت فيه المادة، فتصحرت فيه القلوب، وأقبل معظم الناس على دنياهم، فخبت عندهم جذوة الإيمان بالله تعالى، فقل تعظيمهم لله تعالى، وتهاون الكثير منهم في طاعة ربهم، والسبب في ذلك عدم معرفتهم لله تعالى من له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

فتكونت عندي أمنية، وهي أننا بحاجة ماسة إلى هذا المنهج الجديد في شرح أسماء الله الحسنى، وخاصة أن شيخنا في كتابه الإيمان كان قد شرح بعض أسماء الله الحسنى فقط، فعقدت العزم على شرح أسماء الله الحسنى مركزاً على آثارها الإيمانية في حياة الناس.

ومرت الإيام، وكثرت فيها المشاغل، وحالت الظروف دون تحقيق تلك الأمنية، حتي منَّ الله على بوقت قلَّت فيه المشاغل، وصفى فيه الذهن، وعلت فيه الهمة، وكفاني أحد إخواني هموم معيشتي، فعقدت العزم على العمل على تحقيق هذه الأمنية، خوض غمار هذا البحث، فتفرغت لذلك تفرغاً تاماً، وتركت

كل المشاغل الأخرى واعتكفت في مكتبتي ولم أخرج منها إلا للصلوات الخمس في الجامع؛ لإلقاء خطب الجمعة وبعض الدروس المسجدية، وكلي عزما على تحقيق هذه الأمنية، وكنت أسأل الله تعالى أن يوفقني وأن يأخذ بيدي لأتم هذا البحث الذي طال انتظاري له.

فسهل الله تعالى لي ما أردت، وحقق لي ما صبوت إليه، وها أنا ذا أقدم الجزء الأول من هذا الكتاب وسيتبعه الجزء الثاني في وقت لا حق بإذن الله تعالى.

وسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وان ينفعني به يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا بنون، والحمد لله رب العالمين.

عبد الرقيب عبده خالد عبد الله

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

الجمهورية اليمنية، إب

١٩ذي القعدة ١٤٤٥ الموافق ٢٧/ ٥/ ٢٠٢٤

N٧١٢٨٤٩٥٠٥@gmail.com

للتواصل، تلفون/ واتس ٩٦٧/٧١٢٨٤٩٥٠٥

المنهج الذي سلكته في تأليف هذا الكتاب

وفي بداية بحثي عن الخطوط الأولى للموضوع الذي سيدور عليه محور بحثي في أسماء الله الحسنى، وهو التركيز على الآثار الإيمانية لأسماء الله الحسنى العلية، عدت إلى كثير من الكتب التي كتبت في أسماء الله الحسنى، فوجدتها كثيرة ومتنوعة، وقد سلك أصحابها في تأليفها مسالك متعددة، فمنهم من رأى أن الطريقة المُثْلَى لتعريف الناس بأسماءِ اللَّهِ الحُسنى وصفاته العُلى أن يجمعوا هذه الأسماء من القرآن الكريم ومن صحيح السنة، وأن يبينوا للناس معانيها، وأن يشرحوها شرحا موجزا.

ومنهم من كان منهجه في شرح أسماء الله الحسنى كشف عقائد الفِرَق التي ضلَّت في باب أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العُلى، فمن تلك الفرق من وقع في تأويل أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ومنهم من انزلق في التعطيل، وآخرون ذهبوا إلى التكييف والتشبيه[١].

---

(١) وكان شيخنا العلامة، الشيخ عبد المجيد قد درسنا في سنة من السنوات دروسا كانت بعنوان: "**الصفات، ومنزلقات الفرق**" وكانت له نظرات موفقة في هذا الجانب، وهو جهد هام يكمل منهجية شيخنا في تعامله مع أسماء الله وصفته العليا، بالتركيز على الآثار الإيمانية لها بدلاً من الخوض في تلك المنزلقات والدخول في تلك المتاهات، وكان شيخنا يقول: إن معظم أسباب ضلال الفرق في باب أسماء الله وصفاته هو قياسهم صفات المخلوق على صفات الخالق جل جلاله، رغم أن ذات الله تعالى غير ذات خلقه، فا اختلاف الذات يقتضي منه اختلاف الصفات حتى في عالم الإنسان والحيوات، فذات الإنسان غير ذات الحيوان، وبالتالي صفاته تخلف عن صفات الحيوان، فكيف بذات الله تعالى الذي لا تشبه ذاته الذوات ولا تشبه صفاته الصفات، وصدق الله القائل عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، للتوسع في هذا راجع كتاب منزلقات الفرق والتي سبقت الإشارة إليه.

ومنهم من كان شغله الشاغل شرح وتوضيح القواعد التي لا تُعْلَم الأسماء الحسنى إلا من خلالها.

وكل تلك الجهود كانت جهودا طيبة في بيان معنى أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وكل منهج من تلك المناهج سد ثغرة في بابه وفي مجاله.

وعند بحثنا عن الكتب التي اهتمت بالجوانب الإيمانية المتعلقة بأسماء الله الحسنى وصفته العليا، لوجدناها قليلة مقارنة بالكتب المؤلفة في الجوانب الأخرى، ومع ذلك لا نجد هذه الآثار الإيمانية مفردة في كتب مستقلة، بل نجدها مبثوثة في ثنايا تلك الكتيب، ومن أبرز من تكلم عن حظ العبد من أسماء الله الحسنى، الإمام الغزالي في كتابه "**المقصد الأسنى**"، والعلامة ابن القيم في كتبه حين كان يمر على بعض أسماء الله الحسنى فيشرحها، وكان أحياناً يشير إلى آثار هذه الأسماء في حياة المؤمن، ومنهم الإمام البيهقي في كتابه "**الأسماء والصفات**"، وكذلك الإمام الخطابي في كتابه "**شأن الدعاء**" وكلا الإمامين يشير أحيانا إلى بعض أثار الله في حياة العبد، وقد استفدت من هذه المراجع كثيراً في هذا الجانب[1].

---

(1) وهناك كتب الفها علماء في عصرنا الحاضر، ومن أجودها كتاب "**أسماء الله الحسنى**"، للعلامة يوسف القرضاوي، وكتاب "**موسوعة الأسماء الحسنى**" للدكتور محمد راتب النابلسي، وكتاب "**مع الله الاسم الأعظم، وقصة الأسماء الحسنى**" للدكتور سلمان العودة، وكتاب شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة، وغيرها من الكتب التي كتبت في عصرنا الحاضر، ولكل منهم طريقة في تناوله لأسماء الله الحسنى، وبعضهم يشير للآثار الإيمانية لبعض أسماء الله الحسنى بطريقة مختصرة، وعابرة، هو ما تعمدنا التوسع فيه في كتابنا هذا، ولله الحمد والمنة.

ومما تجدر إليه الإشارة في هذا المقام أني حصرت البحث في كل اسم من أسماء الله الحسنى في أربعة جوانب، التعريف اللغوي لهذا الاسم ثم التعريف الاصطلاحي، حتى يلم القارئ بمعنى اسم الله لغوياً واصطلاحياً، ومنهما ينطلق إلى فهم اسماء الله آثارها الإيمانية.

ثم بعد ذلك أتناول ورود هذا الاسم في القرآن الكريم؛ وذلك أن خير من تحدث عن اسماء الله تعالى هو كتاب الله تعالى، وفي معظم الأحوال أذكر تفسير بعض الآيات القرآنية التي تحدثت عن تفسير هذا الاسم واشارة إلى ما فيه من معاني تتعلق بأثر هذا الاسم على حياة العبد، وبعد ذلك أبحث عن وروده في السنة النبوية؛ وذلك أن أسماء الله توقيفة، فلا يسمى الله إلا بما سمى الله به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم، قال ابن حزم الأندلسي: " لا يجوز أن يسمى الله تعالى ولا أن يخبر عنه إلا بما سمى به نفسه أو أخبر به عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله – صلى الله عليه وسلم – أو صح به إجماع جميع أهل الإسلام المتيقن ولا مزيد، وحتى وإن كان المعنى صحيحا" (١)

وقال الزركشي:" اعلم أن أسماء الله تعالى توقيفية لا تؤخذ قياسا واعتبارا من جهة العقول، وقد زل في هذا الباب طوائف من الناس " (٢)

وقال النووي: "أسماء الله توقيفية لا تطلق عليه إلا بدليل صحيح " (٣)

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم ٢/١٠٨، ٣/٤٣

(٢) معنى لا إله إلا الله، للزركشي، ص١٤١ .

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٧/١٨٨.

ثم أختم البحث لكل اسم بذكر الآثار الإيمانية لهذا لاسم، وهو الهدف الذي من أجله الفت هذا الكتاب، وفي الغالب أذكر ثلاثة آثار إيمانية لكل اسم من أسماء الله تعالى، أبداؤها في الغالب بذكر الأثر الأول لهذا الاسم المتمثل في محبة الله تعالى صاحب هذا الاسم وتعظيمه، ثم أثني بالأثر الإيماني والسلوكي الذي ينبغي أن يتخلق به المؤمن أثناء تعامله مع الناس من حوله، والمجتمع الذي يحيط به، واختم ذلك باختيار أدعية مناسبة للدعاء بكل اسم يرد؛ لأن الله تعالى أمرنا بذلك في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد قسمت الدراسة في هذا الكتاب إلى جزئين، الجزء الأول جعلته للأسماء الحسنى المفردة والتي لا ليس لها تعلق بأسماء أخرى، وقد رتبتها في هذا الكتاب بحسب كثرة ورودها في القرآن الكريم، فما ذكره القرآن الكريم أكثر جعلته أولاً ثم الذي يليه وهكذا حتى النهاية، وقد احتوى الجزء الأول من هذا الكتاب على سبعة وأربعين اسما.

والجزء الثاني جعلته لا سماء الله الحسنى المقترنة، وهي التي لا يطلق واحد منها بمفرده على الله تعالى إلا مقرونا باسم الآخر، فإن الكمال في اجتماعهما، أو كانت هذه الأسماء معانيها متقاربة، فجمعنا بينها في مكان واحد؛ حتى يجد الباحث عن أسماء الله الحسنى بغته عن هذه الأسماء في مكان واحد، وقد احتوى هذا الجزء على اثنين وأربعين اسما.

وقد اقتصرنا في كتابنا هذا على أن يحتوي على تسعة وتسعين اسما فقط؛ مع علمي أن أسماء الله ليست منحصرة في التسعة والتسعين اسما كما هو مذهب

جماهير أهل العلم في هذا لمجال؛ وذلك أن المسلم أن عقل معانيها وتخلق بآثارها، فإن في ذلك غنية له وكفاية[1] .

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه، كما أسأله أن يكون عملي خالصاَ لوجهه الكريم، كما أسأله أن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يجري عليا وعلى والدي ثوابه بعد الموت، إن سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) ومما استدلوا به على قولهم هذا حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال : **ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك بن عبدك بن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك** ... " رواه أحمد في مسنده، برقم(٣٧١٢)،قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم(١٨٢٢)، وقالوا: إن ما استأثر الله –عز وجل– به من أسمائه الحسنى في علم الغيب عنده لا يمكن لأحد أن يحصرها أو أن يحيط بها.

وأمَّا حديث أبي هريرة المتفق على صحة، والذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا مائةً إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**" فقال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث :"اتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى، فليس معناه : أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين، وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء"، شرح صحيح مسلم، للنووي ٩/ ٣٩.

مدخل لدراسة أسماء الله الحسنى

في هذا المدخل يحسن بنا أن نذكر بعضاً من فضائل العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا؛ والهدف من ذلك أن يتكون عند المؤمن دافعاً قوياً؛ حتى يقبل على تعلم أسماء الله الحسى وصفاته العلى، ويتثمل آثارها الإيمانية واقعاً عملياً في حياته وفي سلوكه، ومن هذه الفضائل ما يلي:

أولاً: العلم بالله تعالى أجل العلوم، أشرف المعارف؛ لأنه يعرف الناس بربهم سبحانه، الذي هو أشرف معلوم، وأعظم مقصود، وهذا العلم يعرفهم بخالقهم الذي يجب عليهم عبادته سبحانه ومحبته وخشيته، وتعظيمه وإجلاله، قال الإمام ابن القيم:: " إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره فهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السماوات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص، وعن كل تمثيل وتشبيه في كماله، ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم، وأفضلها. ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات. وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها.

والمقصود أن العلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله، ومصالح دنياه وآخرته. والجهل به مستلزم للجهل بنفسه، ومصالحها وكمالها، وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد، والجهل به أصل شقاوته"[١].

وقال الإمام ابن تيمية: "وأما العلم فيراد به في الأصل نوعان: أحدهما: العلم به نفسه؛ وبما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام، وما دلت عليه أسماؤه

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم ١/٣١٢ .

الحسنى. وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فإنه لا بد أن يعلم أن الله يثيب على طاعته، ويعاقب على معصيته، كما شهد به القرآن والعيان، وهذا معنى قول أبي حبان التيمي - أحد أتباع التابعين:- العلماء ثلاثة: عالم بالله ليس عالما بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس عالما بالله، وعالم بالله وبأمر الله. فالعالم بالله الذي يخشى الله، والعالم بأمر الله الذي يعرف الحلال والحرام.

وقال رجل للشعبي: أيها العالم! فقال: إنما العالم من يخشى الله.

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: كفى بخشية الله علما، وكفى بالاغترار بالله جهلا.

والنوع الثاني: يراد بالعلم بالله العلم بالأحكام الشرعية، كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه ترخص في شيء فبلغه أن أقواما تنزهوا عنه. فقال: **إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**" [1]، فَجَعَلَ الْعِلْمَ بِهِ هُوَ الْعِلْمَ بِحُدُودِهِ[2].

وقال قوام السنة الأصفهاني:" قال بعض العلماء: أول فرض فرضه الله على خلقه: معرفته. فإذا عرفه الناس عبدوه. قال الله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩] فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها، فيعظموا الله حق عظمته. ولو أراد رجل أن يعامل رجلا طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم

---

(١) صحيح البخاري (٦١٠١).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١/ ٢٨٠.

أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره. فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها"[1]

ثانياً: دعاء اللّه بأسمائه الحسنى من أعظم أسباب إجابة الدعاء، وقد أمرنا الله تعالى بذلك فقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٠]، وقد كان النبي صلى الل عليه وسلم يثني على من يدعو الله بأسماء الحسنى، فعن بريدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول:" اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال:" **لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب**"[2]. وفي رواية لأحمد: أنه سمع رجلاً يقول بعد التشهد: اللهم إني أسألك يا اللّه الأحد الصمد، الذي لم يَلد ولم يُولد ولم يكن له كفوًا أحد أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم . فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: " **قد غُفِرَ له، قد غُفِرَ له** " ثلاثًا[3].

وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أمته أن تدعو الله بأسمائه الحسنى وقت الكروب وعند اشتداد الخطوب،

فعن ابن مسعود رضي اللّه عنه عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أنه قال:" **ما أصاب أحدًا قط همٌ ولا حزنٌ، فقال: اللهمَّ إني عبدك، ابن عبدك، ابن أَمتك ، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤُك ، أسألك بكل اسم هو**

---

(1) الحجة في بيان المحجة ١٢٢/١.

(2) صحيح أبي داود، برقم(١٣٢٤).

(3) مسند الإمام أحمد (١٧/ ٣٢)، برقم(١٨٩٩٥)، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير أن صحابيه لم يخرج له سوى البخاري في " الأدب المفرد، وأبو داود والنسائي

لك، سميَّت به نفسك، أو علَّمته أحدًا من خلقِك ، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيبِ عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري ، وجلاء حزني، وذهاب همي ، إلا أذهب اللَّه همَّه وحزنه وأبدل مكانه فرحًا " . فقيل : يا رسول اللَّه، أفلا نتعلمها ؟ فقال: " **بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها** "[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول: **لا إله إلا اللَّه العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ السماواتِ والأرضِ وربِ العَرشِ العظيم**[2] .

ثالثاً: معرفة الله – عز وجل– بأسمائه وصفاته أصل في زيادة في الإيمان واليقين، فكلما ازداد علم العبد ومعرفة بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى، ازداد إيمانه وقوي يقينه، فحصل للعبد الأنس بربه، والشوق إلى لقائه، واجتمع قلبه همته عليه، قال الإمام ابن القيم:" الله تعالى ذو الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها، ومحبته وذكره، والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه، والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان بالله أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان بالله أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد.

---

(1) صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ١٧١)، برقم(١٨٢٢)

(2) صحيح البخاري، برقم(٥٨٦٩).

والله ينزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه، فإن الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه إذا أراد أن يكرم عبده بمعرفته وجمع قلبه على محبته، شرح صدره لقبول أسمائه الحسنى صفاته العلا، وتلقيها من مشكاة الوحي، فإذا ورد عليه شيء منها قابله بالقبول، وتلقاه بالرضا والتسليم، وأذعن له بالانقياد، فاستنار به قلبه، واتسع له صدره، وامتلأ به سرورا ومحبة، فعلم أنه تعريف من تعريفات الله تعالى تعرف به إليه على لسان رسوله، فأنزل تلك الصفة من قلبه منزلة الغذاء أعظم ما كان إليه فاقة، ومنزلة الشفاء أشد ما كان إليه حاجة، فاشتد بها فرحه، وعظم بها غناؤه، وقويت بها معرفته، واطمأنت إليها نفسه، وسكن إليها قلبه، فجال من المعرفة في ميادينها، وأسام عين بصيرته في رياضها وبساتينها، لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته،"[١].

رابعاً: حفظ أسماء الله الحسنى واحصائها، والإيمان بها والقيام بمقتضاها، سبب من أسباب دخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم:" **لله تسعةٌ وتسعون اسمًا مائة إلاَّ واحدة لا يحفظها أحدٌ إلا دخل الجنة** "، وفي رواية :" **من أحصاها دخل الجنة** [٢]، قال ابن بطال رحمه الله: "الإحصاء يقع بالقول، ويقع بالعمل، فالإحصاء القولي: يحصل

---

(١) شرح قصيدة ابن القيم "الشافية الكافية" ١/٢٤.، باختصار وتصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٣٦، ٦٤١٠) ، ومسلم (٢٦٧٧) ، وانظر معنى الإحصاء في باب (ما هو معنى الإحصاء في الأبواب التالية ص

بجمعها وحفظها، والسؤال بها، ولو شارك المؤمن غيره في العد والحفظ، فإن المؤمن يمتاز عنه بالإيمان والعمل بها.

والإحصاء بالعمل: أن لله أسماء يختص بها كالأحد، والقدير، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها، وله أسماء يستحب الاقتداء بها في معانيها، كالكريم، والعفو، فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها ليؤدي حق العمل بها فبهذا يحصل الإحصاء العملي" "[١].

وقد ذكر الإمام ابن القيم مراتب إحصاء أسمائه سبحانه فقال : "المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها. كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف: ١٨٠]، وهو مرتبتان: إحداهما: دعاء ثناء وعبادة، والثانية: دعاء طلب ومسألة فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، وكذلك لايسأل إلا بها فلا يقال: يا موجود، ياذات، يا شيء اغفر لي وارحمني، بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيًا لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك الاسم فيقول: يا غفار اغفر لي فإنك أنت الغفور الرحيم، يارزاق ارزقني إنك أنت الرزاق الكريم وهكذا[٢] .

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ١٣/٣٩٠.

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم، ١/١٤٨.

١ـ الله جل جلاله

الله تعالى هو أعظم اسماء الله الحسنى، وهو الاسم الجامع لجميع معاني أسماء الله الحسنى، والمتضمن لسائر صفاته العليا، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال الزجاجي:" الله عز وجل مشتق من الإله، والتأله: التعبد، ثم حذفت الهمزة تخفيفا فاجتمعت لامان، فأدغمت الأولى في الثانية فقيل: «الله»، أي: مألوه وهو المعبود المستحق للعبادة يعبده الخلق ويؤلهونه.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: «الله» أصله إله ولاه من الوله والتحير، وقد أبدلت الواو همزة لانكسارها فقيل: «اله»، ثم أدخلت عليه الألف واللام وحذفت الهمزة فقيل «الله»، ومعناه على هذا المذهب أن يكون الوله والتحير من العباد إلى الله تعالى"(١).

ذهب بعض أهل العلم إلى أن «الله»، اسم جامد غير مشتق، علم على الذات المقدسة وقالوا: أن الألف واللام من بنية هذا الاسم ولم يدخلا للتعريف.

والدليل على ذلك: دخول حرف النداء عليه، وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام اللتين للتعريف فأنت تقول: «يا ألله» ولا تقول: « يالرحمن»، ولا « يالبصير» فدل على أن الألف واللام من بنية الاسم.

والصواب أنه مشتق؛ لأن أصله «إله» بمعنى مألوه، أي معبود، فهو دال على صفات الإلهية، قال ابن القيم:" «**الإله**»: هو الذي يؤله فيعبد محبة، وإنابة،

(١) اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ٢٣.

وإجلالا، وإكراما"، و«**الإله**» هو المستحق لصفات الكمال، المنعوت بنعوت الجلال، وهو الذي تألهه القلوب وتعمد إليه بالحب والخوف والرجاء"[١].

ثانيا: معناه الاصطلاحي

لاسم الله تعالى تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام ابن القيم، حيث قال**:**" اسم "**الله**" دال على كونه مألوها معبودا، تألهه الخلائق محبة، وتعظيما، وخضوعا، وفزعا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمن لكمال الملك والحمد وإلهيته، وربوبيته، ورحمانيته، وملكه مستلزم لجميع صفات كماله إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله.

وصفات الجلال والجمال أخص باسم "**الله**". وصفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة وكمال القوة وتدبير أمر الخليقة: أخص باسم "**الرب**"، وصفات الإحسان، والجود، والبر، والحنان والمنة، والرأفة واللطف أخص باسم "الرحمن" وكرر إيذانا بثبوت الوصف وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته"[٢].

([١]) بدائع الفوائد، لابن القيم، ٢/٢١٢. ، وشفاء العليل ، لابن القيم، ١/٤١١.

([٢]) مدارج السالكين، لابن القيم ١/٣٢.

وقال في موطن آخر:" إن "**الإله**" الحق: هو الذي يحب لذاته، ويحمد لذاته فكيف إذا انضاف إلى ذلك إحسانه، وإنعامه، وحلمه، وعفوه، وبره، ورحمته فعلى العبد أن يعلم أنه لا إله إلا الله فيحبه ويحمده لذاته وكماله" (1).

وقال شيخ الإسلام:" **الإله**" هو المألوه أي: المستحق لأن يؤله أي يعبد، ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلا الله وحده. وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل، فهو الإله الحق لا إله غيره، فإذا عبده الإنسان فقد وحده ولم يجعل معه إلها آخر ولا اتخذ إلها غيره: قال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء: ٢٢]، فالمخلوق ليس بإله في نفسه، لكن عابده اتخذه إلها وجعله إلها وسماه إلها، وذلك كله باطل لا ينفع صاحبه بل يضره.

فغير الله لا يصلح أن يتخذ إلها يعبد ويدعى، فإنه لا يخلق ولا يرزق، وهو سبحانه لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا ينفع ذا الجد منه الجد، وغير الله لا مالك لشيء، ولا شريك في شيء، ولا معاون للرب في شيء؛ بل قد يكون له شفاعة إن كان من الملائكة، والأنبياء، والصالحين؛ ولكن لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له، فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع، وأن يأذن للمشفوع له أن يشفع له، ومن دونه لا يملكون الشفاعة البتة، فلا يصلح من سواه لأن يكون إلها معبودا كما لا يصلح أن يكون خالقا رازقا، لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير "(2).

---

(1) الفوائد، لابن القيم، صـ ٢٠٣.

(2) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٣/ ٢٠٢.

وقال الإمام الغزالي:" اعلم أن هذا الله أعظم أسماء الله عز وجل التسعة والتسعين؛ لأنه دال على الذات الجامعة لصفات الإلهية كلها حتى لا يشذ منها شيء وسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني من علم أو قدرة أو فعل أو غيره ولأنه أخص الأسماء إذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازا.

وسائر الأسماء قد يسمى به غيره كالقادر والعليم والرحيم وغيره فلهذين الوجهين يشبه أن يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء، ومعاني سائر الأسماء يتصور أن يتصف العبد بشيء منها حتى ينطلق عليه الاسم كالرحيم والعليم والحليم والصبور والشكور وغيره وإن كان إطلاق الاسم عليه على وجه آخر يباين إطلاقه على الله عز وجل.

وأما معنى هذا الاسم فخاص خصوصا لا يتصور فيه مشاركة لا بالمجاز ولا بالحقيقة ولأجل هذا الخصوص يوصف سائر الأسماء بأنها اسم الله عز وجل ويعرف بالإضافة إليه فيقال الصبور والشكور والملك والجبار من أسماء الله عز وجل ولا يقال الله من أسماء الشكور والصبور؛ لأن ذلك من حيث هو أدل على كنه المعاني الإلهية وأخص بها فكان أشهر وأظهر فاستغني عن التعريف بغيره وعرف غيره بالإضافة إليه"(١).

وقال الشيخ السعدي: "**الله**" هو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية وأنه هو المألوه المستحق لمعاني

---

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، للغزالي، صـ ٦٥.

الألوهية كلها، التي توجب أن يكون المعبود وحده، المحمود وحده، المشكور وحده، المعظم المقدس ذو الجلال والإكرام، واسم الله هو الجامع لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، والله أعلم"[١].

ثالثا: ورده في القرآن والسنة

هذا الاسم المبارك هو أكثر أسماء الله الحسنى ورودا في القرآن الكريم، وقد ذكر (٢٧٢٤) مرة[٢]؛ لهذا اعتبره كثير من أهل العلم اسم لله الأعظم الذي إذ سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب، قال الإمام القرطبي رحمه الله: "وهذا الاسم هو أكبر أسمائه وأجمعها حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم، ولم يتسم به غيره، ولذلك لم يثن، ولم يجمع وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]، أي: هل تعلم من تسمى باسمه الذي هو "**الله**"، "**فالله**" اسم للموجود الحق الجامع لصفات الألوهية المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد الحقيقي لا إله إلا هو سبحانه"[٣].

وللشيخ السعدي رأي حول أسماء الله الحسنى، يحسن بنا أن نقف عليه في هذا المقام؛ لأهميته ولنفاسته، قال رحمه الله:" بعض الناس يظن أن الاسم الأعظم من أسماء الله الحسنى لا يعرفه إلا من خصه الله بكرامة خارقة للعادة، وهذا ظن خطأ فإن الله – تبارك وتعالى – حثنا على معرفة أسمائه وصفاته، وأثنى على من عرفها، وتفقه فيها، ودعا الله بها دعاء عبادة وتعبد، ودعاء مسألة، ولا

(١) تفسير السعدي ٥/٦٢٠، والحق الواضح المبين، للسعدي، صـ ١٠٤.
(٢) المعجم المفهرس، لمحمد فؤاد عبد الباقي، صـ ٢٦٦ .
(٣) تفسير القرطبي، ١/ ١٢٧.

ريب أن الاسم الأعظم منها أولاها بهذا الأمر، فإنه تعالى هو الجواد المطلق الذي لا منتهى لجوده وكرمه، وهو يحب الجود على عباده، ومن أعظم ما جاد به عليهم تعرفه لهم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، فالصواب أن الأسماء الحسنى كلها حسنى، وكل واحد منها عظيم، ولكن الاسم الأعظم منها كل اسم مفرد أو مقرون مع غيره إذا دل على جميع صفاته الذاتية والفعلية، أو دل على معاني جميع الصفات.

مثل: "**الله**" فإنه الاسم الجامع لمعاني الألوهية كلها، وهي جميع أوصاف الكمال، ومثل: "**الحميد المجيد**" فإن "**الحميد**" الاسم الذي دل على جميع المحامد والكمالات لله تعالى، و"**المجيد**" الذي دل على أوصاف العظمة والجلال ويقرب من ذلك "الجليل الجميل الغني الكريم".

ومثل: "**الحي القيوم**"، فإن "**الحي**" من له الحياة الكاملة العظيمة الجامعة لجميع معاني الذات، و"**القيوم**" الذي قام بنفسه، واستغنى عن جميع خلقه، وقام بجميع الموجودات، فهو الاسم الذي تدخل فيه صفات الأفعال كلها.

ومثل: اسمه "**العظيم الكبير**" الذي له جميع معاني العظمة والكبرياء في ذاته وأسمائه وصفاته، وله جميع معاني التعظيم من خواص خلقه.

ومثل قولك: "**يا ذا الجلال والإكرام**" فإن الجلال صفات العظمة والكبرياء، والكمالات المتنوعة، والإكرام استحقاقه على عباده غاية الحب، وغاية الذل وما أشبه ذلك.

فعلم بذلك أن الاسم الأعظم اسم جنس، وهذا هو الذي تدل عليه الأدلة الشرعية والاشتقاق.

فمتى دعا الله العبد باسم من هذه الأسماء العظيمة بحضور قلب ورقة وانكسار لم تكد ترد له دعوة والله الموفق"[١].

وقد استدل أصحاب هذا القول بعدة أدلة ترجح قولهم هذا، ومن هذه الأدلة ما يلي:

١- لأنه أكثر أسماء الله الحسنى ورودا في القرآن الكريم، وهذا الاسم هو الاصل لجميع أسماء الله الحسنى، وبقية أسمائه تبارك وتعالى تجري مع هذا الاسم مجرى الصفات مع الأسماء، فتقول: من صفات الله الغفور والرحيم الودود، ولا نقول: من صفات الغفور الله، وتقول: من صفات الله العليم الحكيم الكريم، ولا تقول: من صفات العليم الله، **قال ابن القيم** رحمه الله تعالى:" يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، ويقال: "الرحمن، والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزيز، والحكيم" من أسماء الله، ولا يقال: "الله" من أسماء "الرحمن"، ولا من أسماء "العزيز" ونحو ذلك فعلم أن اسمه "الله" مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم "الله"، واسم "**الله**" دال على كونه مألوها معبودا، تألهه الخلائق محبة، وتعظيما، وخضوعا، وفزعا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمن لكمال الملك والحمد. وإلهيته، وربوبيته، ورحمانيته، وملكه مستلزم لجميع صفات كماله إذ يستحيل

---

(١) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، للسعدي، صـ ٢٥١.

ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله.

وصفات الجلال والجمال أخص باسم "**الله**"، وصفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة وكمال القوة وتدبير أمر الخليقة: أخص باسم "الرب".

وصفات الإحسان، والجود، والبر، والحنان والمنة، والرأفة واللطف أخص باسم "الرحمن" وكرر إيذانا بثبوت الوصف وحصول أثره، وتعلقه بمتعلقاته"[1].

٢ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفه بأنه اسم الله الأعظم؛ وذلك عندما سمع أعرابيا يدعو الله بهذا الاسم، فعن بريدة الأسلمي قال سمع النبي صلى الله عليه و سلم رجلا يدعو وهو يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال فقال:" **والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**"[2].

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو ربه كثيرا بقوله: "اللهم"، ومعنى: اللهم، ياالله، ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب، فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه:" **للهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء**

([1]) مدارج السالكين، لابن القيم ٣٢/١، ٣٣.

([2]) صحيح سنن ابن ماجة، برقم، (٣٨٥٧).

ومليكه أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وأن أقترف على نفسي"[1].

٣- تعرَّف الله تبارك وتعالى إلى موسى باسمه "**الله**"، فعندما كان موسى عليه السلام، عائدا بأهله من مدين في طريقه إلى مصر في ليلة ظلماء باردة، رأى على البعد بجانب الطور نارا، فقال لأهله: ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [القصص: ٢٩ – ٣٠]، ففي هذه الآية تعرَّف الله عز وجل إلى نبيه موسى عليه السلام بأنه الله رب العالمين.

كما تعرَّف الله إلى نبيه موسى بأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة فقال له: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾[طه: ١٤].

كما تعرَّف الله تبارك وتعالى إلى عباده المؤمنين باسمه "**الله**"، ومن ذلك ما جاء في فاتحة أعظم آيات هذا الكتاب، وهي آية الكرسي، فقد جاء في أولها ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

رابعا: الآثار الإيمانية لهذا الاسم

للإيمان بهذا الاسم آثارا ايمانية عظيمة ينبغي أن يتحلى بها كل مسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

---

(١) صحيح الترمذي، برقم(٢٧٩٨).

٢- محبة الله عز وجل، محبة تتقدم على محبة النفس، والأهل، والولد، والدنيا جميعا؛ لأنه المألوه المعبود وحده وهو المنعم المتفضل وحده وهو الذي له الأسماء الحسنى، وهو الذي له الخلق والأمر والحمد كله، وهذا يستلزم محبة من يحبه الله تعالى وما يحبه، وبغض ما يبغضه سبحانه، ومن يبغضه، والموالاة والمعاداة فيه.

لا يذوق المرء طعم الإيمان إلا إذا أحب الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار** "[1].

ولله المثل الأعلى، فلو أن رجلا كان له فضلا على أحد من الناس، لا شك أن هذه الإنسان سوف يحب من أسدى إليه هذا الفضل، رغم أن ما أسداه إليه خيرا محدودا بالزمان والمكان، فكيف بالله تعالى من نعمه متواليه على عبده في كل زمان ومكان. فالله هو المستحق للحمد كله، والحب كله، وهذه المحبة تستلزم محبة ما يحبه الله تعالى، وبغض ما يبغضه، قال الشيخ السعدي: "وعباد الرحمن يألهونه ويعبدونه، ويبذلون له مقدورهم بالتأله القلبي، والروحي، والقولي والفعلي، بحسب مقاماتهم ومراتبهم، فيعرفون من نعوته وأوصافه ما تتسع قواهم لمعرفته، ويحبونه من كل قلوبهم محبة تتضاءل جميع المحاب لها، فلا يعارض هذه المحبة في قلوبهم محبة الأولاد والوالدين وجميع محبوبات النفوس، بل خواصهم جعلوا كل محبوبات النفوس الدينية والدنيوية تبعا لهذه المحبة، فلما

---

(1) صحيح البخاري، برقم (١٥).

تمت محبة الله في قلوبهم أحبوا ما أحبه من أشخاص وأعمال، وأزمنة، وأمكنة، فصارت محبتهم وكراهتهم تبعا لإلهلهم وسيدهم ومحبوبه.

ولما تمت محبة الله في قلوبهم التي هي أصل التأله والتعبد أنابوا إليه فطلبوا قربه ورضوانه، وتوسلوا إلى ذلك وإلى ثوابه بالجد والاجتهاد في فعل ما أمر الله به ورسوله، وفي ترك جميع ما نهى الله عنه ورسوله، وبهذا صاروا محبين محبوبين له، وبذلك تحققت عبوديتهم وألوهيتهم لربهم، وبذلك استحقوا أن يكونوا عباده حقا، وأن يضيفهم إليه بوصف الرحمة حيث قال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان: ٦٣]، ثم ذكر أوصافهم الجميلة التي إنما نالوها برحمته وتبوؤوا منازلها برحمته، وجازاهم بمحبته وقربه ورضوانه، وثوابه، وكرامته برحمته"[١].

٢. طمأنينة القلب وأنسه بالله عز وجل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فإن اللذة والفرحة وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه إنما هو في معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده والإيمان به، وانفتاح الحقائق الإيمانية والمعارف القرآنية، قال بعض الشيوخ: لقد كنت في حال أقول فيها إن كان أهل الجنة في هذه الحال إنهم لفي عيش طيب، وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه. وهذه حقيقة لا إله إلا الله"[٢].

٣ – الخوف من الله تعالى وحده، وسقوط الخوف والهيبة من الخلق والتعلق بهم؛ فالله سبحانه هو الخالق والرازق، فلا يخاف المؤمن إلا من الله تعالى، ولا

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام، للسعدي، صـ ٢١.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٢٨/٣١.

يتوكل إلا عليه، ولا يعتز إلا به، وكم من بشر اعتزوا بأموالهم أو بسلطانهم فما لبثت أن ضاعت تلك الأموال، وزال ذلك السلطان، فما كان منهم إلا أن قالوا: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحاقة: ٢٩].

فالمؤمن لا يخاف إلا من الله تعالى العظيم القوي المتين، ولا يتوكل إلا عليه وحده: وصدق الله القائل: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨].

٤ـ دعاء الله بهذا الاسم، وقد دعاء نبي الله ذو النون ربه بهذا الاسم قائلا، ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٧]، وأمر الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن يدل الخلق على الله تعالى، فإن أعرضوا أمره أن يقول: ﴿ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[التوبة: ١٢٩].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه ،أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**"[١].

---

(١) صحيح البخاري، برقم(٥٨٣١).

وعن بريدة الأسلمي قال سمع النبي صلى الله عليه و سلم رجلا يدعو وهو يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال فقال:" **والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**"[١].

(١) صحيح سنن ابن ماجة، برقم (٣٨٥٧).

٢ ـ الرب جل جلاله

الرب جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط الآتية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" الرب في اللغة صفة مشبهة للموصوف بالربوبية، فعله رب يرب ربوبية، أو ربى يربي تربية، والرب هو الذي يربي غيره وينشئه شيئا فشيئا، فوصف الرب من الناحية اللغوية يكون لمن أنشأ الشيء حالا فحالا إلي حد التمام أو قام على إصلاح شئونه وتولي أمره بانتظام، يقال: ربه ورباه، وربيه، وقيل: لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن.

والرب: يطلق على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم، ويطلق الرب على السيد المطاع، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٤١]، أي سيده المطاع، ويطلق الرب على المعبود ومنه قول الشاعر:

أرب يبول الثعلبان برأسه : لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ولا يقال: "الرب" معرفًا بالألف واللام مطلقًا إلا لله عز وجل؛ لأنه مالك كل شيء، والمتكفل بمصلحة الموجودات، نحو قوله: ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ [سبأ: ١٥]، وإذا أضيف "الرب" يقال لله ولغيره، نحو قولهم: ﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، وكقوله تعالى: ﴿ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الصافات: ١٦]. ويقال رب لغير الله مضافا كقول يوسف لصاحبه: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ

رَبِّكَ فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ ﴾[يوسف: ٤٢]، ، وكقول يوسف لرسول الملك: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ ﴾ [يوسف: ٥٠]، ويقال: رب الفرس، ورب الدار، [١].

ثانياً: معناه الاصطلاحي

اسم الله الرب جل جلاله وردت له عدت تعريفات اصطلاحية، ومن هذه التعريفات ما ذكره الأمام ابن كثير حيث قال:" **الرب** هو المالك المتصرف ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح. وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى"[٢]

وقال الحليمي:" **الرب** هو المبلغ كل ما أبدع حد كماله الذي قدره له، فهو يسل النطفة من الصلب ثم يجعلها علقة ثم العلقة مضغة ثم يخلق المضغة عظاما ثم يكسو العظام لحما ثم يخلق في البدن الروح ويخرجه خلقا آخر وهو صغير ضعيف، فلا يزال ينميه وينشيه حتى يجعله رجلا ويكون في بدء أمره شابا ثم يجعله كهلا ثم شيخا وهكذا كل شيء خلقه، فهو القائم عليه والمبلغ إياه الحد الذي وضعه له وجعله نهاية ومقدارا له.

وقال أبو سليمان الداراني: قد روي عن غير واحد من أهل التفسير في قوله جل وعلا : ﴿ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، معنى الرب السيد، وهذا يستقيم إذا جعلنا العالمين معناه المميزين دون الجماد، لأنه لا يصح أن يقال سيد

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني صـ٣٣٦، واشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، صـ ٣٣، والنهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الاثير ١٧٩/٢.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٣/١.

الشجر والجبال ونحوها كما يقال سيد الناس ومن هذا قوله: ﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ ﴾[يوسف: ٥٠] .

وقيل: إن الرب المالك وعلى هذا تستقيم الإضافة إلى العموم وذهب كثير منهم إلى أن اسم العالم يقع على جميع المكونات واحتجوا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الشعراء: ٢٣ - ٢٤] ""[1].

وقال الإمام ابن القيم:" الله رب العالمين، وربوبيته للعالم تتضمن تصرفه فيه، وتدبيره له، ونفاذ أمره كل وقت فيه، وكونه معه كل ساعة في شأن، يخلق ويرزق؛ ويميت ويحيي، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويصرف الأمور بمشيئته وإرادته، وإنكار ذلك إنكار لربوبيته وإلهيته وملكه.

وشاهد من ذكر اسمه: ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ قيوما قام بنفسه؛ وقام به كل شيء، فهو قائم على كل نفس بخيرها وشرها، قد استوى على عرشه، وتفرد بتدبير ملكه، فالتدبير كله بيديه، ومصير الأمور كلها إليه، فمراسيم التدبيرات نازلة من عنده على أيدي ملائكته بالعطاء والمنع، والخفض والرفع، والإحياء والإماتة، والتوبة والعزل، والقبض والبسط، وكشف الكروب وإغاثة الملهوفين وإجابة المضطرين: ﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾ [الرحمن: ٢٩] . لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا معقب لحكمه، ولاراد لأمره، ولا مبدل لكلماته، تعرج الملائكة والروح إليه، وتعرض الأعمال - أول النهار وآخره -

---

([1]) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ١٣٤.

عليه، فيقدر المقادير ويوقت المواقيت، ثم يسوق المقادير إلى مواقيتها، قائما بتدبير ذلك كله وحفظه ومصالحه"(١)

وقال الشيخ السعدي:" **الرب** هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم. وأخص من هذا: تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم، وأخلاقهم. ولهذا أكثر دعائهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه التربية الخاصة"(٢).

ثالثاً: وروده في القرآن والسنة

الرب جل جلاله من أسماء الله – عز وجل – الحسنى، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في أكثر من ٩٠٠(تسع مئة) موضعا؛ ولأنه يصعب علينا ذكر هذه المواضع كلها في هذا المبحث والحديث عنها لكثرتها، فإننا سوف نتناول الحديث عنها بشكل اجمالي، حيث سنذكر بعض المواضع التي جاء فيها هذا الاسم مضافاً إلى بعض الأمور على النحو التالي:

١ـ إضافة الرب إلى العالمين﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾

قال الإمام الطبري ومعنى قوله تعالى:﴿ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ "يعني: مالك الخلائق كلها"(٣).

وقد أضيف إلى هذه الكلمة في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، ومن هذه المواضع، قوله تعالى: ﴿ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأعراف: ٦١]، وقوله تعالى:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ

(١) الصواعق المرسلة، ٤/١٢٢٣، الصلاة وحكم تاركها صـ ١٦٩، وكلاهما لابن القيم.
(٢) تفسير السعدي ٥/٤٨٦.
(٣) تفسير الطبري ١٠/ ٢١٤.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[الأعراف: ١٠٤]، وقوله تعالى:﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التكوير: ٢٩]، وقوله تعالى:﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأعراف: ٦٧]، وقوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢١ – ١٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٤٣]، وقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الشعراء: ١٨٠]، وقوله تعالى:﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص: ٣٠]، وقوله تعالى:﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [السجدة: ٢]، وقوله تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: ٧٥]، وقوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر: ٦٥]، وقوله تعالى:﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾ [فصلت: ٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزخرف: ٤٦]، وقوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: ١٦]، وقوله تعالى:﴿ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾[الواقعة: ٨٠]، وغير ذلك من الآيات القرآنية

٢ـ إضافة الرب إلى السموات والأرض ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾

قال الإمام الشيخ السعدي ومعنى قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي:" الذي خلقها ودبرها"(١).

وقد أضيف الرب جل جلاله إلى السموات والأرض في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ [النبأ: ٣٧]، وقوله تعالى:﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الدخان: ٧]، وقوله تعالى:﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ص: ٦٦]، وقوله تعالى:﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٢]، وقوله تعالى:﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾[الصافات: ٥]، وقوله تعالى:﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٨٢]، وقوله تعالى:﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦]، وغير ذلك من الآيات.

٣ـ إضافة الرب الى المشرق والمغرب ﴿ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾

قال الإمام الشوكاني في تفسيره عند هذه الآية:" أي: شمول ربوبية الله سبحانه للمشرق والمغرب وما بينهما، وإن كان ذلك داخلاً تحت ربوبيته سبحانه

(١) تفسير السعدي صـ ٩٠٧.

للسماوات والأرض وما بينهما، لكن فيه تصريح بإسناد حركات السماوات وما فيها، وتغيير أحوالها وأوضاعها، تارة بالنور وتارة بالظلمة إلى الله سبحانه"[١]

وقد أضيف الرب جل جلاله إلى المشرق والمغرب في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، ومن هذه المواضع، قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ﴾ [الرحمن: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [المزمل: ٩]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٨] ، وقوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [المعارج: ٤٠]،وغير ذلك من الآيات.

٤ـ إضافة الرب الى العرش ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

قال الإمام ابن كثير ومعنى قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾: " وصف الله تعالى عرشه بأنه عظيم؛ لأنه سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورون بقدرة الله تعالى"[٢].

وقد أضيف الرب إلى العرش في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، ومن هذه المواضع، قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النمل: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿

---

(١) تفسير الشوكاني ٥/ ٣٠٦،

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٤٣، بتصرف يسير.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الزخرف: ٨٢]، وغير ذلك من الآيات.

وقد ورد اسم الله الرب في السنة وفي السنة النبوية، فعن ابن عباس – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فأما الركوع فعظموا فيه الرب – عز وجل – وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم** " [١].

وعن عمرو بن عبسة – رضي الله عنه – أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: " **أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن** " [٢] .

وعن مالك بن صعصعة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" **فأتيت على موسى؛ فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي، فلما جاوزت بكى فقيل: ما أبكاك؟ قال: يا رب، هذا الغلام الذي بعث بعدي؛ يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي** " [٣].

رابعاً: الآثار الإيمانية لهذا الاسم

---

(١) صحيح مسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود ٣٤٨/١ (٤٧٩).

(٢) سنن الترمذي في كتاب الدعوات ٥٦٩/٥ ، برقم(٣٥٧٨)، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع ، برقم(١١٧٣).

(٣) صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الفرقان: ٤٨]، ١١٧٣/٣ ، برقم(٣٠٣٥).

لاسم الله الرب جل جلاله آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله الرب أن يحب العبد ربه جل جلاله؛ لأنه الذي يربي عباده بنعمه، الظاهرة والباطنة، وهو الذي ينعم عليهم بما يقيمون به حياتهم ومعاشهم، وما من نعمة في العباد إلا وهي من الله تعالى، وهو سبحانه ينعم على عباده وهو الغني عنهم وعن عبادتهم وطاعتهم، قال العلامة ابن القيم:" دل البرهان الضروري والعقل الصريح على استغنائه سبحانه بنفسه، وأنه الغني بذاته عن كل ما سواه؛ فغناه من لوازم ذاته، ولا يكون غنيا على الإطلاق إلا إذا كان قائما بنفسه؛ إذ القيام بالغير يستلزم فقر القائم إلى ما قام به" [١].

ومحبة العبد لربه ينبغي أن تثمر عند العبد حب ما يحبه الرب جل جلاله، وبغض ما يبغضه، والمسارعة إلى طاعته ومرضاته، والرضى به ربا، وبذالك يذوق العبد طعم الإيمان، فعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" **ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا**"[٢].

٢ـ ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله الرب جل جلاله إيمان العبد بربوبيته الرب سبحانه وتعالى، وهذا الإيمان يقتضي بأن الله سبحانه وتعالى وحده المتصرف بهذا الكون علويه وسفليه، قال العلامة ابن القيم "إن ربوبيته سبحانه

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم ٤/١٣٣١ .

(٢) صحيح مسلم، برقم (٣٤).

إنما تتحقق بكونه: فعالا مدبرا؛ متصرفا في خلقه؛ يعلم، ويقدر، ويريد، ويسمع، ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته: انتفت ربوبيته، وإذا انتفت عنه صفة الكلام: انتفى الأمر والنهي ولوازمها، وذلك ينفي حقيقة الإلهية" (١).

كما أن الإيمان بربوبيته تعال يقتضي، عبادته وحده لا شريك له والكفر بكل ما دونه من الأنداد والأوثان الحجرية أو البشرية؛ لهذا أنكر الله تعالى على المشركين الذين أقروا بربوبية الله وعبدوا غيره، قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].- وقال تعالى: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾[الأعراف: ١٩١ – ١٩٣]، وغير ذلك من الآيات القرآنية.

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" إنما بعث الله الرسل ليدعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له الذي هو المقصود المستلزم للإقرار بالربوبية، وقد أخبر عنهم أنهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخرف: : ٨٧]، وأنهم إذا مسهم الضر ضل من يدعون إلا إياه وقال: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ

(١) مختصر الصواعق المرسلة ، لبان القيم٢/٤٧٤.

﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ٣٢ ﴾ [لقمان: ٣٢]، فأخبر أنهم مقرون بربوبيته، وأنهم مخلصون له الدين إذا مسهم الضر في دعائهم واستعانتهم، ثم يعرضون عن عبادته في حال حصول أغراضهم.

وكثير من المتكلمين إنما يقررون الوحدانية من جهة الربوبية، وأما الرسل فهم دعوا إليها من جهة الألوهية، وكذلك كثير من المتصوفة المتعبدة، وأرباب الأحوال إنما توجههم إلى الله من جهة ربوبيته؛ لما يمدهم به في الباطن من الأحوال التي بها يتصرفون، وهؤلاء من جنس الملوك. وقد ذم الله – عز وجل – في القرآن هذا الصنف كثيرا، فتدبر هذا فإنه تتكشف به أحوال قوم يتكلمون في الحقائق، ويعملون عليها، وهم لعمري في نوع من الحقائق الكونية القدرية الربوبية لا في الحقائق الدينية الشرعية الإلهية، وقد تكلمت على هذا المعنى في مواضع متعددة، وهو أصل عظيم يجب الاعتناء به، والله سبحانه أعلم" [١]

٣ـ ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله الرب جل جلاله أن يدعو المؤمنون الله باسمه الرب جل جلاله، والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن اسم الرب جل جلاله من أكثر اسماء الله الحسنى التي دعى بها لله تعالى في القرآن الكريم، فقد دعاه بهذا الاسم خيرة خلقه من أنبيائه ورسله، فقد دعا الأبوان آدم وحوى – عليهما السلام – ربهما قائلين: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٤/١٥.

دعاء نوح – عليه الصلاة والسلام – قائلا: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [نوح: ٢٨].

ودعاء إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – ربه قائلا: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٠ – ٤١].

ودعاء يوسف عليه الصلاة والسلام ربه قائلاً: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾[يوسف: ١٠١].

ودعاء سليمان عليه الصلاة والسلام ربه قائلاً: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص: ٣٥].

ودعاء أولو الألباب ربهم قائلين: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤]،

كما دعاء عباد الرحمن ربهم قائلين: ﴿ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٥].

وكان الرسول يدعو الله كثيراً باسم **الرب**، ويمجده ويعظمه به، فعن شداد بن أوس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " سيد

الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أبوء لك بنعمتك، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت، إذا قال حين يمسي فمات؛ دخل الجنة، أو كان من أهل الجنة، وإذا قال حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة " [١].

وكان إذا افتتح صلاته من الليل قال: " اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم "[٢].

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب بقوله: "لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لاإله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم"[٣]

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه يقول:" اللهم رب السماوات، ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء

---

(١) صحيح البخاري في الدعوات، باب أفضل الاستغفار، ٥/٢٣٢٣، برقم(٥٩٤٧) .

(٢) صحيح مسلم ، برقم(٧٧٠).

(٣) صحيح البخاري، برقم (٦٣٤٥).

وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر " (١).

.وكان صلى الله عليه وسلم يعلم أمته أن تدعوا الله باسمه الرب جل جلاله، فعن أبي هريرة أن النبي قال: " **إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدرى ما خلفه عليه، ثم يقول باسمك رب وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين** " (٢).

(١) صحيح مسلم، برقم (٢٧١٣).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعادة بها ٦/٢٦٩١ ، برقم (٦٩٥٨) .

٣ ـ العزيز جل جلاله

العزيز من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة: "**العز**" في الأصل: القوة والشدة والغلبة، والعز والعزة: الرفعة والامتناع، وعز الشيء يعز فهو عزيز، قل حتى ما كاد يوجد يعني أصبح نادرا.

والعزيز من صيغ المبالغة على وزن فعيل، فعله عز يعز عزا وعزة، أما المعنى اللغوي له فيأتي على عدة معان:

١ـ العزيز بمعنى الغالب، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٣]، أي غلبني في مجادلة الكلام.

٢ـ العزيز: بمعنى القوي الشديد، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [يس: ١٤]، أي قوينا وشددنا.

٣ـ العزيز: بمعنى الجليل الشريف، ومنه قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [المنافقون:٨]، أي ليخرجن الجليل الشريف منها الذليل"[(١)].

وقال ابن القيم:" العزة يراد بها ثلاث معان، عزة القوة، وعزة الامتناع، وعزة القهر والرب تبارك وتعالى له العزة التامة بالاعتبارات الثلاث"[(٢)].

---

(١) والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني صـ ٥٦٣، وينظر: لسان العرب، لابن منظور ٥/ ٣٧٤، وتفسير الأسماء الحسنى، للزجاج، صـ ٣٣. واشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ٢٣٧.

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم، ٣/ ٢٥٧.

فالله عزيز؛ لأنه القوي الغالب الذي لا يعجزه شيئ، ولا يغلبه أحد، ولا يضره، كما في الحديث القدسي:" **إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**" (1).

ثانيا: معناه اللغوي

المعنى الاصطلاحي لاسم الله العزيز لا يخرج عن تعريفه اللغوي، قال الإمام القرطبي: "**العزيز**" معناه المنيع الذي لا ينال ولا يغالب"(2).

وقال الإمام الغزالي: "**العزيز**" الذي يقل وجود مثله، وتشتد الحاجة إليه، ويصعب الوصول إليه، فما لم يجتمع عليه هذه المعاني الثلاثة لم يطلق عليه اسم العزيز.

فكم من شيء يقل وجوده ولكن إذا لم يعظم خطره ولم يكثر نفعه لم يسم عزيزا، وكم من شئ يعظم خطره ويكثر نفعه ولا يوجد نظيره، ولكن إذا لم يصعب الوصول إليه لم يسم عزيزا، كالشمس مثلا فإنه لا نظير لها، والأرض كذلك والنفع عظيم في كل واحد منهما والحاجة شديدة إليهما ولكن لا يوصفان بالعزة؛ لأنه لا يصعب الوصول إلى مشاهدتهما فلا بد من اجتماع المعاني الثلاثة.

ثم في كل واحد من المعاني الثلاثة كمال ونقصان والكمال في قلة الوجود أن يرجع إلى واحد إذ لا أقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثله وليس هذا إلا الله تعالى، فإن الشمس وإن كانت واحدة في الوجود فليست واحدة في الإمكان فيمكن وجود مثلها في الكمال والنفاسة وشدة الحاجة أن يحتاج إليه كل

(1) صحيح مسلم، برقم، (٢٥٧٧).

(2) تفسير القرطبي ١٣١/٢.

شيء في كل شيء حتى في وجوده وبقائه وصفاته وليس ذلك على الكمال إلا لله عز وجل.

والكمال في صعوبة المنال أن يستحيل الوصول إليه على معنى الإحاطة بكنهه وليس ذلك على الكمال إلا لله عز وجل فإنا قد بينا أنه لا يعرف الله إلا الله فهو العزيز المطلق الحق لا يوازيه فيه غيره"(١).

وقال الإمام ابن القيم في نونيته:

وهو العزيز فلن يرام جنابه... أنى يرام جناب ذي السلطان

وهو العزيز القاهر الغلاب... لم يغلبه شيء هذه صفتان

وهو العزيز بقوة هي وصفه... فالعز حينئذ ثلاث معان

وهي التي كملت له سبحانه... من كل وجه عادم النقصان(٢)

ثالثا: ورود في القرآن الكريم

ورد ذكر اسم الله سبحانه تعالى "**العزيز**" في القرآن في أكثر من تسعين موضعا، وغالبا ما يأتي مقرونا باسم آخر، وأحيانا يأتي مفردا، ومن المواطن التي ورد فيها هذا الاسم مفردا آية خواتيم سورة الحشر، في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "**العزيز**" أي: الذي قد

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٨٣.

(٢) نونية ابن القيم، ٢/٢١٨.

عزَّ كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه"[1].

وقال الامام ابن القيم:" الله سبحانه وتعالى هو العزيز الذي يقضي بماء يشاء وأنه لكمال عزته حكم على العبد وقضى عليه، بأن قلب قلبه وصرف إرادته على ما يشاء وحال بين العبد وقلبه وجعله مريدا شائيا لما شاء منه العزيز الحكيم وهذا من كمال العزة إذ لا يقدر على ذلك إلا الله وغاية المخلوق أن يتصرف في بدنك وظاهرك وأما جعلك مريدا شائبا لما يشاؤه منك ويريده فلا يقدر عليه إلا ذو العزة الباهرة.

فإذا عرف العبد عز سيده ولاحظه بقلبه وتمكن شهوده منه كان الإشتغال به عن ذل المعصية أولى به وأنفع له؛ لأنه يصير مع الله لا مع نفسه، ومن معرفة عزته في قضائه أن يعرف أنه مدبر مقهور ناصيته بيد غيره لا عصمة له إلا بعصمته ولا توفيق له إلا بمعونته فهو ذليل حقير في قبضة عزيز حميد.

ومن شهود عزته أيضا في قضائه أن يشهد أن الكمال والحمد والغناء التام والعزة كلها لله، وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة وكلما ازداد شهوده لذله ونقصه وعيبه وفقره ازداد شهوده لعزة الله وكماله وحمده وغناه وكذلك بالعكس فنقص الذنب وذلته يطلعه على مشهد العزة.

ومنها أن العبد لا يريد معصية مولاه من حيث هي معصية فإذا شهد جريان الحكم وجعله فاعلا لما هو غير مختار له مريد بإرادته ومشيئته واختياره فكأنه

---

(1) تفسير ابن كثير ٤/٣٤٣.

مختار غير مختار مريد غير مريد شاءغير شاء فهذا يشهد عزة الله وعظمته وكمال قدرته"[1].

وقد ورد اسم الله العزيز في السنة النبوية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته** " [2].

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم – قال: " **لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط قط وعزتك** " [3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم – قال:" **يجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول: يا رب هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك، فيقول: فإنها لي، ويجيء الرجل آخذا بيد الرجل فيقول إن هذا قتلني، فيقول الله له: لم قتلته؟ فيقول: لتكون العزة لفلان، فيقول: إنها ليست لفلان فيبوء بإثمه**"[4].

وقد ورد هذا الاسم بوصف العزة في أحاديث كثيرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله** " [5] .

---

(1) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٢٠٥.
(2) صحيح مسلم ، برقم، (٢٦٢٠).
(3) صحيح البخاري ، برقم (٤٥٦٨).
(4) سنن النسائي ، برقم (٣٤٦٠)، وينظر: السلسلة الصحيحة، برقم (٢٦٩٨).
(5) صحيح مسلم، برقم،(٢٥٨٨).

وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب "[١].

رابعا: اقتران اسم الله العزيز ببعض الأسماء الحسنى

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن اسم الله العزيز يأتي مقترنا ببعض الأسماء الحسنى، فقد اقترن باسم الله الحكيم، قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، واقترن باسم الله الوهاب، قال سبحانه: ﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾ [ص: ٩]، واقترن باسم الله والرحيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩]، واقترن باسم الله والعليم، قال تعالى:﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾[الأنعام: ٩٦]، واقترن باسم الله والغفور، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، واقترن باسم الله والحميد، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج: ٨]، واقترن باسم الله والغفار، قال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ [ص: ٦٦].

وللإمام ابن القيم توجيهات حسنة، يبين فيها سبب اقتران اسم الله العزيز ببعض اسماء الله الحسنى، ونأخذ بعضا من توجيهاته لبعض الأسماء التي اقترنت باسمه العزيز، ومن ذلك اقتران اسم الله العزيز باسمه الحكيم، عند قوله تعالى:

---

[١] سنن الترمذي، برقم (٣٦٨١) وينظر: صحيح الجامع، برقم (٣٦٨١) .

﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ ﴾ [غافر: ٨] " قال رحمه الله:" أخبر سبحانه عن ملائكته أنهم قالوا عقيب هذه الدعوة ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ أي: مصدر ذلك وسببه وغايته صادر عن كمال قدرتك وكمال علمك، فإن العزة كمال القدرة والحكمة كمال العلم وبهاتين الصفتين يقضي سبحانه وتعالى ما يشاء ويأمر وينهى ويثيب ويعاقب فهاتان الصفتان مصدر الخلق والأمر "[1].

وقد يقول قائل: لماذا قدم اسمه العزيز على اسمه الحكيم؟ وللإجابة على ذلك قال العلامة ابن القيم:" تقدم العزيز على الحكيم؛ لأنه عز فلما عز حكم، وربما كان هذا من تقدم السبب على المسبب"[2].

ومن ذلك اقتران اسم الله العزيز باسمه العليم، وتقدمه عليه، كما في قاله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ ﴾ [غافر: ١، ٢]، قال العلامة ابن القيم، في تعليقة على هذه الآية:" قوله:﴿ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ تضمن هذان الاسمان صفتي القدرة والعلم وخلق أعمال العباد وحدوث كل ما سوى الله؛ لأن القدرة هي قدرة الله، كما قال أحمد بن حنبل فتضمنت إثبات القدر؛ ولأن عزته تمنع أن يكون في ملكه ما لا يشاؤه أو أن يشاء ما لا يكون، فكانت عزته تبطل ذلك، وكذلك كمال قدرته توجب أن يكون خالق كل شيء، وذلك ينفي أن يكون

---

(١) الجواب الكافي، لابن القيم، صـ ٨١.

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم، ١/ ٦٦.

في العالم شيء قديم لا يتعلق به خلقه؛ لأن كمال قدرته وعزته يبطل ذلك، فتضمن هذان الاسمان إثبات شرعه وإحسانه وفضله "[١] .

خامسا: الآثار الإيمانية لاسم الله العزيز

لاسم الله "**المؤمن**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ الإيمان بهذا الاسم يورث عند المسلم اعتزازه بالله تعالى وتوكله عليه؛ لأن الله تعالى هو وحده الضار والنافع، وهو وحده على كل شيئ قدير ، وهذه العزة لها تطبيقات كثيرة في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ففي صحيح البخاري من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: " كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولو رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فحدثته؛ فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومقتك، فأنزل الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ١] فبعث إلي النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم، ١/ ٢٠١.

﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾[المنافقون: ١ – ٣] .. إلى قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون: ٧ – ٨] فقال صلى الله عليه وسلم لزيد: "إن الله قد صدقك يا زيد" (١) .

فالإيمان باسم الله العزيز يثمر العزة في نفس المؤمن؛ لأنه لو بحث عنها عند غير الله تعالى فلن يجدها، وصدق الله القائل: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ [فاطر: ١٠]، وقد رد الله تعالى على المنافقين الذين ابتغوا العزة عند الكافرين، فقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴾ [النساء: ١٣٨ـ ١٣٩]، وصدق عمر ابن الخطاب حين قال: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله".

والشعور بهذه العزة يثمر عند المؤمن تعاليه على الباطل وأهله وعدم الاستكانة لهم، مهما كانت قوتهم وامكانياتهم، ولن يتطرق إليه اليأس الوهن والضعف أبدا؛ لأنه تحت رعاية العزيز الحميد.

---

(١) صحيح البخاري، برقم (٤٦١٧) .

٢ـ أن يأخذ المسلم بالأسباب التي تجلب له العزة، ومن ذلك أن يعفوا عمن أساء إليه، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله "[١]، قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث:" قوله صلى الله عليه وسلم:" وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا "، فيه أ وجهان: **أحدهما:** أنه على ظاهره ، وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب ، وزاد عزه وإكرامه . **والثاني:** أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك"[٢].

ومن الأسباب التي ينال بها العبد العزة تلاوة كتاب الله تعالى والعمل به؛ لأن الله تعالى وصفه بأنه كتاب عزيز، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤١ـ ٤٢]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" قوله **تعالى:**﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن هذا الذكر لكتاب عزيز، بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلا أو تحريفا، أو تغييرا، من إنسي وجني وشيطان مارد"[٣].

ومن الأسباب التي ينال بها العبد العزة، الدعوة إلى الله تعالى ودلالة العباد على ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، قال الإمام الغزالي:" العزيز من العباد من

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب ، باب استحباب العفو والتواضع ٤/٢٠٠١ ، برقم (٢٥٨٨)

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي، ٨/ ٣٩٩.

(٣) تفسير الطبري ٢١/ ٤٧٩.

يحتاج إليه عباد الله في أهم أمورهم وهي الحياة الأخروية والسعادة الأبدية وذلك مما يقل لا محالة وجوده ويصعب إدراكه وهذه رتبة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ويشاركهم في العز من ينفرد بالقرب من درجتهم في عصره كالخلفاء وورثتهم من العلماء وعزة كل واحد منهم بقدر علو رتبته عن سهولة النيل والمشاركة وبقدر عنائه في إرشاد الخلق"(١).

٣ـ دعاء الله تعالى باسمه العزيز، وقد ورد الدعاء باسم الله العزيز في دعاء إبراهيم عليه السلام حين دعا ربه قائلا: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الممتحنة:٥]، وورد في دعائه أيضا: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة:١٢٩]، وورد في دعاء الملائكة للمؤمنين، أنهم قالوا: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [غافر:٨].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تضور(٢) من الليل قال: " **لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار** "(٣).

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ٨٤.

(٢) **تَضَوَّر**: تلوى وتتقلَّبُ ظهراً لِبَطْنٍ من شِدَّة الحمى والألم، انظر: النهاية في غريب، لابن الأثير ١٠٥/٣.

(٣) صحيح ابن حبان، برقم (٥٥٣٠)، وينظر: صحيح الجامع (٤٦٩٣).

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **امسحه بيمينك سبع مرات وقل: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد، قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله عز وجل ما كان بي، فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم** " [١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: "**إذا اشتكيت؛ فضع يدك حيث تشتكي وقل: بسم الله أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعي هذا، ثم ارفع يدك، ثم أعد ذلك وترا** "[٢].

وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **من قال إذا أوى إلى فراشه: الحمد لله الذي كفاني وآواني، الحمد لله الذي أطعمني وسقاني، الحمد لله الذي من علي وأفضل، اللهم إني أسألك بعزتك أن تنجني من النار، فقد حمد الله بجميع محامد الخلق كلهم** " [٣].

وعن عبدالله ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال:" **اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك؛ بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب**" [٤].

وعن عبد الله ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا أتيت سلطانا مهيبا، تخاف أن يسطو بك فقل: "**الله أكبر، الله أعز من خلقه جميعا، الله أعز مما أخاف وأحذر، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو، الممسك السماوات السبع أن يقعن على**

---

(١) سنن أبي داود ، برقم(٣٨٩١)، وصحيح الجامع، للألباني، برقم (٣٤٦)

(٢) سنن الترمذي، برقم(٣٥٨٨)، والسلسلة الصحيحة، للألباني، (١٢٥٨)

(٣) مستدرك الحاكم ، برقم (٢٠٠١)، وينظر: السلسلة الصحيحة، للألباني، (٣٤٤٤)

(٤) سنن الترمذي، برقم (٣٦٨١)، وينظر: صحيح السيرة النبوية صـ١٩٣..

الأرض إلا بإذنه؛ من شر عبدك فلان، وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس، اللهم كن لي جارا من شرهم، جل ثناؤك، وعز جارك، وتبارك اسمك، ولا إله غيرك"[١] . ثلاث مرات.

(١) صحيح الأدب المفرد، للألباني، برقم(٢٦٤)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب، برقم(٢٢٣٨)، وهو صحيح موقوف عن ابن عباس.

٤ـ الحكيم جل جلاله

الحكيم جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط الآتية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة :" **الحكيم**" في اللغة صيغة مبالغة على وزن فعيل بمعنى فاعل، فعله حكم يحكم حكما وحكومة، **الحكيم**: بمعنى الحاكم. وهو: القاضي فهو فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل. وقيل: الحكيم ذو الحكمة. والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم.

ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، وقيل: الحكيم العالم، وصاحب الحكمة. وقد حكم أي: صار حكيما.

والحكيم يأتي على عدة معان:

منها: الإحاطة والمنع، فحكم الشيء يعني منعه وسيطر عليه وأحاط به، وكل من منعته من شيء فقد حكمته وأحكمته، وحكم الشيء وأحكمه منعه من الفساد.

ومنها: الإحكام ومنه حكمة الدابة وهي حديد لجامها سميت بذلك؛ لأنه يمنع الدابة من كثير من الجهل والخروج، ويشهد لذلك قول حسان بن ثابت – رضي الله عنه –: فنحكم بالقوافي من هجانا...... ونضرب حين تختلط الدماء، أي: نمنع بالقوافي من هجانا [١] .

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٢/٩٥١، اشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، صـ٦٢

ثانياً: معناه الاصطلاحي

اسم الله الحكيم وردت له عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن هذه التعريفات ما ذكره الحليمي حيث قال:" الحكيم: الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب. وإنما ينبغي أن يوصف بذلك لأن أفعاله سديدة، وصنعه متقن، ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم، كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلا من حي عالم قدير "[1].

وقال الإمام الغزالي:" **الحكيم**" ذو الحكمة والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وأجل الأشياء هو الله سبحانه، وقد سبق أنه لا يعرف كنه معرفته غيره، فهو الحكيم الحق؛ لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم إذ أجل العلوم هو العلم الأزلي الدائم الذي لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليه خفاء ولا شبهة ولا يتصف بذلك إلا علم الله سبحانه وتعالى وقد يقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعتها حكيم، وكمال ذلك أيضا ليس إلا لله تعالى فهو الحكيم الحق"[2].

قال ابن القيم:" **الحكيم**" من أسمائه الحسنى، والحكمة من صفاته العلى، والشريعة الصادرة عن أمره، مبناها على الحكمة، والرسول المبعوث بها مبعوث بالكتاب والحكمة والحكمة هي سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وهي تتضمن العلم بالحق والعمل به والخبر عنه والأمر به فكل هذا يسمى حكمة، فكما لا يخرج مقدور عن علمه وقدرته ومشيئته فهكذا لا يخرج عن حكمته

---

(1) انظر الأسماء والصفات، للبيهقي صـ ٢٢.

(2) المقصد الأسنى ، للغزالي، صـ ١٢٠.

وحمده، وهو محمود على جميع ما في الكون من خير وشر، حمدا استحقه لذاته وصدر عنه خلقه وأمره، فمصدر ذلك كله عن الحكمة" [1].

وقال لشيخ السعدي: "**الحكيم**" هو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]. فلا يخلق شيئا عبثا، ولا يشرع سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه. والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها"[2] .

ثالثاً: ورود اسم الله الحكيم في القرآن الكريم

اسم الله **الحكيم** جل جلاله ورد في القرآن في أكثر من تسعين موضعا، وفي كل هذه المواضع يأتي هذا الاسم الكريم مقترنا باسم آخر من أسمائه الحسنى، وسنبين ذلك على النحو التالي:

١. اقتران اسم الله الحكيم باسمه العزيز

وقد جاء هذا الاقتران في ست وأربعين موضعا، وعن سر هذا الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين، قال الإمام ابن القيم: "فإن العزة: كمال القدرة، والحكمة: كمال العلم، وبهاتين الصفتين يقضي – سبحانه وتعالى – ما يشاء، ويأمر وينهى، ويثني، ويعاقب، فهاتان الصفتان: مصدر الخلق والأمر "[3].

---

(1) طريق الهجرتين صـ١٦١، والصواعق المرسلة ٤/ ١٥٦٥، وكلاهما لابن القيم.

(2) تفسير السعدي ٥/٦٢١.

(3) الجواب الكافي ، لابن القيم، صـ٨١.

وقال الشيخ ابن عثيمين "إن الجمع بين الاسمين دال على كمال آخر، وهو أن عزته – تعالى – مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلما وجورا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التصرف، وكذلك حكمه – تعالى – وحكمته مقرونان بالعز الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنها يعتريها الذل"(١).

فمن الآيات التي اقترن فيها اسم الله الحكيم باسمه العزيز قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، قال ابن القيم عند هذه الآية:" ختم هذه الآية بقوله: ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾، فتضمنت الآية: توحيده وعدله، وعزته وحكمته. فالتوحيد يتضمن: ثبوت صفات كماله ونعوت جلاله، وعدم التماثل له فيها؛ وعبادته وحده لا شريك له، والعدل يتضمن: وضعه الأشياء موضعها، وتنزيلها منازلها، وأنه لم يخص شيئا إلا بمخصص اقتضى ذلك، وأنه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة، ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله مستحقا. والعزة تتضمن: كمال قدرته، وقوته، وقهره، والحكمة تتضمن: كمال علمه وخبرته، وأنه أمر ونهى وخلق، وقدر لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها كمال الحمد، فاسمه **العزيز** يتضمن: الملك، واسمه **الحكيم** يتضمن: الحمد. وأول الآية يتضمن: التوحيد. وذلك حقيقة "**لا إله إلا الله وحده**

---

(١) القواعد المثلى، لابن عثيمين، صـ ١٠.

لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" وذلك أفضل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيون من قبله [١] [٢] .

ومن الآيات التي اقترن فيها اسم الله الحكيم باسمه العزيز قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨] من قال الإمام الرازي عند هذه الآية "أما قوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، فالمعنى: عزيز في انتقامه، حكيم في شرائعه وتكاليفه". قال الأصمعي: "كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي. فقرأت هذه الآية فقلت: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٤] سهوا، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ فقلت كلام الله، قال أعد! فأعدت: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ثم تنبهت فقلت: ﴿ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ، فقال الأعرابي: الآن أصبت. فقلت كيف عرفت؟! قال: يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع "[٣] .

ومن الآيات التي اقترن فيها اسم الله الحكيم باسمه العزيز قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨] قال الإمام ابن القيم قال الله تعالى في ختام هذه الآية : ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ "

---

(١) سنن الترمذي في الدعوات باب (١٢٢) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، برقم(١٥٠٣).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم ٣/٤٦٠ .

(٣) تفسير الرازي ١١/١٨١.

ولم يقل " **فإنك أنت الغفور الرحيم**" وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى، فإنه قاله في وقت غضب الرب عليهم، والأمر بهم إلى النار. فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة. بل مقام براءة منهم. فلو قال: "فإنك أنت الغفور الرحيم" لأشعر باستعطافه ربه على أعدائه الذين قد اشتد غضبه عليهم. فالمقام مقام موافقة للرب في غضبه على من غضب الرب عليهم. فعدل عن ذكر الصفتين اللتين يسأل بهما عطفه ورحمته ومغفرته إلى ذكر العزة والحكمة، المتضمنتين لكمال القدرة وكمال العلم.

والمعنى: إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم، ليست عن عجز عن الانتقام منهم، ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم، وهذا لأن العبد قد يغفر لغيره لعجزه عن الانتقام منه، ولجهله بمقدار إساءته إليه. والكمال: هو مغفرة القادر العالم، وهو العزيز الحكيم، وكان ذكر هاتين الصفتين في هذا المقام عين الأدب في الخطاب"[1] .

ومن الآيات القرآنية التي اقترن فيها اسم الله الحكيم باسمه العزيز قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[آل عمران: ٦]، وقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقوله تعالى:﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠]، وقوله تعالى:﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[النمل:

---

(1) مدارج السالكين، لابن القيم ٢/٣٧٩.

٩]، وقوله تعالى:﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وغير ذلك من الآيات القرآنية. [١].

والمتأمل في كتاب الله تعالى في الآيات التي جاء اسم الله الحكيم مقترنا باسمه العزيز يجد أن اسمه العزيز يتقدم على اسمه الحكيم، وعن حكمة هذا التقديم قال الامام ابن القيم: "ووجه التقديم: أن العزة: كمال القدرة، والحكمة: كمال العلم، وهو – سبحانه – الموصوف من كل صفة كمال بأكملها وأعظمها وغايتها، فتقدم وصف القدرة، لأن متعلقه أقرب إلى مشاهدة الخلق؛ وهو مفعولاته تعالى وآياته، وأما الحكمة فمتعلقها بالنظر والفكر والاعتبار غالبا؛ وكانت متأخرة عن متعلق القدرة.

وجه ثان: أن النظر في الحكمة بعد النظر في المفعول والعلم به، سينتقل منه إلى النظر فيما أودعه من الحكم والمعاني.

وجه ثالث: أن الحكمة غاية الفعل، فهي متأخرة عنه تأخر الغايات عن وسائلها، فالقدرة تتعلق بإيجاده، والحكمة تتعلق بغايته، فقدم الوسيلة على الغاية لأنها أسبق في الترتيب الخارجي" [٢].

٢ـ اقتران اسم الله الحكيم باسمه العليم

وقد جاء هذا الاقتران في سبعة وثلاثين موضعا، قال الإمام ابن القيم عن السر في الاقتران ين اسم الحكيم واسمه العليم، حيث قال "العلم والحكمة متضمنان

---

(١) انظر: سورة لعنكبوت: ٤٢ والروم: ٢٧ ولقمان: ٩ وسبأ: ٢٧ وفاطر: ٢ والزمر: ١ وغافر: ٨ والشورى: ٣ والجاثية: ٣٧ والأحقاف: ٢ والحديد: ١ والحشر: ١ والحشر: ٢٤ والممتحنة: ٥ والصف: ١، والجمعة: ١.

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم ١/٦٣.

لجميع صفات الكمال، فالعلم يتضمن الحياة ولوازم كمالها من: القيومية والقدرة، والبقاء، والسمع، والبصر، وسائر الصفات التي يستلزمها العلم التام.

والحكمة تتضمن كمال الإرادة والعدل، والرحمة، والإحسان، والجود، والبر، ووضع الأشياء مواضعها على أحسن وجوهها، ويتضمن إرسال الرسل، وإثبات الثواب والعقاب"[1] .

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن بعض الآيات القرآنية التي اقترن بها اسم الله الحكيم باسمه العيم يجد أن اسم الله الحكيم يتقدم فيها على اسمه العليم، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الذاريات: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣] وقوله تعالى:﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[الأنعام: ١٢٨] وقوله تعالى:﴿ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٣٩]﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[الحجر: ٢٥] وقوله تعالى:﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[النمل: ٦]

وتقديم اسم الله الحكيم على اسمه العليم يكون في مقامين هما:"

---

(١) أسماء الله الحسنى، لابن القيم، صـ ١٢٧.

١- مقام التوحيد كما في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣].

٢- مقام إجراء المعجزات كما في قوله تعالى:﴿ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الذاريات: ٣٠]. وذلك أن مضمون الألوهية في مقام التوحيد قهر وقوة وغلبة، يقابلها من العباد طاعة وعبادة وخضوع، فتقديم الحكمة في هذا المقام – والله أعلم – ليعلم أن ألوهيته – عز وجل – السارية على من في السماوات والأرض مسارها الحكمة.

ولعله لما كان العلم الشامل هو رافد الحكمة، وعلى أساسه تنزل الأشياء منازلها، وتوضع الأمور في مواضعها التي بها تستقيم تبع اسم **الحكيم** باسم **العليم** . أما مقام إجراء المعجزات فهو كذلك راجع إلى القوة الغالبة، والمشيئة الطليقة التي تعلو على سنن الكون ونواميسه، واقتران القوة بالحكمة هو ضمان انتظام الأمور، وألا تتحول إلى عبث يفضي إلي اختلال السنن وفساد الكون، فالحكمة هنا لها الصدارة، يليها العلم الذي على أساسه يكون إجراء السنن على ما قدر لها، أو تعطيلها لحكمة ترجع لعلم **العليم** [1]] .

وأكثر الآيات القرآنية التي يقترن فيها اسم الله الحكيم باسمه العليم يتقدم فيها اسم الله العليم على اسمه الحكيم، وهذه الآيات القرآنية هي: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ

(١) مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام، د. نجلاء كردي صـ ٥٥٦.

ٱلۡحَكِيمُ ﴾[يوسف: ٨٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[يوسف: ١٠٠] وقوله تعالى: ﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [التحريم: ٢] وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال: ٧١] وقوله تعالى: ﴿ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٥] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [التوبة: ٢٨]﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ التوبة: ٩٧} وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [يوسف: ٦] وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [الحج: ٥٢] وقوله تعالى: ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ١٨] وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [النور: ٥٨] وقوله تعالى:

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[النور: ٥٩] وقوله تعالى: ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الحجرات: ٨] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الممتحنة: ١٠].

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن المواضع التي يتقدم فيها اسم **العليم** على اسم **الحكيم** منوطة بالعلم أولا ثم بالحكمة" ففي مقام الاعتراف بالعجز وقصور العلم يقابله – ولابد – الإقرار والتسليم للعليم، فإذا كان **العليم** هو **الحكيم** فذلك هو العلم البالغ حد الكمال فيكون الاعتراف مصحوبا بغاية الرضا والتسليم. كما في قوله تعالى عن الملائكة: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢].

وفي مقام ارتباط الصبر وانتظار الفرج باسم **العليم** ارتباط قوي، وذلك أن العبد إذا كان عظيم الإيمان، عميق الصلة بربه، واستلبث عليه الفرج لم يتزعزع يقينه، لأنه معتمد على علم الله – عز وجل – في اختيار الزمان الأنسب لما يرجوه من الفرج، معول على حكمته في تهيئة الأسباب له ليقع على أحسن ما يكون كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٨٣].

ومثل ذلك يقال في مقام التواضع والتحدث بنعمة الله وفضله، لأن قوامه أحداث ترجع إلى علم **العليم** وحكمة **الحكيم** كما في قوله تعالى عند يوسف عليه

السلام: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

أما مقام التشريع وإقرار الحكم فالأمر فيه راجع إلى العلم الشامل أولا لأن العلم هو أساس بناء الأحكام، ثم تأتي الحكمة لتنزل الحكم على الواقع، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [التحريم: ٢].

وتقديم اسم **العليم** على **الحكيم**؛ لأن مبنى الأحكام على إحاطة العلم أولا ثم الحكمة في تنزيل العلم على الواقع بما يحقق الانسجام والتوافق بين الأحكام الشرعية والطبائع البشرية، وذلك ما يميز الشريعة الإسلامية عن الدساتير، والشرائع الوضعية"(١)

٣ـ اقتران اسم الله الحكيم باسمه الخبير

اسم الله الحكيم اقترن باسمه الخبير في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وهذه المواضع هي قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [سبأ: ١]، قال الأمام ابن القيم عند هذه الآية: "ابتدأ سبحانه السورة بحمده الذي هو أعم المعارف وأوسع العلوم، وهو متضمن لجميع صفات كماله ونعوت جلاله، مستلزم لها كما هو متضمن لحكمته في جميع أفعاله وأوامره، فهو المحمود على كل حال، وعلى كل ما خلقه وشرعه، ثم عقب هذا الحمد بملكه الواسع المديد فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام، د. نجلاء كردي صـ٥٥٦.

وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ثم عقبه بأن هذا الحمد ثابت له في الآخرة غير منقطع أبدا، فإنه حمد يستحقه لذاته وكمال أوصافه، وما يستحقه لذاته دائم بدوامه لا يزول أبدا، وقرن بين الملك والحمد على عادته تعالى في كلامه؛ فإن اقتران أحدهما بالآخر له كمال زائد على الكمال بكل واحد منهما، فله كمال من ملكه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر، فإن الملك بلا حمد يستلزم نقصا، والحمد بلا ملك يستلزم عجزا، والحمد مع الملك غاية الكمال... ثم عقب هذا الحمد والملك باسم "**الحكيم الخبير**" الدالين على كمال الإرادة، وأنها لا تتعلق بمراد إلا لحكمة بالغة وعلى كمال علم، وأنه كما يتعلق بظواهر المعلومات فهو متعلق ببواطنها التي لا تدرك إلا بخبرة، فنسبة الحكمة إلى الإرادة كنسبة الخبرة إلى العلم، فالمراد ظاهر والحكمة باطنة والعلم ظاهر والخبرة باطنة، فكمال الإرادة أن تكون واقعة على وجه الحكمة وكمال العلم أن يكون كاشفا عن الخبرة فالخبرة باطن العلم وكماله والحكمة باطن الإرادة وكمالها فتضمنت الآية إثبات حمده وملكه وحكمته وعلمه على أكمل الوجوه "[1].

ومن المواضع التي اقترن بها اسم الله الحكيم باسمه الخبير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[الأنعام: ١٨]، والمتأمل في هذه الآية يجد أن اسمي الله **الحكيم والخبير** سبقهما اسم الله **القاهر**:" ووجه الجمع بين هذه الأسماء الحسنى – والله أعلم– أن **القاهر** وصف دال على كمال القدرة والقوة والغلبة التي لا يملك المقهور حيالها أي مدافعة، بل الإذعان والخضوع، أما

(1) بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/ ١٣٢

الحكيم فهو ذو الحكمة المتقن لخلق الأشياء، وهو وصف يقتضي أنه – سبحانه – يضع الأشياء في محالها بحكمته، وأنه لا يفعل إلا ما كان صوابا .

فلما ورد اسم **القاهر** الذي يحصل منه الخوف والوجل والشعور بمعنى القهر والفوقية، جاء بعده اسم **الحكيم** الذي يدل على أن جريان تصرفه وسلطانه إنما هو على مقتضى الإصلاح ومنع الفساد، فإذا وقع للعبد من أقداره سبحانه ما يكره فليوقن أن وراء ذلك الحكمة التي لا يدركها إلا **الخبير** الذي يصل علمه إلى الخفايا وبواطن الأمور. وبذلك تطمئن النفوس من الخوف، وتسكن من القلق والاضطراب. بخلاف قهر الجبابرة من المخلوقين الذين غالبا ما يكون عن ظلم، وشهوة، وعدوان(١).

ومن المواضع التي اقترن بها اسم الله الحكيم باسمه الخبير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ٧٣].

ومن المواضع التي اقترن بها اسم الله الحكيم باسمه الخبير قوله تعالى:﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

رابعاً: اقتران اسم الله الحكيم باسمه التواب

وقد جاء هذا الاقتران في آية واحد ة في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾[النور: ١٠]، والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد

(١) مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام" د. نجلاء الكردي صـ ٥٠٧.

أن هذه الآية جاءت في سورة النور بعد ذكر حد الزنا، وحد قذف المحصنات وأحكام الملاعنة وعن مناسبة اختتام هذه الأحكام بهذه الآية يقول الطاهر ابن عاشور" هذا تذييل لما مر من الأحكام العظيمة المشتملة على التفضل من الله والرحمة منه، والمؤذنة بأنه تواب على من تاب من عباده، والمثبتة بكمال حكمته تعالى إذ وضع الشدة موضعها، والرفق موضعه، وكف بعض الناس عن بعض، فلما دخلت تلك الأحكام تحت كل هذه الصفات كان ذكر الصفات تذييلا ... وفي ذكر وصف **الحكيم** هنا مع وصف **تواب** إشارة إلى أن في هذه التوبة حكمة، وهي استصلاح الناس"(١).

٤- اقتران اسم الله سبحانه الحكيم باسمه الواسع

وقد جاء هذا الاقتران في آية واحد ة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠]، والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن هذه الآية جاءت في سورة النساء بعد ذكر حكم النشوز بين الزوجين، وعن مناسبة اختتام هذ الحكم بهذه الآية يقول الشيخ السعدي:" ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا ﴾ أي:" كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه حيث وصل إليه علمه، وكان مع ذلك ﴿ حَكِيمًا ﴾ أي: يعطي بحكمته ويمنع لحكمته، فإذا اقتضت حكمته منع بعض عبده من إحسانه بسبب في العبد لا يستحق معه الإحسان، حرمه عدلا وحكمة أي: أن هذه الحكمة من المنع لا

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٩/١٦٨.

تقدح في كونه واسعا فالله سبحانه واسع العطاء، واسع الحكمة، واسع الفضل والإحسان والرحمة"[١] .

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الحكيم

لاسم الله الحكيم آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله الحكيم، أن يحب المؤمن ربه الحكيم؛ لأنه حكيم فيما شرع وفيما خلق، وبعض نلك الحكم قد يظهر ها الله لعباده وبعضها قد تخفى،

، قال الإمام ابن القيم:" قد دلت العقول الصحيحة والفطر السليمة على ما دل عليه القرآن والسنة: أنه سبحانه **حكيم** لا يفعل، شيئا عبثا ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة لأجلها فعل كما فعل كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل.. وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا. وهذا في مواضع لا تكاد تحصى، ولا سبيل إلى استيعاب أفرادها"

قد شهدت الفطر والعقول بأن للعالم ربا قادرا حكيما عليما رحيما كاملا في ذاته وصفاته لا يكون إلا مريدا للخير لعباده مجريا لهم على الشريعة والسنة الفاضلة العائدة باستصلاحهم، الموافقة لما ركب في عقولهم من استحسان الحسن واستقباح القبيح وما جبل طباعهم عليه من إيثار النافع لهم، المصلح لشأنهم، وترك الضار المفسد لهم، وشهدت هذه الشريعة له بأنه أحكم الحاكمين، وأرحم

(١) تفسير السعدي ١/٤٢١.

الراحمين، وأنه المحيط بكل شيء علما، وإذا عرف ذلك فليس من الحكمة الإلهية، بل ولا الحكمة في ملوك العالم أنهم يسوون بين من هو تحت تدبيرهم في تعريفهم كلما يعرفه الملوك وإعلامهم جميع ما يعلمونه، وإطلاعهم على كل ما يجرون عليه سياساتهم في أنفسهم، وفي منازلهم حتى لا يقيموا في بلد فيها إلا أخبروا من تحت أيديهم بالسبب في ذلك المعنى الذي قصدوه منه، ولا يأمرون رعيتهم بأمر ولا يضربون عليهم بعثا، ولا يسوسونهم سياسة إلا أخبروهم بوجه ذلك وسببه وغايته ومدته، بل لا تتصرف بهم الأحوال في مطامعهم وملابسهم ومراكبهم إلا أوقفوهم على أغراضهم فيه. ولا شك أن هذا مناف للحكمة والمصلحة بين المخلوقين فكيف بشأن رب العالمين، وأحكم الحاكمين الذي لا يشاركه في علمه ولا حكمته أحد أبدا.

فحسب العقول الكاملة أن تستدل بما عرفت من حكمته على ما غاب عنها، وتعلم أن له حكمة في كل ما خلقه وأمر به وشرعه، وهل تقتضي الحكمة أن يخبر الله تعالى كل عبد من عباده بكل ما يفعله ويوقفهم على وجه تدبيره في كل ما يريده وعلى حكمته في صغير ما ذرأ وبرأ من خليقته وهل في قوى المخلوقات ذلك، بل طوى سبحانه كثيرا من صنعه وأمره عن جميع خلقه، فلم يطلع على ذلك ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا. والمدبر الحكيم من البشر إذا ثبتت حكمته وابتغاؤه الصلاح لمن تحت تدبيره وسياسته كفى في ذلك عن تتبع مقاصده فيمن يولي ويعزل، وفي جنس ما يأمر به وينهى عنه، وفي تدبيره لرعيته وسياسته لهم دون تفاصيل كل فعل من أفعاله، اللهم إلا أن يبلغ الأمر

في ذلك مبلغا لا يوجد لفعله منفذ ومساغ في المصلحة أصلا، فحينئذ يخرج بذلك عن استحقاق اسم الحكيم.

ولن يجد أحد في خلق الله ولا في أمره ولا واحدا من هذا الضرب، بل غاية ما تخرجه نفس المتعنت أمور يعجز العقل عن معرفة وجوهها وحكمتها. وأما أن ينفي ذلك عنها – فمعاذ الله – إلا أن يكون ما أخرجه كذب على الخلق والأمر فلم يخلق الله ذلك ولا شرعه. وإذا عرف هذا فقد علم أن رب العالمين أحكم الحاكمين، والعالم بكل شيء، والغني عن كل شيء، والقادر على كل شيء، ومن هذا شأنه لم تخرج أفعاله وأوامره قط عن الحكمة، والرحمة، والمصلحة، وما يخفى على العباد من معاني حكمته في صنعه وإبداعه وأمره وشرعه فيكفيهم فيه معرفته بالوجه العام أن تضمنته حكمة بالغة، وإن لم يعرفوا تفصيلها وأن ذلك من علم الغيب الذي استأثر الله به فيكفيهم في ذلك الإسناد إلى الحكمة البالغة العامة الشاملة التي علموا ما خفي منها بما ظهر لهم. هذا وإن الله تعالى بنى أمور عباده على أن عرفهم معاني جلائل خلقه وأمره دون دقائقهما وتفاصيلهما، وهذا مطرد في الأشياء أصولها وفروعها"(١) .

وقد ظهرت بعض الفرق المنتسبة للإسلام تنفي عن الله تعالى صفة الحكمة، حيث يرون أنه لا حكمة ولا تعليل لأفعال الله تعالى وأحكامه وأقضيته، وإنما هي المشيئة المجردة وهم الذين يعرفون بنفاة الحكمة والتعليل من الجبرية والجهمية ومن تبعهم، وقد ردَّ عليهم الأمام ابن القيم قائلا: "إن العلم والقدرة المجردين عن الحكمة لا يحصل بهما الكمال والصلاح، وإنما يحصل ذلك

(١) مفتاح دار السعادة ٣١٨/١، شفاء العليل ١٩٠/١، وكلاهما لابن القيم.

بالحكمة معهما. واسمه سبحانه (الحكيم) يتضمن حكمته في خلقه، وأمره في إرادته الدينية والكونية، وهو حكيم في كل خلقه وأمر به.

والناس في هذا المقام أربع طوائف:" الطائفة الأولى" الجاحدة لقدرته وحكمته فلا يثبتون له سبحانه قدرة ولا حكمة، كما يقوله من ينفي كونه تعالى فاعلا مختارا، وأن صدور العالم عنه بالإيجاب الذاتي لا بالقدرة والاختيار، وهؤلاء يثبتون حكمة يسمونها عناية إلهية، وهم من أشد الناس تناقضا، إذا لا يعقل حكيم لا قدرة له ولا اختيار، وإنما يسمون ما في العالم من المصالح والمنافع عناية إلهية من غير أن يرجع منها إلى الرب سبحانه إرادة ولا حكمة، وهؤلاء كما أنهم مكذبون لجميع الرسل والكتب فهم مخالفون لصريح العقل والفطرة، قد نسبوا الرب سبحانه إلى أعظم النقص، وجعلوا كل قادر مريد مختار أكمل منه وإن كان من كان، بل سلبهم القدرة والاختيار والفعل عن رب العالمين شر من شرك عباد الأصنام به بكثير، وشر من قول النصارى إنه – تعالى عن قولهم – ثالث ثلاثة وإن له صاحبة وولدا، فإن هؤلاء أثبتوا له قدرة وإرادة، واختيارا وحكمة، ووصفوه مع ذلك بما لا يليق به. وأما أولئك فنفوا ربوبيته وقدرته بالكلية، وأثبتوا له أسماء لا حقائق لها ولا معنى.

و"الطائفة الثانية" أقرت بقدرته وعموم مشيئته للكائنات، وجحدت حكمته، وما له في خلقه من الغايات المحمودة المطلوبة له سبحانه التي يفعل لأجلها ويأمر لأجلها، فحافظت على القدرة وجحدت الحكمة، وهؤلاء هم النفاة للتعليل، والأسباب، والقوى، والطبائع في المخلوقات، فعندهم لا يفعل لشيء ولا لأجل شيء، وليس في القرآن عندهم "لام" تعليل ولا "باء" تسبب، وكل لام توهم

التعليل فهي عندهم لام العاقبة، وكل باء تشعر بالتسبب فهي عندهم باء المصحابة. وهؤلاء سلطوا نفاة القدر عليهم بما نفوه من الحكمة والتعليل والأسباب ، فاستطالوا عليهم بذلك، ووجدوا مقالا واسعا بالشناعة فقالوا وشنعوا، ولعمر الله إنهم لمحقون في أكثر ما شنعوا عليهم به، إذ نفي الحكمة والتعليل والأسباب، له لوازم في غاية الشناعة، والتزامها مكابرة ظاهرة عند عامة العقلاء.

و"الطائفة الثالثة" أقرت بحكمته وأثبتت الأسباب والعلل والغايات في أفعاله وأحكامه، وجحدت كمال قدرته، فنفت قدرته على شطر العالم وهو أشرف ما فيه من أفعال الملائكة، والجن، والإنس وطاعاتهم، بل عندهم هذه كلها لا تدخل تحت مقدوره سبحانه، ولا يوصف بالقدرة عليها ولا هي داخلة تحت مشيئته ولا ملكه، وليس في مقدوره عندهم أن يجعل المؤمن مؤمنا، والمصلي مصليا، والموفق موفقا، بل هو الذي جعل نفسه كذلك. وعندهم أن أفعال العباد من الملائكة، والجن، والإنس كانت بغير مشيئته واختياره فتعالى الله عن قولهم. وهؤلاء سلطوا عليهم نفاة الحكمة والتعليل والأسباب فمزقوهم كل ممزق، ووجدوا طريقا واسعا إلى الشناعة عليهم، وأبدوا تناقضهم فقالوا وشنعوا ورموهم بكل داهية. ونفي قدرة الرب سبحانه على شطر المملكة له لوازم في غاية الشناعة والقبح والفساد، والتزامها مكابرة ظاهرة عند عامة العقلاء، ونفي التزامها تناقض بين، فصاروا بذلك بين التناقض – وهو أحسن حالهم – وبين التزام تلك العظائم التي تخرج عن الإيمان، كما كان نفاة الحكمة والأسباب والغايات كذلك.

فهدى الله "الطائفة الرابعة" لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فآمنوا بالكتاب كله، وأقروا بالحق جميعه، ووافقوا كل واحدة

من الطائفتين على ما معها من الحق، وخالفوهم فيما قالوه من الباطل، فآمنوا بخلق الله وأمره بقدره وشرعه، وأنه سبحانه المحمود على خلقه وأمره، وأنه له الحكمة البالغة والنعمة السابغة، وأنه على كل شيء قدير: فلا يخرج عن مقدوره شيء من الموجودات أعيانها وأفعالها وصفاتها، كما لايخرج عن علمه، فكل ما تعلق به علمه من العالم تعلقت به قدرته ومشيئته. وآمنوا مع ذلك بأن له الحجة على خلقه، وأنه لا حجة لأحد عليه، بل لله الحجة البالغة، وأنه لو عذب أهل سماواته، وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، بل كان تعذيبهم منه عدلا وحكمة لا بمحض المشيئة المجردة عن السبب والحكمة كما يقوله الجبرية، ولا يجعلون القدر حجة لأنفسهم ولا لغيرهم، بل يؤمنون به ولا يحتجون به، ويعلمون أن الله سبحانه أنعم عليهم بالطاعات، وأنها من نعمته عليهم وفضله وإحسانه، وأن المعاصي من نفوسهم الظالمة الجاهلة، وأنهم هم جناتها وهم الذين اجترحوها، ولا يحملونها على القضاء والقدر مع علمهم بشمول قضائه وقدره لما في العالم من خير، وشر، وطاعة، وعصيان، وكفر، وإيمان وأن مشيئة الله سبحانه محيطة بذلك كإحاطة علمه به، وأنه لو شاء ألا يعصى لما عصي، وأنه تعالى أعز وأجل من أن يعصى قسرا، والعباد أقل من ذلك وأهون، وأنه ما شاء الله كان وكل كائن فهو بمشيئته، وما لم يشأ لم يكن، وما لم يكن فلعدم مشيئته، فله الخلق والأمر وله الملك والحمد، وله القدرة التامة والحكمة الشاملة البالغة. فهذه الطائفة هم أهل البصر التام. والأولى لهم العمى المطلق. والثانية والثالثة كل طائفة منهما له عين عمياء، ومع هذا فسرى العمى من العين العمياء إلى العين الصحيحة فأعماها، ولا يستكثر بتكرار هذه الكلمات من يعلم

شدة الحاجة إليها، وضرورة النفوس إليها، فلو تكررت ما تكررت، فالحاجة إليها في محل الضرورة. والله المستعان" [١] .

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الحكيم أن يسأل المسلم ربه أن يرزقه الحكمة، ومن الحكمة أن يعرف المسلم ربه، قال الإمام الغزالي:" من عرف جميع الأشياء ولم يعرف الله عز وجل لم يستحق أن يسمى حكيما؛ لأنه لم يعرف أجل الأشياء وأفضلها، والحكمة أجل العلوم وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم ولا أجل من الله عز وجل.

ومن عرف الله تعالى فهو حكيم وإن كان ضعيف الفطنة في سائر العلوم الرسمية كليل اللسان قاصر البيان فيها إلا أن نسبة حكمة العبد إلى حكمة الله تعالى كنسبة معرفته به إلى معرفته بذاته وشتان بين المعرفتين فشتان بين الحكمتين ولكنه مع بعده عنه فهو أنفس المعارف وأكثرها خيرا ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.

نعم من عرف الله كان كلامه مخالفا لكلام غيره فإنه قلما يتعرض للجزئيات بل يكون كلامه كليا ولا يتعرض لمصالح العاجلة بل يتعرض لما ينفع في العاقبة، ولما كان ذلك أظهر عند الناس من أحوال الحكيم من معرفته بالله عز و جل ربما أطلق الناس اسم الحكمة على مثل تلك الكلمات الكلية ويقال للناطق بها حكيم"[٢].

وقد وصف الله تعالى أن من آتاه الله الحكمة فقد آتاه الله خيرا كثيرا، قال تعالى:

([١]) طريق الهجرتين، لابن القيم ١/١٠٦، باختصار.

([٢]) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٢٠.

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال الشيخ السعدي عند هذه الآية: "﴿ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ هي: العلوم النافعة، والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، وهذا أفضل العطايا، وأجل الهبات، ولهذا قال: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾؛ لأنه خرج من ظلمة الجهالات إلى نور الهدى، ومن حمق الانحراف في الأقوال والأفعال، إلى إصابة الصواب فيها، وحصول السداد؛ ولأنه كمل نفسه بهذا الخير العظيم، واستعد لنفع الخلق أعظم نفع، في دينهم ودنياهم. وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشياء في مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام، ولكن ما يتذكر هذا الأمر العظيم، وما يعرف قدر هذا العطاء الجسيم إلا ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ وهم: أهل العقول الوافية، والأحلام الكاملة، فهم الذين يعرفون النافع فيعملونه، والضار فيتركونه، وهذان الأمران، وهما: بذل النفقات المالية، وبذل الحكمة العلمية، أفضل ما تقرب به المتقربون إلى الله، وأعلى ما وصلوا به إلى أجل الكرامات، وهما اللذان ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يعلمها الناس**"" (١) (٢).

---

(١) صحيح البخاري، برقم (٧٣)، صحيح مسلم، برقم (٨١٦)

(٢) تفسير السعدي، صـ ٩٥٧.

ومن ذلك أن يسأل المسلم ربه أن يرزقه أ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، فيخاطب الناس على حسب مستوياتهم وأحوالهم قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥]، قال الإمام ابن القيم:" جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه، يُدعى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر يُدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن، هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية"(١).

٣ـ الاستسلام لشرع الله تعالى وأوامره ونواهيه في كل مناحي الحياة سواء ظهرت لنا الحكمة فيما شرعه الله تعالى وأمر به أو لم تظهر، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، قال العلامة ابن القيم:" إن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت نبيها، وآمنت بما جاء به، أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به، ونهاها عنه، وبلغها عن ربها، ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها.

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم ١/ ٣٠٦.

بل انقادت، وسلمت، وأذعنت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها، وإيمانها، واستسلامها على معرفته، ولا جعلت طلبه من شأنها. وكان رسولها أعظم في صدورها من سؤالها عن ذلك؛ ولهذا كانت هذه الأمة التي هي أكمل الأمم عقولا، ومعارف وعلوما لا تسأل نبيها لم أمر الله بذلك؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم، وذلك يوجب تعظيم الرب تعالى وأمره ونهيه.

فلا يتم الإيمان إلا بتعظيمه، ولا يتم تعظيمه إلا بتعظيم أمره ونهيه، فعلى قدر تعظيم العبد لله سبحانه يكون تعظيمه لأمره ونهيه، وتعظيم الأمر دليل على تعظيم الآمر، وأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به رغم القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على أكمل الوجوه، ثم فعله لكونه مأمورا به، بحيث يتوقف الإنسان على معرفة حكمته، فإن ظهرت له فعله وإلا عطله، فهذا من عدم عظمته في صدره، بل يسلم لأمر الله وحكمته، ممتثلا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر.

فإن ورد الشرع بذكر حكمة الأمر، أوفقهها العقل، كانت زيادة في البصيرة والداعية في الامتثال، وإن لم تظهر له حكمته لم يوهن ذلك انقياده، ولم يقدح في امتثاله، فالمعظم لأمر اللهيجري الأوامر والنواهي على ما جاءت لا يعللها

بعلل توهنها وتخدش في وجه حسنها فضلا عن أن يعارضها بعلل تقتضي خلافها، فهذا حال ورثة إبليس. والتسليم والانقياد والقبول حال ورثة الأنبياء"(١) .

٤ـ ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله الحكيم أن يدعو المؤمن ربه باسمه الحكيم، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، ومن ذلك دعاء الملائكة ربها الحكيم لعبادة الله المؤمنين قائلة: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [غافر:٨]، ودعاء إبراهيم عليه السلام ربه الحكيم قائلاً: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩]، ودعاءه قائلا: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٠].

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – تلا قول الله – عز وجل – في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٣٦]، وقال عيسى – عليه السلام –: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٨]، فرفع يديه وقال:" **اللهم أمتي أمتي وبكى**"، فقال الله – عز وجل –: **يا جبريل اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك**؟ فأتاه جبريل عليه

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم ٤/١٥٦٠ .

الصلاة والسلام، سأله فأخبره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما قال، وهو أعلم، فقال الله: **يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**" [(١)].

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجا، قال: فقيل: يا رسول الله: ألا نتعلمها فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها** " [(٢)].

وعن مصعب بن سعد – رضي الله عنه – عن أبيه أنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: علمني كلاما أقوله، قال:" **قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، سبحان الله رب العالمين لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، قال: فهؤلاء لربي، فما لي؟ قال: قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني**" [(٣)].

---

(١) صحيح مسلم في الإيمان، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم ١/١٩١، برقم (٢٠٢).

(٢) مسند أحمد ١/٣٩١ ، برقم (٣٧١٢)، وهو في السلسلة الصحيحة، برقم (١٩٩).

(٣) صحيح مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء٤/٢٠٧٢، برقم(٢٦٩٦) .

وعن عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه – قال: سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان نبي الله – صلى الله عليه وسلم – يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته:" **اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلي صراط مستقيم** " [١].

---

(١) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٣٤، برقم(٧٧٠) .

٥ـ السميع جل جلاله

السميع من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذا الاسم في النقاط التالية:

أولا: المعنى اللغوي لاسم الله السميع

قال أهل اللغة:" السميع في اللغة على وزن فعيل من أبنية المبالغة، فعله سمع يسمع سمعا، والسمع في حقنا ما وقر في الأذن من شيء تسمعه، ورجل سميع أي: سامع ورجل سماع إذا كان كثير الاستماع لما يقال، وينطق كقوله تعالى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾ [المائدة: ٤١].

والسمع صفة ذات وصفة فعل، فصفة الذات يعبر به عن الأذن والقوة التي بها يدرك الأصوات كما في قوله:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ [البقرة:٧]، أما صفة الفعل فتارة يكون السمع بمعنى الاستماع والإنصات كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ﴾ [الأحقاف:٢٩]، وتارة يعبر به عن الفهم كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [البقرة:٩٣]، أي فهمنا قولك ولم نأتمر بأمرك، وتارة يعبر به عن الطاعة كقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ [البقرة:٢٨٥]، أي فهمنا وأتمرنا " (١).

ثانيا: معناه الاصطلاحي

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٦٢/٨، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ٤٢٥، واشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي صـ٧٥.

قال الإمام ابن القيم:" السميع الذي يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات فلا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بإلحاح الملحين في سؤاله البصير الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء حيث كانت من سهله أو جباله"[1]

وقال الخطابي رحمه الله تعالى: " "**السميع**" بمعنى السامع إلا أنه أبلغ في الصفة وبناؤه فعيل بناء المبالغة كقولهم: عليم من عالم، وقدير من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوى سواء عند الجهر والخفوت والنطق والسكوت.

وقد يكون السماع بمعنى: القبول والإجابة؛ فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه: ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:" **اللهم اني أعوذ بك من قول لا يسمع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع**"[2] ، أي: من دعاء لا يستجاب، ومن ذلك قول المصلي: "سمع الله لمن حمده" معناه: قبل الله حمد من حمده"[3].

وقال الغزالي:" السميع هو الذي لا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفي فيسمع السر والنجوى بل ما هو أدق من ذلك وأخفى ويدرك دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء يسمع حمد الحامدين فيجازيهم ودعاء الداعين فيستجيب لهم"[4].

---

(1) إغاثة اللهفان، لابن القيم ١/ ٣.

(2) مسند أحمد ، برقم(١٣٠٢٦)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(3) شأن الدعاء، للخطابي صـ ٩.

(4) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١١١.

وقال الشيخ السعدي:" سمعه تعالى نوعان: **أحدهما:** سمعه لجميع الأصوات الظاهرة والباطنة، الخفية والجلية وإحاطته التامة بها.

والثاني: سمع الإجابة منه للسائلين والداعين والعابدين فيجيبهم ويثيبهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وقول المصلي: "سمع الله لمن حمده، أي: استجاب"[١].

والسميع سبحانه هو المتصف بالسمع كوصف ذات ووصف فعل، فوصف الذات وصف حقيقي نؤمن به على ظاهر الخبر في حقه، وظاهر الخبر ليس كالظاهر في حق البشر كما يتوهم من تلوث عقله بالتشبيه والتعطيل، لأننا ما رأينا الله عز وجل وما رأينا كيفية سمعه، وما رأينا مثيلا لذاته ووصفه، الله يسمع بالكيفية التي تناسب عظمته، وهو الذي يعلم حقيقة سمعه وكيفيته، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، قال الإمام الطحاوي:" اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله، وأن من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات ، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته، فقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ ، رد على الممثلة المشبهة، وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد على النفاة المعطلة، فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق ، فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات

---

(١) الحق الواضح المبين، للشيخ السعدي. صـ ٣٥.

المخلوق مثل صفات الخالق ، فهو نظير النصارى في كفرهم، ويراد به أنه لا يثبت لله شيء من الصفات"(١).

وقال الأزهري: " والعجب من قوم فسروا السميع بمعنى المسمع فرارا من وصف الله بأن له سمعا، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه؛ فهو سميع ذو سمع بلا تكييف ولا تشبيه بالسمع من خلقه، ولا سمعه كسمع خلقه، ونحن نصف الله بما وصف به نفسه، بلا تحديد ولا تكييف، ولست أنكر في كلام العرب أن يكون السميع سامعا ويكون مسمعا" (٢).

واشتراك المخلوق مع الخالق سبحانه في بالسمع لا يعني المشابهة، فسمع المخلوق يتناسب مع ضعفه وعجزه، وسمع الخالق عز وجل يليق بكماله وجلاله سبحانه وتعالى.

قال أبو القاسم الأصبهاني موضحا بعض الفروق بين سمع الله عز وجل وسمع المخلوق: "خلق الإنسان صغيرا لا يسمع، فإن سمع لا يعقل ما يسمع، فإذا عقل ميز بين المسموعات فأجاب عن الألفاظ بما يستحق، وميز الكلام المستحسن من المستقبح، ثم كان لسمعه مدى إذا جاوزه لم يسمع، ثم إن كلمه جماعة في وقت واحد عجز عن استماع كلامهم، وعن إدراك جوابهم.

والله عز وجل السميع لدعاء الخلق وألفاظهم عند تفرقهم واجتماعهم مع اختلاف ألسنتهم ولغاتهم، يعلم ما في قلب القائل قبل أن يقول، ويعجز القائل عن التعبير عن مراده فيعلم الله فيعطيه الذي في قلبه، والمخلوق يزول عنه

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، تحقيق أحمد شاكر ١/ ١١٢، باختصار وتصرف.

(٢) لسان العرب، لابن منظور ١٦٣/٨.

السمع بالموت، والله تعالى لم يزل ولا يزال، يفني الخلق ويرثهم فإذا لم يبق أحد قال: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [غافر: ١٦]، فلا يكون من يرد! فيقول: ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٦] "[١].

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

اسم الله "**السميع**" ورد في القرآن الكريم في أكثر من خمسة وأربعين موضعا، وقد ورد الاسم مقترنا باسمه البصير في أكثر من عشرة مواضع منها، وقد جاء في بعض الآيات معرفا بالألف واللام" **السميع البصير**" ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، في قوله سبحانه وتعالى وتعالى: ﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٥٦]، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٠].

وجاء في بعض الآيات بدون الف ولام" **سميع بصير**"، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١]، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٥]، وفي قوله

---

[١] النهج الأسمى، لمحمد الحمود النجدي ١/٢٣١،

سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: ٧٥] ، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨].

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن اسم الله **السميع** يتقدم على اسمه **البصير** في جميع الآيات التي جاء فيها ذكر هذين الاسمين، قال العلامة ابن القيم: "قيل: تقديم السمع على البصر له ثلاثة أسباب:

أحدهما: أن يكون السياق يقتضيه بحيث يكون ذكرها بين الصفتين متضمنا للتهديد والوعيد، كما جرت عادة القرآن بتهديد المخاطبين وتحذيرهم بما يذكره من صفاته التي تقتضي الحذر والاستقامة، كقوله تعالى:﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء: ١٣٤]

والمعنى: أني أسمع ما يردون به عليك، وما يقابلون به رسالاتي، وأبصر ما يفعلون.

ولا ريب أن المخاطبين بالرسالة بالنسبة إلى الإجابة والطاعة نوعان: **أحدهما:** قابلوها بقولهم: صدقت ثم عملوا بموجبها، **والثاني:** قابلوها بالتكذيب، ثم عملوا بخلافها فكانت مرتبة المسموع منهم قبل مرتبة المبصر، فقدم ما يتعلق به على ما يتعلق بالمبصر، ومن ذلك قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، هو يسمع ما يجيبهم به ويرى ما يصنعه، وهذا لا يعم سائر المواضع، بل يختص منها بما هذا شأنه.

السبب الثاني: أن إنكار الأوهام الفاسدة لسمع الكلام مع غاية البعد بين السامع والمسموع أشد من إنكارها لرؤيته من بعد.

فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: "اجتمع عند البيت ثلاثة نفر: ثقفيان وقرشي، أو قرشيان وثقفي، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول؟ فقال الآخر: يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، فقال الثالث: إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفين، فأنزل الله عز وجل:﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[فصلت: ٢٢] ولم يقولوا: أترون الله يرانا، فكان تقديم السمع أهم، والحاجة إلى العلم به أمس.

السبب ثالث: وهو أن حركة اللسان بالكلام أعظم حركات الجوارح وأشدها تأثيرا في الخير والشر والصلاح والفساد؛ بل عامة ما يترتب في الوجود من الأفعال إنما ينشأ بعد حركة اللسان، فكان تقديم الصفة المتعلقة به أهم وأولى، وبهذا يعلم تقديمه أيضا على العليم حيث وقع"(١).

قال الإمام ابن حجر:" وقد بوَّبَ البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه في كتاب التوحيد: باب ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤]، قال ابن بطال: "غرض البخاري في هذا الباب الرد على من قال إن معنى "**سميع بصير**": عليم، قال: ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتا ولا يسمعها.

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/ ١١٩.

ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر، فصح أن كونه سميعا بصيرا يفيد قدرا زائدا على كونه عليما، وكونه سميعا بصيرا يتضمن أنه يسمع بسمع، ويبصر ببصر، كما تضمن كونه عليما أنه يعلم بعلم ولا فرق بين إثبات كونه سميعا بصيرا وبين كونه ذا سمع وبصر، قال: وهذا قول أهل السنة قاطبة".(١) .

كما اقترن اسم الله السميع باسمه العليم في اثنين وثلاثين آية، ومن الآيات التي ورد فيها اقتران هذين الاسمين الكريمين، قوله سبحانه تعالى:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

وفي قوله سبحانه وتعالى:﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١٣].

وفي قوله سبحانه وتعالى:﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥]،وغير ذلك من الآيات القرآنية.

والاقتران بين هذين الاسمين يمنحهما مزيد كمال:" فإذا كانت صفة "**السميع**" تنبئ بإحاطة السمع بكل المسموعات فلا يندر عنه عز وجل شيء، ولا تعزب عنه كبيرة ولا صغيرة، فإن صفة "**العليم**" تنبئ بتجاوز "**السمع**" حدود البعد المادي للمسموعات وإن بلغ في إدراكها الغاية، فحصل من اقتران الاسمين

(١) فتح الباري، لابن حجر ٣٧٢/١٣.

"**السميع العليم**" صفة كمال أخرى، ودل بهما على إحاطة أتم لما تقدم من أن متعلق صفة العلم أوسع من متعلق صفة **السمع**".

والملاحظ أن اسم "**السميع**" حيثما ورد مع اسم "**العليم**" قدم عليه فالنسق دائما: "**السميع العليم**"، ولا عكس، فلا بد أن يكون من وراء ذلك حكمة، وهي أن السمع يتعلق بالأصوات، ومن سمع صوتك فهذا أقرب إليك في العادة ممن يقال لك أنه يعلم مهما بلغت درجة علمه، فذكر السميع أوقع في التخويف من ذكر "**العليم**" فهو أولى بالتقديم، ولا يقتصر الأمر على مقام التخويف فإن لتقديم صفة السميع في مقام الدعاء أثره في إنطلاق اللسان بالدعاء، والطلب، والشكوى حين يستشعر الداعي أنه يخاطب من يسمعه ويصغي إلى نجواه"[1].

كما اقتران اسم الله "**السميع**" باسمه "**القريب**" مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ: ٥١]، قال سيد قطب:" هكذا كانوا يجدون الله . هكذا كانوا يجدون صفاته هذه في نفوسهم، كانوا يجدونها رطبة بالحياة الحقيقية، كانوا يحسون أن الله يسمع لهم وهو قريب منهم، وأنه معنى بأمرهم عناية مباشرة؛ وأن شكواهم ونجواهم تصل إليه بلا واسطة، وأنه لا يهملها ولا يكلها إلى سواه، ومن ثم كانوا يعيشون في أنس بربهم . في كنفه في جواره في عطفه في رعايته ويجدون هذا كله في نفوسهم حيا ، واقعا ، بسيطا ، وليس معنى ولا فكرة ولا مجرد تمثيل وتقريب"[2].

---

(1) مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم، لنجلاء الكردي، صـ ٢٤٧.

(2) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٦/ ١٢٧،

كما ورد ذكر اسم الله السميع في السنة النبوية في عدد من الأحاديث، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:" الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنا في ناحية البيت تشكو زوجها وما أسمع ما تقول؛ فأنزل الله: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:١] [١].

وعن وفي أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " **أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، ولكن تدعون سميعا بصيرا** " [٢] .

وعن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح في صلاته قبل القراءة بقوله: " **أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه** " [٣].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:" **اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع أعوذ بك من هؤلاء الأربع** " [١].

---

(١) سنن ماجة ، باب فيما أنكرت الجهمية ٦٧/١، برقم(١٨٨)، ظلال الجنة، للألباني، برقم (٦٢٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير ١٠٩١/٣ ، برقم (٢٨٣٠).

(٣) سنن داود في كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ٢٠٦/١ ، برقم(٧٧٥)، وانظر صحيح أبي داود ١٤٨/١(٧٠١) .

وعن أبي سكينة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال: تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم، فندر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر [2] ؛ فبرق مع ضربة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – برقة، ثم ضرب الثانية وقال: تمت كلمة ربك صدقا **وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم**، فندر الثلث الآخر فبرقت برقة؛ فرآها سلمان، ثم ضرب الثالثة وقال: تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته **وهو السميع العليم**، فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رداءه وجلس، قال سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت ما تضرب ضربة إلا كانت معها برقة؟ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا سلمان رأيت ذلك؟ فقال: إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال: فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني، قال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ديارهم

.ويخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بذلك، ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني،

---

(1) سنن الترمذي كتاب الدعوات ٥/٥١٩ ، برقم(٣٤٨٢)، انظر صحيح ابن ماجة١/٤٧ ، برقم (٢٠٢)
.

(2) ندر الشيء إذا سقط، انظر كتاب العين، للفراهيدي ٨/٢١

قالوا: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ديارهم ويخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بذلك، ثم ضربت الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم" [1] .

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله السميع

لا سم الله "**السميع**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ الإيمان باسم الله السميع يقتضي من المسلم أن يستخدم سمعه وبصره وسائر جوارحه فيما يحبه الله ويرضاه، وبذلك يصل إلى أن يحبه الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن رب العزة جل جلاله :" **وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به** " [2]

وأن يحرص على أن يبتغي بعمله وجه الله تعالى، وأن لا يسمع بعمله، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم قال:" **من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به** " [3].

---

[1] سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب غزوة الترك والحبشة ٦/٤٣ برقم (٣١٧٦)، وصحيح الجامع، برقم (٣٣٨٤) .

[2] صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع ٥/ ٢٣٨٤ ، برقم (٦١٣٧)

[3] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب تحريم الرياء ٤/ ٢٢٨٩، برقم (٢٩٨٦) .

٢ـ ومن مقتضيات الايمان بهذا باسم الله السميع، أن يدعو المسلم ربه به، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية ومن ذلك دعا إبراهيم عليه السلام حينما أمره الله تعالى ببناء البيت الحرام، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن إبراهيم عليه السلام قال: " يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك، قال: وتعينني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أبنى ها هنا بيتا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة، فجعلا يبنيان ويدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧][1].

ومن ذلك دعاء زكريا عليه السلام، حينما دعا ربه قائلا: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران:٣٨].

ومن ذلك دعاء امرأة عمران، حينما دعت الله قائلةً: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران:٣٥].

وعن أبان بن عثمان عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي ٣/١٢٢٩ ، برقم(٣١٨٤).

مرات فيضره شيء، وكان أبان قد أصابه طرف فالج، فجعل الرجل ينظر إليه فقال له أبان: ما تنظر؟ أما إن الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذ ليمضي الله علي قدره "[1] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل كبر ثم يقول: **سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، ثم يقول: لا إله إلا الله، ثلاثا ثم يقول: الله أكبر كبيرا ثلاثا، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه، ثم يقرأ** " [2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الصلاة وهو يقول: " **اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي لساني نورا، واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا، واجعل من خلفي نورا، ومن أمامي نورا، واجعل من فوقي نورا، ومن تحتي نورا اللهم أعطني نورا** " [3]

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: كان الربيع يأتي علقمة يوم الجمعة، فإذا لم أكن ثمة أرسلوا إلى، فجاء مرة ولست ثمة، فلقيني علقمة وقال لي: ألم تر ما جاء به الربيع؟ قال: ألم تر أكثر ما يدعو الناس، وما أقل إجابتهم؟ وذلك أن الله عز وجل لا يقبل إلا الناخلة من الدعاء، قلت: أو ليس قال ذلك عبد الله؟ قال: وما

---

[1] سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ٤٦٥/٥ (٣٣٨٨)، وانظر صحيح الجامع، برقم (٥٧٤٥)، وصحيح الترغيب والترهيب، برقم (٦٥٥).

[2] سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك ٢٠٦/١ ، برقم (٧٧٥)، وينظر: مشكاة المصابيح، برقم (١٢١٧).

[3] صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ٥٣٠/١، برقم (٧٦٣).

قال؟ قال: قال عبد الله: **لا يسمع الله من مسمع**، ولا من مراء ولا لاعب إلا داع دعا بتثبت من قلبه، قال: فذكر علقمة؟ قال: نعم [١] .

٣ـ ومن مقتضيات الايمان باسم الله السميع أن يأخذ العبد خطة من هذا الاسم، وقد أشار الإمام الغزالي إلى ذلك بقوله:" وإنما حظ العبد من اسم الله السميع أمران **أحدهما** أن يعلم أن الله عز وجل سميع فيحفظ لسانه **والثاني**: أن يعلم أنه لم يخلق له السمع إلا ليسمع كلام الله عز وجل وكتابه الذي أنزله وحديث رسول الله فيستفيد به الهداية إلى طريق الله عز وجل فلا يستعمل سمعه إلا فيه"[٢]

رابعا: ومن مقتضيات الايمان باسم الله السميع أن يصبر الدعاة على ما يلاقونه من أذى وابتلى من قبل أعداء هذا الدين، وليعلموا أن الله تعالى يسمع كلام أعدائهم ويرى كيدهم، وأنه لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، وأن الله تعالى سوف ينتقم منهم عاجلا أو آجلا، قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف: ٧٨ – ٨٠]، قال سيد قطب:" كراهة الحق هي التي كانت تحول بين الكافرين وبين اتباعهم للحق ، لا عدم إدراك أنه

---

(١) الأدب المفرد، للبخاري، برقم (٦٠٦)، وانظر مصنف ابن أبي شيبة ٣٤/٦ (٢٩٢٧٠)، والرواية لا يصح رفعها ولكنها محفوظة من كلام ابن مسعود رضي الله عنه، انظر العلل المتناهية لابن الجوزي ٨٤١/٢ .

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١١١.

الحق، ولا الشك في صدق الرسول الكريم؛ فما عهدوا عيله كذبا قط على الناس، فكيف يكذب على الله ويدعي عليه ما يدعيه؟

والذين يحاربون الحق لا يجهلون في الغالب أنه الحق، ولكنهم يكرهون؛ لأنه يصادم أهواءهم، ويقف في طريق شهواتهم، وهم أضعف من أن يغالبوا أهواءهم وشهواتهم؛ ولكنهم أجرأ على الحق وعلى دعاته! فمن ضعفهم تجاه الأهواء والشهوات يستمدون القوة على الحق والاجتراء على الدعاة؛ لهذا يهددهم صاحب القوة والجبروت، العليم بما يسرون وما يمكرون.

فإصرارهم على الباطل في وجه الحق يقابله أمر الله الجازم وإرادته بتمكين هذا الحق وتثبيته، وتدبيرهم ومكرهم في الظلام يقابله علم الله بالسر والنجوى، والعاقبة معروفة حين يقف الخلق الضعاف القاصرون، أمام الخالق العزيز العليم"(١)

وقال الله عز وجل لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام عندما أرسلهما إلى فرعون فخافا منه، فقال الله تعالى لهم مثبتا: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" أي: لا تخافا منه، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى علي من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي"(٢)

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٦/ ٣٦٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٥/ ٢٩٦.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذهب إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الله تعالى، أعرضوا عن دعوته ولم يستجيبوا له، وبل أغروا به صبيانهم وسفهاءهم، فرموه بالحجارة حتى أدموا قدمية، فأنزل الله تعالى جبري يخبره بأم الله قد سمع ما قاله أهل الطائف له، وأنه إن شاء أن يطبق عليه الأخشبين فإن ذلك له، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد فقال:" **لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال فناداني ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا**"[1].

فالإيمان باسم الله السميع يثمر في القلب الصبر والرضى والطمأنينة والاستعانة به سبحانه وتعالى على مشاق الدعوة وتكاليفها، وانتظار فرج الله ونصره لأوليائه

([1]) صحيح مسلم، برقم(٣٣٥٢).

وأحبابه، وعدم استبطاء ذلك؛ لأن الله سبحانه يسمع ويرى كيد الكائدين ومكر الماكرين، ولكنه يمهلهم ولن يهملهم.

٦ـ البصير جل جلاله

"**البصير**" جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" البصير في اللغة من أبنية المبالغة، فعيل بمعنى فاعل، فعله بصر يبصر بصرا وتبصره، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٠٤]، وتباصر القوم أبصر بعضهم بعضا، والبصر: يقال للعين حاسة الرؤية أو حس العين، والجمع أبصار، ويقال أيضا لحس العين والنظر، أو القوة التي تبصر بها العين أو حاسة الرؤية، ورجل بصير: مبصر، خلاف الضرير وهو فعيل بمعنى مفعل، ورجل بصير بالعلم: أي عالم به، والبصيرة: العلم والفطنة، وبصر القلب نظره وخاطره.

والتبصر التأمل والتعرف والتعريف والإيضاح، والبصيرة الحجة، والاستبصار وهي اسم لما يعقد في القلب من الدين وتحقيق الأمر [١].

ثانيا: معناه الاصطلاحي

وردت عدة تعريفات لاسم الله البصير، ومن ذلك ما ذكره العلامة ابن القيم، حيث قال :" البصير الذي لكمال بصره يرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة وأعضائها ولحمها ودمها ومخها وعروقها ويرى دبيبها على الصخرة الصماء في

(١) لسان العرب، لابن منظور ١/٢٩٠، وكتاب العين، للفراهيدي ٧/١١٧، والمفردات، للأصفهاني صـ١٢٧.

الليلة الظلماء ويرى ما تحت الأرضين السبع كما يرى ما فوق السموات السبع"[1].

وقال في نونيته:

وهو البصير يرى دبيب النملة ال سوداء تحت الصخر والصوان

ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى عروق بياضها بعيان

ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كذلك تقلب الأجفان"[2].

وقال الخطابي: "البصير: هو المبصر، ويقال البصير: العالم بخفيات الأمور"[3]

وقال الغزالي: "**البصير**" هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى"[4].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها، ويرى نياط عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وأصغر من ذلك،

---

(1) طريق الهجرتين، لابن القيم، صـ ٢١٢.

(2) نونية ابن القيم ، صـ ٢٠٤.

(3) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٦٠.

(4) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١١٢.

فسبحان من تحار العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبره بالغيب، والشهادة والحاضر، والغائب، [1].

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

ورد اسم الله "**البصير**" في القرآن الكريم اثنتين وأربعين مرة منها، وقد ورد في بعض هذه الآيات مفردا، ومن هذه الآيات، قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥، وقوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾ [فاطر: ٤٥]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٩٦].

كما ورد اسم الله البصير في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٠]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أي: الرسول فتنة للمرسل إليهم واختبار للمطيعين من العاصين، والرسل فتناهم بدعوة الخلق، والغنى فتنة للفقير والفقير فتنة للغني، وهكذا سائر أصناف الخلق في هذه الدار دار الفتن والابتلاء والاختبار.

والقصد من تلك الفتنة ﴿ أَتَصْبِرُونَ ۗ ﴾ فتقومون بما هو وظيفتكم اللازمة الراتبة فيثيبكم مولاكم أم لا تصبرون فتستحقون المعاقبة ﴿ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ يعلم أحوالكم، ويصطفي من يعلمه يصلح لرسالته ويختصه بتفضيله ويعلم أعمالكم فيجازيكم عليها إن خيرا فخير، وإن شرا فشر"[2]

([1]) الحق الواضح المبين، للسعدي، صـ ٣٥.

([2]) تفسير السعدي ، صـ ٥٨٠.

وقد ورد اسم الله "**البصير**" في بعض الآيات القرآنية مقترنا باسمه الخبير، كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٠]، وفي قوله سبحانه وتعالى:﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٦].

كما اقترن اسم الله البصير باسمه الخبير في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" وهذا وعيد من الله تعالى ذكره مكذبي رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش، وتهديدهم لهم بالعقاب، وإعلام منه لهم، أنهم إن لم ينتهوا عما هم عليه مقيمون من تكذيبهم رسوله صلى الله عليه وسلم أنه محل بهم سخطه، ومنزل بهم من عقابه ما أنزل بمن قبلهم من الأمم الذين سلكوا في الكفر بالله، وتكذيب رسله سبيلهم، يقول الله تعالى ذكره: وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قرونا كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به، وتكذيب رسله، على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم، لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه، فيعذب قوما بما لا يعذب به آخرين، أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين؛ يقول جل ثناؤه: فأنيبوا إلى طاعة الله ربكم، فقد بعثنا إليكم رسولا ينبهكم على حججنا عليكم، ويوقظكم من غفلتكم، ولم نكن لنعذب قوما حتى نبعث إليهم رسولا منبها لهم على حجج الله، وأنتم على فسوقكم مقيمون، وكفى بربك يا محمد بذنوب عباده خبيرا: يقول: وحسبك يا محمد بالله خابرا بذنوب خلقه عالما، فإنه لا يخفى عليه شيء من أفعال مشركي قومك هؤلاء، ولا أفعال

غيرهم من خلقه، وهو بجميع ذلك عالم خابر بصير، يقول: يبصر ذلك كله فلا يغيب عنه منه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر "[1]

كما ورد اسم الله "**البصير**" في بعض الآيات القرآنية مقترنا باسم الله "**السميع**"، ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤].

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]. وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٠].

كما اقترن اسم الله **البصير** باسم الله **السميع** في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨]، قال سيد قطب في ظلاله:" هذه هي تكاليف الجماعة المسلمة؛ وهذا هو خلقها: أداء الأمانات إلى أهلها، والحكم ﴿ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ بالعدل على منهج الله وتعليمه .

---

(1) تفسير الطبري ١٧/ ٤٠٧.

والأمانات تبدأ من الأمانة الكبرى الأمانة التي ناط الله بها فطرة الإنسان، أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة وجهد واتجاه . فهذه أمانة الفطرة الإنسانية خاصة .

ومن هذه الأمانات: أمانة الحكم ﴿ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ بالعدل جميعا، لا عدلا بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب، ولا عدلا مع أهل الكتاب، دون سائر الناس، وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه إنسانا، فهذه الصفة صفة الناس هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعا: مؤمنين وكفارا، أصدقاء وأعداء . سودا وبيضا . عربا وعجما .

وذلك هو أساس الحكم في الإسلام؛ كما أن الأمانة بكل مدلولاتها هي أساس الحياة في المجتمع الإسلامي .

ثم يجيء التعقيب الأخير في الآية؛ يعلق الأمر بالله ومراقبته وخشيته ورجائه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ والتناسق بين المأمور به من التكاليف؛ وهو أداء الأمانات والحكم بالعدل بين الناس؛ وبين كون الله سبحانه ﴿ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ مناسبة واضحة ولطيفة معا؛ فالله يسمع ويبصر، قضايا العدل وقضايا الأمانة، والعدل كذلك في حاجة إلى الاستماع البصير وإلى حسن التقدير، وإلى مراعاة الملابسات والظواهر، وإلى التعمق فيما وراء الملابسات والظواهر . وأخيرا فإن الأمر بهما يصدر عن السميع البصير بكل الأمور"[1] .

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٢/ ١٦٠.

وقد ورد اسم الله "**البصير**" في أحاديث نبوية، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكنا إذا علونا كبرنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ولكن تدعون سميعا بصيرا**" ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي لا حول ولا قوة إلا بالله فقال:" **يا عبد الله بن قيس قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة** أو قال:" **ألا أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة إلا بالله**" [١].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم، ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١]، قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث:" قال ابن بطال: غرض البخاري في هذا الباب الرد على من قال إن معنى﴿ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴾ عليم قال ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتا ولا يسمعها ، ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر ، فصح أن كونه سميعا بصيرا يفيد قدرا زائدا على كونه عليما ، وكونه سميعا بصيرا يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر، كما تضمن كونه عليما أنه يعلم بعلم ولا فرق بين إثبات كونه سميعا بصيرا وبين كونه ذا سمع وبصر، قال وهذا قول أهل السنة قاطبة انتهى

---

(١) صحيح البخاري، برقم(٥٩٠٥).

: واحتج المعتزلي بأن السمع ينشأ عن وصول الهواء المسموع إلى العصب المفروش في أصل الصماخ والله منزه عن الجوارح، وأجيب بأنها عادة أجراها الله تعالى فيمن يكون حيا فيخلقه الله عند وصول الهواء إلى المحل المذكور، والله سبحانه وتعالى يسمع المسموعات بدون الوسائط وكذا يرى المرئيات بدون المقابلة وخروج الشعاع ، فذات الباري مع كونه حيا موجودا لا تشبه الذوات، فكذلك صفات ذاته لا تشبه الصفات، وأحاديث الباب الرد على من زعم أنه سميع بصير، بمعنى عليم"[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥٨] ، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه [٢].

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله البصير

لا سم الله **البصير** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ الإيمان باسم الله البصير يقتضي من العبد أن يستشعر مراقبة الله تعالى له في أعمله التي يقوم بها فيقوم بها على أكمل وجه، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، قال الامام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول

(١) فتح الباري، لابن حجر ٢٠/ ٤٥٧.

(٢) صحيح أبي داود ٣/٨٩٥، برقم(٣٩٥٤).

تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم:﴿ وَقُلِ ﴾ يا محمد، لهؤلاء الذين اعترفوا لك بذنوبهم من المتخلفين عن الجهاد معك ﴿ ٱعۡمَلُواْ ﴾ لله بما يرضيه، من طاعته، وأداء فرائضه ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ﴾ ،أي: إن عملتم عملكم، ويراه رسوله والمؤمنون، في الدنيا ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾، يوم القيامة، إلى من يعلم سرائركم وعلانيتكم، فلا يخفى عليه شيء من باطن أموركم وظواهرها﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾، أي: فيخبركم بما كنتم تعملون، وما منه خالصا، وما منه رياء، وما منه طاعة، وما منه لله معصية، فيجازيكم على ذلك كله جزاءكم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"(١).

كما أن على العبد أن يوقن أن الله بصير خبير بأعمال عباده وذنوبهم، وسيجزيهم عليها أتم الجزاء، قال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴾ [الإسراء: ١٧]، قال الامام الرازي في تفسيره:" أي: إنه تعالى عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات فلا يخفى عليه شيء من أحوال الخلق، وثبت أنه قادر على كل الممكنات فكان قادرا على إيصال الجزاء إلى كل أحد بقدر استحقاقه . وأيضا أنه منزه عن العبث والظلم . ومجموع هذه الصفات الثلاث أعني العلم التام ، والقدرة الكاملة ، والبراءة عن الظلم بشارة عظيمة لأهل الطاعة . وخوف عظيم لأهل الكفر والمعصية(٢)

---

(١) تفسير الطبري، ١٤/ . ٤٦٢

(٢) تفسير الرازي ١٠/ ٢٣.

كما أن على العبد أن يستشعر أن الله بصير بعباده شهيد عليهم يعلم المؤمن منهم والكافر، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: ٢]، قال الامام ابن كثير في تفسيره:" أي: هو الخالق لكم على هذه الصفة، وأراد منكم ذلك، فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال، وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزيهم بها أتم الجزاء؛ ولهذا قال: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [١].

كما أن على العبد أن يستشعر مراقبة الله تعالى له في عبادته لله تعالى؛ فيؤديها على أكمل وجه وهذه هو الاحسان في العبادة، فعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم – فقال:" **أخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**" [٢].

٢ـ ومن مقتضيات الايمان باسم الله البصير أن يستخدم العبد بصره بالنظر إلى آيات الله التي تزيد إيمانا بالله تعالى، وأن يستشعر بأن الله يراه في كل أقواله وأفعاله، وقد أشار الإمام الغزالي إلى هذا المعنى بقوله: حظ العبد من اسم الله البصير أمران **أحدهما**: أن يعلم أنه خلق له البصر لينظر إلى الآيات وإلى عجائب الملكوت والسموات فلا يكون نظرة إلا عبرة قيل لعيسى عليه السلام: هل أحد من الخلق مثلك فقال: من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكرا فهو مثلي.

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ١٣٥.

(٢) صحيح مسلم، برقم (٩).

والثاني أن يعلم أنه بمرأى من الله عز وجل ومسمع فلا يستهين بنظره إليه واطلاعه عليه ومن أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد استهان بنظر الله عز وجل والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان بهذه الصفة فمن قارف معصية وهو يعلم أن الله عز وجل يراه فما أجسره وما أخسره ومن ظن أن الله تعالى لا يراه فما أظلمه وأكفره"(١)

٣- ومن مقتضيات الايمان باسم الله البصير أن يدعو الله باسمه السميع، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، ومن ذلك دعاء موسى عليه السلام، فقد حكى الله عنه أنه دعا الله قائلا: ﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه: ٢٥ – ٣٦

ومن الدعاء باسم الله **البصير** أن يدعو العبد ربه بمعنى اسم الله البصير او بما يقتضيه، كأن يدعو العبد ربه بأن ينير له بصره وبصيرته، وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم:" **اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي لساني نورا، واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا، واجعل من خلفي نورا، ومن أمامي نورا، واجعل من فوقي نورا ومن تحتي نورا، اللهم أعطني نورا** " (٢).

قال نصر بن كثير، قال: دخلت أنا وسفيان الثوري على جعفر بن محمد، فقلت: إني أريد البيت الحرام فعلمني شيئا أدعو به، فقال: إذا بلغت البيت الحرام

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١١٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٢٥ ، برقم (٧٦٣) .

فضع يدك على الحائط ثم قل: يا سابق الفوت، يا سامع الصوت، ويا كاسي العظام لحما بعد الموت، ثم ادع بما شئت"[١].

٤- ومن مقتضيات الايمان باسم الله البصير أن يستشعر العبد أن الله بصير بما يصلح حال عبده من الغنى والفقر، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" أي: لو وسع الله لهم رزقهم لبغوا في الأرض لعصوا فيها، وبطروا النعمة، وتكبروا، وطلبوا ما ليس لهم طلبه، ﴿ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ ﴾ أي: ينزل من الرزق لعباده بتقدير على حسب مشيئته، وما تقتضيه حكمته البالغة، ﴿ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ ﴾ بأحوالهم ﴿ بَصِيرٌ ﴾ بما يصلحهم من توسيع الرزق، وتضييقه، فيقدر لكل أحد منهم ما يصلحه، ويكفه عن الفساد بالبغي في الأرض"[٢] .

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم ١/ ٤٨١.

(٢) تفسير الشوكاني ٦/ ٣٧٩.

٧ ـ الشهيد جل جلاله

الشهيد من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" **الشهيد**: في اللغة صيغة مبالغة من اسم الفاعل الشاهد، فعله شهد يشهد شهودا وشهادة، والشهيد الحاضر، الذي يشهد بما عاين وحضر، كما قال عز وجل: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، أي: شاهدا.

يقال: شهدت الشيء وشهدت به، وأصل قولهم شهدت به من الشهادة التي هي الحضور، وعند أبي داود وحسنه الألباني من حديث أبى - رضي الله عنه - أنه قال: " صلى بنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوما الصبح، فقال: **أشاهد فلان قالوا: لا، قال أشاهد فلان، قالوا لا، قال: إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوا على الركب**" (١)،

واليوم المشهود يوم القيامة، لأنه معلوم كونه لا محالة، فكان معنى الشهيد: العالم.

والشاهد: العالم الذي يبين ما علمه، ، شهد فلان على فلان بحق فهو شاهد وشهيد فالشاهد يلزمه أن يبين ما علمه على الحقيقة، وعند البخاري من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق**

---

(١) سنن أبي داود في كتاب الصلاة، باب في فضل صلاة الجماعة ١/١٥١ ، برقم(٥٥٤)، ومشكاة المصابيح، للألباني، برقم (١٠٦٦) .

الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت [١][٢] .

ثانيا: معناه في الاصطلاح

اسم الله الشهيد وردت له عدت تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام ابن القيم حيث قال:" من أسماء الله **الشهيد، وهو** الذي لا يغيب عنه شيء ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل هو مطلع على كل شيء، مشاهد له، عليم بتفاصيله"[٣].

وقال الغزالي:" **الشهيد**: يرجع معناه إلى العليم مع خصوص إضافة فإن الله عز وجل عالم الغيب والشهادة والغيب عبارة عما بطن والشهادة عما ظهر وهو الذي يشاهد فإذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم وشاهد منهم والكلام في هذا الاسم يقرب من الكلام في العليم والخبير فلا نعيده"[٤].

وقال الخطابي: " **الشهيد**: هو الذي لا يغيب عنه شيء، يقال: شاهد وشهيد كعالم وعليم أي: كأنه الحاضر الشاهد الذي لا يعزب عنه شيء، وقد قال سبحانه: ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أي: من حضر منكم

---

(١) صحيح البخاري في الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر ٢٢٢٩/٥ ، برقم(٥٦٣١) .

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ٢٣٤٨/٤، تفسير الأسماء، للزجاج، صـ ٥٣، اشتقاق الأسماء، للزجاجي، صـ ١٣٢.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ٤٦٦/٣.

(٤) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٢٦.

الشهر فليصمه، وهو أيضا الشاهد للمظلوم الذي لا شاهد له ولا ناصر، على الظالم المتعدي الذي لا مانع له في الدنيا لينتصف له منه"[١] .

وقال الحليمي:" **الشهيد**: إنه المطلع على ما لا يعلمه المخلوقون إلا بالشهود وهو الحضور، ومعنى ذلك أنه وإن كان لا يوصف بالحضور الذي هو المجاورة أو المقاربة في المكان فإن ما يجري، ويكون من خلقه لا يخفى عليه كما يخفى على البعيد النائي عن القوم ما يكون منهم ، وذلك أن النائي إنما يؤتى من قبل قصور آلته ونقص جارحته ، والله تعالى جل ثناؤه ليس بذي آلة ولا جارحة فيدخل عليه فيهما ما يدخل على المحتاج إليهما"[٢] .

وقال السعدي رحمه الله تعالى: " **الشهيد**: أي: المطلع على جميع الأشياء، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليها، صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه"[٣].

والله شهيد لأنه قد شهد لنفسه بالوحدانية كما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران:١٩]

وشهادة الله لنفسه بالوحدانية لها عدة مراتب، ذكرها شارح العقيدة الطحاوية بقوله:" وعبارات السلف في شهد تدور على الحكم والقضاء والإعلام والبيان

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٧٠ .

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٨٣

(٣) تفسير السعدي ٥/٣٠٣.

والإخبار وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها، فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه، فلها أربع مراتب، فأول مراتبها علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته، وثانيها تكلمه بذلك وإن لم يعلم به غيره بل يتكلم بها مع نفسه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها، وثالثها أن يعلم غيره بما يشهد به ويخبره به ويبينه له، ورابعها أن يلزمه بمضمونها ويأمره به، فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربع، علمه بذلك سبحانه وتكلمه به وإعلامه وإخباره لخلقه به وأمرهم وإلزامهم به " (١).

ثالثاً: وروده في القرآن والسنة

اسم الله **الشهيد** ورد في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعا، والمتأمل في هذه المواضع يجد أنها تتحدث على ثلاث قضايا، وهذه القضايا سوف نتناولها على النحو الآتي:

١ـ شهادة الله على كل شيء

وفي معنى شهادة الله علي كل شيء قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى:" ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة: ٦.]:" أي: أن الله جل ثناؤه على كل شيء مما يعمله خلقه شاهد يعلمه ويحيط به، فلا يعزب عنه شيء منه (٢).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، صـ٨٩ .

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٣٦.

وقد دل على هذه القضية سبع آيات قرآنية أحرى، ومن هذه الآيات قوله تعالى:
﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٧] .

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر شهادة الله تعالى على جميع خلقه قوله تعالى:﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ سبأ: ٤٧] .

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر شهادة الله تعالى على جميع خلقه قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ [البروج: ٩].

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر شهادة الله تعالى على جميع خلقه قوله تعالى:﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣].

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر شهادة الله تعالى على جميع خلقه قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج: ١٧].

قوله تعالى:﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [النساء: ٣٣]

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر شهادة الله تعالى على جميع خلقه قوله تعالى:﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ

أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٥].

٢ـ شهادة الله كافية

وفي معنى كفاية شهادة الله تعالى قال الإمام القرطبي:"في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ١٦٦] :" في الكلام حذف دل عليه الكلام، كأن الكفار قالوا: ما نشهد لك يا محمد فيما تقول، ومن يشهد لك؟ فنزل ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَۖ أَنزَلَهُۥ ﴾ ومعنى ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ أي وهو يعلم أنك أهل لإنزاله عليك، ودلت الآية على أنه تعالى عالم بعلم. ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ ذكر شهادة الملائكة ليقابل بها نفي شهادتهم. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ أي كفى الله شاهدا [١].

وقد دل على هذه القضية سبع آيات قرآنية أخرى، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ [الأحقاف: ٨].

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ١٩)

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر كفاية شهادة الله تعالى قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح: ٢٨] .

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر كفاية شهادة الله تعالى قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾[النساء: ٧٩].

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر كفاية شهادة الله تعالى قوله تعالى: ﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[يونس: ٢٩] .

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر كفاية شهادة الله تعالى قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٦]

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر كفاية شهادة الله تعالى قوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٥٢] .

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر كفاية شهادة الله تعالى قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الرعد: ٤٣]

٣ـ شهادة الله على أعمال عباده وأفعالهم

وقد دل على هذه القضية آيتان قرآنيتان، وهنَّ قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٨]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" هذا تعنيف من الله تعالى لكَفَرَة أهل الكتاب، على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصَدِّهم عن سبيله مَنْ أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله، بما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين، والسادة المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بَشَّروا به ونوَّهُوا، من ذِكْر النبي [صلى الله عليه وسلم] الأميّ الهاشمي العربي المكّيّ، سيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء، ورسول رب الأرض والسماء. وقد توعدهم الله تعالى على ذلك بأنه شهيد على صَنِيعهم ذلك بما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء، ومقاتلتهم الرسول المُبشر بالتكذيب والجحود والعناد، وأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون، أي: وسيجزيهم على ذلك يوم لا ينفعهم مال ولا بنون"[1] .

ومن الآيات القرآنية الدالة على شهادة الله تعالى على أفعال عباده قوله تعالى:" ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾ [يونس: ٤٦]، قال الشيخ المراغي في تفسيره عند هذه الآية:" أي: وإن أريناك بعض ما نعدهم من العقاب فى الدنيا، فذاك الذي يستحقونه وهم له أهل، وقد أراه ما نزل بهم من القحط والمجاعة بدعائه صلى الله عليه وسلم عليهم، ونصره عليهم نصرا مؤزّرا فى أول معركة هاجمه بها رؤساؤهم وصناديدهم وهى غزوة

---

(1) تفسير ابن كثير ٢/ ٨٥).

بدر فقتلّهم وشرّدهم شر تقتيل وتشريد، وكذلك فعل بهم صلى الله عليه وسلم فى غيرها من الغزوات حتى فتح عاصمتهم أمّ القرى ودخل الناس فى الدين أفواجا.

﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ أي أو نتوفينك هم قبل أن نريك ذلك فيهم فمصيرهم بكل حال إلينا، وآنئذ سيلقون من الجزاء ما يعلمون به صدق وعيدنا.

﴿ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ فيجزيهم به على علم وشهادة حق"[1].

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الشهيد

لاسم الله الشهيد آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وهذه الآثار وسوف نتناولها على النحو الآتي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله الشهيد أن يشهد المؤمن لله بالوحدانية، فهي أعظم شهادة، فقد شهد الله لنفسه بذلك وملائكته وأهل العلم، كما قال تعالى:﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾[آل عمران: ١٨]، قال الإمام ابن القيم:" تضمنت هذه الآية الكريمة إثبات حقيقة التوحيد والرد على جميع هذه الطوائف والشهادة يبطلان أقوالهم ومذاهبهم وهذا إنما يتبين بعد فهم الآية ببيان ما تضمنته من المعارف الإلهية والحقائق الإيمانية، فتضمنت هذه الآية أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها من أجل شاهد بأجل مشهود به.

(١) تفسير المراغي (١١/ ١١٥).

والشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره وقوله وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه فلها أربع مراتب فأول مراتبها علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به وثبوته وثانيها تكلمه بذلك ونطقه به وإن لم يعلم به غيره بل يتكلم به مع نفسه ويذكرها وينطق بها أو يكتبها وثالثها أن يعلم غيره بما شهد به ويخبره به ويبينه له ورابعها أن يلزمه بمضمونها ويأمره به # فشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط تضمنت هذه المراتب الأربعة علم الله سبحانه بذلك وتكلمه به وإعلامه وإخباره لخلقه به وأمرهم وإلزامهم به" (١) .

وقد كا النبي صلى الله عليه وسلم يبين لأمته أهمية شهادة التوحيد، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **يا معاذ بن جبل، ومعاذ رديفه على الرحل، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: يا معاذ قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثلاثا، قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار، قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا، قال: إذا يتكلوا، وأخبر بها معاذ عند موته تأثما**" (٢).

ومما تقتضه الشهادة لله بالوحدانية الشهادة لنبيه بالرسالة، فهما شهدتنا متلازمتان،

---

(١) مدارج السالكين ، لابن القيم، (٣/ ٤٨٦)، باختصار.

(٢) سنن النسائي في الأحباس، باب وقف المساجد ٦/٢٣٤ (٣٦٠٧)، و ظلال الجنة، للألباني، برقم (١٣٠٣).

كيف لا نشهد للنبي بالرسالة وقد شهد الله له بذلك، قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء: ١٦٦]

قال الإمام ابن القيم:" فكونه سبحانه شاهدا لرسوله: معلوم بسائر أنواع الأدلة عقليها ونقليها وفطريها وضروريها ونظريها. ومن نظر في ذلك وتأمله، علم أن الله سبحانه شهد لرسوله أصدق الشهادة، وأعدلها وأظهرها، وصدقه بسائر أنواع التصديق بقوله الذي أقام البراهين على صدقه فيه، وبفعله وإقراره، وبما فطر عليه عباده من الإقرار بكماله، وتنزيهه عن القبائح، وعما لا يليق به؛ وفي كل وقت يحدث من الآيات الدالة على صدق رسوله ما يقيم به الحجة، ويزيل به العذر، ويحكم له ولأتباعه بما وعدهم به من العز والنجاة، والظفر والتأييد، ويحكم على أعدائه ومكذبيه بما توعدهم به من الخزي والنكال والعقوبات المعجلة، الدالة على تحقيق العقوبات المؤجلة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفتح: ٢٨]، فيظهره ظهورين: ظهورا بالحجة، والبيان، والدلالة، وظهورا بالنصر، والظفر، والغلبة، والتأييد، حتى يظهره على مخالفيه، ويكون منصورا" [١].

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الشهيد أن استشعار العبد شهادة الله عليه تجعله يؤدي الحقوق إلى أهلها ولولم يشهد عليه أحد من الحلق، وليكن قدوته في ذلك من سبق من عباد الله الصالحين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم ٣/٤٧٠.

رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائتني بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيدا قال فأتني بالكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضي بك وسألني شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضي بك وأني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بالألف دينار فقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه قال هل كنت بعثت إلي بشيء قال أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه قال فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة فانصرف بالألف الدينار راشدا"(١) .

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الشهيد أن يستشعر العبد المؤمن رقابة الله تعالى له في كل أحواله، وهذا الشعور ينبغي أن يثمر عند المؤمن مراقبة الله تعالى والخوف منه، فلا يقترف العبد ذنباَ أو معصية، وإذا وقع في شيء من

---

(١) صحيح البخاري، برقم(٢١٢٧).

ذلك لم يصر عليه وسارع إلى التوبة الى الله الشهيد والمطلع عليه، وليستشعر قول الله تعالى:"﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١].

٤ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الشهيد أن يدعو المسلم ربه باسم الله الشهيد، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فعن بريدة الأسلمي قال سمع النبي صلى الله عليه و سلم رجلا يدعو وهو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال فقال:" **والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**"[١] . وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **من قال: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وحملة عرشك، وأشهد من في السماوات ومن في الأرض أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك، من قالها مرة اعتق الله ثلثه من النار، ومن قالها مرتين أعتق الله ثلثيه من النار، ومن قالها ثلاثا أعتق الله كله من النار** " [٢] .

وعن سليمان بن عمرو عن أبيه – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حجة الوداع يقول:" **ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، ألا وإن كل دم من دم**

---

(١) صحيح الترمذي (٣/ ١٦٣)، برقم(٢٧٦٣).

(٢) مستدرك الحاكم ٧٠٤/١ ، برقم(١٩٢٠)، السلسلة الصحيحة ٥٣٤/١ ، برقم(٢٦٧) .

الجاهلية موضوع، وأول دم أضع منها دم الحارث بن عبد المطلب، كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل، قال: اللهم هل بلغت، قالوا: نعم، ثلاث مرات، قال: اللهم اشهد ثلاث مرات " [1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

"من قرأ سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره ومن توضأ فقال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتب في رق ثم جعل في طابع فلم يكسر إلى يوم القيامة"[2] .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:" **من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك"**[3] .

وعمرو بن الأحوص عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول في حجة الوداع:" **يا أيها الناس ألا أي يوم أحرم ثلاث مرات قالوا يوم الحج الأكبر قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا لا يجني جان إلا على نفسه ولا يجني والد على ولده**

---

(1) سنن أبي داود في البيوع، باب في وضع الربا ٣/٢٤٤ (٣٣٣٤)، وصحيح أبي داود ، برقم(١٧٠٠) .

(2) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٥٤). برقم(٢٢٥).

(3) صحيح الترمذي (٣/ ١٥٣)، برقم(٢٧٣٠)

ولا مولود على والده، ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبدا ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم فيرضى بها.

ألا وكل دم من دماء الجاهلية موضوع وأول ما أضع منها دم الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل، ألا وإن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ألا يا أمتاه هل بلغت ثلاث مرات قالوا نعم قال اللهم اشهد ثلاث مرات"[١].

وعن الأحنف بن قيس – رضي الله عنه – قال: خرجنا حجاجا فقدمنا المدينة ونحن نريد الحج؛ فبينا نحن في منازلنا نضع رحالنا إذ أتانا آت فقال: إن الناس قد اجتمعوا في المسجد وفزعوا، فانطلقنا فإذا الناس مجتمعون على نفر في وسط المسجد، وإذا علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص، فإنا لكذلك إذ جاء عثمان بن عفان عليه ملاءة صفراء، قد قنع بها رأسه فقال: أههنا علي، أههنا طلحة أههنا الزبير، أههنا سعد؟ قالوا: نعم قال: فإني أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له**"، فابتعته بعشرين ألفا أو بخمسة وعشرين ألفا؛ فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته، فقال: اجعلها في مسجدنا وأجره لك؟ قالوا: اللهم نعم، قال فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **من يبتاع بئر رومة غفر الله له**" فابتعته بكذا وكذا فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلت: قد ابتعتها

(١) صحيح ابن ماجة (٢/ ١٨١)، برقم(٣٠٤٦) .

بكذا وكذا قال: "**اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك** ؟، قالوا: اللهم نعم، قال فأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نظر في وجوه القوم فقال: "**من جهز هؤلاء الله غفر له**" يعني جيش العسرة، فجهزتهم حتى ما يفقدون عقالا ولا خطاما؟ قالوا: اللهم نعم، قال: **اللهم اشهد، اللهم اشهد** "[1].

(1) سنن النسائي، في الأحباس، باب وقف المساجد ٦/٢٣٤ ، برقم(٣٦٠٧)، و ظلال الجنة، للألباني، برقم (١٣٠٣).

٨ ـ الحميد جل جلاله

الحميد جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط الآتية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" الحميد في اللغة صيغة مبالغة على وزن فعيل بمعنى اسم المفعول وهو المحمود، فعله حمد يحمد حمدا، والحمد نقيض الذم، تقول: حمدت الرجل أحمده حمدا ومحمدة، فهو حميد ومحمود، والتحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر، والمحمد الذي كثرت خصاله المحمودة
والتحميد كثرة حمد الله سبحانه بالمحامد الحسنة"(

والحمد والشكر متقاربان، لكن الحمد أعم من الشكر، لأنك تحمد الإنسان على صفاته الذاتية وعلى عطائه ولا تشكره على صفاته [١].

وقد يقول قائل ما الفرق بين الحمد والمدح والشكر؟، وللإجابة عن هذا التساؤل قال الراغب الأصفهاني:" الحمد أخص من المدح وأعم من الشكر، فإن المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره، وما يقال منه وفيه بالتسخير، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه، كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول، والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة، فكل

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٩٨٧/٢ والصحاح في اللغة، للجواهري ٤٦٦/٢، وبصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي ٤٩٩/٢، وفتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ٣٥١/٨

شكر حمد، وليس كل حمد شكرا، وكل حمد مدح، وليس كل مدح حمدا، ويقال: فلان محمود إذا حمد، ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة" [1].

وقد فرَّق الإمام ابن القيم بين الشكر والحمد فقال:" إن الشكر أعم من جهة أنواعه، فهو يكون باللسان والقلب والجوارح، وأخص من جهة متعلقاته فيكون على نعم قريبة تجد أو نقمة تندفع.

أما الحمد فهو أعم من جهة متعلقاته، فهو تناول النعم السابقة وغيرها، ويتضمن حمد الله تعالى على أسمائه وصفاته وأفعاله، كما أنه أخص من جهة أنواعه، فهو يقع بالقلب واللسان، فكل ما يتعلق به الشكر يتعلق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس"[2].

والمؤمن الحق يحمد الله تعالى في السراء والضراء، لأن أفعال الله سبحانه كلها خير للعبد؛ لهذا ينبغي للعبد أن يحمد الله على كل حال، فعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون نعم، فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد**"[3].

ثانياً: معنه الاصطلاحي

---

(1) المفردات، للراغب الأصفهاني، صـ٢٥٦ .

(2) مدارج السالكين، لابن القيم ٢/٢٤٦.

(3) سنن الترمذي في الجنائز باب فضل المصيبة إذا احتسبت، برقم(١٠٢١)، وقال: حديث حسن، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (١٤٠٨).

اسم الله **الحميد** وردت له عدة تعريفات اصطلاحية متقاربه، ومن هذه التعريفات ما ذكره الإمام الخطابي حيث قال:" **الحميد** هو المحمود الذي استحق الحمد بأفعاله، وهو الذي يحمد في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، لأنه حكيم لا يجري في أفعاله الغلط، ولا يعترضه الخطأ فهو محمود على كل حال"[1].

وقال الحليمي:" **الحميد** هو المستحق لأن يحمد؛ لأنه جل ثناؤه بدأ فأوجد، ثم جمع بين النعمتين الجليلتين الحياة والعقل، ووالى بعد منحه ، وتابع آلاءه ومننه، حتى فاتت العد، وإن استفرغ فيها الجهد، فمن ذا الذي يستحق الحمد سواه ؟ بل له الحمد كله لا لغيره ، كما أن المن منه لا من غيره"[2]

قال لإمام الغزالي:" **الحميد** هو المحمود المثنى عليه، والله عز وجل هو الحميد بحمده لنفسه أزلا، وبحمد عباده له أبدا، ويرجع هذا إلى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبا إلى ذكر الذاكرين له فإن الحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال هذا أيضا يرجع إلى الإيجاد ولكن الموجود إذ كان هو الحياة سمي فعله إحياء وإذا كان هو الموت سمي فعله إماتة ولا خالق للموت والحياة إلا الله سبحانه وتعالى فلا مميت ولا محيي إلا الله عز وجل وقد سبقت الإشارة إلى معنى الحياة في اسم الباعث فلا نعيده"[3] .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

وهو الحميد فكل حمد واقع أو كان مفروضا مدى الأزمان

---

(1) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٧٨.

(2) الأسماء والصفات، للبيهقي (١/ ١١٤.

(3) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى صـ ١٧٤

ملأ الوجود جميعه ونظيره من غير ما عد ولا حسبان

هو أهله سبحانه وبحمده كل المحامد وصف ذي الإحسان"[١]

قال ابن القيم:" الحمد كله لله رب العالمين، فإنه المحمود على ما خلقه وأمر به ونهى عنه، فهو المحمود على طاعات العباد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلق الأبرار والفجار والملائكة وعلى خلق الرسل وأعدائهم، وهو المحمود على عدله في أعدائه كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه، فكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحمده، ولهذا سبح بحمده السماوات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده" [٢].

وقال الشيخ السعدي "و الله هو سبحانه حميد من وجهين:

أحدهما: أن جميع المخلوقات ناطقة بحمده، فكل حمد وقع من أهل السماوات والأرض الأولين منهم والآخرين، وكل حمد يقع منهم في الدنيا والآخرة، وكل حمد لم يقع منهم، بل كان مفروضا ومقدرا حينما تسلسلت الأزمان، واتصلت الأوقات حمدا يملأ الوجود كله، العالم العلوي والسفلي، ويملأ نظير الوجود من غير عد ولا إحصاء، فإن الله مستحقه من وجوه كثيرة منها: أن الله هو الذي خلقهم، ورزقهم، وأسدى عليهم النعم الظاهرة، والباطنة الدينية، والدنيوية، وصرف عنهم النقم، والمكاره، فما بالعباد من نعمة فمن الله، ولا يدفع الشرور إلا هو، فيستحق منهم أن يحمدوه في جميع الأوقات، وأن يثنوا عليه، ويشكروه بعدد اللحظات.

---

(١) نونية ابن القيم، ٢/٢١٥.

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم، صـ١٩٢ .

الوجه الثاني: أنه يحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والمدائح والمحامد والنعوت الجليلة الجميلة، فله كل صفة كمال، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها، فكل صفة من صفاته يستحق عليها أكمل الحمد والثناء، فكيف بجميع الأوصاف المقدسة، فله الحمد لذاته، وله الحمد لصفاته، وله الحمد لأفعاله، لأنها دائرة بين أفعال الفضل، والإحسان، وبين أفعال العدل، والحكمة التي يستحق عليها كمال الحمد، وله الحمد على خلقه، وعلى شرعه، وعلى أحكامه القدرية وأحكامه الشرعية، وأحكام الجزاء في الأولى، والآخرة، وتفاصيل حمده، وما يحمد عليه لا تحيط بها الأفكار، ولا تحصيها الأقلام"[1].

ثالثاً: وروده الحميد في القرآن والسنة

ورد اسم الله **الحميد** في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعا، والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن اسم الله الحميد يأتي مقترنا باسم آخر من أسماء الله الحسنى، وأكثر هذا الاسماء يأتي مقترنا بها هو اسم الله الغني، فقد اقترن به في تسعة مواضع من كتاب الله تعالى، وهذه المواضع هي قوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾[الحج: ٦٤] ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [الممتحنة: ٦]، وقوله تعالى، ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ

(1) الحق الواضح المبين، للسعدي صـ ٣٩.

ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾[لقمان: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [التغابن: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٨]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحديد: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾[البقرة: ٢٦٧]

وعن وجه هذا الاقتران يقول الإمام ابن القيم عند تفسيره لآية البقرة:" فإنه سبحانه طيب لا يقبل إلا طيبا، ثم ختم الآيتين بصفتين تقتضيهما سياقهما، فقال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ فغناه وحمده يأبى قبول الرديء، فإن قابل الرديء الخبيث: إما أن يقبله لحاجته إليه، وإما أن نفسه لا تأباه لعدم كمالها وشرفها، وأما الغني عنه، الشريف القدر الكامل الأوصاف: فإنه لا يقبله"[1].

ويأتي بعد اسم الله **الغني** بالاقتران باسم الله **الحميد** اسمه **العزيز**، فقد اقترن به في ثلاثة مواضع، وهذه المواضع هي قوله تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ [إبراهيم:]١، وقوله تعالى:﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ

---

(1) طريق الهجرتين، لابن القيم، صـ ٦٦٦.

ﭐلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾[سبأ: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [البروج: ٨]، وعن سر الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين، وتقديم **العزيز** على **الحميد** قال الإمام الرازي:" قوله تعالى: ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ يفيد رغبة ورهبة، فإنه إذا كان عزيزاً يكون ذا انتقام ينتقم من الذي يسعى في التكذيب، وإذا كان حميداً يشكر سعي من يصدق ويعمل صالحاً، فإن قيل: كيف قدم الصفة التي للهيبة على الصفة التي للرحمة مع أنك أبداً تسعى في بيان تقديم جانب الرحمة؟ نقول: كونه عزيزاً تام الهيبة شديد الانتقام يقوي جانب الرغبة؛ لأن رضا الجبار العزيز أعز وأكرم من رضا من لا يكون كذلك، فالعزة كما تخوف ترجى أيضاً ، وكما ترغب عن التكذيب ترغب في التصديق ليحصل القرب من العزيز "(١)

كما اقترن اسم **الحميد** باسم الله **الولي** في موطن واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾[الشورى: ٢٨] قال المحقق ابن عاشور في تفسيره عند هذه الآية:" الغيث: سبب رزق عظيم وهو ما ينزله الله بقدر هو أعلم به، وفيه تذكير بهذه النعمة العظيمة على الناس التي منها معظم رزقهم الحقيقي لهم ولأنعامهم، اختيار المضارع في ﴿ يُنَزِّلُ ﴾ لإفادة تكرر التنزيل وتجديده.

والغيث: المطر الآتي بعد الجفاف، سمي غيثاً؛ لأن به غيث الناس المضطرين، وخص الله نعمة الغيث بالذكر دون غيرها من النعم الدنيوية؛ لأنها

(١) تفسير الرازي ١٢/ ٣٩٨.

نعمة لا يختلف الناس فيها؛ ولأنها أصل دوام الحياة بإيجاد الغذاء الصالح للناس والدواب، والتعبير بالماضي في قوله: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ ﴾ للإشارة إلى حصول القنوط وتقرره بمضي زمان عليه، والمراد: من بعد ما قنطوا من الغيث بانقطاع أمارات الغيث المعتادة وضيق الوقت عن الزرع.

﴿ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ ﴾ ، والنشر: ضد الطي، واستعير هنا للتوسيع والامتداد، والرحمة هنا: رحمته بالماء، وقيل: بالشمس بعد المطر. وضمير من بعد ﴿ مَا قَنَطُواْ ﴾ عائد إلى عباده.

وذكر اسمي الله **الولي** و**الحميد** دون غيرهما لمناسبتهما للإغاثة؛ لأن الولي يحسن إلى مواليه، والحميد يعطي ما يحمد عليه. "[1].

كما اقترن اسم **الحميد** باسم الله **المجيد** في موطن واحد وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ ﴾ [هود: ٧٣]، وعن سر الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين قال العلامة ابن القيم:" الحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببته ولم تثن عليه لم تكن حامدا له، وكذا من أثنيت عليه لغرض ما ولم تحبه لم تكن حامدا له حتى تكون مثنيا عليه محبا، وهذا الثناء والحب تبع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال، ونعوت الجلال والإحسان إلى الغير، فإن هذه هي أسباب المحبة، وكلما كانت هذه الصفات أجمع وأكمل، كان الحمد والحب أتم وأعظم.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٥/ ٩٥، باختصار وتصرف.

والله سبحانه له الكمال المطلق الذي لا نقص فيه بوجه ما، والإحسان كله له ومنه، فهو أحق بكل حمد، وبكل حب من كل جهة، فهو أهل أن يحب لذاته ولصفاته ولأفعاله ولأسمائه ولإحسانه، ولكل ما صدر منه سبحانه.

وأما المجد فهو مستلزم للعظمة، والسعة، والجلال، كما يدل عليه موضوعه في اللغة، فهو دال على صفات العظمة والجلال، والحمد يدل على صفات الإكرام والله سبحانه ذو الجلال والإكرام"[1].

كما اقترن اسم الله **الحميد** باسمه **الحكيم** في موضع واحد، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢] قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" وأنى للباطل أن يدخل على هذا الكتاب، وهو صادر من الله الحق يصدع بالحق، ويتصل بالحق الذي تقوم عليه السماوات والأرض؟

وأنى يأتيه الباطل وهو عزيز، محفوظ بأمر الله الذي تكفل بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩] ، والمتدبر لهذا القرآن يجد فيه ذلك الحق الذي نزل به، والذي نزل ليقره يجده في روحه ويجده في نصه، يجده في بساطة ويسر . حقاً مطمئناً فطرياً ، يخاطب أعماق الفطرة ، ويطبعها ويؤثر فيها التأثير العجيب.

---

[1] جلاء الأفهام، لابن القيم، صـ ١٨٦ – ١٨٧.

وهو ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾، والحكمة ظاهرة في بنائه، وفي توجيهه، وفي طريقة نزوله، وفي علاجه للقلب البشري من أقصر طريق، والله الذي نزله خليق بالحمد، وفي القرآن ما يستجيش القلب لحمده الكثير"(١).

ولم يرد اسم الله الحميد منفردا إلا في موضع واحد فقط وهو قوله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحج: ٢٤ قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أي: وهدوا إلى سائر الأقوال الطيبة التي منها ذكر الله، أو إحسان إلى عباد الله، ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ أي: الصراط المحمود، وذلك، لأن جميع الشرع كله محتو على الحكمة والحمد، وحسن المأمور به، وقبح المنهي عنه، وهو الدين الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح. أو: وهدوا إلى صراط الله الحميد، لأن الله كثيرا ما يضيف الصراط إليه؛ لأنه يوصل صاحبه إلى الله.

وفي ذكر ﴿ ٱلْحَمِيدِ ﴾ هنا، ليبين أنهم نالوا الهداية بحمد ربهم ومنته عليهم، ولهذا يقولون في الجنة: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] "(٢).

كما ورد اسم الله الحميد في السنة النبوية فعن كعب بن عجرة – رضي الله عنه – أنه قال:" سألنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: قولوا: اللهم

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٦/ ٢٩٩.
(٢) تفسير السعدي، صـ٥٣٦.

صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد " [١].

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الحميد

١ـ محبة الله تعالى الحميد، على جميع نعمه الظاهرة والباطنة، ما علمنا منها ومالم نعلم، والله تعالى قد حمد نفسه قبل حمد الحامدين من خلقه، قال ابن القيم:" جميع أسماء الله– تبارك وتعالى – حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله في إحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده، ووجد بحمده وظهر بحمده، وكأن الغاية هي حمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات، وظهور آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار والبصائر.

وقد نبه سبحانه على شمول حمده لخلقه وأمره بأن حمد نفسه في أول الخلق وآخره، وعند الأمر والشرع، حمد نفسه على ربوبيته للعالمين، وحمد نفسه على تفرده بالإلهية وعلى حياته، وحمد نفسه على امتناع اتصافه بما لا يليق بكماله؛ من اتخاذ الولد والشريك، وموالاة أحد من خلقه لحاجته إليه، وحمد نفسه على علوه وكبريائه، وحمد نفسه في الأولى والآخرة، وأخبر عن سريان حمده في العالم العلوي والسفلي، ونبه على هذا كله في كتابه، وحمد نفسه عليه .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (واتخذ الله إبراهيم خليلا) ٣/١٢٣٣، برقم (٣١٩٠) .

فنوع حمده وأسباب حمده، وجمعها تارة وفرقها أخرى؛ ليتعرف إلى عباده ويعرفهم كيف يحمدونه، وكيف يثنون عليه، وليتحبب إليهم بذلك، ويحبهم إذا عرفوه وأحبوه وحمدوه. قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢ – ٤].وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: ١ – ٢]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ [القصص: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥]، وقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ [الروم: ١٧ – ١٨].

وأخبر عن حمد خلقه له بعد فصله بينهم، والحكم لأهل طاعته بثوابه وكرامته، والحكم لأهل معصيته بعقابه وإهانته: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر: ٧٥]، وأخبر عن حمد أهل الجنة له، وأنهم لم يدخلوها إلا بحمده، كما أن أهل النار لم يدخلوها إلا بحمده، فقال عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأعراف: ٤٣]، و قال

تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: ١٠].

وشهدوا على أنفسهم بالكفر والظلم، وعلموا أنهم كانوا كاذبين في الدنيا، مكذبين بآيات ربهم، مشركين به، جاحدين لإلهيته، مفترين عليه، وهذا اعتراف منهم بعدله فيهم، وأخذهم ببعض حقه عليهم، وأنه غير ظالم لهم، وأنهم إنما دخلوا النار بعدله وحمده، وإنما عوقبوا بأفعالهم؛ وبما كانوا قادرين على فعله وتركه، لا كما تقول الجبرية [١]

٢ـ أن يكثر العبد من حمد الله تعالى في كل وقت وحين، وليكن شعاره دوما في كل أحواله الحمد لله؛ حتى يكون من الحامدين لله تعالى، قال الإمام الغزالي: "الحميد من العباد من حمدت عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله كلها، وكل واحد حميد بقدر ما يحمد من عقائده وأخلاقه وأعماله وأقواله وإذا كان لا يخلو أحد عن مذمة ونقص وإن كثرت محامده"[٢].

وقد جاء الأمر بحمد الله تعالى في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[النمل: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١]، وقال تعالى: ﴿ قُلِ

---

(١) أسماء الله الحسنى لابن القيم جمع وتحقيق، يوسف بديوي، صـ ٢٠٩ .

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٧٥.

ﵟٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَﵞ [النمل: ٥٩]، وقال تعالى: ﵟقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَﵞ [العنكبوت: ٦٣].

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى أن يكثروا من ذكر الله تعالى وحمده في مواطن كثيرة، فعن عبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمسى قال:" **أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له، اللهم إني أسألك من خير هذه الليلة وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر**"[١] .

وعن أبي ذر – رضي الله عنه –: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله**؟، قلت: يارسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله تعالى، فقال:" **إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده**"، وفي رواية: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم: سئل أي الكلام أفضل؟، قال:" **ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده سبحان الله وبحمده**"[٢].

وعن أنس – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال: :" **الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي**"[٣] .

---

[١] صحيح مسلم، برقم(٤٩٠٢).
[٢] صحيح مسلم في الذكر والدعاء باب فضل سبحان الله وبحمده، برقم(٤٩١١).
[٣] صحيح مسلم، برقم( )٢٧١٥).

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ومن قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر**""[١].

٣ـ ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله الحميد أن يدعو المسلم ربه دعاء الله باسمه الحميد وبما يدل عليه هذا الاسم، فعن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا قام من الليل يتهجد قال:" **اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق، ومحمد – صلى الله عليه وسلم – حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**" [٢].

وعن كعب بن عجرة – رضي الله عنه – أنه قال:" سألنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد

---

(١) صحيح مسلم، برقم(٤٨٥٧)

(٢) صحيح البخاري في التهجد، باب التهجد بالليل ١/٣٧٧ ، برقم(١٠٦٩) .

علمنا كيف نسلم؟ قال: قولوا:" **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد** " [1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في الحلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد فتشهد ثم قال في دعائه:" اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله الا أنت المنان يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **أتدرون بما دعا الله؟** فقالوا:" الله ورسوله أعلم قال:" **والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**"[2].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "**من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك** " [3].

---

(1) سبق تخريجه قبل قليل.

(2) مسند أحمد برقم(١٣٥٩٥)، قال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد قوي.

(3) سنن الترمذي في الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس ٥/٤٩٤ ، برقم (٣٤٣٣)، صحيح الجامع، للألباني، برقم (٦١٩٢).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول في ركوعه وسجوده:" **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**" (1).

وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يجهر بهذه الكلمات: " سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك" (2) .

وكان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يدعو في دبر الصلاة قائلا:" الهي تم نورك فهديت فلك الحمد وعظم حلمك فعفوت فلك الحمد وبسطت يدك فأعطيت فلك الحمد ربنا وجهك أكرم الوجوه وجاهك خير الجاه وعطيتك أنفع العطايا تطاع ربنا فتشكر وتعصى ربنا فتغفر تجيب المضطر وتكشف الضر وتشفي السقيم وتنجي من الكرب لا يجزي بألآئك عمرو أحد ولا يحصي نعمك قول قائل "(3).

وكان ثابت البناني يدعو ربه قائلاً:" اللهم لك الحمد، خلقت فسويت، وقدرت فهديت، وأعطيت فأغنيت، وأقنيت وعافيت وعفوت وأعطيت، فلك الحمد على ما أعطيت، حمدا كثيرا طيبا مباركا حمدا لا ينقطع أولاه ولا ينفد أخراه حمدا أنت منتهاه فتكون الجنة عقباه أنت الكريم الأعلى وأنت جزيل العطاء وأنت أهل النعماء"(4) .

---

(1) صحيح البخاري في الأذان باب الدعاء في الركوع ١/٢٧٤ ، برقم(٧٦١) .

(2) صحيح البخاري في المغازي، باب دخول النبي صلى الله عليه وسلم من أعلى مكة ٤/١٥٦٢ ، برقم(٤٠٤٢) .

(3) كتاب الدعاء، للطبراني ١/ ٢١٥، برقم(٧٣٤).

(4) حلية الأولياء، لأبي نعيم (٦/ ١٥٤).

ومن الدعوات المأثورة: " اللهم لك الحمد حمدا يوافي نعمك، ويكافئ مزيدك، أحمدك بجميع محامدك ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمك ما علمت منها وما لم أعلم، وعلى كل حال، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد، اللهم أعذني من الشيطان الرجيم، وأعذني من كل سوء، وقنعني بما رزقتني وبارك لي فيه، اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك، وألزمني سبيل الاستقامة حتى ألقاك يا رب العالمين"(١)

---

(١) الأذكار، للنووي، صـ ٣٢٣، قال ابن حجر العسقلاني: لم أقف لهذا الدعاء على أصل.

٩ـ الخبير جل جلاله

الخبير جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط الآتية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة" الخبر: العلم بالشيء، يقال: من أين خبرت هذا الأمر، أي من أين علمت؟.

الخبير: في اللغة من مباني المبالغة، فعله خبر يخبر خبرا، وخبرت بالأمر أي علمته، وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته، وعند مسلم من حديث أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أنه قال لعائشة رضي الله عنها: فما يوجب الغسل؟ قالت: **على الخبير سقطت** [١] ، تعني أنه سأل من يعلم الجواب بتمامه فالخبير الذي يخبر الشيء بعلمه [٢].

وقد يقول قائل: ما الفرق بين الخبير والعليم؟ وللإجابة عن هذا التساؤل قال الإمام الغزالي حيث قال:" **الخبير** هو بمعنى العليم، لكن العليم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمي خبرة، وسمي صاحبها خبيرا"[٣] .

وقال أبو هلال العسكري:" الخبرة أبلغ من العلم؛ لأنها علم وزيادة، فالخبير بالشيء من علمه وقام بمعالجته وبيانه وتجربته وامتحانه فأحاط بتفاصيله الدقيقة وألم بكيفية وصفه على الحقيقة [١].

---

(١) صحيح مسلم في كتاب الحيض، باب نسخ الماء من الماء ٢٧١/١ ، برقم(٣٤٩) .

(٢) لسان العرب، لابن منظور ٢٢٦/٤، الصحاح في اللغة، للجوهري ٦٤١/٢ المفردات، للراغب الأصفهاني، صـ٢٧٣، واشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، صـ١٢٧.

(٣) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٦٣.

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله الخبير وردت له عدة تعريفات اصطلاحية، ومنها ما ذكرها الإمام ابن القيم حيث قال: " "**الخبير**": الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها[٢].

وقال الحليمي: "**الخبير**" معناه المتحقق لما يعلم كالمستيقن من العباد إذ كان الشك غير جائز عليه فإن الشك ينزع إلى الجهل وحاشا له من الجهل، ومعنى ذلك أن العبد قد يوصف بعلم الشيء إذا كان ذلك مما يوجبه أكثر رأيه ولا سبيل له إلى أكثر منه، وإن كان يجيز الخطأ على نفسه فيه، والله جل ثناؤه لا يوصف بمثل ذلك، إذ كان العجز غير جائز عليه، والإنسان إنما يؤتى فيما وصفت من قبل القصور والعجز "[٣].

وقال الغزالي رحمه الله تعالى: " "**الخبير**" هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة ولا يجري في الملك والملكوت شيء ولا يتحرك ذرة ولا يسكن ولا يضطرب نفس ولا يطمئن إلا ويكون عنده خبره"[٤] .

وقال الإمام البيهقي:" **الخبير**: هو العالم بكنه الشيء، المطلع على حقيقته، وقيل: الخبير المخبر، وهو من صفات الذات"[٥].

---

(١) الفروق اللغوية، لأبي الهلال العسكري، صـ٧٤.

(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم ٢/٤٩٢.

(٣) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٨٢.

(٤) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٦٣.

(٥) الاعتقاد، للبيهقي صـ٢١.

وقال الشيخ السعدي: "**العليم الخبير**" وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"[1]

.

وقال ابن عاشور: " **الخبير**": العالم بدقائق الأمور المعقولة والمحسوسة والظاهرة والخفية"[2].

ثالثاً: ورود اسم الله الخبير في القرآن الكريم والسنة

ورد اسم الله الخبير في القرآن الكريم بطريقتين، الطريقة الأولى ورد مفردا غير مقترناَ باسم آخر من أسماء الله الحسنى، والطريقة الثانية مقترناً باسم آخر من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول هاتين الطريقتين على النحو التالي:

أـ ورود اسم الله الخبير مفردا

ورد اسم الله **الخبير** في القرآن الكريم مفرداَ غير مقترنا باسم آخر، وقد ورد بصيغتين رئيسيتين هما:

١ـ وودة بصيغة، ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾، وفي هذه الصيغة تقدم اسم الله الخبير، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذا الجزء من الآية:" لا يخفى عليه شيء منه، فهو مجازيكم بأعمالكم، قرأ الجمهور : ﴿ تَعۡمَلُونَ ﴾ بالفوقية على الخطاب، وقرأ أبو بكر عن عاصم، والسلمي بالتحتية على الخبر"[3]، وقد ورد

([1]) تفسير السعدي ٥/٢٩٩.

([2]) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣١٠/١١

([3]) تفسير الشوكاني، ٧/ ٢٣٠.

بهذه الصيغة في ستة مواضع في القرآن الكريم، وهذه المواضع هي: قوله تعالى: ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٥٣]﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[التوبة: ١٦]﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النور: ٥٣]﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[المجادلة: ١٣]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحشر: ١٨]﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾[المنافقون: ١١].

٢ـ ووردة بصيغة ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾، وفي هذه الصيغة تأخر اسم الله الخبير، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذا الجزء من الآية:" أي: والله بأعمالكم التي تعملونها أيها الناس ذو خبرة، لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيكم عليها" (١).

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٣١.

وقد ورد بهذه الصيغة في ثمانية مواضع من القرآن الكريم، وهذه المواضع هي: قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٤] وقوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧١] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[لقمان: ٢٩] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد: ١٠] وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المجادلة: ٣] وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١١] وقوله تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التغابن: ٨].

ب ـ ورود اسم الله الخبير مقترنا ببعض أسماء الله الحسنى

اقترن اسمه سبحانه "**الخبير**" في القرآن الكريم ببعض أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول ذلك على النحو الآتي:

١ـ اقتران اسم الله الخبير باسمه الحكيم

وقد ورد هذا الاقتران في القرآن الكريم في أربعة مواضع من كتاب الله الكريم، وهذه المواضع هي: قوله تعالى﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾[الأنعام: ١٨]﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ٧٣]﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [سبأ: ١]،﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود: ١]

وعن سر هذا الاقتران بين هذين الاسمين قال الإمام ابن القيم لأنهما دالان: "على كمال الإرادة وأنها لا تتعلق بمراد إلا لحكمة بالغة وعلى كمال العلم، وأنه كما يتعلق بظواهر المعلومات فهو متعلق ببواطنها التي لا تدرك إلا بالخبرة، فنسبة الحكمة إلى الإرادة كنسبة الخبرة إلى العلم. فالمراد ظاهر، والحكمة باطنة، والعلم ظاهر والخبرة باطنة، فكمال الإرادة أن تكون واقعة على وجه الحكمة، وكمال العلم أن يكون كاشفًا عن الخبرة، فالخبرة باطن العلم وكماله، والحكمة باطن الإرادة وكمالها"[١] .

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم، ١/٨٧.

٢ـ اقتران اسم الله الخبير باسم الله البصير

وقد ورد هذا الاقتران في القرآن الكريم في أربعة مواضع من كتاب الله الكريم، وهذه المواضع هي: قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣١]، وعن سر هذا الاقتران بين هذين الاسمين قال العلامة ابن عاشور: " **الخبير** " العالم بدقائق الأمور المعقولة والمحسوسة والظاهرة والخفية، **والبصير** " العالم بالأمور المبصرة؛ وتقديم الخبير على البصير لأنه أشمل، وذكر البصير عقبه للعناية بالأعمال التي هي من المبصرات وهي غالب شرائع الإسلام"(١) .

٣ـ اقتران اسم الله الخبير باسم الله اللطيف

وقد ورد هذا الاقتران في القرآن الكريم في خمسة مواضع من كتاب الله الكريم، وهذه المواضع هي: قوله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وقوله تعالى:﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٣١٠/١١.

﴿وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣)﴾ [الحج: ٦٣]،

وسر الاقتران بين هذين الاسمين قالت أحدى الباحثات:" لأن لله – عز وجل – صفة كمال من كل من الاسمين الجليلين، وصفة كمال ثالثة من اجتماعهما؛ فكونه – عز وجل – "**اللطيف الخبير**" يعني: أن أفعاله التي لطفت عن أن تدركها العقول والأفهام قد أحاطت بما تعبت في إدراكه العقول والأفهام، وأن لطفه وصنائعه وبره وإحسانه، إنما دقت على العقول والأفهام؛ لأنها جارية على مقتضى خبرته التي هي فوق إدراك العقول والأفهام، فلطفه – عز وجل – وهو رفقه وإحسانه إنما هو لطف الخبير(١) .

٤ـ اقتران اسم الله الخبير باسمه العليم

وقد ورد هذا الاقتران في القرآن الكريم في أربعة مواضع من كتاب الله الكريم، وهذه المواضع هي: قوله تعالى:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥)﴾ [النساء: ٣٥]. وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)﴾ [التحريم: ٣]. وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

(١) مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام، لنجلاء كردي، صـ ٦١٤، بتصرف يسير.

﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣]. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان: ٣٤]،

وعن سر هذا الاقتران بين هذين الاسمين قال الشيخ السعدي: " لأن "**العليم الخبير**" وهو الذي أحاط علمِه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"[١].

وقد ورد اسم الله الخبير في السنة النبوية فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي قال لها: " **لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير** "[٢].

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الخبير

لاسم الله الخبير آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على العبد المؤمن، وهذه الآثار سوف نتناولها على النحو الآتي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله الخبير محبة الله الخبير سبحانه وتعالى؛ لأنه الخبير العليم بما كان وما هو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة، وهو الخبير الذي لا يخفى عليه شيء من أحوال عباده في الأرض ولا في السماء، فلا يتحرك متحرك ولا يسكن إلا بعلمه وخبرته.

---

(١) تفسير السعدي ٥/٢٩٩.

(٢) صحيح مسلم في كتاب الجنائز، باب ما يقال ثم دخول القبور والدعاء لأهلها ٢/٦٧٠ ، برقم(٩٧٤) .

ورغم خبرت الله وعلمه بكل أحوال خلقه إلا أن له ملائكة يتعاقبون على عباده يخبرونه بأحوال عباده وأعمالهم؛ وذلك لبيان مكانة عباده عند ربهم، ولبيان فضلهم بين ملائكته وحملة عرشه، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون**" [1]، قال ابن حجر في تعليقه على هذا الحديث:" استدعاء لله شهادات الملائكة لبني آدم بالخير واستنطاقهم بما يقتضي التعطف عليهم؛ وذلك لإظهار الحكمة في خلق نوع الإنسان في مقابلة من قال من الملائكة: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٣٠]، أي وقد وجد فيهم من يسبح ويقدس مثلكم بنص شهادتكم)[2].

٢ـ ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله الخبير أن إيمان العبد بأن الله تعالى خبير بأعمال العبد وعليم بأحواله الظاهرة والباطنة، يدفعه إلى مراقبة الله تعالى في كل أحواله، في خلوته وجلوته وفي سره وعلانيته، وصدق الله القائل"﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [

([1]) صحيح البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر ٢٠٣/١ ، برقم(٥٣٠).

([2]) فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني ٣٦/٢.

الملك: ١٣ – ١٤]، وقال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٧].

وهذه المراقبة تدفعه إلى غض بصره وحفظ فرجه عن الحرام؛ لأن الله العليم الخبير مطلع عليه، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[النور: ٣٠].

كما أن إيمان العبد بربه الخبير يدفعه لمتابعة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ لان ذلك مقتضى إيمانه بالله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المجادلة: ١٣].

٣ـ ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله الخبير أن يدعو المسلم ربه بمقتضى اسمه الخبير، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٨]، وقوله: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٩٦].

كما ينبغي له أن يدعو الله بالمعنى الذي دل عليه اسم الله الخبير، فعبد الله بن عمرو – رضي الله عنه –: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – تلا قول الله – عز وجل – في إبراهيم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٣٦]، وقال عيسى – عليه السلام –: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٨]، فرفع يديه وقال:" **اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله – عز وجل –:" يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله**

فأخبره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك " [1].

ومن ذلك دعاء الاستخارة، فعن جابر – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول:" **إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني، ويسمي حاجته** "[2] .

---

(1) صحيح مسلم في الإيمان، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم ١/١٩١ (٢٠٢) .

(2) رواه البخاري.

١٠ ـ الحليم جل جلاله

الحليم جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط الآتية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" **الحليم** في اللغة صفة مشبهة للموصوف بالحلم، فعله حلم يحلم حلما، وصفة الحلم تعني الأناة ومعالجة الأمور بصبر وعلم وحكمة.

والحليم هو الذي يرغب في العفو ولا يسارع بالعقوبة، قال تعالى في وصف إبراهيم – عليه السلام –: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

الحِلم بالكسر: الأناة والعقل، وجمعه أحلام وحلوم، وأحلام القوم: حلماؤهم، ورجل حليم من قوم أحلام وحلماء.

وحلم يحلم حلما: صار حليما، وحلم عنه وتحلم سواء، تحلم تكلف الحلم.

والحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وجمعه أحلام، قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾ [الطور: ٣٢]، قيل معناه: عقولهم وليس الحلم في الحقيقة هو العقل، لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل.

والحلم: نقيض السفه، وهو العجلة المفسدة لأمور الدين والدنيا.

ويدخل في معنى الحلم بلوغ الصبي الحلم أو مبلغ الرجال الحكماء العقلاء كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ﴾ [النور:٥٩]، أما قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١]، يعني لديه أناة وبصيرة وحكمة من صغره.

أما الحلم بالضم فهو الرؤيا والجمع أحلام يقال: حلم يحلم: إذا رأى في المنام"[١].

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله **الحليم** وردت له عدت تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام ابن القيم حيث قال:" الحليم: هو الذي يمهل راكب الخطيئة ولو شاء لعاجله بالعقوبة ولكنه الحليم الذي لا يعجل، فيحدث ذلك عند العبد معرفة ربه سبحانه باسمه الحليم، ومشاهدة صفة الحلم والتعبد بهذا الاسم"[٢].

وقال الإمام الغزالي:" **الحليم**: هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظ ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال تعالى: ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ١٦ سورة النحل الآية ٦١"[٣].

وقال الإمام الحليمي:" **الحليم**: إنه الذي لا يحبس إنعامه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم، ولكنه يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر التقي، وقد يقيه الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن أن يدعوه كما يقيها الناسك الذي يسأله ، وربما شغلته العبادة عن المسألة"[٤].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٤٦/١٢، المفردات، للراغب الأصفهاني، صـ ١٢٩، وكتاب العين، للفراهيدي، ٣/ ٢٤٦، الصحاح في اللغة، للجوهري ١٩٠٣/٥.

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم ٢٠٦/١، بتصرف يسير.

(٣) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٣٤.

(٤) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٩٧.

وقال الإمام الخطابي:" **الحليم:** ذو الصفح والأناة، الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاص، ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم، إنما الحليم هو الصفوح مع القدرة والمتأني الذي لا يعجل بالعقوبة. [١].

وقال الشيخ السعدي: "الحليم الذي له الحلم الكامل، والذي وسع حلمه أهل الكفر، والفسوق، والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلا، فهو يمهلهم ليتوبوا، ولا يهملهم إذا أصروا، واستمروا في طغيانهم، ولم ينيبوا... والله تعالى حليم عفو، فله الحلم الكامل، وله العفو الشامل، ومتعلق هذين الوصفين العظيمين معصية العاصين، وظلم المجرمين، فإن الذنوب تقتضي ترتب آثارها عليهما من العقوبات العاجلة المتنوعة. وحلمه تعالى يقتضي إمهال العاصين، وعدم معاجلتهم، ليتوبوا، وعفوه يقتضي مغفرة ما صدر منهم من الذنوب خصوصا إذا أتوا بأسباب المغفرة من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، وحلمه وسع السماوات، والأرض، فلولا عفوه ما ترك على ظهرها من دابة، وهو تعالى عفو يحب العفو عن عباده، ويحب منهم أن يسعوا بالأسباب التي ينالون بها عفوه من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه.

ومن كمال عفوه أن المسرفين على أنفسهم إذا تابوا إليه غفر لهم كل جرم صغير، وكبير، وأنه جعل الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تجب ما قبلها"[٢].

ثالثاً: وروده في القرآن والسنة

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي صـ ٦٣.

(٢) الحق الواضح المبين، للسعدي، صـ ٥٥.

ورد اسم الله **الحليم** في القرآن الكريم في احدى عشر موضعا، وهذه المواضع هي قوله تعالى:﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٣]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية: " قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾، **غني** عن الصدقة المؤذية، **حليم** يعطي عباده الرزق فلا يشكروه فلا يعجلهم بالعقاب، ولا يبادرهم بالإيذاء وهو معطيهم كل شيء، ومعطيهم وجودهم ذاته قبل أن يعطيهم أي شيء.

فليتعلم عباده من حلمه سبحانه فلا يعجلوا بالأذى والغضب على من يعطونهم جزءا مما أعطاهم الله لهم حين لا يروقهم منه أمر أو لا ينالهم منهم شكر"[١] .

والمتأمل في كتاب الله يجد أن اسم الله **الحليم** في هذه الآية اقترن باسمه الغني، وعن وجه هذا الاقتران قال العلامة ابن القيم:" وختم الآية بصفتين مناسبتين لما تضمنته فقال: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾، وفيه معنيان:

أحدهما: أن الله غني عنكم لن يناله شيء من صدقاتكم، وإنما الحظ الأوفر لكم في الصدقة فنفعها عائد عليكم لا إليه سبحانه وتعالى، فكيف يمن بنفقته ويؤذي مع غنى الله التام عنها وعن كل ما سواه، ومع هذا فهو حليم إذ لا يعاجل المان بالعقوبة. وفي ضمن هذا الوعيد والتحذير.

والمعنى الثاني: أنه سبحانه وتعالى مع غناه التام من كل وجه فهو الموصوف بالحلم والتجاوز والصفح، مع عطائه الواسع وصدقاته العميمة، فكيف يؤذي أحدكم بمنه وأذاه مع قلة ما يعطي ونزارته وفقره" [١].

([١]) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٣٠٨/١.

ومن المواضع القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله الحليم قوله سبحانه: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥ قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" لا يؤاخذكم الله بما سبقتكم به ألسنتكم من الأيمان على عجلة وسرعة، فيوجب عليكم به كفارة إذا لم تقصدوا الحلف واليمين. وذلك كقول القائل:" فعلت هذا والله، أو: أفعله والله، أو: لا أفعله والله"، على سبوق المتكلم بذلك لسانُه، بما وصل به كلامه من اليمين.: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ ﴾ لعباده فيما لَغَوْا من أيمانهم التي أخبر الله تعالى ذكره أنه لا يؤاخذهم بها، ولو شاء وَاخذهم بها ولما واخذهم به فكفَّروها في عاجل الدنيا بالتكفير فيه، ولو شاء واخذهم في آجل الآخرة بالعقوبة عليه، فساتر عليهم فيها، وصافح لهم بعفوه عن العقوبة فيها، وغير ذلك من ذنوبهم ﴿ حَلِيمٌ ﴾ في تركه معاجلة أهل معصيته العقوبةَ على معاصيهم"[2].

والمتأمل في كتاب الله يجد أن اسم الله **الحليم** في هذه الآية اقترن باسمه **الغفور**، وعن وجه هذا الاقتران بين هذين الاسمين، قال ابن عاشور:" ومناسبة اقتران وصف الغفور بالحليم هنا، دون الرحيم؛ لأن هذه مغفرة لذنب هو من قبيل التقصير في الأدب مع الله تعالى، فلذلك وصف الله نفسه بالحليم؛ لأن الحليم هو الذي لا يستفزه التقصير في جانبه ولا يغضب للفعلة ويقبل المعذرة"[3].

---

(1) بدائع التفسير، لابن القيم، ١/٤٢١.

(2) تفسير الطبري ٤/ ٤٢٧.

(3) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢/١٨٤.

ومن المواضع القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله **الحليم** قوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوۡ مَاتُواْ لَيَرۡزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزۡقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ۝٥٩ ﴾[الحج: ٥٨ - ٥٩]، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآية:"" أي والذين فارقوا أوطانهم، وتركوا عشائرهم، فى رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه، ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك- ليثيبنّهم الله الثواب الجزيل جزاء ما ناضلوا عن دينه، وأخلصوا فى الذود عنه، وإن الله ليعطى من يشاء بغير حساب، ويرزق الخلق كافة بارّهم وفاجرهم.

ثم بين هذا الرزق الحسن بقوله:﴿ لَيُدۡخِلَنَّهُم مُّدۡخَلٗا يَرۡضَوۡنَهُۥۗ ﴾ أي ليدخلنّ المقتولين فى سبيله والموتى مهاجرين فى طاعة ربهم وذودا عن دينه- جنات النعيم، ويكرمون فيها بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما لا ينالهم فيها مكروه ولا أذى ، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴾ أي وإن الله الذي عمّت رحمته، وعظمت نعمته- ﴿ لَعَلِيمٌ ﴾ بمقاصدهم وأعمالهم وأعمال أعدائهم، ﴿ حَلِيمٞ ﴾ فلم يعاجل هؤلاء المكذبين بالعقوبة جزاء تكذيبهم ومقاومتهم دعوة الدين"[1].

ومن المواضع القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله **الحليم** قوله سبحانه:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ

---

(1) تفسير المراغي (١٧/ ١٣٤).

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾[آل عمران: ١٥٥] قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" قد تكون الإشارة في هذه الآية خاصة بالرماة الذين جال في نفوسهم الطمع في الغنيمة كما جال فيها أن رسول الله سيحرمهم أنصبتهم، فكان هذا هو الذي كسبوه وهو الذي استزلهم الشيطان به، ولكنها في عمومها تصوير لحالة النفس البشرية حين ترتكب الخطيئة فتفقد ثقتها في قوتها ويضعف بالله ارتباطها ويختل توازنها وتماسكها وتصبح عرضة للوساوس والهواجس بسبب تخلخل صلتها بالله وثقتها من رضاه! وعندئذ يجد الشيطان طريقه إلى هذه النفس فيقودها إلى الزلة بعد الزلة وهي بعيدة عن الحمى الآمن والركن الركين .

ومن هنا كان الاستغفار من الذنب هو أول ما توجه به الرّبيون الذين قاتلوا مع النبيين في مواجهة الأعداء، الاستغفار الذي يردهم إلى الله ويقوي صلتهم به ويعفي قلوبهم من الأرجحة ويطرد عنها الوساوس ويسد الثغرة التي يدخل منها الشيطان ثغرة الانقطاع عن الله والبعد عن حماه.

هذه الثغرة التي يدخل منها فيزل أقدامهم مرة ومرة حتى ينقطع بهم في التيه بعيداً بعيداً عن الحمى الذي لا ينالهم فيه، ويحدثهم الله أن رحمته أدركتهم فلم يدع الشيطان ينقطع بهم فعفا عنهم، ويعرفهم بنفسه – سبحانه – فهو غفور حليم . لا يطرد الخطاة ولا يعجل عليهم؛ متى علم من نفوسهم التطلع إليه والاتصال به؛ ولم يعلم منها التمرد والتفلت والإباق"[1].

([1]) في ظلال القرآن، لسيد قطب١/ ٤٧٣.

ومن المواضع القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله **الحليم** قوله سبحانه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾[فاطر: ٤١] قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" أي: أن تضطربا عن أماكنهما، ﴿ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ ﴾ أي: لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو، وهو مع ذلك حليم غفور، أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يَعْجَل، ويستر آخرين ويغفر؛ ولهذا قال: { إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا }"[١].

ومن المواضع القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله **الحليم** قوله سبحانه:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [الإسراء: ٤٤]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" تنزه الله أيها المشركون عما وصفتموه به إعظاما له وإجلالا السماوات السبع والأرض، ومن فيهنّ من المؤمنين به من الملائكة والإنس والجنّ، وما من شيء من خلقه إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيح ما عدا تسبيح من كان يسبح بمثل ألسنتكم، وأنتم مع إنعامه عليكم، وجميل أياديه عندكم، تفترون عليه بما تَفْتَرون، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ أي: إن الله كان ﴿ حَلِيمًا ﴾ لا يعجل على خلقه، الذين يخالفون أمره، ويكفرون به، ولولا ذلك لعاجل هؤلاء المشركين الذين

---

(١) تفسير ابن كثير ،٦/ ٥٥٧

يدعون معه الآلهة والأنداد بالعقوبة ﴿ غَفُورًا ﴾ يقول: ساترا عليهم ذنوبهم، إذا هم تابوا منها بالعفو منه لهم"(١).

ومن المواضع القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله **الحليم** قوله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[المائدة: ١٠١]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" ينهى عباده المؤمنين عن سؤال الأشياء التي إذا بينت لهم ساءتهم وأحزنتهم، وذلك كسؤال بعض المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن آبائهم، وعن حالهم في الجنة أو النار، فهذا ربما أنه لو بين للسائل لم يكن له فيه خير، وكسؤالهم للأمور غير الواقعة.

وكالسؤال الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع ربما أحرجت الأمة، وكالسؤال عما لا يعني، فهذه الأسئلة، وما أشبهها هي المنهي عنها، وأما السؤال الذي لا يترتب عليه شيء.

﴿ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ أي: وإذا وافق سؤالكم محله فسألتم عنها حين ينزل عليكم القرآن، فتسألون عن آية أشكلت، أو حكم خفي وجهه عليكم، في وقت يمكن فيه نزول الوحي من السماء، ﴿ تُبْدَ لَكُمْ ﴾، أي: تبين لكم وتظهر، وإلا فاسكتوا عمّا سكت الله عنه.

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ٤٥٥، باختصار.

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ﴾ أي: سكت معافيا لعباده منها، فكل ما سكت الله عنه فهو مما أباحه وعفا عنه. ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ أي: لم يزل بالمغفرة موصوفا، وبالحلم والإحسان معروفا، فتعرضوا لمغفرته وإحسانه، واطلبوه من رحمته ورضوانه "(١).

ومن المواضع القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله **الحليم** قوله سبحانه: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٧] قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" أي:" إن تصرفوا أموالكم في وجوه الخير بإخلاص نية وطيب نفس ﴿ يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ ﴾فيجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أي: يضمّ لكم إلى تلك المضاعفة غفران ذنوبكم ﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة ، ولا يعاجل من عصاه بالعقوبة"(٢).

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله **الحليم** قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾[البقرة: ٢٣٥].

وقوله تعالى: ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥١].

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٢٤٥.
(٢) تفسير الشوكاني ٧/ ٢٣٨.

وقوله تعالى:﴿ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١٢].

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الحليم

لاسم الله **الحليم** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمنين، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ محبة الله تعالى؛ لحلمه على عبادة، وعدم استعجاله بإنزال العقوبة على العصاة منهم، وفتح للعصاة من عباده باب التوبة، ودعاهم إلى العودة إليه، فعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله تعالى، إنهم يجعلون له ندا ويجعلون له ولدا وهو مع ذلك يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم**"(١).

ولولم يحلم الله تعالى على العصاة من خلقة وعجل لهم العقوبة في الدنيا، لما بقي أحد منهم، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ [الكهف: ٥٨]، قال تعالى: سبحانه: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: ٦١].

وهذه المحبة لله الحليم جل جلاله ينبغي أن تثمر عند المؤمن المسارعة إلى طاعة الله تعالى، والبعد عن معاصيه، والحذر من عضب الحليم جل جلاله؛ لأنه إذا غضب لا يقف أما غضبه أحد، وقد ذكر الله – تعالى – في كتابه الكريم ما فعله بأعدائه من الكفرة والعصاة عندما تمادوا في كفرهم وطغيانهم

(١) صحيح مسلم، برقم (٢٨٠٤).

بعد أن حلم الله– عز وجل – عنهم وأمهلهم، فلم يتوبوا إليه ولم ويقلعوا عن كفرهم ومعاصيهم، قال تعالى:﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وقال تعالى:﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾ [آل عمران: ١١]، وقال تعالى:﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةًۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِۚ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٧ – ٤٠]، وقال تعالى:﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٩ – ٤٠].

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الحليم أن يحرص المؤمن على أن يتخلق بخلق الحلم؛ لأن الله حليم ويحب من عباده الحلماء، قال الإمام الغزالي:" حظ العبد من اسم الله الحليم ظاهر، فالحلم من محاسن خصال العباد وذلك مستغن عن الشرح والإطناب"(١) .

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٣٤.

والحلم من الأخلاق التي يحبها الله تعالى، فعن ابن عباس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لأشج بن عبد القيس:" **إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة"** [1] ، وفي روية أخرى عند أبي داود:" **إن فيك خلتين يحبهما الله الحلم والأناة، قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما، قال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله** " [2].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" **إن الله يحب الغني الحليم المتعفف ويبغض البذيء الفاجر السائل الملح** "[3] .

وقد أثنى الله تعالى على إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – بالحلم فقال تعالى :﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: ٧٥].

وجعل الله تعالى من صفات إسماعيل – عليه الصلاة والسلام – الحلم، قال تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١]، ووقد كان لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحظ الأوفر من هذا الخلق العظيم وسيرته النبوية العطرة خير شاهد على ذلك.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الحلم الذي يحبه الله تعالى، هو الحلم الناشئ عن المقدرة، أما حلم العاجزين فليس بممدوح، وعلى المؤمن أن لا يتكلف خلق

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم(١/٤٨)، برقم(٢٤).

(٢) سنن أبي داود في الأدب، باب في قبلة الجسد ٤/٣٥٧ (٥٢٢٥)، صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم (٢٦٧٨).

(٣) صحيح الترغيب والترهيب، للألباني ، برقم (٨١٩).

الحلم؛ حتى لا يتحول الحلم إلى ذلة ومهانة، وفي هذا الصدد قال العلامة ابن القيم: " الفرق بين العفو والذل أن العفو إسقاط حقك جودا وكرما وإحسانا مع قدرتك على الانتقام، فتؤثر الترك رغبة في الإحسان ومكارم الأخلاق، بخلاف الذل، فإن صاحبه يترك الانتقام عجزا وخوفا ومهانة نفس، فهذا مذموم غير محمود، ولعل المنتقم بالحق أحسن حالا منه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى: ٣٩]"[١].

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الحليم أن يحرص المؤمن على أن يدعو المؤمنون ربهم باسمه الحليم أو بما يقتضيه، فعن أم عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول – صلى الله عليه وسلم – يقول:" **اللهم عافني في جسدي وعافني في بصري واجعله الوارث مني، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين**" [٢].

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: (كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو عند الكرب:" **لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض رب العرش العظيم**" [٣].

وعن سليمان بن يسار – رضي الله عنه – عن رجل من الأنصار أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" **قال نوح لابنه: إني موصيك بوصية وقاصرها**

---

(١) كتاب الروح، لابن القيم، صـ ٥١٣.

(٢) سنن الترمذي في الدعوات ٥/٥١٨ ، برقم(٣٤٨٠)، وقد ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ٦/٤١٩ ، برقم(٢٩١٧) .

(٣) صحيح البخاري في الدعوات، باب الدعاء ثم الكرب ٥/٢٣٣٦ ، برقم(٥٩٨٥) .

لكي لا تنساها، أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه، وهما يكثران الولوج على الله: أوصيك بلا إله إلا الله، فإن السماوات والأرض لو كانتا حلقة قصمتهما، ولو كانتا في كفة وزنتهما، وأوصيك بسبحان الله وبحمده فإنهما صلاة الخلق، وبهما يرزق الخلق، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا، وأما اللتان أنهاك عنهما، فيحتجب الله منهما وصالح خلقه أنهاك عن الشرك والكبر" [1].

ومن الدعاء المأثور:" يا رب وأي أهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارا سبحانك ما أحلمك وعزتك إنك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكأنك يا ربنا ما تغضب"[2].

---

(1) السنن الكبرى، للنسائي، ٢٠٨/٦ ، برقم(١٠٦٦٧)، صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم(١٥٤٣) .

(2) حلية الأولياء، لابي نعيم (٨/ ١٥١).

١١ ـ التواب جل جلاله

التواب جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" التواب في اللغة من صيغ المبالغة، مثل: ضراب للكثير الضرب، وقتال للكثير القتل، التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع، يقال: تاب من ذنبه أي رجع عنه،

والتوبة الرجوع عن الشيء إلى غيره، وترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر لم أفعل، أو يقول فعلت لأجل كذا أو يقول: فعلت وأسأت وقد أقلعت ولا رابع لذلك وهذا الأخير هو التوبة.

والتائب يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة، فالعبد تائب إلى الله، والله تائب على عبدهقال تعالى: ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ ﴾ [غافر: ٣].

وقد يقول قائل: ماحكم التوبة، وللإجابة عن ذلك قال أهل العلم:" والتوبة لازمة لجميع المذنبين والعاصين صغر الذنب أو كبر، وليس لأحد عذر في ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية لأن المعاصي كلها توعد الله عليها أهلها [١] قد يقول قائل: لماذا جاء اسم الله التواب بصيغة المبالغة، وللإجابة على ذلك قال الزجاجي:" جاء تواب على أبنية المبالغة؛ لقبوله توبة عباده، وتكرير الفعل منهم دفعة بعد دفعة، وواحدا بعد واحد على طول الزمان، وقبوله – عز وجل – ممن

---

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢/٤، والرعاية لحقوق الله، للحارث للمحاسبي، صـ ٦٨ .

يشاء أن يقبل منه فلذلك جاء على أبنية المبالغة، فالعبد يتوب إلى الله – عز وجل – ويقلع عن ذنوبه، والله يتوب عليه أي: يقبل توبته. فالعبد تائب، والله تواب"[1]

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله التواب وردت له عدت تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام الغزالي، حيث قال:" **التواب** هو الذي يرجع إلى تيسير أسباب التوبة لعباده مرة بعد أخرى بما يظهر لهم من آياته ويسوق إليهم من تنبيهاته ويطلعهم عليه من تخويفاته وتحذيراته حتى إذا اطلعوا بتعريفه على غوائل الذنوب استشعروا الخوف بتخويفه فرجعوا إلى التوبة فرجع إليهم فصل الله تعالى بالقبول"[2] .

وقال أبو سليمان الداراني:" **التواب:** هو الذي يتوب على عباده فيقبل توبتهم كلما تكررت التوبة تكرر القبول، ومعنى التوبة عود العبد إلى الطاعة بعد المعصية"[3]

وقال ابن القيم في نونيته:

"وكذلك التواب من أوصافه والتوب في أوصافه نوعان

إذن بتوبة عبده وقبولها بعد المتاب بمنة المنان"[4].

---

(1) اشتقاق الأسماء، للزجاجي، صـ ٦٣.

(2) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٨٨.

(3) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ١٤١.

(4) نونية ابن القيم، ٢/٢٣١، البيتين ٣٣٠٦، ٣٣٠٧.

وقال في موطن آخر:" إن توبة العبد إلى ربه محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها وتوبة منه بعدها فتوبته بين توبتين من الله، سابقة ولاحقة، فإنه تاب عليه أولا إذنا وتوفيقا وإلهاما فتاب العبد فتاب الله عليه ثانيا قبولا وإثابة، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ [التوبة:١١٨]، فأخبر – عز وجل – أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين، فكانت سببا ومقتضيا لتوبتهم فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله عليهم، والحكم ينتف لانتفاء علته، فالعبد تواب والله تواب، فتوبة العبد رجوعه إلى سيده بعد الإباق، وتوبة الله نوعان: إذن وتوفيق وقبول وإمداد [1].

وقال الشيخ السعدي:" **التواب:** هو التائب على التائبين بتوفيقهم للتوبة، والإقبال بقلوبهم إليه، وهو التائب على التائبين بعد توبتهم قبولا لها وعفوا عن خطاياهم"[2].

والتوبة إلى الله تعالى لا يستغني عنها أحد من الخلق حتى أنبياء الله ورسله، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن معنى قوله تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١١٧]، فكيف يتوب الله على النبي وهو معصوم من كبائر الذنوب وصغائرها ؟ فأجاب قائلا:" الأنبياء – صلوات

---

(1) مدارج السالكين١، لابن القيم/ ٣١٢ .
(2) تفسير السعدي ٥/٣٠٠.

الله وسلامه عليهم – معصومون من الإقرار على الذنوب، كبارها وصغارها، وهم بما أخبر الله به عنهم من التوبة يرفع درجاتهم، ويعظم حسناتهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وليست التوبة نقصا، بل هي من أفضل الكمالات، وهي واجبة على جميع الخلق كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢، ٧٣]، فغاية كل مؤمن هي التوبة، ثم التوبة تتنوع كما يقال: حسنات الأبرار سيئات المقربين"(١) .

ثالثاً: ورده في القرآن والسنة

اسم الله التواب ورد في القرآن الكريم في احدى عشر موضعا، ومن هذه المواضع قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩ – ١٦٢]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" لقد كان أهل الكتاب يعرفون مدى ما في رسالة محمد – صلى

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٥١/١٥.

الله عليه وسلم – من حق ، ومدى ما في الأوامر التي يبلغها من صدق، ومع هذا يكتمون هذا الذي بينه الله لهم في الكتاب.

فهم وأمثالهم في أي زمان، ممن يكتمون الحق الذي أنزله الله، لسبب من أسباب الكتمان الكثيرة، ممن يراهم الناس في شتى الأزمنة وشتى الأمكنة، يسكتون عن الحق وهم يعرفونه، ويكتمون الأقوال التي تقرره وهم على يقين منها، ويجتنبون آيات في كتاب الله لا يبرزونها بل يسكتون عنها ويخفونها لينحوا الحقيقة التي تحملها هذه الآيات ويخفوها بعيداً عن سمع الناس وحسهم ، لغرض من أغراض هذه الدنيا . . الأمر الذي نشهده في مواقف كثيرة ، وبصدد حقائق من حقائق هذا الدين كثيرة أُوْلَـٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ

كأنما تحولوا إلى ملعنة ، ينصب عليها اللعن من كل مصدر ، ويتوجه إليها – بعد الله – من كل لاعن.

واللعن: الطرد في غضب وزجر، وأولئك الخلق يلعنهم الله فيطردهم من رحمته، ويطاردهم اللاعنون من كل صوب، فهم هكذا مطاردون من الله ومن عباده في كل مكان .

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ هؤلاء يفتح القرآن لهم هذه النافذة المضيئة – نافذة التوبة – يفتحها فتتسم نسمة الأمل في الصدور، وتقود القلوب إلى مصدر النور، فلا تيئس من رحمة الله ، ولا تقنط من عفوه . فمن شاء فليرجع إلى الحمى الآمن ، صادق النية .

وآية صدق التوبة الإصلاح في العمل، والتبيين في القول، وإعلان الحق والاعتراف به والعمل بمقتضاه . ثم ليثق برحمة الله وقبوله للتوبة ، وهو يقول : { وأنا التواب الرحيم } وهو أصدق القائلين .

فأما الذين يصرون ولا يتوبون حتى تفلت الفرصة وتنتهي المهلة ، فأولئك ملاقون ما أوعد الله من قبل به ، بزيادة وتفصيل وتوكيد : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ ؛ ذلك أنهم أغلقوا على أنفسهم ذلك الباب المفتوح ، وتركوا الفرصة تفلت ، والمهلة تنقضي ، وأصروا على الكتمان والكفر والضلال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ فهي لعنة مطبقة لا ملجأ منها ولا صدر حنون!

ولم يذكر السياق لهم عذاباً آخر غير هذه اللعنة المطبقة؛ بل عدها عذاباً لا يخفف عنهم ، ولا يؤجل موعده ولا يمهلون فيه ، وإنه لعذاب دونه كل عذاب، عذاب المطاردة والنبذ والجفوة . فلا يتلقاهم صدر فيه حنان ، ولا عين فيها قبول ، ولا لسان فيه تحية . إنهم ملعونون مطرودون منبوذون من العباد ومن رب العباد في الأرض وفي الملأ الأعلى على السواء وهذا هو العذاب الأليم المهين"[١].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله التواب قوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧]، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره عند هذه الآية:" نزل آدم وحواء إلى الأرض ليمارسا مهمتهما في الكون،

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ١/ ١٢٠.

وقبل أن يبدآ هذه المهمة، جعلهما الله سبحانه وتعالى يمران بتجربة عملية بالنسبة لتطبيق المنهج وبالنسبة لإغواء الشيطان، وحذرهما بأن الشيطان عدو لهما، كان لابد بعد أن وقعت المعصية أن يشرع الله تعالى التوبة رحمة بعباده، ذلك أن تشريع التوبة ليس رحمة بالعاصي وحده، ولكنه رحمة بالمجتمع كله.

فالإنسان إذا عصى وعرف أنه لا توبة له وأنه محكوم عليه بالخلود في النار، يتمادى في إجرامه؛ لأنه مادام لا أمل له في النجاة من عذاب الآخرة، فإنه يتمادى في المعصية؛ لأنه لا أمل في الغفران أو التوبة.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾، كلمة تواب تدل على أن الله تعالى لا يأخذ عباده بذنب واحد؛ لأنه سبحانه وتعالى حتى لو تاب عن ذنب واحد لكل عبد من عباده كان توابا، والمبالغة في الصفة تأتي من ناحيتين.

أولا: أن الأمر يتكرر عدة مرات من عدد قليل من الأشخاص، أو من شخص واحد، أو أن الأمر يقع مرة واحدة ولكن من أشخاص كثيرين.

فالله سبحانه وتعالى تواب؛ لأن خلقه كثيرون، فلو اخطأ كل واحد منهم مرة، يكون عدد ذنوبهم التي سيتوب الله عليها كمية هائلة، فإذا وجد من يذنب عدة مرات في اليوم، فإن الله تعالى يكون توابا عنه أيضا إذا تاب واتجه إليه.

إذن مرة تأتي المبالغة، في الحدث وإن كان الذي يقوم به شخص واحد، ومرة تأتي المبالغة في الحدث لأن من يقوم به أفراد متعددون.

إذن فآدم أذنب ذنبا واحدا، يقتضي أن يكون الله تائبا، ولكن ذرية آدم من بعده سيكونون خلقا كثيرا، فتأتي المبالغة من ناحية العدد.

والحق سبحانه وتعالى، تواب برحمته؛ لأن هناك من يعفو ويظل يمن عليك بالعفو، حتى أن المعفو عنه يقول: ليتك عاقبتني ولم تمن علي بالعفو كل ساعة، لكن الحق سبحانه وتعال تواب رحيم يتوب على العبد، ويرحمه فيمحو عنه ذنوبه"(١) .

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله التواب قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [النساء: ٦٤]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أخبر الله تعالى في هذه الآية عن كرمه العظيم وجوده، ودعوته لمن اقترفوا السيئات أن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها، ﴿ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلْمَهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك؛ لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك"(٢).

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله التواب قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾[التوبة:

(١) تفسير الشعراوي، صـ ١٤٤، باختصار.

(٢) تفسير السعدي، صـ ١٨٤.

١٠٤] قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:"في هذه الآية هذا خبرٌ من الله تعالى ذكره، أخبر به المؤمنين به: أن قبول توبة من تاب من المنافقين، وأخذ الصدقة من أموالهم إذا أعطوها، ليسا إلى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأن نبيَّ الله حين أبى أن يطلق من ربط نفسه بالسواري من المتخلفين عن الغزو معه، وحين ترك قبول صدقتهم بعد أن أطلق الله عنهم حين أذن له في ذلك، إنما فعل ذلك من أجل أن ذلك لم يكن إليه صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك إلى الله تعالى ذكره دون محمد، وأن محمدًا إنما يفعل ما يفعل من تركٍ وإطلا قٍ وأخذِ صدقةٍ وغير ذلك من أفعاله بأمر الله.

وأن الله هو الذي يقبل توبة من تاب من عباده أو يردُّها، ويأخذ صدقة من تصدَّق منهم أو يردُّها عليه دون محمد، فيوجِّهوا توبتهم وصدقتهم إلى الله، ويقصدوا بذلك قصدَ وجهه دون محمد وغيره، ويخلصوا التوبة له، ويريدوه بصدقتهم، ويعلموا أن الله هو التواب الرحيم؟ يقول: المراجع لعبيده إلى العفو عنه إذا رجعوا إلى طاعته، الرحيم بهم إذا هم أنابوا إلى رضاه من عقابه"[1].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله التواب قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ١٠]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" قال الزجاج: المعنى: ولولا فضل الله لنال الكاذب منهما عذاب عظيم، ثم بين سبحانه كثير توبته على من تاب، وعظيم حكمته البالغة فقال ﴿ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ أي : يعود على من تاب إليه، ورجع عن معاصيه

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٤٥٨، باختصار

بالتوبة عليه، والمغفرة له، حكيم فيما شرع لعباده من اللعان، وفرض عليهم من الحدود" (١) .

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله التواب قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٥٤]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" هذه صفَةُ توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل، قال ابن عباس رضي الله عنه : إن توبة عباد العجل أن يقتل كل واحد منهم كل من لقي من ولد أو والد فيقتله بالسيف، ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن. فتاب أولئك الذين كانوا خفي على موسى وهارون ما اطلع الله من ذنوبهم، فاعترفوا بها، وفعلوا ما أمروا به فغفر الله تعالى للقاتل والمقتول.

وفي قوله هاهنا: ﴿ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ تنبيه على عظم جرمهم، أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه العجل "(٢) .

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله التواب قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ البقرة: ١٢٨]، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآية:" أي: ربنا واجعلنا مخلصين لك في الاعتقاد بألا نتوجه بقلبنا إلا إليك، ولا نستعين بأحد

---

(١) تفسير الشوكاني ٥/ ١٩١

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٢٦١، باختصار تصرف.

إلا بك، وفي العمل بألا نقصد بعملنا إلا مرضاتك لا اتباع الهوى ولا إرضاء الشهوة.

واجعل من ذريتنا جماعة مخلصة لك، ليستمر الإسلام لك بقوة الأمة وتعاون الجماعة، وقد أجاب الله دعاءهما وجعل في ذريتهما الأمة الإسلامية وبعث فيها خاتم النبيين.

﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾، أي عرّفنا مواضع نسكنا أي أفعال الحج، كالمواقيت التي يكون منها الإحرام، وموضع الوقوف بعرفة، وموضع الطواف إلى نحو ذلك من أفعاله وأقواله.

﴿ وَتُبْ عَلَيْنَآ ﴾ أي ووفقنا للتوبة، لنتوب ويرجع إليك من كل عمل يشغلنا عنك، وهذا منهما إرشاد لذريتهم، وتعليم منهما لهم بأن البيت وما يتبعه من المناسك والمواقف أمكنة للتخلص من الذنوب وطلب الرحمة من الله، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي إنك أنت وحدك كثير التوبة على عبادك بتوفيقهم لحسن العمل وقبول ذلك منهم، الرّحيم بالتائبين المنجّى لهم من عذابك وسخطك"[1].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله التواب قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾]

(1) تفسير المراغي (١/ ٢١٦)

التوبة: ١١٨]،قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية تفسير لهذه الآية:" وفي معنى «خلفوا» قولان:

أحدهما: خلفوا عن التوبة، قاله ابن عباس، ومجاهد، فيكون المعنى: خلفوا عن توبة الله على أبي لبابة وأصحابه إذ لم يخضعوا كما خضع أولئك .

والثاني: خلفوا عن غزوة تبوك، قاله قتادة، وحديثهم مندرج في حديث توبة كعب بن مالك لطويل الذي هو في صحيح مسلم.

قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾ أي: ضاقت مع سعتها، وذلك أن المسلمين منعوا من معاملتهم وكلامهم، وأمروا باعتزال أزواجهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم معرضا عنهم . ﴿ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ ﴾ بالهم والغم . وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ أي : أيقنوا أن لا معتصم من الله ومن عذابه إلا هو ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ قال ابن عباس : ليستقيموا وقال غيره : وفقهم للتوبة ليدوموا عليها ولا يرجعوا إلى ما يبطلها.

وسئل بعضهم عن التوبة النصوح ، فقال: أن تضيق على التائب الارض، وتضيق عليه نفسه، كتوبة كعب وصاحبيه" (١).

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله التواب قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٦]قال الشيخ الطنطاوي في تفسيره عند هذه الآية:"أى: واللذان يأتيان

(١) ابن الجوزي ٣/ ٢٤١.

فاحشة الزنا من رجالكم ونسائكم فآذوهما بالشتم والتوبيخ والزجر الشديد ليندما على ما فعلا، وليرتدع سواهما بهما.

ثم بين- سبحانه- الحكم فيما إذا أقلع الزاني والزانية عن جريمتهما فقال: ﴿ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ ﴾ أى: فإن تابا عما فعلا من الفاحشة، وأصلحا أعمالهما فَأَعْرِضُوا عَنْهُما أى فاصفحوا عنهما وكفوا عن أذاهما، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا ﴾ إِنَّ اللَّهَ كانَ تَوَّاباً أى مبالغا في قبول التوبة ممن تاب توبة صادقة نصوحا ﴿ رَّحِيمًا ﴾ أى واسع الرحمة بعباده الذين لا يصرون على معصية بل يتوبون إليه منها توبة صادقة"[1].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله التواب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾ [الحجرات: ١٢]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: اتقوا الله أيها الناس، فخافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه من ظنّ أحدكم بأخيه المؤمن ظنّ السوء، وتتبع عوراته، والتجسس عما ستر عنه من أمره، واغتيابه بما يكرهه، تريدون به شينه وعيبه، وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ أي: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه"[2].

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٣/ ٨٢)، باختصار.

(٢) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٠٨، باختصار.

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله التواب قوله تعالى:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ النصر: ٣]، قال الألوسي في تفسيره لهذه الآية:" أي فنزهه تعالى بكل ذكر يدل على التنزيه حامداً له جل وعلا زيادة في عبادته والثناء عليه سبحانه لزيادة انعامه سبحانه عليك فالتسبيح التنزيه لا التلفظ بكلمة سبحان الله.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴾ أي منذ خلق المكلفين أي مبالغاً في قول توبتهم فليكن المستغفر التائب متوقعاً للقبول

واختيار توابا على غفاراً؛ للتنبيه على أن الاستغفار إنما ينفع إذا كان مع التوبة.

وقال بعض الأفاضل إن في الآية احتباكاً والأصل واستغفره إنه كان غفاراً وتب إليه إنه كان تواباً"[١] .

وقد ورا اسم الله التواب في السنة النبوية، فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – أنه قال: " كان يعد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: "**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور** " [٢]

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله التواب

لاسم الله **التواب** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

---

(١) تفسير الألوسي ٢٣/ ١٦٦.

(٢) سنن الترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من المجلس ٥/٤٩٤ ، برقم(٣٤٣٤)، وانظر صحيح ابن ماجة ٢/٣٢١ ، برقم(٣٠٧٥) .

١ـ فمن هذه الآثار الإيمانية محبة العبد المؤمن لربه التواب جل جلاله؛ لأنه فتح لعباده باب التوبة، وقبل التائبين من عبادة، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشوري: ٢٥].

ونحب الله التواب؛ لأنه يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه واقلع عن ذنوبه ومعاصيه، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح**"[١].

ونحب الله التواب؛ لأنه متى ما تاب إلى الله توبة صادقة نصوحة تاب الله عليه وغفر له ذنوبه، فعن أنس – رضي الله عنه – قال: " **سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: قال الله: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة** " [٢] .

ومن فضل الله تعالى على عبده التائب أن يبدل سيئاته إلى حسنات، كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ

(١) صحيح مسلم، برقم(٤٩٣٢).
(٢) صحيح الترمذي، برقم(٢٨٠٥).

حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١ ﴾[الفرقان: ٧٠ – ٧١].

وهذه المحبة لله التواب ينبغي أن تثمر عند العبد حياءه من الله تعالى ومسارعته إلى طاعته الله التواب جل جلاله وترك معاصيه قدر الجهد والاستطاعة.

٢ـ ومن الآثار الإيمان لاسم الله التواب أن يتوب العبد إلى الله تعالى متى ما أذنب ووقع في الخطأ والزلل الذي لا يسلم منه أحد، فعن أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " **كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون** " [1] .

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ما من عبد مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة أو ذنب هو مقيم عليه لا يفارقه حتى يفارق الدنيا، إن المؤمن خلق مفتنا توابا نسيا، إذا ذكر ذكر**" [2].

ومما يجعله يقبل على التوبة إلى الله تعالى أن يعلم أن الله تعالى جعل باب التوبة مفتوح لعبادة وأنه لا يغلق إلا عند الموت، فعن موسى – رضي الله عنه – مرفوعا: " **إن الله – عز وجل – يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** " [3].

---

(1) سنن الترمذي في صفة القيامة ٤/٦٥٩، برقم (٢٤٩٩)، مشكاة المصابيح، برقم (٢٣٤١) .
(2) الطبراني في المعجم الكبير ١١/٣٠٤ (١١٨١٠)، صحيح الجامع، برقم (٥٧٣٥) .
(3) صحيح مسلم في التوبة، باب قبول التوبة ٤/٢١١٣ (٢٧٥٩) .

وعن ابن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** "(١).

وليعلم العبد المؤمن يحتاج إلى التوبة في جميع مراحل عمره وحياته، ولا غنى له عنها مطلقاً، قال العلامة ابن القيم:" "ومنزل "التوبة" أول المنازل، وأوسطها، وآخرها؛ فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات. وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به. فالتوبة هي بداية العبد ونهايته. وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أن حاجته إليها في البداية كذلك. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ١٣] وهذه الآية في سورة مدنية، خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه، وأتى بأداة "لعل" المشعرة بالترجي، إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون. جعلنا الله منهم.

قال تعالى:﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١] قسم العباد إلى تائب وظالم، وما ثم قسم ثالث البتة. وأوقع اسم "الظالم" على من لم يتب. ولا أظلم منه، لجهله بربه وبحقه، وبعيب نفسه وآفات أعماله. وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فو الله إني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**" (٢).

(١) سنن الترمذي في الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار ٥/٥٤٧ (٣٥٣٧)، صحيح الجامع (٤٣٣٨).

(٢) صحيح البخاري ،برقم (٦٣٠٧).

وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم: "**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة**" [1]، وما صلى صلاة قط بعد إذ أنزلت عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾[النصر: ١ – ٣] إلا قال فيها: "**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك. اللهم اغفر لي**" [2].

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**لن ينجي أحدا منكم عمله**". قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**" [3].

وعلى المؤمن إذا تاب إلى الله تعالى أن يتحقق بشروط التوبة الصادقة؛ حتى ينتفع بتوبته، وقد ذكر الراغب الأصفهاني بعض هذه الشروط حيث قال:" التوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربعة فقد كمل شرائط التوبة"[4] .

وأضاف أهل العلم إلى هذه الشروط الأربعة شرطا خامسا وهو ما يتعلق بحقوق الخلق، والتوبة من ذلك بأن يتحلل التائب من أصحاب الحقوق ويعيد حقوقهم إليهم.

---

(1) صحيح مسلم، برقم (٢٧٠٢)، وأبو داود ، برقم(١٢٩٤).
(2) صحيح البخاري، برقم (٧٩٤)، صحيح مسلم، برقم (٤٨٤).
(3)صحيح البخاري، برقم (٦٤٦٣)، صحيح مسلم، برقم (٢٨١٦).
(4) المفردات، للراغب الأصفهاني، صـ ٧٦.

وعلى المؤمن التائب أن يأخذ حضه من اسم الله التواب، فيتجاوز عمن أساء في حقه أو أساء إليه، قال الإمام الغزالي:" من قبل معاذير المجرمين من رعاياه وأصدقائه ومعارفه مرة بعد أخرى فقد تخلق بهذا الخلق وأخذ منه نصيبا"[1] .

٣ـ ومن الآثار الإيمان لاسم الله التواب أن يدعو المؤمنون ربهم باسمه التواب أو بما يقتضيه هذا الاسم، ومما ورد في ذلك قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٨].

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الضحى ثم قال:" **اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، حتى قالها مائة مرة** "[2].

وعن ابن عمر – رضي الله عنه – مرفوعا قال: " كنا لنعد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المجلس الواحد مائة مرة:" **رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم** "[3].

وعن عبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دعا ربه قائلاً:" **اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا واهدنا سبل**

---

(١) المقصد الأسنى ، للغزالي، صـ ١٨٨.

(٢) سنن النسائي ٣٢/٦ (٩٩٣٥)، وانظر الأدب المفرد ٢١٧/١ (٦١٩) .

(٣) سنن أبي داود في الصلاة، باب في الاستغفار ٨٥/٢ (١٥١٦)، السلسلة الصحيحة، برقم (٢٦٠٣) .

السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها قابليها وأتمها علينا)[1] .

وعن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء** " [2].

([1]) سنن أبي داود في الصلاة، باب التشهد ١/٢٥٤ (٩٦٩)، تمام المنة، للألباني، صـ٢٢٥.

([2]) سنن الترمذي في الطهارة، باب فيما يقال بعد الوضوء ١/٧٨ (٥٥)، صحيح الجامع، برقم (٦١٦٧) .

١٢- الرؤوف جل جلاله

الرؤوف من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" الرؤوف: الراحم، والرأفة: الرحمة، وهو متعلق بالمفعول، وهو على وزن فعول، وما كان على هذا الوزن كان بغير هاء، مذكراً كان أو مؤنثا، كقولك: رجل شكور ، وامرأة شكور.

وقيل: إن الرأفة: أشد الرحمة، يقال: رؤفت بالرجل أرؤف به رأفة ورآفة، ورأفت به أرأف، ورئفت به رأفا،أي رحمته، وكل من كلام العرب، فهو رؤوف على فعول"[١].

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله الرؤوف وردت له عدة تعريفات اصطلاحية، ومن هذه التعريفات ما ذكره الإمام الغزالي، حيث قال:" الرؤوف ذو الرأفة، والرأفة شدة الرحمة، فهو بمعنى الرحيم مع المبالغة فيه"[٢] .

وقال الإمام البيهقي:" **الرؤوف:** هو الرحيم، والرأفة شدة الرحمة ، ورحمة الله إرادته إنعام من شاء من عباده ، فيرجع معناه إلى صفة الإرادة، ثم قد تسمى تلك النعمة رحمة"[٣].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٥٣٥/٣، الصحاح في اللغة، للجوهري، ١٣٦٢/٤، اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ٨٦

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٨٩.

(٣) الاعتقاد، للبيهقي، صـ ٢١.

وقال في موطن آخر:" **الرؤوف:** وهو المريد للتخفيف عن العباد"[1].

وقال الخطابي:" **الرؤوف:** هو الرحيم العاطف برأفته على عباده، وقال بعضهم: الرأفة أبلغ الرحمة وأرقها، ويقال: إن الرأفة أخص والرحمة أعم، وقد تكون الرحمة في الكراهة للمصلحة، ولا تكاد الرأفة تكون في الكراهة فهذا موضع الفرق بينهما"[2].

وقد يقول قائل ما لفرق بين الرأفة والرحمة؟، وللإجابة عن هذا التساؤل قال الإمام الزجاج:" إن الرأفة والرحمة واحد، وقد فرقوا بينهما أيضا، وذلك أن الرأفة هي المنزلة الثانية، يقال: فلان رحيم، فإذا اشتدت رحمته، فهو رؤوف"[3] .

وقال الإمام القرطبي "إن الرأفة نعمة ملذة من جميع الوجوه، والرحمة قد تكون مؤلمة في الحال ويكون عقباها لذة، ولذا قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾ [النور: ٢]، ولم يقل: رحمة، فإن ضرب العصاة على عصيانهم رحمة لهم لا رأفة؛ فإن صفة الرأفة إذا انسدلت على مخلوق لم يلحقه مكروه.

فلذلك تقول لمن أصابه بلاء في الدنيا، وفي ضمنه خير في الأخرى: إن الله قد رحمه بهذا البلاء، وتقول لمن أصابه عافية في الدنيا، في ضمنها خير في الأخرى واتصلت له العافية أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا: إن الله قد رأف به ".

---

(1) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٣٠٢.

(2) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٩١.

(3) تفسير الأسماء، للزجاج، صـ ٦٢، وانظر اشتقاق الأسماء، للزجاجي، صـ ٨٦.

وعلى هذا الرأفة أعم من الرحمة، فمتى أراد الله بعبد رحمة أنعم عليه بها، إلا أنها قد تكون عقيب بلاء، وقد لا تكون، والرأفة بخلاف ذلك"[1].

ثالثاً: وروده في القرآن

اسم الله الرؤوف ورد في القرآن الكريم في عشرة موضع، وهذه الموضع هي قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[النحل: ٤٥ – ٤٦]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" هذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم بالعذاب على غرَّة وهم لا يشعرون، إما أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإما في حال تقلُّبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب ببالهم، وإما في حال تخوفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده .

ولكنه رءوف رحيم لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يمهلهم ويعافيهم ويرزقهم وهم يؤذونه ويؤذون أولياءه.

ومع هذا يفتح لهم أبواب التوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السيئات التي تضرهم، ويعدهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذنوب.

فليستح المجرم من ربه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللحظات صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أن الله يمهل ولا يهمل وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أخذ عزيز مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه فإنه

([1]) النهج الأسمى في شرح أسمائه الحسنى. لمحمد حمود النجدي ٢/٢١٦.

رءوف رحيم. فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة وبره العميم وسلوك الطرق الموصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه والعمل بما يحبه ويرضاه"[١].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله اسم الله الرؤوف قوله وتعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، هذه الآية نزلت في أعقاب تحول القبلة من بيت المقدس إلى مكة، فخاف الصحابة من أن الله لن يقبل صلاتهم السابقة التي صلوها، فأنزل الله هذه الآية والتي فيها بيان أن من رأفة الله بعباده أنه لن يضيع صلاتهم السابقة، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" إن الصحابة كانوا مشفقين من حُبُوط ثواب صلاتهم التي صلوها إلى بيت المقدس قبل التحويل إلى الكعبة، وظنّوا أنّ عملهم ذلك قد بطلَ وذهب ضياعًا؟ فأنزل الله جل ثناؤه هذه الآية حينئذ، فوجّه الخطاب بها إلى الأحياء ودخل فيهم الموتى منهم. لأن من شأن العرب -إذا اجتمع في الخبر المخاطبُ والغائبُ- أن يغلبوا المخاطب فيدخل الغائب في الخطاب.

فأخبر الله جل ثناؤه أنه لم يكن يُبطل عَمل عاملٍ عمل له عملا وهو له طاعة، فلا يُثيبه عليه، وإن نُسخ ذلك الفرضُ بعد عمل العامل إياه على ما كلفه من عمله.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ وإنما أراد جل ثناؤه بذلك أنّ الله عز وجل أرْحمُ بعباده منْ أن يُضيع لهم طاعةً أطاعوه بها فلا يثيبهم عليها، وأرأفُ بهم من أن يُؤاخذهم بترك ما لم يفرضه عليهم -أيْ ولا تأسوا عَلى مَوْتاكم الذين

---

(١) تفسير السعدي صـ ٤٤١.

ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس-، فإني لهم على طاعتهم إياي بصَلاتهم التي صلوها كذلك مثيبٌ، لأني أرحم بهم من أن أضيع لهم عملا عملوه لي؛ ولا تحزنوا عليهم، فإني غيرُ مؤاخذهم بتركهم الصلاة إلى الكعبة، لأني لم أكن فرضت ذلك عليهم، وأنا أرأف بخلقي من أن أعاقبهم على تركهم ما لم آمرهم بعمله"(١).

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله الرؤوف قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٣٠]، قال سيد قد في ظلاله عند هذه الآية:" وهي مواجهة تأخذ المسالك على القلب البشري، وتحاصره برصيده من الخير والسوء، وتصور له نفسه وهو يواجه هذا الرصيد، ويود لو أن بينه وبين السوء الذي عمله أمداً بعيداً، أو أن بينه وبين هذا اليوم كله أمداً بعيداً، بينما هو في مواجهته، آخذ بخناقه، ولات حين خلاص ، ولات حين فرار.

﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ ومن رأفته هذا التحذير وهذا التذكير، وهو دليل على إرادته الخير والرحمة بالعباد.

وتنثي هذه الحملة الضخمة المنوعة الإيماءات والإيحاءات والأساليب والإشارات، بما كان واقعاً في حياة الجماعة المسلمة من خطورة تميع العلاقات بين أفراد من المعسكر المسلم وأقربائهم وأصدقائهم وعملائهم في مكة مع

(١) تفسير الطبري (٣/ ١٧١)، باختصار وتصرف.

المشركين وفي المدينة مع اليهود . تحت دوافع القرابة أو التجارة . . على حين يريد الإسلام أن يقيم أساس المجتمع المسلم الجديد على قاعدة العقيدة وحدها، وعلى قاعدة المنهج المنبثق من هذه العقيدة، الأمر الذي لا يسمح الإسلام فيه بالتميع والأرجحة إطلاقاً.

كذلك يشي بحاجة القلب البشري في كل حين إلى الجهد الناصب للتخلص من هذه الأوهاق، والتحرر من تلك القيود ، والفرار إلى الله والارتباط بمنهجه دون سواه .

والإسلام لا يمنع أن يعامل المسلم بالحسنى من لا يحاربه في دينه، ولو كان على غير دينه، ولكن الولاء شيء آخر غير المعاملة بالحسنى، الولاء ارتباط وتناصر وتواد،وهذا لا يكون – في قلب يؤمن بالله حقاً – إلا للمؤمنين الذين يرتبطون معه في الله؛ ويخضعون معه لمنهجه في الحياة؛ ويتحاكمون إلى كتابه في طاعة واتباع واستسلام"(١).

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله الرؤوف قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٠] ،قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه اية:" يقول تعالى ذكره: ولولا أن تفضّل الله عليكم أيها الناس ورحمكم، وأن الله ذو رأفة، ذو رحمة بخلقه لهلكتم فيما أفضتم فيه من أمور الإفك، ولعاجلتكم من الله العقوبة.

---

(١) تفسير سيد قطب في ظلال القرآن ١/ ٣٥٧، باختصار.

وترك ذكر الجواب لمعرفة السامع، والمراد من الكلام بعده، وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور: ٢١] "[١].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله اسم الله الرؤوف قوله تعالى: ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾[النحل: ٧]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" يمتن تعالى على عباده بما خلق لهم من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، كما فصلها في سورة الأنعام إلى ثمانية أزواج، وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع، من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويفترشون، ومن ألبانها يشربون، ويأكلون من أولادها، وما لهم فيها من الجمال وهو الزينة؛ ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ ﴾ وهي الأحمال المثقلة التي تعجزون عن نقلها وحملها، ﴿ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ ﴾ وذلك في الحج والعمرة والغزو والتجارة، وما جرى مجرى ذلك، تستعملونها في أنواع الاستعمال، من ركوب وتحميل، ثم قال بعد تعداد هذه النعم: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: ربكم الذي قيض لكم هذه الأنعام وسخرها لكم، رؤوف رحيم بكم"[٢].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ١٣٤).

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٥٧ ، بتصرف واختصار يسير،

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله اسم الله الرؤوف قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد: ٩]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" أي: الله هو الذي نزل على نبيه حججًا واضحات، ودلائل باهرات، وبراهين قاطعات، ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ أي: من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين والإيمان،﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس، وإزاحة العلل وإزالة الشبه"(١) .

والمتأمل في كتال الله تعالى يجد أن اسم الله الرؤوف اقترن باسمه الرحيم في ثمان آيات من الآيات التي جاء فيها ذكر اسم الله الرؤوف، وعن السر في هذا الاقتران قال الإمام ابن القيم: "وأقرب الخلق إلى الله تعالى أعظمهم رأفة ورحمة كما أن أبعدهم منه: من اتصف بضد صفاته"(٢) .

رابعاً: لآثار الإيمانية لاسم الله الرؤوف

لاسم الله الرؤوف آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، وهذه الآثار سوف نتناولها على النحو الآتي:

١ـ من الآثار الإيمانية لاسم الله الرؤوف أن يحب العباد ربهم الرؤوف الرحيم؛ لأنه أنعم عليهم بنعم كثيرة لاتعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ

---

(١) تفسير ابن كثير ٨/ ١١،

(٢) الروح، لابن القم، صـ ٥٥٧.

ﭐللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[الحج:]٦٥، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" هذه نعمة ذكرها الله سبحانه، فأخبر عباده بأنه سخر لهم ما يحتاجون إليه من الدواب والشجر والأنهار وجعلها لمنافعهم ﴿ وَٱلۡفُلۡكَ ﴾، أي وسخر لكم الفلك في حال جريها في البحر، ومعنى ﴿ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ ﴾ أي بتقديره، ﴿ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي كراهة أن تقع ، وذلك بأنه خلقها على صفة مستلزمة للإمساك، ﴿ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓ ﴾ أي بإرادته ومشيئته، وذلك يوم القيامة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ أي : كثير الرأفة والرحمة؛ حيث سخر هذه الأمور لعباده وهيأ لهم أسباب المعاش، وأمسك السماء أن تقع على الأرض فتهلكهم تفضلاً منه على عباده وإنعاماً عليهم"[1] .

ومن رأفته سبحانه وتعالى بعباده أن سخر لهم وسائل النقل المختلفة، كالجمال والخيول والبغال والحمير والسيارات والطائرات والسفن، قال تعالى: ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ ﴾ [النحل: ٥ – ٨].

---

(1) تفسير الشوكاني ٥/ ١٣٤، باختصار.

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الرؤوف أن يسارع المؤمن إلى التوبة إلى ربه الرؤوف الرحيم الذي فتح له باب التوبة لعباده، قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة: ١١٧]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" يخبر تعالى أنه من لطفه وإحسانه تَابَ عَلَى النَّبِيِّ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ فغفر لهم الزلات، ووفر لهم الحسنات، ورقاهم إلى أعلى الدرجات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقات، ولهذا قال: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ أي: خرجوا معه لقتال الأعداء في وقعة "تبوك" وكانت في حر شديد، وضيق من الزاد والركوب، وكثرة عدو، مما يدعو إلى التخلف.

فاستعانوا اللّه تعالى، وقاموا بذلك ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي: تنقلب قلوبهم، ويميلوا إلى الدعة والسكون، ولكن اللّه ثبتهم وأيدهم وقواهم. وزَيْغُ القلب هو انحرافه عن الصراط المستقيم، فإن كان الانحراف في أصل الدين، كان كفرا، وإن كان في شرائعه، كان بحسب تلك الشريعة، التي زاغ عنها، إما قصر عن فعلها، أو فعلها على غير الوجه الشرعي.

وقوله ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: قبل توبتهم ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ومن رأفته ورحمته أن مَنَّ عليهم بالتوبة، وقبلها منهم وثبتهم عليها"(١).

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الرؤوف أن يدعو المؤمن ربه باسمه الرؤوف، فيسأله ويدعوه أن يرأف به وأن يرحمه، وأن يدعوه أن يغفر لمن سبقه من أهل الإيمان من الصحابة والصالحين من هذه الأمة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر: ١٠]، قال الشيخ المراغي في تفسيره :" قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾فيه دليل على الدعاء للصحابة رضي الله عنهم أجمعين ووجوب محبتهم؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظا فى الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والدعاء والاستغفار لهم، ومن أبغضهم أو أبغض واحدا منهم أو اعتقد فيهم شرا فلا حق له فى الفيء.

ومعنى قوله تعالى:﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي ويدعون الله ألا يجعل فى قلوبهم حسدا وحقدا للمؤمنين جميعا، وفى الآية إيماء إلى وجوب محبة من تقدمهم من المؤمنين ومراعاة حقوقهم لإخوّتهم فى الدين والسبق بالإيمان.

---

(١) تفسير السعدي صـ ٣٥٤.

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي ربنا إنك عظيم الرأفة بعبادك، كثير الرحمة لهم، فأجب دعاءنا، وفي الآية حثّ على الدعاء للصحابة، وصفاء القلوب من بغض أحد منهم.

وعن ابن عمر أنه سمع رجلا وهو يتناول بعض المهاجرين فقرأ عليه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الحشر: ٨]، ثم قال: هؤلاء المهاجرون، أفمنهم أنت؟ قال لا، ثم قرأ عليه ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩] ، ثم قال هؤلاء الأنصار فأنت منهم؟

قال لا، ثم قرأ عليه: «﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[الحشر: ١٠]، ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال أرجو، قال: ليس من هؤلاء من سبّ هؤلاء"[1].

---

(1) تفسير المراغي (٢٨/ ٤٥)، باختصار.

١٣ـ الحق جل جلاله

الحق جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط الآتية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" الحق في اللغة اسم فاعل، فعله حق يحق حقا، يقال: حققت الشيء أحقه حقا إذا تيقنت كونه ووجوده ومطابقته للحقيقة.

والحق: نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق؛ وحق الأمر يحق حقوقا: صار حقا وثبت، وحق الأمر يحقه وأحقه: كان منه على يقين[١].

والحق بمعنى المطابقة والموافقة والثبات وعدم الزوال، وكذلك بمعنى العدل خلاف الباطل والظلم، والحق يقال للاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه في الحقيقة، كقولك: اعتقد أن البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق [٢].

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله **الحق** وردت له عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومنها ما ذكره الحليمي حيث قال:" **الحق**: ما لا يسع إنكاره، ويلزم إثباته والاعتراف به، ووجود الباري عز ذكره أولى ما يجب الاعتراف به، يعني عند ورود أمره بالاعتراف به ولا يسع جحوده، إذ لا مثبت يتظاهر عليه من الدلائل البينة الباهرة ما تظاهرت على وجود الباري جل ثناؤه"[٣]

---

(٢) لسان العرب ١٠/٤٩، لابن منظور، واشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، صـ ١٧٨، والمفردات، للراغب الأصفهاني، صـ ٢٤٦.

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ٢٥.

وقال الخطابي: "**الحق**: هو المتحقق كونه ووجوده، وكل شيء صح وجوده وكونه، فهو حق، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ ﴾ [الحاقة: ١، ٢]. معناه: -والله أعلم - الكائنة حقا لا شك في كونها ولا مدفع لوقوعها، ويقال: الجنة حق، والنار حق، والساعة حق. يراد أن هذه الأشياء كائنة لا محالة"(١)

وقال البيهقي:" الحق : هو الموجود حقا، وهذه صفة يستحقها بذاته"(٢)

وقال الإمام الغزالي:" **الحق** هو في مقابلة الباطل والأشياء قد تستبان بأضدادها، وأحق الموجودات بأن يكون حقا هو الله تعالى، وأحق المعارف بأن تكون حقا هي معرفة الله عز وجل فإنه حق في نفسه أي مطابق للمعلوم أزلا وأبدا ومطابقته لذاته لا لغيره لا كالعلم بوجود غيره فإنه لا يكون إلا ما دام ذلك الغير موجودا"(٣)

وقال ابن الأثير:" **الحق**: هو الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته، والحق ضد الباطل"(٤).

وقال الشيخ السعدي: الحق من أسماء الله، فهو **الحق** في ذاته وصفاته، وهو واجب الوجود، كامل الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجود لشيء من الأشياء إلا به، فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والجمال والكمال موصوفا.

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي صـ ٧٦، باختصار.

(٢) الاعتقاد للبيهقي صـ ٢١.

(٣) المقصد الأسنى ، للغزالي، صـ ١٦٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ١/٤١٣.

ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفا، فقوله حق، وفعله حق، ولقاؤه حق، ورسله حق، وكتبه حق، ودينه هو الحق، وعبادته وحده لا شريك له هي الحق، وكل شيء ينسب إليه فهو حق: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]" [١].

ثالثاً: ورود اسم الله الحق في القرآن والسنة

اسم الله الحق ورد في القرآن الكريم في عشرة مواضع، ومن هذه المواضع التي ورد فيها اسم الله الحق قوله تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]، قال الإمام القرطبي في تفسيره هذه الآية:" أي: هذا الذي يفعل هذه الأشياء هو ربكم الحق، لا ما أشركتم معه، ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ أي: ما بعد عبادة الإله الحق إذا تركت عبادته إلا الضلال، وظاهر هذه الآية يدل على أن ما بعد الله هو الضلال، لأن أولها ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ وآخرها ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾.

وقد حكمت هذه الآية بأنه ليس بين الحق والباطل منزلة ثالثة في هذه المسألة التي هي توحيد الله تعالى، وكذلك هو الأمر في نظائرها، وهي مسائل الأصول التي الحق فيها في طرف واحد؛ لأن الكلام فيها إنما هو في تعديد وجود ذات

---

(١) تفسير السعدي ٥/٤٩٢، بتصرف يسير.

كيف هي؟، وذلك بخلاف مسائل الفروع التي قال الله تعالى فيها: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، والكلام في الفروع إنما هو في أحكام طارئة على وجود ذات متقررة لا يختلف فيها وإنما يختلف في الأحكام المتعلقة بها"(١).

ومن المواضع التي ذكر فيها اسم الله **الحق** قوله تعالي:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[الحج: ٦٢]، المتأمل في هذه الآية يجد أنها جاء ت في سياق الحديث عن نصر الله تعالى لمن بغي عليه، وفي سياق الحديث عن سنة الله في إيلاج الليل والنهار وايلاج النهار في الليل، ولا يمكن فهم الآية بشكل صحيح إلا في إطار السياق العام الذي وردت فيه، وسيد قطب خير من ربط بين هذه الآية والسياق الذي جاء ت فيه قال رحمه الله :" يربط السياق بين وعد الله بالنصر لمن يعاقب بمثل ما عوقب به ثم يقع عليه البغي، قال تعالى﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾[الحج: ٦٠]، يربط الله تعالي بين ذلك وبين وسنن الله الكونية الكبرى، التي تشهد بقدرة الله على تحقيق وعده، كما تشهد بدقة السنن الكونية المطردة مما يوحي بأن ذلك النصر هو إحدى هذه السنن التي لا تتخلف، قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١].

---

(١) تفسير القرطبي ٨/ ٣٣٥، باختصار.

والسياق يوجه النظر إلى تلك الظاهرة الكونية المكرورة التي يمر عليها الناس غافلين . ليفتح بصائرهم ومشاعرهم على يد القدرة ، وهي تطوي النهار من جانب وتسدل الليل من جانب . . وهي تطوي الليل من جانب وتنشر النهار من جانب . في دقة عجيبة لا تختل، وفي اطراد عجيب لا يتخلف، وكذلك نصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يدفع عن نفسه العدوان، إنه سنة مطردة كسنة إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل . فكذلك يزوي الله سلطان المتجبرين وينشر سلطان العادلين . فهي سنة كونية كتلك السنة ، يمر عليها الناس غافلين ، كما يمرون على دلائل القدرة في صفحة الكون وهم لا يشعرون.

فالحق هو المسيطر على نظام هذا الكون، وكل ما دون الله باطل يختل ويتخلف ولا يطرد أو يستقيم .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]؛وذلك تعليل كاف وضمان كاف لانتصار الحق والعدل، وهزيمة الباطل والبغي، وهو كذلك ضمان لاطراد سنن الكون وثباتها ، وعدم تخلخلها أو تخلفها . ومن هذه السنن انتصار الحق وهزيمة البغي .

والله أعلى من الطغاة ، وأكبر من الجبارين: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾، فلن يدع البغي يستعلي والظلم يستطيل"[١].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٥/ ٢١٢، باختصار وتصرف.

وقريباً من معنى الآية السابقة قوله تعالي: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [لقمان: ٣٠]، قال ابن عاشور عند هذه الآية:" كاف الخطاب المتصل باسم الإشارة موجه إلى غير معين، والمقصود به المشركون، والمشار إليه هو المذكور آنفا وهو الإيلاج والتسخير.

﴿ ٱلْحَقُّ ﴾: هنا بمعنى الثابت، ويفهم أن المراد حقية ثبوت إلهيته بقرينة السياق، والمعنى: لما كان ذلك الصنع البديع مسببا عن انفراد الله بالإلهية كان ذلك أيضا دليلا على انفراد الله بالإلهية للتلازم بين السبب والمسبب. والتعريف في الحق والباطل تعريف الجنس. وإنما لم يؤت بضمير الفصل في الشق الثاني؛ لأن ما يدعونه من دون الله من أصنامهم يشترك معها في أنه باطل.

وقد اجتلب ضمير الفصل في قوله تعالى وأن الله هو العلي الكبير للدلالة على الاختصاص وسلب العلو والعظمة عن أصنامهم.

﴿ ٱلْعَلِيُّ ﴾: صفة مشتقة من العلو المعنوي المجازي وهو القدسية والشرف.

﴿ ٱلْكَبِيرُ ﴾: وصف مشتق من الكبر المجازي وهو عظمة الشأن. وتقدم نظير هذه الآية في سورة الحج في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج: ٦٢]، مع زيادة ضمير الفصل في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ لإفادة القصر، وهو قصر ادعائي؛ لعدم الاعتداد بباطل غيرها حتى كأنه ليس من

الباطل، وهذا مبالغة في تحقير أصنامهم؛ لأن المقام مقام مناضلة وتوعد، وإلا فكثير من أصنام وأوثان غير العرب باطل أيضا."(١).

ومن المواضع التي ذكر فيها اسم الله **الحق** قوله تعالي: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[يونس: ٣٠]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:": أي: عند ذلك تختبر كلّ نفس ما قدمت من خيرٍ أو شرٍّ، ثم يرجع هؤلاء المشركون إلى الله، الذي هو ربهم ومالكهم الحق لا شك فيه، دون ما كانوا يزعمون أنهم لهم أرباب من الآلهة والأنداد: ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ أي: بطل عنهم ما كانوا يتخرصون من الفرية والكذب على الله بدعواهم أوثانهم أنها لله شركاء، وأنها تقربهم منه زلفى"(٢).

ومن المواضع التي ذكر فيها اسم الله **الحق** قوله تعالي: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" المراد **بالدّين** هاهنا: الجزاء، **وبالحق**: الثابت الذي لا شك في ثبوته.

﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي: ويعلمون عند معاينتهم لذلك، ووقوعه على ما نطق به الكتاب العزيز: أن الله هو: الحقّ الثابت في ذاته، وصفاته، وأفعاله .

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢١/ ١٨٦، ١٧/ ٣١٦ باختصار وتصرف يسير.

(٢) تفسير الطبري ١٥/ ٨٠.

و﴿ ٱلْمُبِينُ ﴾ المظهر للأشياء كما هي في أنفسها، وإنما سمى سبحانه الحقّ؛ لأن عبادته هي الحقّ دون عبادة غيره، وقيل: سمي بالحقّ أي: الموجود لأن نقيضه الباطل ، وهو المعدوم" "[1].

والمتأمل في هذه الآية يجد أن اسم الله ﴿ٱلْحَقُّ﴾ جاء مقترناً باسمه ﴿ٱلْمُبِينُ ﴾ وعن سر هذا لاقتران قال ابن عاشور:" ومعنى كونهم ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾: أنهم يتحققون ذلك يومئذ بعلم قطعي، لا يقبل الخفاء ولا التردد، وإن كانوا عالمين ذلك من قبل؛ لأن الكلام جار في موعظة المؤمنين؛ ولكن نزل علمهم المحتاج للنظر، والمعرض للخفاء والغفلة منزلة عدم العلم.

ويجوز أن يكون المراد بـ ﴿ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [النور: ٢٣]. خصوص عبد الله بن أبي بن سلول ومن يتصل به من المنافقين المبطنين الكفر بل الإصرار على ذنب الإفك، إذ لا توبة لهم فهم مستمرون على الإفك فيما بينهم؛ لأنه زين عند أنفسهم، فلم يروموا الإقلاع عنه في بواطنهم مع علمهم بأنه اختلاق منهم؛ لكنهم لخبث طواياهم يجعلون الشك الذي خالج أنفسهم بمنزلة اليقين فهم ملعونون عند الله في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم في الآخرة.

﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي: فيما كذبهم فيه من حديث الإفك، وقد كانوا من قبل مبطنين الشرك مع الله جاعلين الحق ثابتا لأصنامهم"[2].

([1]) تفسير الشوكاني ٥/ ٢٠٠، باختصار.

([2]) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١٦٣/٩.

ومن المواضع التي ذكر فيها اسم الله **الحق** قوله تعالي: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾[المؤمنون: ١١٦]، قال ابن القيم عند هذه الآية:" جعل الله تعالى كمال ملكه؛ وكونه سبحانه ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ وكونه ﴿ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ؛ وكونه ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ المستلزم لربوبيته لكل ما دونه: مبطلا لذلك الظن الباطل والحكم الكاذب، وإنكار هذا الحسبان عليهم مثل إنكاره عليهم حسبانهم أنه لا يسمع سرهم ونجواهم، وحسبان أنه لا يراهم ولا يقدر عليهم، وحسبان أنه يسوي بين أوليائه وبين أعدائه في محياهم ومماتهم، وغير ذلك مما هو منزه عنه تنزيهه عن سائر العيوب والنقائص، وأن نسبة ذلك كنسبة ما يتعالى عنه مما لا يليق من اتخاذ الولد والشريك؛ ونحو ذلك مما ينكره – سبحانه – على من حسبه أشد الإنكار.

فملكه الحق يستلزم أمره ونهيه؛ وثوابه وعقابه، وكذلك يستلزم إرسال رسله؛ وإنزال كتبه، وبعث المعاد ليوم يجزي فيه المحسن بإحسانه؛ والمسيء بإساءته، فمن أنكر ذلك فقد أنكر حقيقة ملكه؛ ولم يثبت له الملك الحق، ولذلك كان منكر ذلك كافرا بربه؛ وإن زعم أنه يقر بصانع العالم، فلم يؤمن بالملك الحق؛ الموصوف بصفات الجلال والمستحق لنعوت الكمال"[1].

وتشبه هذه الآية آية أخرى جاء فيها اسم الله **الحق** مقترنا باسم الله **المبين**، وهذه الآية هي قوله تعالى: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، صـ ٢٠٤، باختصار.

ومن المواضع التي ذكر فيها اسم الله **الحق** قوله تعالي: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢]، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآية:" أي: ثم يردّ أولئك الذين تتوفاهم الرسل إلى الله الذي هو مولاهم ومالك أمورهم، وهو الحق الذي لا يقضى إلا بالعدل، ليحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم.

وفى الآية إيماء إلى أن ردهم إليه حتم، لأنه سيدهم الذي يتولى أمورهم ويحكم بينهم بالحق.

وأما تولى بعض العباد أمور بعض بملك الرقبة أو ملك التصرف والسياسة، فمنه ما هو باطل من كل وجه، ومنه ما هو باطل من حيث إنه موقوت لا ثبات له ولا بقاء، وحق من حيث إن مولاهم الحق أقره فى سننه الاجتماعية أو شرائعه المنزلة لمصلحة العباد العارضة مدة حياتهم الدنيا، وقد زال كل ذلك بزوال عالم الدنيا وبقي المولى الحق وحده.

ثم بين أن ردهم إليه ليحكم بينهم بقضائه العدل فقال:﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ ﴾ أي له الحكم وحده ليس لغيره منه شيء فى ذلك اليوم وسرعة حسابه- ﴿ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ أنه يحاسب العباد كلهم فى أسرع زمن وأقصره، لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره، ولا يشغله شأن عن شأن"[١].

فعن ابن عباس يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تهجد من الليل قال:" **اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت قيم السموات**

---

(١) تفسير المراغي٧/ ١٤٩، باختصار.

والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت"[1]

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الحق

لاسم الله **الحق** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله الحق محبته سبحانه وتعالى؛ لأنه الإله الحق، الذي جميع أقواله وأفعاله ووعوده حقا، فهو الذي يستحق غاية الحب وغاية الذل والتعظيم والإجلال، وما سوى الله من الآلهة المدعاة فباطل، قال الإمام ابن القيم:" فكما أن ذاته الحق فقوله الحق ووعده الحق وأمره الحق وأفعاله كلها حق وجزاؤه المستلزم لشرعه ودينه ولليوم الآخر حق فمن أنكر شيئا من ذلك فما وصف الله بأنه الحق المطلق من كل وجه وبكل اعتبار.

فكونه حقا يستلزم شرعه ودينه وثوابه وعقابه فكيف يظن بالملك الحق أن يخلق خلقه عبثا وأن يتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يثيبهم ولا يعاقبهم كما قال

---

(1) صحيح البخاري في كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل ٥/٢٣٢٨ ، برقم(٥٩٥٨)، صحيح ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ١/٥٣٢ ، برقم(٧٦٩)، واللفظ لمسلم .

تعالى أيحسب الإنسان أن يترك سدى قال الشافعي رحمه الله مهملا لا يؤمر ولا ينهى وقال غيره لا يجزي بالخير والشر ولا يثاب ولا يعاقب"[١].

ومن مقتضيات محبة العبد لربه الحق جل جلاله أن يلتزم بحق الله تعالى عليه، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له، فعن معاذ – رضي الله عنه – قال: كنت ردف النبي – صلى الله عليه وسلم – على حمار، فقال:" **يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله**؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: **فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس قال: لا تبشرهم فيتكلوا** " [٢] .

٢ـ ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله الحق، أن يتمسك المسلمون بالحق الذي عرفوه وأن يتواصوا به، فإن ذلك من أسباب النجاة من الخسارة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى:﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [العصر:١/٣]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" التواصي بالحق ضرورة، فالنهوض بالحق عسير، والمعوقات عن الحق كثيرة: هوى النفس، ومنطق المصلحة، وتصورات البيئة، وطغيان الطغاة، وظلم الظلمة، وجور الجائرين، والتواصي تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى في الهدف والغاية، والأخوة في العبء والأمانة، فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية، إذ تتفاعل معاً فتتضاعف، تتضاعف

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم ٤/ ٩٧٢.

(٢) صحيح البخاري في الجهاد، باب اسم الفرس والحمار٣/١٠٤٩ ، برقم (٢٧٠١) .

بإحساس كل حارس للحق أن معه غيره يوصيه ويشجعه ويقف معه ويحبه ولا يخذله، وهذا الدين وهو الحق لا يقوم إلا في حراسة جماعة متواصية متكافلة متضامنة على هذا المثال.

فمن خلال لفظ التواصي ومعناه وطبيعته وحقيقته تبرز صورة الأمة أو الجماعة المتضامة المتضامنة . الأمة الخيرة . الواعية . القيمة في الأرض على الحق والعدل والخير، وهي أعلى وأنصع صورة للأمة المختارة، وهكذا يريد الإسلام أمة الإسلام، هكذا يريدها أمة خيرة قوية واعية قائمة على حراسة الحق والخير، متواصية بالحق والصبر في مودة وتعاون وتآخ تتضح بها كلمة التواصي في القرآن"[1].

ومن التواصي بالحق أن يسأل المسلم عن الحق إذا خفيت عليه بعض المسائل، فعن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: جاءت أم سليم إلي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت؟ قال النبي – صلى الله عليه وسلم – **: إذا رأت الماء**، فغطت أم سلمة وجهها وقالت: يا رسول الله وتحتلم المرأة؟ قال: **نعم تربت يمينك فبم يشبهها ولدها؟**" [2].

٣ـ ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله الحق، أن يثق المسلمون بنصر الله لدين الإسلام؛ لأنه دين الحق الذي ارتضاه الله لعباده، قال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨] ، قال

([1]) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٨/ ٩٢.، باختصار وتصرف.

([2]) صحيح البخاري في العلم، باب الحياء في العلم ١/ ٦٠ ، برقم(١٣٠) .

الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" يخبر تعالى، أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإن كل باطل قيل وجودل به، فإن الله ينزل من الحق والعلم والبيان، ما يدمغه، فيضمحل، ويتبين لكل أحد بطلانه ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ أي: مضمحل، فانٍ، وهذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل، شبهة، عقلية ولا نقلية، في إحقاق باطل، أو رد حق، إلا وفي أدلة الله، من القواطع العقلية والنقلية، ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمعه فإذا هو متبين بطلانه لكل أحد.

وهذا يتبين باستقراء المسائل، مسألة مسألة، فإنك تجدها كذلك، ثم قال: ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ أيها الواصفون الله، بما لا يليق به، من اتخاذ الولد والصاحبة، ومن الأنداد والشركاء، حظكم من ذلك، ونصيبكم الذي تدركون به ﴿ الْوَيْلُ ﴾ والندامة والخسران"[1].

وعلى المسلمين أن يثقوا بنصر الله تعالى وإن تآمر عليهم أهل الباطل وخذلهم القريب والحبيب، فإن الله تعالى معهم وناصرهم حتى يأتي وعد الله تعالى، فعن ثوبان – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك** "[2].

---

(1) تفسير السعدي صـ ٥٢٠،

(2) صحيح مسلم في الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم:" لا تزال طائفة من أمتي" ٣/١٥٢٣، برقم(١٩٢٠) .

٤ـ ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله الحق، أن يدعو المسلم ربه بمقتضى اسمه الحق دعاء الله باسمه الحق، فقد دعاه شعيب عليه السلام ربه قائلا: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ [الأعراف:٨٩]. وقال تعالى: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:١١٢]

فعن ابن عباس يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تهجد من الليل قال:" **اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والنبيون حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت إلهي لا إله إلا أنت**"(١)

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان نبي الله – صلى الله عليه وسلم – إذا قام من الليل افتتح صلاته:" **اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم** " (٢).

---

(١) سبق تجريجه قبل قليل.

(٢) مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٣٤ (٧٧٠) .

١٧ـ العظيم جل جلاله

الودود من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذا الاسم في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" العظيم في اللغة صفة مشبهة لمن اتصف بالعظمة، فعله عظم يعظم عظما، يعني كبر واتسع وعلا شأنه وارتفع، والعظيم: خلاف الصغير، وعظم الأمر: كبر، وأعظمه، واستعظمه، ولفلان عظمة عند الناس أي حرمة يعظم لها، وأعظم الأمر وعظمه فخمه، والتعظيم التبجيل، والعظيمة النازلة الشديدة والملمة إذا أعضلت والعظمة الكبرياء، والتعظيم في النفس: هو الكبر والزهو والنخوة، والعظمة والعظموت: الكبر وعظمة العبد كبره المذموم وتجبره، وإذا وصف العبد بالعظمة فهو ذم لأن العظمة في الحقيقة لله عز وجل [١].

ثانيا: معناه الاصطلاحي

جاء في تعريف اسم الله العظيم عدة تعريفات، ومن هذه التعريفات، ما ذكره الامام الغزالي حيث قال:" "اعلم أن اسم العظيم في أول الوضع إنما أطلق على الأجسام يقال هذا جسم عظيم وهذا الجسم أعظم من ذلك الجسم إذا كان امتداد مساحته في الطول والعرض والعمق أكثر منه ثم هو ينقسم إلى عظيم يملأ العين ويأخذ منها مأخذا وإلى ما لا يتصور أن يحيط البصر بجميع أطرافه كالأرض والسماء فإن الفيل عظيم ولكن البصر قد يحيط بأطرافه فهو عظيم

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٢/٤١٠، والصِّحَاحِ في اللغة، للجوهري ٥/١٩٨٧.

بالإضافة إلى ما دونه وأما الأرض فلا يتصور أن يحيط البصر بأطرافها وكذا السماء فذلك هو العظيم المطلق في مدركات البصر.

فافهم أن في مدركات البصائر أيضا تفاوتا فمنها ما تحيط العقول بكنه حقيقته ومنها ما تقصر العقول عنه وما تقصر العقول عنه ينقسم إلى ما يتصور أن يحيط به بعض العقول وإن قصر عنه أكثرها وإلى ما لا يتصور أن يحيط العقل أصلا بكنه حقيقته وذلك هو العظيم المطلق الذي جاوز جميع حدود العقول حتى لا تتصور الإحاطة بكنهه وذلك هو الله تعالى"(١)

وقال الزجاج:" **العظيم**" المعظم في صفة الله تعالى يفيد عظم الشأن والسلطان وليس المراد به وصفه بعظم الأجزاء؛ لأن ذلك من صفات المخلوقين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"(٢).

وقال الخطابي:" **العظيم**" هو ذو العظمة والجلال، ومعنى العظم في هذا منصرف إلى عظم الشأن، وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الأجسام لما يوجد فيها من زيادة الأجزاء ويقال للرجل السيد: هو عظيم قومه، قال الله سبحانه حكاية عن الكفار: وقالوا:﴿ وَقَالُوٓاْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] ويقال: أعظمت الرجل أعظمه إعظاما: إذا جللته، وأكبرته"(٣)

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٣٥.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج صـ ٢٧.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، ١/ ٦٤، وينظر: الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٩٥.

وقال الزجاجي: "**العظيم**" ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه عز وجل، كذلك تعرفه العرب في خطبها ومحاوراتها، يقول قائلهم: من عظيم بني فلان اليوم؟ أي: من له العظمة والرئاسة فيقال له: فلان عظيمهم، ويقولون: هؤلاء عظماء القوم أي: رؤساءهم وذو الجلالة والرئاسة منهم" "[١].

وقال ابن القيم في نونيته:

وهو العظيم بكل معنى يوجب ... التعظيم لا يحصيه من إنسان[٢].

وقد ذكر العلامة ابن القيم أن اسم الله العظيم يدل على عدة صفات، حيث قال:" إن من أسمائه الحسنى ما يكون دالا على عدة صفات ويكون ذلك الاسم متناولا لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها كما كاسمه العظيم "[٣].

وقال الشيخ السعدي: "العظيم الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء، والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم.

والله تعالى عظيم له كل وصف، ومعنى يوجب التعظيم فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه، كما ينبغي له ولا يحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده.

---

(١) اشتقاق أسماء الله، للزجاجي صـ ١١١.

(٢) الكافية الشافية، لابن القيم، البيت رقم (٣٢٢٢).

(٣) بدائع الفوائد، لابن القيم١/ ١٧٨.

واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان: **أحدهما:** أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة، والكبرياء، والعظمة، ومن عظمته أن السماوات والأرض في كف الرحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس وغيره، وقال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: ٤١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله جل وعلا:" **الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار**" (١) فلله تعالى الكبرياء والعظمة، والوصفان اللذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما.

النوع الثاني من معاني عظمته تعالى: أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله؛ فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم؛ وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته. **ومن تعظيمه:** أن يتقى حق تقاته؛ فيطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، **ومن تعظيمه:** تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب، برقم(٢٨٩٩).

ومكان وأعمال: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢]، **ومن تعظيمه:** أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه"[١] .

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

ورد اسم الله **العظيم** في القرآن الكريم في تسع آيات، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى:﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة: ٩٦]، وقوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٣٣].

والمتأمل في كتاب الله يجد أن الله تعالى قرن بين اسمه العظيم واسمه العلي في موطنين من كتابه، وهما قوله تعالى وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الشورى: ٤].

وقد تحدث العلامة ابن القيم عن السر في اقتران هذين الاسمين الكريمين، حيث قال رحمه الله تعالى:" إنه سبحانه قرن بين هذين الاسمين الدالين على علوه وعظمته في آخر آية الكرسي، وفي سورة الشورى، ففي آية الكرسي: ذكر الحياة – التي هي: أصل جميع الصفات وذكر معها قيوميته المقتضية لذاته وبقائه، وانتفاء الآفات جميعها عنه؛ من النوم والسنة والعجز وغيرها – ثم ذكر كمال ملكه، ثم عقبه بذكر وحدانيته في ملكه؛ وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم

---

(١) الحق الواضح المبين، للسعدي صـ ٢٧.

ذكر سعة علمه وإحاطته، ثم عقبه بأنه لا سبيل للخلق إلى علم شيء من الأشياء إلا بعد مشيئته لهم أن يعلموه، ثم ذكر سعة كرسيه؛ منبها به على سعته سبحانه وعظمته وعلوه؛ وذلك توطئة بين يدي ذكر علوه وعظمته، ثم أخبر عن كمال اقتداره، وحفظه للعالم العلوي والسفلي من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب، ثم ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين الدالين على علو ذاته وعظمته في نفسه"[1].

وقد وورد اسم الله **العظيم** في ثلاثة مواضع بصيغة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴾[الواقعة: ٧٤]، موضعان في سورة الواقعة والثالث في سورة الحاقة [2]، قال الشيخ السعدي، في تفسيره لهذه الآية:" "أي: نزه ربك العظيم، كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات، واحمده بقلبك ولسانك، وجوارحك، لأنه أهل لذلك، وهو المستحق لأن يشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى"[3].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر اسم الله العظيم قوله تعالى، " قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٣٣] قال ابن عاشور:" ووصف الله بالعظيم هنا إيماء إلى مناسبة عظم العذاب للذنب إذ كان الذنب كفرانا بعظيم فكان جزاء وفاقا"[4].

---

(١) الصواعق المرسلة، لابن القيم ١٣٧١/٤.

(٢) سورة الواقعة: ٩٦، وسورة الحاقة، الآية ٥٢ .

(٣) تفسير السعدي، صـ ٨٣٥.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٩/ ١٣٨.

ولأهمية اسم الله العظيم فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسبح باسم الله العظيم في الركوع؛ وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم:" **فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم**"[١]

.

ويصف الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى الركوع في الصلاة فيقول:" ثم يرجع جاثيا له ظهره خضوعا لعظمته؛ وتذللا لعزته؛ واستكانة لجبروته، مسبحا له بذكر اسمه "**العظيم**"، فنزه عظمته عن حال العبد وذله وخضوعه، وقابل تلك العظمة بهذا الذل والانحناء والخضوع، قد تطامن وطأطأ رأسه وطوى ظهره، وربه فوقه يرى خضوعه وذله؛ ويسمع كلامه، فهو ركن تعظيم وإجلال، كما قال صلى الله عليه وسلم: "**أما الركوع: فعظموا فيه الرب**" [٢] "[٣].

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو عند الكرب فيقول: "**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم**"[٤].

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى اسم الله العظيم في أحاديث كثيرة، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة الطويل:" **ثم أخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه**

---

(١) صحيح مسلم، برقم (٤٧٩).

(٢) سبق تخريجه قبل قليل.

(٣) شفاء العليل، لابن القيم ٢/٦٣٠.

(٤) صحيح البخاري ، برقم(٦٣٤٥)، صحيح ومسلم، برقم (٢٧٣٠)

واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله " [١] .

وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: قُمْتُ مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلةً، فقام فقرأ سورة "البقرة" ، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذ اب إلا وقف فتعوذ. قال: ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: " **سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة** "، ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأب: (آل عمران) ، ثم قرأ سورةً سورةً [٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: " كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستر ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه فقال: "**اللهم قد بلغت ـ ثلاث مرات ـ إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له، ألا وإني قد نهيت عن القراءة في الركوع والسجود، فإذا ركعتم فعظموا ربكم، وإذا سجدتم فاجتهدوا في الدعاء فإنه قمن أن يستجاب لكم** " [٣].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول:" **إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد باب ذرية من حملنا مع نوح ٤/١٧٤٦، برقم(٤٤٣٥).

(٢) صحيح أبي داود، برقم(٨١٧).

(٣) صحيح سنن النسائي، برقم(١١٢٠) .

لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني قال ويسمي حاجته [1].

رابعا: الآثار الايمانية لاسم الله العظيم

لا سم الله **العظيم** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من مقتضيات الإيمان باسم الله العظيم أن يعظم العبد ربه تعالى حق تعظيمه، ويتوصل العبد إلى تعظيم الله تعالى من خلال التفكر في خلق الله، فالله تعالى له ما في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الشورى: ٤]، قال سيد قطب عند هذا الآية:" كثيرا ما يخدع البشر فيحسبون أنهم يملكون شيئا، لمجرد أنهم يجدون أشياء في أيديهم، مسخرة لهم، ينتفعون بها، ويستخدمونها فيما يشاءون، ولكن هذا ليس ملكا حقيقيا، إنما الملك الحقيقي لله؛ الذي يوجد ويعدم، ويحيي ويميت؛ ويملك أن يعطي البشر ما يشاء، ويحرمهم ما يشاء؛ وأن يذهب بما في أيديهم من شيء ، وأن يضع في أيديهم بدلا مما أذهب.

الملك الحقيقي لله الذي يحكم طبائع الأشياء، ويصرفها وفق الناموس المختار، فتلبي وتطيع وتتصرف وفق ذلك الناموس، وكل ما في السماوات وما في

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في التطوع ١/٣٩١ ، برقم (١٠٩٦).

الأرض من شيء لله بهذا الاعتبار الذي لا يشاركه فيه أحد سواه ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾، فليس هو الملك فحسب، ولكنه ملك العلو والعظمة على وجه التفرد، كذلك العلو الذي كل شيء بالقياس إليه سفول؛ والعظمة التي كل شيء بالقياس إليها ضآلة.

ومتى استقرت هذه الحقيقة استقرارا صادقا في الضمائر، عرف الناس إلى أين يتجهون فيما يطلبون لأنفسهم من خير ومن رزق ومن كسب، فكل ما في السماوات وما في الأرض لله، والمالك هو الذي بيده العطاء، ثم إنه هو﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ الذي لا يصغر ولا يسفل من يمد يده إليه بالسؤال؛ كما لو مدها للمخاليق، وهم ليسوا بأعلياء ولا عظماء"[1].

وأخبر تبارك وتعالى أن من نازعه من الخلق في عظمته أن مصيره نار جهنم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله عز وجل:" **الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار**" [2].

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الخلق تعظيما لله تعالى ، وروى ابن ماجة وصححه الألباني من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أنها قالت: لما توفي ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم بكى رسول الله

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب٦/ ٣٠٧.:

(2) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر ٤/٥٩ ، برقم (٤٠٩٠)، وانظر صحيح الجامع، برقم
(١٩٠٨) .

صلى الله عليه وسلم فقال له المعزي، إما أبو بكر وإما عمر: أنت أحق من عظم الله حقه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب، لولا أنه وعد صادق وموعود جامع وأن الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا، وإنا بك لمحزونون** " [1].

٢ـ ومن مقتضيات الإيمان باسم الله العظيم أن يعظم العبد أوامر الله تعالى فيقوم بها كما أمر الله وشرع، ثم يعظم مناهي الله وحرماته فلا يقترب منها ولا يقترفها، فإن ذلك خير له عند ربه، قال الله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج: ٣٠]، قال العلامة ابن القيم:" وأول مراتب تعظيم الحق عز وجل تعظيم أمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله – عز وجل – واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالا على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان، والتصديق وصحة العقيدة، والبراءة من النفاق؛ فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي رتبها الشارع على المناهي فهذا ليس فعله وتركه صادرا عن تعظيم الأمر والنهي، ولاتعظيم الآمر والناهي.

ومن علامات التعظيم للأوامر: رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند

---

(1) ابن ماجة في الجنائز، باب البكاء على الميت١/٥٠٦ ، برقم (١٥٨٩)، السلسلة الصحيحة، برقم (١٧٣٢) .

وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها كمن يحزن على فوت الجماعة، ويعلم أنه لو تقبلت منه صلاته منفردا فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفا، ولو أن رجلا يعاني البيع والشراء تفوته صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة قيمتها سبعة وعشرون دينارا لأكل يديه ندما وأسفا، فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف، وألف ألف، وما شاء الله تعالى.

فإذا فوت العبد عليه هذا الربح قطعا، وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة غير مرتاع لها، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه، وكذلك إذا فاته أول الوقت الذي هو رضوان الله تعالى، أو فاته الصف الأول.

وكذلك فوت الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها. وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان، والإخلاص، والمحبة، وتوابعها.

وأما علامات تعظيم المناهي: فالحرص على التباعد من مظانها وأسبابها، وما يدعو إليها، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها، كمن يهرب من الأماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها، وأن يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس.

ومجانبة من يجاهر بارتكابها، ويحسنها، ويدعو إليها، ويتهاون بها، ولا يبالي بما ارتكب منها؛ فإن مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته.

ومن علامات تعظيم النهي: أن يغضب لله عز وجل إذا انتهكت محارمه، وأن يجد في قلبه حزنا وحسرة إذا عصي الله تعالى في أرضه، ولم يضطلع بإقامة حدوده وأوامره، ولم يستطع هو أن يغير ذلك.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافيا غير مستقيم على المنهج الوسط؛ مثال: ذلك أن السنة وردت بالإبراد بالظهر في شدة الحر، فالترخص الجافي أن يبرد إلى فوات الوقت أو مقاربة خروجه فيكون مترخصا جافيا.

فحقيقة التعظيم للأمر والنهي أن لا يعارضا بترخص جاف، ولا يعرضا لتشديد غال؛ فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله عز وجل بسالكه. وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين.

ومن علامات تعظيم الأمر والنهي: أن لا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عز وجل بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه، ممتثلا ما أمر به، سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فإن ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه حمله ذلك على مزيد الانقياد والبذل والتسليم" [١] .

٣ـ ومن مقتضيات الإيمان باسم الله العظيم دعاء الله تعالى بهذا الاسم، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: "**اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في**

---

(١) الوابل الصيب، لابن القيم، صـ ١٢، باختصار وتصرف يسير.

ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي "[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن ينام يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول:" اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان .. أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول؛ فليس قبلك شيء، وأنت الآخر ؛ فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر،فليس فوقك شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر " [٢]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم المسألة، وليعظم الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه " [٣] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا سجد قال : اللهم سجد لك سوادي و خيالي و بك آمن

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٣١٨/٤ ، برقم (٥٠٧٤)، صحيح الترغيب والترهيب ، برقم (٦٥٩) .

(٢) صحيح ابن حبان، برقم(٥٥١٢) .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت ٢٠٦٣/٤ ، برقم(٢٦٧٩)

فؤادي أبوء بنعمتك علي و هذا ما جنيت على نفسي يا عظيم يا عظيم اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب العظيمة إلا الرب العظيم"(١).

وعند البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إذا كان على أحدكم إمام يخاف تغطرسه أو ظلمه فليقل: اللهم رب السماوات السبع ورب العرش العظيم كن لي جارا من فلان بن فلان وأحزابه من خلائقك أن يفرط علي أحد منهم أو يطغى، عز جارك وجل ثناؤك ولا اله إلا أنت"(٢).

---

(١) مستدرك الحاكم، برقم(١٩٥٧)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب المفرد، باب إذا خاف السلطان ٢٤٧/١ ، برقم (٧٠٧) .

١٥ ـ المحيط جل جلاله

المحيط من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" قال أهل اللغة:" المحيط في اللغة اسم فاعل، من قولهم: أحاط فلان بالشيء فهو محيط به إذا استولى عليه، وضم جميع أقطاره ونواحيه، حتى لا يمكن التخلص منه ولا فوته.

يقال: حاطه يحوطه حوطا وحيطة وحياطة: حفظه وعهده وتعهده واحتاط الرجل: أخذ في أموره بالأجزم. ومع فلان حيطة لك أي: تحنن وتعطف.

وكل من أحرز شيئا كله وبلغ علمه أقصاه، فقد أحاط به، يقال: هذا الأمر ما أحطت به علما، وقوله تعالى: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ [النمل: ٢٢] أي: علمته من جميع جهاته، وأحيط بفلان: إذا دنا هلاكه فهو محاط به ، وقال عز وجل: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ [الكهف: ٤٢] أي: أصابه ما أهلكه وأفسده.

والحائط: الجدار لأنه يحوط ما فيه، والحواطة: حظيرة تتخذ للطعام. [١].

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله **المحيط** وردت له عدة تعريفات اصطلاحية، ومن هذه التعريفات، ما ذكره الإمام البيهقي، حيث قال:" **المحيط:** هو الذي أحاطت قدرته بجميع المقدورات، وأحاط علمه بجميع المعلومات، والقدرة له صفة قائمة بذاته، والعلم له صفة قائمة بذاته"[٢]

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٢/١٠٥٢، اشتقاق أسماء الله، لزجاجي، صـ ٤٦.

(٢) الاعتقاد، للبيهقي صـ ٢١

وقال الزجاجي " الله – عز وجل – محيط بالأشياء كلها، لأنها تحت قدرته، لا يمكن شيء منها الخروج عن إرادته فيه، ولا يمتنع عليه منها شيء، وقد قال الله عز وجل: ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢]، أي: علم كل شيء على حقيقته، بجميع صفاته فلم يخرج شيء منها عن علمه.

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال المفسرون: تأويله: مهلك الكافرين، حقيقته أنهم لا يعجزونه ولا يفوتونه فهو محيط بهم"[١]

وقال الحليمي: ومعناه أنه الذي لا يقدر على الفرار منه وهذه الصفة ليست حقا إلا لله جل ثناؤه ، وهي راجعة إلى كمال العلم والقدرة وانتفاء الغفلة والعجز عنه"[٢] .

وقال الخطابي رحمه الله تعالى: " **المحيط** هو الذي أحاطت قدرته بجميع خلقه، وهو الذي أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا"[٣]

وقال ابن القيم: "قد دل العقل والفطرة، وجميع كتب الله السماوية على أن الله تعالى عال على خلقه؛ فوق جميع المخلوقات، وهو مستو على عرشه ، وعرشه فوق السماوات كلها، فهو سبحانه محيط بالعالم كله"[٤] .

وقال السعدي رحمه الله تعالى: " **المحيط** بكل شيء علما وقدرة ورحمة وقهرا"[٥]

.

---

(١) اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ٤٦.

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٧٣.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٨٦ .

(٤) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم ٢/٣٩٥.

(٥) تفسير السعدي ٥/٣٠٢.

ثالثاً: وروده في القرآن الكريم

اسم الله **المحيط** جل جلاله ورد في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، وهذه المواضع هي قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" الصيب مثل لظاهر ما أظهر المنافقون بألسنتهم من الإقرار والتصديق، والظلمات ما هم مستبطنون من الشك والتكذيب ومرض القلوب. وأما الرعد والصواعق، فلما هم عليه من الوجل من وعيد الله إياهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في آي كتابه، إما في العاجل وإما في الآجل، أن يحل بهم، فهم من وجلهم، أن يكون ذلك حقا، يتقونه بالإقرار بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بألسنتهم، مخافة على أنفسهم من الهلاك ونزول النقمات.

﴿ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس أنهما كانا يقولان: إن المنافقين كانوا إذا حضروا مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلوا أصابعهم، في آذانهم فرقا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل فيهم شيء، أو يذكروا بشيء فيقتلوا.

والمعنى: يتقون وعيد الله الذي أنزله في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، بما يبدونه بألسنتهم من ظاهر الإقرار، كما يتقي الخائف أصوات الصواعق بتغطية أذنيه وتصيير أصابعه فيها، حذرا على نفسه منها.

وإنما جعل الله إدخالهم أصابعهم في آذانهم مثلا لاتقائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين؛ لانهم يتقونهم به، كما يتقي سامع صوت الصاعقة

بإدخال أصابعه في أذنيه. وذلك من المثل نظير تمثيل الله جل ثناؤه ما أنزل فيهم من الوعيد في آي كتابه بأصوات الصواعق. وكذلك

وقوله تعالى: ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ جعله جل ثناؤه مثلا لخوفهم وإشفاقهم من حلول عاجل العقاب المهلكهم الذي توعدوه بساحتهم كما يجعل سامع أصوات الصواعق أصابعه في أذنيه، حذر العطب والموت على نفسه، أن تزهق من شدتها.

﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي: إن المنافقين وإن اتقوا عقابه، وأشفقوا عذابه إشفاق الجاعل في أذنيه أصابعه حذار حلول الوعيد الذي توعدهم به في آي كتابه – غير منجيهم ذلك من نزوله بعقوتهم ، وحلوله بساحتهم، إما عاجلا في الدنيا، وإما آجلا في الآخرة، للذي في قلوبهم من مرضها، والشك في اعتقادها، وقال مجاهد ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي:" جامعهم في جهنم"[1] .

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله المحيط قوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" هذه الآية دالة على شدة عداوة المنافقين للمؤمنين وهي أنه إذا أصاب المؤمنين خصب، ونصر وتأييد، وكثروا وعزّ أنصارهم، ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سَنَة (أي: جَدْب) أو أُديل عليهم الأعداء، لما لله في ذلك من الحكمة، كما جرى يوم أُحُد، فَرح المنافقون بذلك.

(1) تفسير الطبري ١/ ٣٥٣، باختصار، وتصرف.

قال الله تعالى مخاطبا عباده المؤمنين: ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكَيْدِ الفُجّار، باستعمال الصبر والتقوى، والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه"(١).

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله المحيط قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾ [هود: ٩٢]، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره عند هذه الآية:" في هذه الآية يسأل شعيب عليه السلام قومه باستنكار قائلاً: أوضعتم رهطي في كفة؛ ومعزة الله تعالى في كفة؟ وغلبتم خوفكم من رهطي على خوفكم من الله؟! ولم يأبه شعيب عليه السلام باعتزازهم برهطه أمام اعتزازه بربه؛ لأنه أعلن من قبل توكله على الله؛ ولأنه يعلم أن العزة لله تعالى أولا وأخيرا .

ولم يكتفوا بذلك الاعتزاز بالرهط عن الاعتزاز بالله؛ بل طرحوا التفكير في الإيمان بالله وراء ظهورهم؛ لأن شعيبا عليه السلام يقول لهم : ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّا ﴾ ، أي: لم يجعلوا الله سبحانه أمامهم ، فلم يأبهوا بعزة الله؛ ولا بحماية الله؛ وجعلوا لبعض خلقه معزة فوق معزة الله .

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ١٠٨.

ويذكرهم شعيب عليه السلام بقوله: ﴿ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾، أي: أن كل ما تقولونه أو تفعلونه محسوب عليكم؛ لأن الحق سبحانه لا تخفى عليه خافية"[1].

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله المحيط قوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء: ١٠٨]، قال الشيخ السعدي في هذه الآية:" ذكر الله تعالى في هذه الآية الخائنين ووصفوهم بأنهم ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ ﴾ وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم.

والله معهم بالعلم في جميع أحوالهم، خصوصا في حال تبييتهم ما لا يرضيه من القول، من تبرئة الجاني، ورمي البريء بالجناية، والسعي في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم ليفعل ما بيتوه.

فقد جمعوا بين عدة جنايات، ولم يراقبوا رب الأرض والسماوات، المطلع على سرائرهم وضمائرهم، ولهذا توعدهم تعالى بقوله: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾

---

(1) تفسير الشعراوي، صـ ٤٢٧٧، بتصرف يسير.

أي: قد أحاط بذلك علما، ومع هذا لم يعاجلهم بالعقوبة بل استأنى بهم، وعرض عليهم التوبة وحذرهم من الإصرار على ذنبهم الموجب للعقوبة البليغة"[1].

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله المحيط قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴾ [فصلت: ٥٤]، قال الشيخ المراغي في تفسيره عند هذه الآية:" قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ ﴾ أي إنهم فى شك من البعث والجزاء، واستبعادهم إحياء الموتى بعد تفرق أجزائهم، وتبدد أعضائهم، ومن ثم لا يلتفتون إلى النظر فيما ينفعهم عند لقائه كالتفكر فى صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن القرآن حق لا شك فيه.

ثم دفع مريتهم وشكهم فى البعث وإعادة ما تفرق واختلط، مما يتوهم منه عدم إمكان تمييزه فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴾ أي إنه تعالى عليم بجمل الأشياء وتفاصيلها، مقتدر عليها لا يفوته شىء منها، فهو يعلم ما تفرق من أجزاء الأجسام، ويقدر على إعادتها إلى مكنتها، ثم بعثها وحسابها، لتستوفى جزاءها على ما قدمت من عمل"[2].

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله المحيط

١ـ فمن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله المحيط، أن يؤمن المؤمن بأن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه الكريم في قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴾

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٢٠٠.

(٢) تفسير المراغي ٢٥/ ١١.

[النساء: ١٢٦]. قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾، وإفراد الله سبحانه بالألوهية يصاحبه في القرآن كثيراً إفراده سبحانه بالملك والهيمنة – والسلطان والقهر، فالتوحيد الإسلامي ليس مجرد توحيد ذات الله، وإنما هو توحيد إيجابي توحيد الفاعلية والتأثير في الكون، وتوحيد السلطان والهيمنة أيضاً .

ومتى شعرت النفس أن لله ما في السموات وما في الأرض، وأنه بكل شيء محيط، لا يند شيء عن علمه ولا عن سلطانه، كان هذا باعثها القوي إلى إفراد الله سبحانه بالألوهية والعبادة؛ وإلى محاولة إرضائه باتباع منهجه وطاعة أمره، وكل شيء ملكه . وكل شيء في قبضته . وهو بكل شيء محيط .

وبعض الفلسفات تقرر وحدانية الله . ولكن بعضها ينفي عنه الإرادة، وبعضها ينفي عنه العلم ، وبعضها ينفي عنه السلطان، وبعضها ينفي عنه الملك، إلى آخر هذا الركام الذي يسمى " فلسفات! "، ومن ثم يصبح هذا التصور سلبياً لا فاعلية له في حياة الناس ، ولا أثر له في سلوكهم وأخلاقهم؛ ولا قيمة له في مشاعرهم وواقعهم كلام! مجرد كلام!.

إن الله في الإسلام، له ما في السموات وما في الأرض، فهو مالك كل شيء، وهو بكل شيء محيط، فهو مهيمن على كل شيء، وفي ظل هذا التصور يصلح الضمير . ويصلح السلوك . وتصلح الحياة"[1]

([1]) في ظلال القرآن، لسيد قطب٢/ ٢٤٦.

وقد أكد الله هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: ١٢]، قال الشيخ السعدي في تفسيره عند هذه الآية:" أخبر الله تعالى أنه خلق الخلق من السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن، وما بينهن، وأنزل الأمر، وهو الشرائع والأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله لتذكير العباد ووعظهم، وكذلك الأوامر الكونية والقدرية التي يدبر بها الخلق، كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد ويعلموا إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى وعبدوه وأحبوه وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك، الظالمون المعرضون"(١).

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المحيط أن يأخذ المؤمنون بأسباب النصر التي أمرهم الله تعالى بأن يأخذوا بها، وأن يعدوا من القوة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وبعد ذلك عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى، وأن لا يخشوا أعداءهم مهما بلغت قوتهم ، فإن الله محيط بهم ومبطل كيدهم، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أسباب النصر المطلوبة، التي متى ما أخذ بها أهل الإيمان نصرهم الله تعالى، وذكر في آخر هذه الآية أنه سبحانه وتعالى محيط بالكفر والكافرين، وأنه محبط كيدهم ومكرهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٨٧٢.

فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٥ –٤٧]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآيات:" فهذه هي عوامل النصر الحقيقية : الثبات عند لقاء العدو ، والاتصال بالله بالذكر، والطاعة لله والرسول، وتجنب النزاع والشقاق، والصبر على تكاليف المعركة، والحذر من البطر والرئاء والبغي .

فأما الثبات فهو بدء الطريق إلى النصر، فأثبت الفريقين أغلبهما، وما يُدري الذين آمنوا أن عدوهم يعاني أشد مما يعانون؛ وأنه يألم كما يألمون، ولكنه لا يرجو من الله ما يرجون؛ فلا مدد له من رجاء في الله يثبت أقدامه وقلبه! وأنهم لو ثبتوا لحظة أخرى فسينخذل عدوهم وينهار؛ وما الذي يزلزل أقدام الذين آمنوا وهم واثقون من إحدى الحسنيين : الشهادة أو النصر؟ بينما عدوهم لا يريد إلا الحياة الدنيا؛ وهو حريص على هذه الحياة التي لا أمل له وراءها ولا حياة له بعدها ، ولا حياة له سواها؟!.

وأما ذكر الله كثيراً عند لقاء الأعداء فهو التوجيه الدائم للمؤمن؛ كما أنه التعليم المطرد الذي استقر في قلوب العصبة المؤمنة ، وحكاه عنها القرآن الكريم في تاريخ الأمة المسلمة في موكب الإيمان التاريخي، ومما حكاه القرآن الكريم من قول سحرة فرعون عندما استسلمت قلوبهم للإيمان فجأة، فواجههم فرعون بالتهديد المروع البشع الطاغي ، قولهم : ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[الأعراف: ١٢٦]، ومما

حكاه كذلك عن الفئة القليلة المؤمنة من بني إسرائيل ، وهي تواجه جالوت وجنوده : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

لقد استقر هذا التعليم في نفوس العصبة المسلمة؛ فكان هذا شأنها حيثما واجهت عدواً . وقد حكى الله – فيما بعد – عن العصبة التي أصابها القرح في « أحد »؛ فلما دعيت إلى الخروج ثاني يوم ، كان هذا التعليم حاضراً في نفوسها : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، إن ذكر الله عند لقاء العدو يؤدي وظائف شتى: إنه الاتصال بالقوة التي لا تغلب؛ والثقة بالله الذي ينصر أولياءه، وهو في الوقت ذاته استحضار حقيقة المعركة وبواعثها وأهدافها ، فهي معركة لله ، لتقرير ألوهيته في الأرض ، وطرد الطواغيت المغتصبة لهذه الألوهية؛ وإذن فهي معركة لتكون كلمة الله هي العليا؛ لا للسيطرة ، ولا للمغنم ، ولا للاستعلاء الشخصي أو القومي، كما أنه توكيد لهذا الواجب – واجب ذكر الله – في أحرج الساعات وأشد المواقف، وكلها إيحاءات ذات قيمة في المعركة؛ يحققها هذا التعليم الرباني .

وأما طاعة الله ورسوله، فلكي يدخل المؤمنون المعركة مستسلمين لله ابتداء؛ فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾، فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه؛ وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لله

ورسوله انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم – مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة – فليس الذي يثير النزاع هو اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو وضع « الذات » في كفة ، والحق في كفة؛ وترجيح الذات على الحق ابتداء! ومن ثم هذا التعليم بطاعة الله ورسوله عند المعركة، إنه من عمليات « الضبط » التي لا بد منها في المعركة . إنها طاعة القيادة العليا فيها، التي تنبثق منها طاعة الأمير الذي يقودها، وهي طاعة قلبية عميقة لا مجرد الطاعة التنظيمية في الجيوش التي تجاهد لله، ولا يقوم ولاؤها للقيادة على ولائها لله أصلا والمسافة كبير كبيرة.

وأما الصبر فهو الصفة التي لا بد منها لخوض المعركة أية معركة، في ميدان النفس أم في ميدان القتال، قال تعالى:﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ ، وهذه المعية من الله هي الضمان للصابرين بالفوز والغلب و الفلاح .

ويبقى التعليم الأخير، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ ، يبقى هذا التعليم ليحمي العصبة المؤمنة من أن تخرج للقتال متبطرة طاغية تتعاجب بقوتها! وتستخدم نعمة القوة التي أعطاها الله لها في غير ما أرادها، والعصبة المؤمنة إنما تخرج للقتال في سبيل الله؛ تخرج لتقرير ألوهيته سبحانه في حياة البشر، وتقرير عبودية العباد لله وحده . وتخرج لتحطيم الطواغيت التي تغتصب حق الله في تعبيد العباد له وحده، والتي تزاول الألوهية في الأرض بمزاولتها

للحاكمية – بغير إذن الله وشرعه – وتخرج لإعلان تحرير « الإنسان » في « الأرض » من كل عبودية لغير الله، تستذل إنسانية الإنسان وكرامته .

وتخرج لحماية حرمات الناس وكراماتهم وحرياتهم، لا للاستعلاء على الناس واستعبادهم والتبطر بنعمة القوة باستخدامها هذا الاستخدام المنكر، وتخرج متجردة من حظ نفسها في المعركة جملة ، فلا يكون لها من النصر والغلب إلا تحقيق طاعة الله في تلبية أمره بالجهاد؛ وفي إقامة منهجه في الحياة؛ وفي إعلاء كلمته في الأرض؛ وفي التماس فضله بعد ذلك ورضاه، حتى الغنائم التي تخلفها المعركة فهي من فضل الله.

ولقد كانت صورة الخروج بطراً ورئاء الناس وصدا عن سبيل الله حاضرة أمام العصبة المسلمة؛ يرونها في خروج قريش بالصورة التي خرجت بها؛ كما كانت صورة العاقبة لهذا الخروج حاضرة فيما أصاب قريشاً التي خرجت في ذلك اليوم بفخرها وعزها وكبريائها تحاد الله ورسوله: وعادت في آخر اليوم بالذل والخيبة والانكسار والهزيمة، وكان الله سبحانه يذكر العصبة المسلمة بشيء حاضر له وقعه وله إيحاؤه :﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾، والبطر والمراءاة والصد عن سبيل الله تتجلى كلها في قولة أبي جهل، وقد جاءه رسول أبي سفيان – بعد أن ساحل بالعير فنجت من رصد المسلمين – يطلب إليه الرجوع بالنفير، إذ لم تعد بهم حاجة لقتال محمد وأصحابه.

وكانت قريش قد خرجت بالقيان والدفوف يغنون وينحرون الجزر على مراحل الطريق، فقال أبو جهل: " لا والله لا نرجع حتى نرد بدراً، فنقيم ثلاثاً، ننحر

الجزر، ونطعم الطعام ، ونشرب الخمر، وتعزف القيان علينا ، فلن تزال العرب تهابنا أبداً "، فلما عاد الرسول إلى أبي سفيان برد أبي جهل قال: " واقوماه! هذا عمل عمرو بن هشام (يعني أبا جهل) كره أن يرجع ، لأنه ترأس على الناس فبغى، والبغي منقصة وشؤم ، إن أصاب محمد النفير ذللنا"، وصحت فراسة أبي سفيان، وأصاب محمد – صلى الله عليه وسلم – النفير؛ وذل المشركون بالبطر والبغي والرياء والصد عن سبيل الله؛ وكانت بدر قاصمة الظهر لهم : ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾، لا يفوته منهم شيء، لا يعجزه من قوتهم شيء، وهو محيط بهم وبما يعملون"[١] .

وقد هدد الله تعالى في كتابه الكريم أعداءه من الكافرين بمصير من سبقهم من أهل الكفر، الذين كفروا به وكذبوا برسله، فأحاط الله بهم، وأبطل كيدهم، قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ ﴾[البروج: ١٩ – ٢٠]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء القوم الذين يكذّبون بوعيد الله أنهم لم يأتهم أنباء من قبلهم من الأمم المكذّبة رسل الله كفرعون وقومه، وثمود وأشكالهم، وما أحلّ الله بهم من النقم بتكذيبهم الرسل، ولكنهم في تكذيبهم بوحي الله وتنزيله، إيثارًا منهم لأهوائهم، واتِّباعًا منهم لسنن آبائهم ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾ بأعمالهم مُحْصٍ لها، لا يخفى عليه منها شيءٌ، وهو مجازيهم على جميعها"[٢] .

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٣/ ٤١٤، باختصار.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٣٤٧.

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المحيط أن يدعو المؤمن ربه باسمه المحيط، أو بما يدل على إحاطته وحفظه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح:" **اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**"[١]

وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا خرج من منزله قال:" **اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي**"[٢].

ويمكن ان يدعو المؤمن ربه **المحيط** بأي دعاء فيه اسمه المحيط، ومن ذلك أن يقول:" اللهم يا محيط يا من لا يخفى عليه مكر الماكرين وكيد الكائدين، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك اللهم من شرورهم، اللهم ابطل مخططاتهم واكف المسلمين أذاهم، وأحيط بهم يا محيط، وغير ذلك من الأدعية المتضمنة لاسم الله المحيط.

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب ، برقم(٦٥٩).

(٢) صحيح ابن ماجة، برقم(٣١٣٤).

١٦ ـ العفو جل جلاله

العفو من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" **العفو**: وهو فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطمس وهو من أبنية المبالغة، وكل من استحق العقوبة فتركتها فقد عفوت عنه... مأخوذ من قولهم عفت الرياح الآثار إذا درستها ومحتها، فالعفو هو ترك الشيء وإزالته، وعفوت عنه قصدت إزالة ذنبه صارفا عنه، وقوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ [التوبة:٤٣]، أي محا الله عنك هذا الأمر وغفر لك.

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام، فصمت، فلما كان في الثالثة قال:" **اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة** "(١) .

والعفو: القصد لتناول الشيء، يقال عفاه واعتفاه أي: قصده متناولا ما عنده، وعفت الريح الدار قصدتها زمفالعفو: هو التجافي عن الذنب"(٢).

ثانياً: معناه في اللغة

---

(١) سنن أبي داود في الأدب، باب في حق المملوك ٣٤١/٤ ، برقم(٥١٦٤)، صحيح أبي داود، برقم (٤٣٠١) .

(٢) لسان العرب، لابن منظور ٣٠١٩/٤، المفردات، للراغب الأصفهاني، صـ ٣٣٩، الغريب، لابن قتيبة ٣٦١/٢

اسم الله **العفو** وردت له عدة تعريفا اصطلاحية، ومنها ما ذكره الإمام الحليمي، حيث قال:" **العفو:** إنه الواضع عن عباده تبعات خطاياهم وآثامهم، فلا يستوفيها منهم، وذلك إذا تابوا واستغفروا، أو تركوا لوجهه أعظم ما فعلوا؛ ليكفر عنهم ما فعلوا بما تركوا، أو بشفاعة من يشفع لهم ، أو يجعل ذلك كرامة لذي حرمة لهم به وجزاء له بعمله"(١).

وقال الخطابي رحمه الله تعالى: " **العفو:** الصفح عن الذنوب، وترك مجازاة المسيء، وقيل: إن العفو مأخوذ من عفت الريح الأثر إذا درسته، فكأن العافي عن الذنب يمحوه بصفحه عنه"(٢).

وقال ابن القيم في نونيته:

وهو العفو فعفوه وسع الورى .... لولاه غار الأرض بالسكان(٣)

قال الشيخ السعدي في شرحه لهذا البيت: "وأما العفو: فهو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر من عباده من الذنوب؛ ولا سيما إذا أتوا بما يوجب العفو عنهم من الاستغفار والتوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفو يحب العفو، ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه؛ من السعي في مرضاته والإحسان إلى خلقه.

---

(١) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ١٠٢.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٩٠ .

(٣) نونية ابن القيم، ٢/٢٢٧.

ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع غفر له جميع جرمه؛ كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] "[١].

وقد يقول قائل مال فرق بين اسم الله العفو واسمه الغفور؟ وللإجابة عن هذا التساؤل قال الإمام الغزالي:" العفو: هو الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنه أبلغ منه فإن الغفران ينبئ عن الستر، والعفو ينبئ عن المحو، والمحو أبلغ من الستر"[٢].

وقال القرطبي: العفو، عفو الله جل وعز عن خلقه، وقد يكون بعد العقوبة وقبلها، بخلاف الغفران فإنه لا يكون معه عقوبة البتة، وكل من استحق عقوبة فتركت له فقد عفي عنه، فالعفو محو الذنب " [٣].

ثالثاً: وروده في القرآن والسنة

اسم الله العفو ورد في القرآن الكريم في خمسة آيات، وهذه الآيات هي قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [النساء: ٩٧ – ٩٩]، قال الإمام

([١]) الحق الواضح المبين، للسعدي، صـ ٥٦.
([٢]) المقصد الأسنى ، للغزالي، صـ١٤٠.
([٣]) تفسير القرطبي ١/٣٩٧ .

الطبري في تفسيره لهذه الآية" يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ، إن الذين تقبض أرواحهم الملائكة ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ، يعني: مكسبي أنفسهم غضبَ الله وسخطه.

قالت الملائكة لهم: فِيمَ كُنتُمْ ، في أيِّ شيء كنتم من دينكم "قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ، يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا بكثرة عددهم وقوتهم، فيمنعونا من الإيمان بالله، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، معذرةٌ ضعيفةٌ وحُجَّة واهية قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ، يقول: فتخرجوا من أرضكم ودوركم، وتفارقوا من يمنعكم بها من الإيمان بالله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، إلى الأرض التي يمنعكم أهلها من سلطان أهل الشرك بالله، فتوحِّدوا الله فيها وتعبدوه، وتتبعوا نبيَّه؟ يقول الله جل ثناؤه: فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ، أي: فهؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم مصيرهم في الآخرة جهنم، وهي مسكنهم ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ ، يعني: وساءت جهنم لأهلها الذين صاروا إليها مصيرًا" ومسكنًا ومأوى.

ثم استثنى جل ثناؤه المستضعفين الذين استضعفهم المشركون ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ، وهم العجزة عن الهجرة بالعُسْرة، وقلّة الحيلة، وسوء البصر والمعرفة بالطريق من أرضهم أرضِ الشرك إلى أرض الإسلام، من القوم الذين أخبر جل ثناؤه أن مأواهم جهنم: أن تكون جهنم مأواهم، للعذر الذي هم فيه، على ما بينه تعالى ذكره.

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ ﴾ يعني: هؤلاء المستضعفين، لعل الله أن يعفو عنهم، للعذر الذي هم فيه وهم مؤمنون، فيفضل عليهم بالصفح عنهم في تركهم الهجرة، إذ لم يتركوها اختيارًا ولا إيثارًا منهم لدار الكفر على دار الإسلام، ولكن للعجز الذي هم فيه عن النّقلة عنها ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا ﴾، يعني: ذا صفح بفضله عن ذنوب عباده، بتركه العقوبة عليها ﴿ غَفُورًا ﴾، ساترًا عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها"[1].

ومن الآيات التي جاء فيها اسم الله العفو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾[النساء: ٤٣] ، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، حتى يعلموا ما يقولون، ويشتد تحريم الخمر وقت حضور الصلاة، فإن الخمر يسكر القلب، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهذه الآية الكريمة منسوخة بتحريم الخمر مطلقا، فإن الخمر –في أول الأمر– كان غير محرم، ثم إن الله تعالى عرض لعباده بتحريمه بقوله: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾ [البقرة: ٢١٩].

---

(1) تفسير الطبري ٩/ ١٠١، باختصار

ثم إنه تعالى نهاهم عن الخمر عند حضور الصلاة كما في هذه الآية، ثم إنه تعالى حرمه على الإطلاق في جميع الأوقات في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

ويؤخذ من هذه الآية منع الدخول في الصلاة في حال النعاس المفرط، الذي لا يشعر صاحبه بما يقول ويفعل، بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كمدافعة الأخبثين والتوق للطعام ونحوه .

ثم قال: ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ ﴾ أي: لا تقربوا الصلاة حالة كون أحدكم جنبا، إلا في هذه الحال وهو عابر السبيل أي: تمرون في المسجد ولا تمكثون فيه، ﴿ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ ﴾ أي: فإذا اغتسلتم فهو غاية المنع من قربان الصلاة للجنب، فيحل للجنب المرور في المسجد فقط.

﴿ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾، فأباح التيمم للمريض مطلقًا مع وجود الماء وعدمه، والعلة المرض الذي يشق معه استعمال الماء، وكذلك السفر فإنه مظنة فقد الماء، فإذا فقده المسافر أو وجد ما يتعلق بحاجته من شرب ونحوه، جاز له التيمم، وكذلك إذا أحدث الإنسان ببول أو غائط أو ملامسة النساء، فإنه يباح له التيمم إذا لم يجد الماء، حضرًا وسفرًا كما يدل على ذلك عموم الآية.

والحاصل: أن الله تعالى أباح التيمم في حالتين، حال عدم الماء، وهذا مطلقا في الحضر والسفر، وحال المشقة باستعماله بمرض ونحوه.

وفي هذه الآية الكريمة مشروعية هذا الحكم العظيم الذي امتن به الله على هذه الأمة، وهو مشروعية التيمم، وقد أجمع على ذلك العلماء ولله الحمد.

وقوله: ﴿ فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ ﴾ هذا محل المسح في التيمم: الوجه جميعه واليدان إلى الكوعين، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، ويستحب أن يكون ذلك بضربة واحدة، أن تيمم الجنب كتيمم غيره، بالوجه واليدين.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ أي: كثير العفو والمغفرة لعباده المؤمنين، بتيسير ما أمرهم به، وتسهيله غاية التسهيل، بحيث لا يشق على العبد امتثاله، فيحرج بذلك.

ومن عفوه ومغفرته أن رحم هذه الأمة بشرع طهارة التراب بدل الماء، عند تعذر استعماله. ومن عفوه ومغفرته أن فتح للمذنبين باب التوبة والإنابة ودعاهم إليه ووعدهم بمغفرة ذنوبهم. ومن عفوه ومغفرته أن المؤمن لو أتاه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا، لأتاه بقرابها مغفرة"[1].

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله العفو قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ [الحج: ٦٠]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" الإشارة في قوله

(1) تفسير السعدي، صـ ١٧٩، باختصار.

تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إلى ما تقدّم: أي الأمر ما قصصنا عليكم من إنجاز الوعد للمهاجرين خاصة إذا قتلوا أو ماتوا، ومعنى ﴿ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ﴾ أي: أن العقوبة في الأصل إنما تكون بعد فعل تكون جزاء عنه وتكون بالمثل، والمراد بالمثلية: أنه يقتصر على المقدار الذي ظلم به ولم يزد عليه ، ومعنى ﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ﴾ أن الظالم له في الابتداء عاوده بالمظلمة بعد تلك المظلمة الأولى . قيل : المراد بهذا البغي : هو ما وقع من المشركين من إزعاج المسلمين من أوطانهم بعد أن كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به ، واللام في ﴿ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ﴾، أي: لينصرن الله المبغيّ عليه على الباغي ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ أي كثير العفو والغفران للمؤمنين فيما وقع منهم من الذنوب، وقيل: العفو والغفران لما وقع من المؤمنين من ترجيح الانتقام على العفو "[1] .

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله العفو قوله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾[النساء: ١٤٩]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" هكذا يرتفع المنهج التربوي بالنفس المؤمنة والجماعة المسلمة درجة أخرى، في أول درجة يحدثهم عن كراهة الله – سبحانه – للجهر بالسوء، ويرخص لمن وقع عليه الظلم أن ينتصف أو يطلب النصف، بالجهر بالسوء فيمن ظلمه، ومما وقع عليه من الظلم، وفي الدرجة الثانية يرتفع بهم جميعاً إلى فعل الخير؛ ويرتفع بالنفس التي ظلمت – وهي تملك أن

---

(١) تفسير الشوكاني ٥/ ١٣٢، باختصار.

تنتصف من الظلم بالجهر – أن تعفو وتصفح – عن مقدرة فلا عفو بغير مقدرة – فيرتفع على الرغبة في الانتصاف إلى الرغبة في السماحة؛ وهي أرفع وأصفى.

عندئذ يشيع الخير في المجتمع المسلم إذا أبدوه، ويؤدي دوره في تربية النفوس وتزكيتها إذا أخفوه – فالخير طيب في السر طيب في العلن – وعندئذ يشيع العفو بين الناس، فلا يكون للجهر بالسوء مجال . على أن يكون عفو القادر الذي يصدر عن سماحة النفس لا عن مذلة العجز؛ وعلى أن يكون تخلقاً بأخلاق الله، الذي يقدر ويعفو ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ "[1].

ومن الآيات القرآنية التي جاء فيها ذكر اسم الله العفو قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴾ [المجادلة: ٢]، قال الشيخ المراغي في تفسيره عند هذه الآية:" أي الذين يقع منهم الظهار من نسائهم، فيقول أحدهم لامرأته: أنت علىّ كظهر أمي، يريد أنك علىّ حرام، كما أن أمي علىّ حرام– مخطئون فيما صنعوا، ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ ﴾أي ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فكيف يجعلونهن كذلك، ما أمهاتهم إلا من ولدنهم، فلا ينبغى تشبيههن بهن.

([1]) في ظلال القرآن، لسيد قطب٢/ ٢٧٣.

ثم زاد الأمر إيضاحا وبالغ فى الاستهجان فقال:﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ ﴾أي وإنهم ليقولون قولا منكرا لا يجيزه شرع، ولا يرضى به عقل، ولا يوافق عليه ذو طبع سليم، فكيف تشبّه من يسكن إليها وتسكن إليه وجعل بينه وبينها مودة ورحمة، وصلة خاصة لا تكون لأم ولا لأخت، بمن جعل صلتها بابنها صلة الكرامة والحنوّ والإجلال والتعظيم، إلى أن الرجل قوّام على المرأة له حق تأديبها إذا اعوجّت، وهجرانها فى المضاجع إذا جمحت ولم يعط ذلك لابن ليعامل به أمه، فهذا زور وبهتان عظيم، وغير خاف ما فى هذا من الاستهجان، وشديد التشنيع على صدور هذا القول منهم، ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ لما سلف من الذنب متى تاب فاعله منه"(١).

وقد ورد اسم الله العفو في السنة، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أدعو؟ قال: تقولين:" **اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** " (٢).

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله العفو

لاسم الله العفو آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وهذه الآثار سوف نتناولها في هذا المقام على النحو التالي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله العفو أن يحب العبد ربه العفو؛ لأن الله تعالى كثير العفو عن عباده، وقد وصف الله تعالى نفسه بذلك في كثير من الآيات،

---

(١) تفسير المراغي (٢٨/ ٦).

(٢) سنن الترمذي في كتاب الدعوات ٥/٥٣٤ ' برقم(٣٥١٣) وانظر صحيح الجامع، برقم (٤٤٢٣) .

قال تعالى في ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى:٣٠]، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥ ﴾ [الشورى:٢٥].

وقال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ١٥٣ ﴾ [النساء:١٥٣]، وقال تعالى عنهم: ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٥١ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٢ ﴾[البقرة: ٥١ – ٥٢].

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين** " (1).

وعن عبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: " إن أول رجل قطع في الإسلام أو من المسلمين رجل أتي به إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –

---

(1) صحيح البخاري في المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨] ٨٦٢/٢ ، برقم(٢٣٠٩) .

فقيل: يا رسول الله إن هذا سرق، فكأنما أسف وجه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رمادا، فقال بعضهم: يا رسول الله، أي؟ يقول ما لك؟ فقال: **وما يمنعني وأنتم أعوان الشيطان علي صاحبكم والله – عز وجل – عفو يحب العفو ولا ينبغي لوالي أمر أن يؤتي بحد إلا أقامه**، ثم قرأ: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢] " [١] .

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله العفو أن يتخلق المؤمن بخلق العفو أثناء تعامله مع الخلق، قال الإمام الغزالي:" وحظ العبد من ذلك لا يخفى، وهو أن يعفو عن كل من ظلمه بل يحسن إليه كما يرى الله تعالى محسنا في الدنيا إلى العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة، بل ربما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم وإذا تاب عليهم محا سيئاتهم إذ التائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذا غاية المحو للجناية"[٢] .

فيعفو العبد عمن أساء إليه رجاء أن يعفو الله عنه، وله في ذلك أسوة في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – يتصدق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه، فلما شارك المنافقين في اتهام أم المؤمنين عائشة بالإفك وبرأها الله – عز وجل –، قال أبو بكر – رضي الله عنه –: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ

---

(١) مسند أحمد ٤١٩/١ ، برقم(٣٩٧٧)، وانظر السلسلة الصحيحة ٤/، برقم ١٨١(١٦٣٨) .

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٤٠.

وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور:٢٢]، فقال أبو بكر: بلى، والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه [١] .

ولما قدم عيينة بن حصن بن حذيفة نزل علي ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالي قال لنبيه – صلى الله عليه وسلم – : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله " [٢] .

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله العفو أن يدعو المؤمن ربه باسمه العفو، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية ، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي تقدم وفيه أنها قالت: " يا رسول الله: أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أدعو؟ قال: **تقولين اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** " [٣].

([١]) صحيح البخاري في المغازي، باب تعديل النساء بعضهن بعضا ٢/٩٤٥، برقم(٢٥١٨) .
([٢]) صحيح البخاري في التفسير، باب خذ العفو وأمر بالعرف ٤/١٧٠٢ ، برقم (٤٣٦٦) .
([٣]) سبق تخريجه قبل قليل .

وعن جبير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم قال سمعت ابن عمر يقول لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح:" **اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وقال عثمان عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**"[١] .

وفي مسند الإمام أحمد أن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – قال وهو يخطب الناس حين استخلف: " إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قام عام الأول مقامي هذا، وبكى أبو بكر، فقال: **أسأل الله العفو والعافية، فإن الناس لم يعطوا بعد اليقين شيئا خيرا من العافية** " [٢].

وعن عوف بن مالك – رضي الله عنه – أنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلي على ميت فسمعت من دعائه وهو يقول:" **اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه وأكرم نزله، وأوسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس** " [٣].

---

(١) صحيح ابن ماجة، برقم (٣٨٧١).

(٢) مسند أحمد ١/٧ ، برقم(٣٤)، ومشكاة المصابيح، برقم (٢٤٨٩) .

(٣) صحيح مسلم في الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة ٢/٦٦٢ ، برقم(٩٦٣) .

١٧ـ الحي جل جلاله

الحي جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننه في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" الحي في اللغة صفة مشبهة للموصوف بالحياة، فعله حي يحي حياة، قال الله تعالى: ﴿ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ ﴾ [الأنفال:٤٢]، والحياة نقيض الموت، والحي في كلام العرب: من كل شيء نقيض الميت، والحيوان اسم يقع على كل شيء حي، والحيوان خلاف الموات، والحي يطلق أيضا على كل متكلم ناطق، والحي هو الواحد من أحياء العرب، يقع على بني أب كثروا أم قلوا وعلى شعب يجمع القبائل، والحي أيضا البطن من بطون العرب، والحي من النبات ما كان أخضرا طريا يهتز، [١].

ثانيا: معناه الاصطلاحي

لاسم الله الحي عدة تعاريف متقاربة، ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام الغزالي ، حيث قال:" الحي هو الفعال الدراك حتى إن من لا فعل له أصلا ولا إدراك فهو ميت وأقل درجات الإدراك أن يشعر المدرك بنفسه فما لا يشعر بنفسه فهو الجماد والميت فالحي الكامل المطلق هو الذي يندرج جميع المدركات تحت إدراكه وجميع الموجودات تحت فعله حتى لا يشذ عن علمه مدرك ولا عن فعله مفعول وذلك الله عز وجل فهو الحي المطلق وكل حي سواه، فحياته بقدر

---

(١)لسان العرب، لابن منظور ١٠٧٥/٢، والمفردات، للراغب للأصفهاني صـ ٢٦٩، اشتقاق الأسماء، للزجاجي، صـ١٠٢.

إدراكه وفعله وكل ذلك محصور في قلة ثم إن الأحياء يتفاوتون فيه فمراتبهم بقدر تفاوتهم"[١].

وقال الإمام ابن القيم: "وحياته سبحانه أكمل الحياة وأتمها، وهي حياة تستلزم جميع صفات الكمال، وتنفي أضدادها من جميع الوجوه، ومن لوازم الحياة العقل الاختياري فإن كل حي فعال، وصدور العقل عن الحي بحسب كمال حياته ونقصها، وكل من كانت حياته أكمل من غيره كان فعله أقوى وأكمل، وكذلك قدرته، ولذلك كان (الرب) سبحانه على كل شيء قدير وهو فعال لما يريد. وقد ذكر البخاري في كتاب "خلق الأفعال"عن نعيم بن حماد أنه قال: الحي هو الفعال، وكل حي فعال؛ فلا فرق بين الحي والميت إلا بالفعل والشعور" [٢].

قال ابن تيمية:" والدلائل على حياة الله كثيرة، منها أنه قد ثبت أنه عالم والعلم لا يقوم إلا بحي وثبت أنه قادرا مختارا يفعل بمشيئته والقادر المختار لا يكون إلا حيا

ومنها أنه خالق الأحياء وغيرهم والخالق أكمل من المخلوق فكل كمال ثبت للمخلوق فهو من الخالق فيمتنع أن يكون المخلوق أكمل من خالقه وكماله أكمل منه

والمتفلسفة القائلون بالموجب بالذات يسلمون هذا ويقولون كمال المعلول مستفاد من علته فإذا كان خالقا للأحياء كان حيا بطريق الأولى والأحرى

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٧٦.

(٢) شفاء العليل، لابن القيم ١/١٨٧.

ومنها أن الحي أكمل من غير الحي كما قال تعالى:﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ ﴾ [فاطر: ٢٢]، فلو كان الخالق غير حي لزم أن يكون الممكن المحدث المخلوق أكمل من الواجب القديم الخالق فيكون أنقص الموجودين أكمل من أكملها"(١)

وقال الإمام الطبري في تفسيره: ""**الحي**" فإنه يعني الذي له الحياة الدائمة والبقاء، الذي لا أول له يحد ولا آخر له يمد، إذ كان كل ما سواه فإنه وإن كان حيا فلحياته أول محدود، وآخر مأمود، ينقطع بانقطاع أمدها وينقضي بانقضاء غايتها " (٢) .

وقال الزجاجي:" الله عز وجل هو الحي الباقي الذي لا يجوز عليه الموت ولا الفناء، عز وجل وتعالى عن ذلك علوا كبيرا. ولا تعرف العرب عن الحي والحياة غير هذا"(٣).

ثانيا: وروده في القرآن والسنة

اسم الله "**الحي**" ورد في القرآن الكريم في خمس آيات، وقد جاء في آيتين منها مفردا لم يقترن بغيره من الاسماء، وفي ثلاث منها مقترنا باسم الله القيوم، أما الآيات التي جاء فيها مفردا فهما قوله تعالى:" ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥]، قال السعدي في تفسيره لهذه الآية:" ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ ﴾ الذي له الحياة الكاملة التامة، المستلزمة

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية ٣/ ٢٠٨.

(٢) تفسير الطبري ٥/ ٣٨٦. .

(٣) اشتقاق الأسماء الحسنى، للزجاجي، صـ ١٠٢.

لما تستلزمه من صفاته الذاتية، التي لا تتم حياته إلا بها، كالسمع، والبصر، والقدرة، والعلم، والكلام، وغير ذلك، من صفات كماله، ونعوت جلاله.

﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا معبود بحق، إلا وجهه الكريم. ﴿ فَـٱدْعُوهُ ﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي: اقصدوا بكل عبادة ودعاء وعمل، وجه الله تعالى، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ أي: جميع المحامد والمدائح والثناء، بالقول كنطق الخلق بذكره، والفعل، كعبادتهم له، كل ذلك لله تعالى وحده لا شريك له، لكماله في أوصافه وأفعاله، وتمام نعمه"[١].

ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها اسم الله "**الحي**" مفردا قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٨]، قال سيد قطب عند هذه الآية:":" كل ما عدا الله ميت، لأنه صائر إلى موت، فلا يبقى إلا الحي الذي لا يموت، والتوكل على ميت، تفارقه الحياة يوما طال عمره أم قصر، هو ارتكان إلى ركن ينهار، وإلى ظل يزول .

إنما التوكل على الحي الدائم الذي لا يزول ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ﴾ ولا يحمد إلا الله المنعم الوهاب، ودع أمر الكفار الذين لا ينفعهم التبشير والإنذار إلى الحي الذي لا يموت فهو يعلم ذنوبهم ولا يخفى عليه منها شيء : ﴿ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [٢].

---

(١) تفسير السعدي ، صـ ٧٤١.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٥/ ٣٢٩.

أما الآيات القرآنية التي اقترن بها اسم الله **الحي** باسمه القيوم فهي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والشيخ الشعراوي كلاما نفيسا في تفسيره لهذه الآية نثبت معظمه مختصر، قال رحمه الله تعالى:" الحق سبحانه وتعالى حين أعلمنا باسمه﴿ ٱللَّهُ ﴾ أعطانا فكرة على أن كلمة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ هذه يتحدى بها سبحانه أن يسمى بها سواه، ولو كنا جميعا مؤمنين لكان احترامنا لهذا التحدي نابعا من الإيمان . ولكن هنا كافرون بالله ومتمردون وملحدون يقولون: " الله خرافة"، ومع ذلك هل يجرؤ واحد من هؤلاء أن يسمي نفسه﴿ ٱللَّهُ ﴾

لم يفعل أحد هذا؛ لأن الله تحدى بذلك، فلم يجرؤ واحد أن يدخل في هذه التجربة.

وعدم جرأة الكفار والملاحدة في أن يدخلوا في هذه التجربة دليل على أن كفرهم غير وطيد في نفوسهم ، فلو كان كفرهم صحيحا لقالوا : سنسمي ونرى ما يحدث ، ولكن هذا لم يحدث، إذن ﴿ ٱللَّهُ ﴾ علم واجب الوجود المتصف بكل صفات الكمال.

وبعد ذلك جاء بالقضية الأساسية وهي قوله تعالى:﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وهنا نجد النفي ونجد الإثبات، النفي في ﴿لَآ إِلَٰهَ ﴾، والإث بات في ﴿إِلَّا هُوَ ﴾ والنفي تخلية والإثبات تحلية . خلى سبحانه نفسه من وجود الشريك له ثم أثبت لنا وحدانيته، و" **لا إله إلا الله** " أي لا معبود بحق إلا الله، ونعرف أن بعضنا من البشر في فترات الغفلة قد عبدوا أصناما وعبدوا الكواكب، ولكن هل كانت آلهة

بحق أم بباطل؟ لقد كانت آلهة بباطل . ودليل صدق هذه القضية التي هي « **لا إله إلا الله** »، أي لا معبود إلا الله أن أحدا من تلك الآلهة لم يعترض على صدق هذه القضية . إذن فهذا الكلام هو حق وصدق .

وإن ادعى أحد غير ذلك ، نقول له : إن الله قد أخبرنا أنه لا معبود بحق غيره؛ لأنه هو الذي خلق وهو الذي رزق ، وقال: أنا الذي خلقت، إن كان هذا الكلام صحيحا فهو صادق فيه ، فلا نعبد إلا هو، وإن كان هذا الكلام غير صحيح، وأن أحدا غيره هو الذي خلق هذا الكون فأين هذا الأحد الذي خلق، ثم ترك من لم يخلق ليأخذ الكون منه ويقول: « أنا الذي خلق الكون »؟ إنه أمر من اثنين ، الأمر الأول : هو أنه ليس هناك إله غيره . فالقضية إذن منتهية . والأمر الآخر: هو أنه لو كان هناك آلهة أخرى ، وبعد ذلك جاء واحد وقال : « أنا الإله وليس هناك إله إلا أنا » ، فأين هذه الآلهة الأخرى؟ ألم تعلم بهذه الحكاية؟

إن كانوا لم يعلموا بها ، فهم لا يصلحون أن يكونوا آلهة، وإن كانوا قد علموا فلماذا لم يقولوا : لا نحن الآلهة ، وهذا الكلام كذب؟ وكما بعث الله رسلا بمعجزات كان عليهم أن يبعثوا رسولا بمعجزات .

فصاحب الدعوة إذا ادعاها ولم يوجد معارض له ، تثبت الدعوى إلى أن يوجد منازع

إذن كلمة « لا إله إلا الله » معها دليل الصدق؛ لأنه إما أن يكون هذا الكلام حقا وصدقا فتنتهي المسألة، وإن لم يكن حقا فأين الإله الذي خلق والذي يجب أن يعبد بعد أن سمع من جاء ليأخذ منه هذه القضية؟ وبعد ذلك لا نسمع له

حسا ولا حركة ، ولا يتكلم ، ولا نعلم عنه شيئا، فما هو شأنه؟ إما أنه لم يعلم فلا يصلح أن يكون إلها؛ لأنه لو كان قد علم ولم يرد فليست له قوة .

ولذلك ربنا سبحانه يأتي بهذه القضية من ناحية أخرى فيقول: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء : ٤٢-٤٣]، فلو كان عند تلك الآلهة المزعومة مظاهر قوة لذهبوا إلى الله سبحانه وتعالى وأنكروا ألوهيته، ولو كان هناك إله غير الله لحدثت معركة بين الآلهة، ولكن هذا لم يحدث . فالكلمة « لا إله إلا الله » صدق في ذاتها حتى عند من ينكرها ، والدليل فيها هو عدم وجود المنازع لهذه الدعوى؛ لأنه إن لم يوجد منازع فقد ثبت أنه سبحانه لا إله إلا الله . وإن وجد المنازع نقول : أين هو؟.

إذن « **لا إله إلا الله** » هي قضية تمتلئ بالصدق والحق، والله هو الحي القيوم المعبود الذي يتوجه إليه بالعبادة ، والعبادة هي الطاعة . فمعنى عابد أي طائع ، وكل طاعة تقتضي أمرا وتقتضي نهيا ، ومادامت العبادة تقتضي أمرا وتقتضي نهيا ، فلا بد أن يكون المأمور والمنهي صالحا أن يفعل وصالحا ألا يفعل . فعندما نقول له : افعل كذا كمنهج إيمان ، فهو صالح لئلا يفعل . وعندما نقول له : لا تفعل فهو صالح لأن يفعل ، وإلا لو لم يكن صالحا ألا يفعل أيقول له « افعل »؟ لا ، لا يقول له ذلك . ولو كان صالحا ألا يفعل أيقول له « لا تفعل »؟ إن ذلك غير ممكن .

فحينما قال الحق: ﴿ ٱللَّهُ ﴾ فهو سبحانه يريد أن يعطينا بعض تجليات الله في أسمائه ، فقال : « الله لا إله إلا هو » ليحقق لنا صفة التوحيد.

ثم وصف الله نفسه بالحياة فقال: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ فالحياة هي أول صفة يجب أن تكون لذلك الإله؛ لأن القدرة بعد الحياة، والعلم بعد الحياة ، و ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ هو الذي يكون على صفة تبقى له صلاحيته لمهمته ، مثال ذلك النبات ، مادمت تجده ينمو، إذن ففيه حياة تبقى له صلاحية مهمته . فلو قطع لانتهت الصلاحية . ومثال الإنسان عندما يموت تنتهي صلاحيته لمهمته .

إذن فالحياة مقابلة للهلاك . و ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ غير هالك . والهالك لا يكون حيا ، ويقول تعالى في الآخرة : ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٨﴾ [القصص : ٨٨]، ومعنى ذلك أن كل الأجناس من أعلاها إلى أدناها، سواء الإنسان ، أو الملائكة ، أو الحيوان أو النبات ، كلها ستكون هالكة ، ومادام كل شيء سيهلك يوم القيامة فكأنه لم يكن هالكا قبل ذلك ، وله حياة مناسبة له.

فلكل شيء في الوجود حياة تناسب المهمة التي يصلح لها، وانظر إلى مهمة الحق ، ما شكلها؟ إنها الحياة العليا ، وهو الحي الأعلى وحي لا تسلب منه الحياة ، لأن أحدا لم يعطه الحياة ، بل حياته سبحانه ذاتية ، فهذا هو الحي على إطلاقه .

إذن فالحي على إطلاقه هو الله والحق سبحانه وتعالى قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ "(1).

فقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾، جاء في بداية آية الكرسي والتي هي أعظم آية في القرآن الكريم، فعن أبي ابن كعب رضي الله عنه أن رسول

---

(1) تفسير الشعراوي، صـ ٦٨٩، باختصار وتصرف.

الله صلى الله عليه وسلم سأله:" **يا أبا المنذر، أتدرى أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال قلت:** ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ **قال: فضرب في صدري، وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر**" [1].

وقد جاء في بعض الأحاديث أن اسم الله الأعظم موجود في اسمي الله ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾، فعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ ، وفاتحة آل عمران: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾[آل عمران: ١ – ٢] " [2].

ومن الآيات التي اقترن بها اسم الله الحي باسمه القيوم قوله تعالى:" ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾[آل عمران: ١ – ٢]، قال الشيخ السعدي في تفسيره :"افتتح الله تبارك وتعالى سورة آل عمران بالإخبار بألوهيته، وأنه الإله الذي لا إله إلا هو الذي لا ينبغي التأله والتعبد إلا لوجهه، فكل معبود سواه فهو باطل، والله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة والقيومية.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٥٥٦/١ ، برقم(٨١٠) .

(2) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء ٨٠/٢ ، برقم (١٤٩٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (١٦٤٢) .

فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التي لا تتم ولا تكمل الحياة إلا بها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام و ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته، وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام وللقلوب والأرواح"[١].

ومن الآيات التي اقترن بها اسم الله الحي باسمه القيوم قوله تعالى:" ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١]، قال الشيخ الشنقيطي في تفسيره لهذه الآية :"أي: عنت أي: ذلت وخضعت. تقول العرب: عنا يعنو عنوا وعناء: إذ ذل وخضع، وخشع، قوله في هذه الآية الكريمة: ﴿ لِلْحَيِّ ﴾ : المتصف بالحياة الذي لا يموت أبدا. ﴿ ٱلْقَيُّومِ ﴾ صيغة مبالغة؛ لأنه جل وعلا هو القائم بتدبير شئون جميع الخلق، وهو القائم على كل نفس بما كسبت. وقيل: القيوم الدائم الذي لا يزول.

واعلم أن العلماء اختلفوا في هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: المراد بالوجوه التي ذلت وخشعت للحي القيوم: وجوه العصاة خاصة وذلك يوم القيامة: وأسند الذل، والخشوع لوجوههم؛ لأن الوجه تظهر فيه آثار الذل، والخشوع. ومما يدل على هذا المعنى من الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الملك: ٢٧] .

---

(١) تفسير السعدي، صـ ١٢١.

وقال بعض العلماء ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ ﴾: أي: ذلت وخضعت وجوه المؤمنين لله في دار الدنيا، وذلك بالسجود، والركوع. وظاهر القرآن يدل على أن المراد الذل والخضوع لله يوم القيامة؛ لأن السياق في يوم القيامة، وكل الخلائق تظهر عليهم في ذلك اليوم علامات الذل، والخضوع لله جل وعلا.

وقوله في هذه الآية: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ قال بعض العلماء: أي: خسر من حمل شركا، وتدل لهذا القول الآيات القرآنية الدالة على تسمية الشرك ظلما. كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] ، وقوله: وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام :٨٢] إلى غير ذلك من الآيات.

والأظهر أن الظلم في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ ، يعم الشرك، وغيره من المعاصي. وخيبة كل ظالم بقدر ما حل من الظلم، والعلم عند الله تعالى. "[1].

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله الحي

لا سم الله "**الحي**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من مقتضيات الإيمان باسم الله "**الحي**" الإيمان بأن الحياة والإماتة بيد الله تعالى وحدة، وأن الله تعالى قد يجري بعض المشاهد في الدنيا الدالة على قدرته على إحياء الموتى، كما حصل لا براهيم عليه السلام، كما حكى الله عنه أنه

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ٤/ ١٠١، بتصرف يسير.

قالك: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ومن ذلك احياء الله تعالى للملأ من بني اسرائيل الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ومن ذلك أحياء الله تعالى لصاحب القرية التي مر عليها وهي خاوية على عروشها، قال الله عنه: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ومن ذلك احياء الله تعالى للأرض بعد موتها، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [فصلت: ٣٩، ٤٠]

٢ـ ومن مقتضيات الإيمان باسم الله "**الحي**" أن يعظم المسلم حق الحياة لغيره ، فلايتعدي على غيره بالقتل ويسلب منه الحياة إلا بالحق، فإن ذلك من كبائر الآثام والذنوب التي توعد الله صاحبه بالعذاب الأليم في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٩٣].

وقد جعل الله تعالى الاعتداء على نفس واحدة بقتلها وسلب الحياة منها مساو لقتل الناس جميعا، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [المائدة:٣٢].

بل إنه يحرم على الإنسان أن يسلب من نفسه الحياة، بأن يقتل نفسه انتحارا، وقد توعد الله تعالى من فعل ذلك بالعذاب الأليم في الآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا** " (١).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به ٥/ ٢١٧٩ ، برقم(٥٤٤٢).

٣ـ ومن مقتضيات الإيمان باسم الله **الحي** دعاء الله باسمه الحي، وقد أمر الله تعالى عباده بدعائه باسمه الحي في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر:٦٥].

وقد ورد الدعاء باسم الله "**الحي**" في جملة من الأدعية النبوية، ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها:" **ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**"(١) ، قال العلامة ابن القيم:" وفي تأثير قوله: "**يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث**" في دفع هذا الداء مناسبة بديعة، فإن صفة الحياة متضمنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القيومية متضمنة لجميع صفات الأفعال، والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم، ولا غم، ولا حزن، ولا شيء من الآفات. ونقصان الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية، فكمال القيومية لكمال الحياة، فـ "**الحي**" المطلق التام الحياة لا تفوته صفة الكمال البتة، و"**القيوم**" لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة، فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة، ويضر بالأفعال"(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:" **اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، اللهم**

---

(١) صحيح الترغيب والترهيب، برقم(٦٦١).

(٢) الطب النبوي، لابن القم ، صـ١٨١.

إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون"[1].

وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: **تدرون بما دعا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:" **والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**" [2].

وعن يسار بن زيد عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" من قال: **أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف** " [3].

وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أيضا أنه قال: " **كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر، وفي رواية أخرى إذا حزبه أمر قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**"[4] .

---

(1) صحيح مسلم. برقم(٤٨٩٤).

(2) سنن النسائي في السهو، باب الدعاء بعد الذكر ٥٢/٢ (١٣٠٠)، مشكاة المصابيح (٢٢٩٠) .

(3) سنن داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار ٨٥/٢ ، برقم (١٥١٧)، صحيح الترغيب والترهيب، برقم (١٦٢٢) .

(4) سنن الترمذي كتاب الدعوات، باب يا حي يا قيوم ٥٣٩/٥، برقم (٣٥٢٤)، صحيح الجامع، برقم (٤٧٧٧)

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا شهد جنازة يدعو لصاحبه بالرحمة والمغفرة، ويدعو ربه أن يحييه على الايمان وأن يتوفاه على الاسلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقال:" **اللهم اغفر لحينا وميتنا وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، وشاهدنا وغائبنا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإيمان، ومن توفيته منا فتوفه على الإسلام، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده** " [١].

ونهى أمته عن تمني الموت أو الدعاء به؛ فقد تكون الحياة خير لهم فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به؛ فإن كان لا بد متمنيا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي** "[٢].

([١]) سنن أبي داود في الجنائز، باب الدعاء للميت ٣/٢١١ ، برقم (٣٢٠١)، مشكاة المصابيح، برقم (١٦٧٥)

([٢]) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب تمني كراهة الموت لضر نزل به ٤/٢٠٦٤ ، برقم(٢٦٨٠) .

١٨ـ القيوم جل جلاله

" **القيوم**" جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننه في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" القيوم في اللغة من صيغ المبالغة، فعله قام يقوم قوما وقياما، معنى القيام: العزم ويجيء القيام بمعنى المحافظة والإصلاح ومنه قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [آل عمران:٧٥] أي: ملازما محافظا، ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات.

ويأتي الفعل على معنيين، الأول القيام بالذات والبقاء على الوصف، والثاني إقامة الغير والإبقاء عليه لأن غيره مفتقر إليه، فالأول على اعتبار صفة الذات، والثاني على اعتبار صفة الفعل.

وعلى هذين المعنيين دارت عبارات اللغويين، فالقيوم هو القائم بنفسه مطلقا لا بغيره الباقي أزلا وأبدا، أو القائم بتدبير أمور الخلق وتدبير العالم بجميع أحواله، فهو القائم بأمور خلقه في إنشائهم وتولي أرزاقهم وتحديد آجالهم وأعمالهم، وهو العليم بمستقرهم ومستودعهم، وهو الذي يقوم به كل موجود حتى لا يتصور وجود شيء ولا دوام وجوده إلا بقيوميته وإقامته له، قال قتادة: "القيوم: القائم على خلقه بآجالهم، وأعمالهم، وأرزاقهم [١].

([١]) لسان العرب، لابن منظور ٤٩٦/١٢، واشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي صـ ١٠٥، والمفردات، للراغب الأصفهاني، صـ٦٩٠ .

ثانيا: معناه الاصطلاحي

لاسم الله القيم تعاريف متقاربه، ومنها ما ذكره الامام الغزالي حيث قال:" القيوم: وهو القائم بذاته ولا قوام له بغيره، ولا يشترط في دوام وجوده وجود غيره، فهو القائم بنفسه مطلقا، وقوام كل شيء به، فلا يتصور للأشياء وجود ولا دوام وجود إلا به"[١].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية:" اسم الله "**القيوم**" يتضمن أنه لا يزول، فلا ينقص بعد كماله، ويتضمن أنه لم يزل ولا يزال دائما باقيا أزليا أبديا موصوفا بصفات الكمال، من غير حدوث نقص أو تغير بفساد واستحالة ونحو ذلك مما يعتري ما يزول من الموجودات، فإنه سبحانه وتعالى "القيوم". ولهذا كان من تمام كونه قيوما لا يزول أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، فإن السنة والنوم فيهما زوال ينافي القيومية، لما فيهما من النقص بزوال كمال الحياة والعلم والقدرة، فإن النائم يحصل له من نقص العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك ما يظهر نقصه بالنسبة إلى الشيطان"[٢]

وقال الامام ابن القيم:"القيام" بالنفس صفة كمال، فالقائم بنفسه أكمل ممن لا يقوم بنفسه، ومن كان غناه من لوازم ذاته فقيامه بنفسه من لوازم ذاته. وهذه حقيقة قيوميته سبحانه. وهو "**الحي القيوم**" فالقيوم: القائم بنفسه المقيم لغيره، فمن أنكر قيامه بنفسه فقد أنكر قيوميته"[٣] .

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٧٧.

(٢) جامع المسائل، لابن تيمية، تحقيق علي بن محمد العمران، صـ ٥٥.

(٣) الصواعق المرسلة، لابن القيم ٤/١٣٢٨.

قال ابن القيم في نونيته:

هذا ومن أوصافه القيوم والـ قيوم في أوصافه أمران

إحداهما القيوم قام بنفسه والكون قام به هما الأمران

فالأول استغناؤه عن غيره والفقر من كل إليه الثاني

والوصف بالقيوم ذو شأن عظيم هكذا موصوفه أيضا عظيم الشان

والحي يتلوه فأوصاف الكما ل هما لأفق سمائها قطبان

فالحي والقيوم لن تتخلف الـ أوصاف أصلا عنهما ببيان.

قال شارح النونية:" قوله والقيوم في أوصافه أمران، أي إن القيوم هو الذي قام بنفسه وقام به الكون **فالأول**: هو استغناؤه عن غيره **والثاني**: افتقار كل شيء اليه قال المفسرون **القيوم** القائم على كل نفس بما كسبت، وقيل القائم بذاته المقيم لغيره، وقيل القائم بتدبير خلقه وحفظه وقيل هو الذي لا ينام وقيل الذي لا بديل له وقرأ جماعة"(١).

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

ورد اسم الله "**القيوم**" في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وقد جاء في هذه المواضع مقترنا باسم الله "**الحي**"، وهذه الموضع هي قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره :"**القيوم** " وهذه صفة مبالغة من قائم، فالأصل فيها: القائم على أمر بيته، ومعنى قائم على أمرها: أنه متولي شئونها، فكأن القيام هو مظهر الإشراف، وعندما نقول « **قيوم**

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية "نونية ابن القيم"، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، ٢/ ٢٣٦.

» فمعناها أنه أوسع في القيام، كيف جاء هذا الاتساع؟؛ لأن القائم قد يكون قائما بغيره، لكن حين يكون قائما بذاته، وغيره يستمد قيامه منه، فهو قائم على كل نفس وهو سبحانه القائل: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الرعد : ٣٣].

إن المشركين قد بلغو السفه في جحودهم فجعلوا لله شركاء في العبادة، فهل يستطيع أحد أن يبلغ تلك المرتبة العالية، مرتبة خلق العالم والقيام على كل أمر فيه ، صغر أو كبر؟ . إنه الحافظ المراقب لكل نفس، العالم بكل ما خفي وظهر، وهذه الأوثان لا تضر ولا تنفع ، فكيف تتوهمون يا من أشركتم بالله له ندا، إن الحق منزه عن ذلك بقيامه على كل نفس وكل الخلق، لكن أهل الضلال أغواهم ضلالهم فلم يعد لهم هاد بعد الله .

إن الحق سبحانه قائم بذاته ، وقائم على غيره . والغير إن كان قائما إنما يستمد منه القيام"[١].

وكما ورد اسم الله القيوم في قوله تعالى:﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾ [آل عمران:١، ٢]، ولسيد قطب كلام نفيس في معنى هذه الآية نذكر معظمه باختصار، قال رحمه الله تعالى:" هذا التوحيد الخالص الناصع هو مفرق الطريق بين عقيدة المسلم وسائر العقائد، سواء منها عقائد الملحدين والمشركين، وعقائد أهل الكتاب المنحرفين، على اختلاف مللهم ونحلهم جميعا .

---

(١) تفسير الشعراوي صـ ٦٩٦، باختصار.

كما أنه هو مفرق الطريق بين حياة المسلم وحياة سائر أهل العقائد في الأرض . فالعقيدة هنا تحدد منهج الحياة ونظامها تحديدا كاملا دقيقا . ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ فلا شريك له في الألوهية﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾ الذي يتصف بحقيقة الحياة الذاتية المطلقة من كل قيد فلا شبيه له في صفته، ﴿ ٱلۡقَيُّومُ ﴾، الذي به تقوم كل حياة وبه يقوم كل وجود؛ والذي يقوم كذلك على كل حياة وعلى كل وجود . فلا قيام لحياة في هذا الكون ولا وجود إلا به سبحانه، وهذا مفرق الطريق في التصور والاعتقاد . ومفرق الطريق في الحياة والسلوك.

مفرق الطريق في التصور والاعتقاد، بين تفرد الله سبحانه بصفة الألوهية وذلك الركام من التصورات الجاهلية سواء في ذلك تصورات المشركين وقتها في الجزيرة وتصورات اليهود والنصارى وبخاصة تصورات النصارى.

ولقد حكى القرآن عن اليهود أنهم كانوا يقولون:﴿ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠].

فأما انحرافات التصورات المسيحية فقد حكى القرآن منها قولهم:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقولهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾[المائدة: ١٧]، واتخاذهم المسيح وأمه إلهين من دون الله، واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله.

أما انحرافات عقائد المشركين فقد حكى القرآن عنها: عبادتهم للجن والملائكة والشمس والقمر والأصنام . وكان أقل عقائدهم انحرافا عقيدة من يقولون عن هذه الآلهة: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، فأمام هذا الركام

من التصورات الفاسدة والمنحرفة التي أشرنا إليها هذه الإشارات الخاطفة جاء الإسلام في هذه الآية ليعلنها ناصعة واضحة صريحة حاسمة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾.

فكانت مفرق الطريق في التصور والاعتقاد، كذلك كانت مفرق الطريق في الحياة والسلوك، إن الذي يمتلئ شعوره بوجود الله الواحد الذي لا إله إلا هو، الحي الواحد الذي لا حي غيره، القيوم الواحد الذي به تقوم كل حياة أخرى وكل وجود، كما أنه هو الذي يقوم على كل حي وكل موجود.

إن الذي يمتلئ شعوره بوجود الله الواحد الذي هذه صفته، لا بد أن يختلف منهج حياته ونظامها من الأساس عن الذي تغيم في حسه تلك التصورات التائهة المهوشة، فلا يجد في ضميره أثرا لحقيقة الألوهية الفاعلة المتصرفة في حياته، إنه مع التوحيد الواضح الخالص لا مكان لعبودية إلا لله . ولا مكان للاستمداد والتلقي إلا من الله . لا في شريعة أو نظام ، ولا في أدب أو خلق، ولا في اقتصاد أو اجتماع، ولا مكان كذلك للتوجه لغير الله في شأن من شؤون الحياة ، وما بعد الحياة.

فالحياة الإسلامية بكل مقوماتها إنما تنبثق انبثاقا من حقيقة هذا التصور الإسلامي عن التوحيد الخالص الجازم ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾، التوحيد الذي لا يستقيم عقيدة في الضمير ما لم تتبعه آثاره العملية في الحياة، من

تلقي الشريعة والتوحيد من الله في كل شأن من شؤون الحياة . والتوجه كذلك إلى الله في كل نشاط وكل اتجاه"(١)

وكما ورد اسم الله القيوم في قوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١]، قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية:" قوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ ﴾ :"أي ذلت وخضعت، ومعنى ﴿ وَعَنَتِ ﴾ في اللغة القهر والغلبة، ومنه فتحت البلاد عنوة أي غلبة، قاله ابن الأعرابي وغيره. ومنه قيل للأسير عان.

قال الجوهري: عنا يعنو خضع وذل وأعناه غيره، ومنه قوله تعالى:" ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾، ويقال أيضا: عنا فيهم فلان أسيرا، أي قام فيهم على إساره واحتبس. وقال ابن عباس: ﴿ وَعَنَتِ ﴾ ذلت، وقال مجاهد: خشعت، والفرق بين الذل والخشوع وإن تقارب معناهما أن الذل أن يكون ذليل النفس، والخشوع أن يتذلل لذي طاعة. وقال طلق بن حبيب: إنه وضع الجبهة والأنف على الأرض في السجود.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ ﴾ في معناه قولان: **أحدهما**: أن هذا في الآخرة. **والثاني**: وروى عكرمة عن ابن عباس قال: الركوع والسجود. **والعنت** هو من العناء بمعنى التعب، وكنى عن الناس بالوجوه؛ لأن آثار الذل إنما تتبين في الوجه.

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ١/ ٣٣٣، باختصار.

وفي ﴿ٱلۡقَيُّومِۚ﴾ ثلاث تأويلات، **أحدها**: أنه القائم بتدبير الخلق. **الثان**: أنه القائم على كل نفس بما كسبت. **الثالث**: أنه الدائم الذي لا يزول ولا يبيد"[١]

والقيوم هو القائم على كل نفس بما كسبت، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ [الرعد : ٣٣]، قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "القائم على الشيء: الرقيب، فيشمل الحفظ والإبقاء والإمداد، ولتضمنه معنى الرقيب عدي بحرف على المفيد للاستعلاء المجازي. وأصله من القيام وهو الملازمة كقوله: ﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾ [سورة آل عمران: ٧٥]، ويجيء من معنى القائم أنه العليم بحال كل شيء؛ لأن تمام القيومية يتوقف على إحاطة العلم.

فمعنى قائم على كل نفس متوليها ومدبرها في جميع شؤونها في الخلق والأجل والرزق، والعالم بأحوالها وأعمالها، فكان إطلاق وصف قائم هنا من إطلاق المشترك على معنييه، والمشركون لا ينازعون في انفراد الله بهذا القيام ولكنهم لا يراعون ذلك في عبادتهم غيره، فمن أجل ذلك لزمتهم الحجة ولمراعاة هذا المعنى تعلق قائم بقوله: ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ﴾ليعم القيام سائر شؤونها.

والباء في قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ﴾ للملابسة، وهي في موقع الحال من نفس أو من قائم باعتبار ما يقتضيه القيام من العلم، أي قياما ملابسا لما عملته كل نفس، أي قياما وفاقا لأعمالها من عمل خير يقتضي القيام عليها باللطف والرضى

(١) تفسير القرطبي (١١/ ٢٤٨).

فتظهر آثار ذلك في الدنيا والآخرة لقوله: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة النحل: ٩٧]، أو من عمل شر يقتضي قيامه على النفس بالغضب والبلايا. ففي هذه الصلة بعمومها تبشير وتهديد لمن تأمل من الفريقين. فهذا تعريض بالأمرين للفريقين أفادته صلة الموصول"[١].

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله القيوم

لا سم الله "**القيوم**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من مقتضيات الإيمان باسم الله القيوم الإيمان بقيامه سبحانه وتعالى بشؤون كل الخلائق، مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم، طائعهم وعاصيهم، وأنه سبحانه وتعالى أكثر قياما على شؤون عباده الصالحين الذين آمنوا به وأحبوه وعبدوه وحده لا شريك له، قال العلامة ابن القيم:" "هو سبحانه "**القيوم**" المقيم لكل شيء من المخلوقات طائعها وعاصيها فكيف تكون قيوميته بمن أحبه وتولاه؛ وآثره على ما سواه، ورضي به من دون الناس حبيبا، وربا، ووكيلا، وناصرا، ومعينا، وهاديا؟"[٢].

٢ـ ومن مقتضيات الإيمان باسم الله القيوم الإيمان بمراقبة سبحانه وتعالى لأعمال عباده، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده، ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ ﴾ [الرعد : ٣٣] قال الامام الطبري في تفسيره لهذه الآية:"

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ١٣/ ١٥٠

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم ١/٢٨١.

يقول تعالى ذكره: أفالرب الذي هو دائم لا يبيد ولا يهلك، قائم بحفظ أرزاق جميع الخلق، متضمن لها، عالم بهم وبما يكسبونه من الأعمال، رقيب عليهم، لا يعزب عنه شيء أينما كانوا، كمن هو هالك بائد لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم شيئا، ولا يدفع عن نفسه ولا عمن يعبده ضرا، ولا يجلب إليهما نفعا؟ كلاهما سواء؟

وقد قيل: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ ككذا وكذا، اكتفاء بعلم السامع بما ذكر عما ترك ذكره . وذلك أنه لما قال جل ثناؤه: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ ، علم أن معنى الكلام: كشركائهم التي اتخذوها آلهة"[1].

٣ـ قراءة آية الكرسي قبل النوم فهي أعظم آية في كتاب الله تعالى، ومن أسرار عظمتها اشتمالها على اسم الله الأعظم وهو الحي القيوم، فمن قرأها قبل نومه تكفل الله بحفظه فلا يقربه شيطان حتى يصبح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:" وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام [2]، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] ، قال: إني محتاج وعلى عيال ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه، فأصبحت؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟**"، قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله،

([1]) تفسير الطبري، ١٦/ ٤٦٢.

([2]) "**يحثو**" الحثي ما رفعت به يديك من طعام أوغيره ، انظر لسان العرب، لابن منظور ١٤/١٦٤ .

([3]) "**لا رفعنك**" يعنى لا شكونك، ومنها المرافعة يرفع كل خصم صاحبة إلى السلطان، المغرب في ترتيب المعرب، للمطريزي ١/٣٣٩ .

قال:" **أما إنه قد كذبك وسيعود**"، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيعود فرصدته [1] ، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: دعني فإني محتاج وعلى عيال لا أعود فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **يا أبا هريرة ما فعل أسيرك**"؟ قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال:"**أما إنه قد كذبك وسيعود**"، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته فقلت لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود .

قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟، قال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**ما فعل أسيرك البارحة؟**، قلت: يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي؟ قلت: قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية، وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي صلى الله

---

(1) "**رصدته**" ترقبت مجيئه لأمسك به، لسان العرب، لابن منظور ١٧٧/٣ .

عليه وسلم : "**أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قلت: لا قال: ذاك شيطان**"[1].

٤ـ ومن مقتضيات الإيمان باسم الله القيوم دعاءه بهذا الاسم، وقد ورد في ذلك بعض الأدعية النبوية، وقد ذكرنا بعضها عند الدعاء باسم الله الحي، ونذكر هنا بعضها، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أيضا أنه قال: " **كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر**، وفي رواية أخرى **إذا حزبه أمر قال**:" **يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**"[2] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها:" **ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**"[3].

وعن يسار بن زيد عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" من قال:" **أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف** " [4].

---

(1) صحيح البخاري، في كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز ٨١٢/٢ ، برقم(٢١٨٧).

(2) سنن الترمذي كتاب الدعوات، باب يا حي يا قيوم ٥٣٩/٥ ، برقم (٣٥٢٤)، صحيح الجامع، برقم (٤٧٧٧)

(3) صحيح الترغيب والترهيب، برقم(٦٦١).

(4) سنن داود ، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار ٨٥/٢ ، برقم (١٥١٧)، صحيح الترغيب والترهيب، برقم (١٦٢٢) .

وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: **تدرون بما دعا؟** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "**والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى**" (١).

(١) النسائي في السهو، باب الدعاء بعد الذكر ٢/٥٢ (١٣٠٠)، مشكاة المصابيح ، برقم(٢٢٩٠) .

١٩ـ الرقيب جل جلاله

الرقيب من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننهما في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة: "**الرقيب**" في اللغة فعيل بمعنى فاعل وهو الموصوف بالمراقبة، فعله رقب يرقب رقابة، والرقيب فعيل بمعنى فاعل كعليم بمعنى عالم، والرقابة تأتي بمعنى الترقب والترصد، تقول: رقبت الشيء أرقبه رقوبا ورقبة ورقبانا بالكسر فيهما: إذا رصدته، وراقب الله تعالى في أمره، أي: خافه.

والرقابة تأتي بمعنى الحفظ والانتظار، فعن ابن عمر رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه قال: "ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته" [١]، أي: احفظوه فيهم، وقال هارون عليه السلام: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه:٩٤]،أي: لم تنتظر أمري فيهم.

والرقيب الموكل بحفظ الشيء المترصد له المتحرز عن الغفلة فيه، ورقيب القوم حارسهم، وهو الذي يشرف على مرقبة ليحرسهم، ورقيب الجيش طليعتهم، والرقيب الأمين، وارتقب المكان أشرف عليه وعلا فوقه[٢].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ٣/١٣٦١ (٣٥٠٩) .

(٢) لسان العرب، لابن منظور ٤٣٧/١٣، اشتقاق الأسماء الحسنى، للزجاجي، صـ ١٢٨، الصحاح في اللغة، للجوهري ١٣٨/١، والقاموس المحيط، للفيروز أبادي ٧٥/١، تاج العروس، للزبيدي ٢٧٤/١، تفسير ابن الجوزي ٤/ ٣١٩.

ثانيا: معناه الاصطلاحي

اسم الله **الرقيب** وردت له عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن ذلك ما قاله الامام الغزالي حيث قال:" **الرقيب** هو العليم الحفيظ، فمن راعى الشيء حتى لم يغفل عنه ولاحظه ملاحظة دائمة لازمة لزوما لو عرفه الممنوع عنه لما أقدم عليه سميا رقيبا، والرقيب يرجع إلى العلم والحفظ ولكن باعتبار كونه لازما دائما بالإضافة إلى ممنوع عنه محروس عن المتناول"[١].

وقال الإمام ابن القيم في نونيته:

"**وهو الرقيب على الخواطر واللواحظ ... كيف بالأفعال بالأركان**"[٢]

ومعنى قوله: "**كيف بالأفعال بالأركان**": أي أنه إذا كان الله عز وجل رقيبا على دقائق الخفيات، مطلعا على السرائر والنيات كان من باب أولى شهيدا على الظواهر والجليات، وهي الأفعال التي تفعل بالأركان أي الجوارح[٣].

وقال الامام القرطبي:" الله سبحانه رقيب راصد لأعمال العباد وكسبهم، عليم بخواطر قلوبهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ **[ق: ١٦ - ١٨]**، وقد وكل ملائكته بكتابة أعمالهم وإحصاء حسناتهم وسيئاتهم، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٥٦.

(٢) نونية لابن القيم ٢/٢٢٨ البيت: (٣٢٨٤).

(٣) شرح نونية ابن القيم ، للسعدي صـ ٨٩

والله عز وجل من فوقهم رقيب على عباده وعلى أفعالهم قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس:٦١] (١).

وقال الزجاج:" الرقيب هو الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه يقال رقبت الشيء أرقبه رقبة وقال الله تعالى ذكره ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد والمراقبة الاستحياء والحياء ضرب من التحفظ أيضا وهو تعالى الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء"(٢).

وقال الحارث المحاسبي:" أوائل المراقبة علم القلب بقرب الرب عز وجل ، والمراقبة في نفسها التي تورث صاحبها وتكمل له الاسم ويستحق أن يسمي مراقبا، دوام علم القلب بعلم الله عز وجل في سكونك وحركتك، علما لازما للقلب بصفاء اليقين" (٣).

وقال الشيخ السعدي:" والرقيب المطلع على ما أكنته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجراها على أحسن نظام وأكمل تدبير"(٤).

وقال عمر الأشقر: "وإذا تحقق معنى الرقيب في قلب العبد، وملك عليه زمام نفسه، أورثه ذلك التقوى، وراقب نفسه، أن لا يراها حيث نهاها، ولا يفتقدها حيث

---

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي ٤٠٢/١، الدر المنثور، للسيوطي ٢/ ٤٢٥، بتصرف.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى. للزجاج صـ ٣٢.

(٣) القصد والرجوع إلى الله، للحارث المحاسبي، صـ١٠٥ .

(٤) تفسير السعدي ٦٢٥/٥.

أمرها، وتأتيه المغريات والشهوات التي تدير الرؤوس، يسوقها شياطين الجن والإنس، كي يدخلوا العباد في متاهات الباطل، وظلمات الفساد، فتأتي رقابة الله التي استقرت في قلب العبد، فكانت حماية ووقاية، علم العبد أن الله رقيب عليه، عالم به، وعلم أن الملائكة الكرام الكاتبين الذين يرقبون أعماله وأقواله، ويطلعون عليه ، ويدونون كل ما يصدر عنه: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

إن غرس الرقابة في النفوس عبر تعريف العباد بصفات الله، هي الضمان لبناء النفسية الإسلامية الأصيلة التي تخاف الله وتخشاه، فلا تمتد اليد إلى الحرام، ولا تنظر العين إلى الحرام، وإذا دخل المال الحرام جيب التقي رآه كالثعبان الذي أدخله في جيب قميصه، لا يهدأ له بال حتى يتخلص منه، وقد يزيد عليه كفارة لذنبه.

ومتى راقب العبد ربه أحسن قوله وعمله، فبلغ درجة الإحسان للملك الديان، وما أحسن قول الشاعر:

"إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غدا للناظرين قريب"(١)

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

ورد اسم الله "**الرقيب**" جل جلاله في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

---

(١) أسماء الله الحسنى، للدكتور عمر الأشقر صـ ١٧١.

كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]، قال الامام الطبري في تفسيره:" أي: احذروا، أيها الناس، ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم، فيحل بكم من عقوبته ما لا قبل لكم به.

ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، معرفا عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه، لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض، وإن بعد التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم، مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾:أي: إن الله لم يزل عليكم رقيبا. كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد ويعني بقوله:﴿ رَقِيبًا ﴾، حفيظا، محصيا عليكم أعمالكم، متفقدا رعايتكم حرمة أرحامكم وصلتكم إياها، وقطعكموها وتضييعكم حرمتها"[1]

كما ورد اسم الله "**الرقيب**" في قوله تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧]، قال الامام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" قوله: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ﴾ هذه جملة مقررة لمضمون ما تقدم، أي ما أمرتهم إلا بما أمرتني:﴿ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ هذا تفسير لمعنى ﴿

(١) تفسير الطبري ٧/ ٥١٢ ـ ٥٢٢، باختصار.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ ﴾ أي ما أمرتهم ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ أي: حفيظا ورقيبا أرعى أحوالهم وأمنعهم عن مخالفة أمرك ﴿ مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾ أي مدة دوامي فيهم ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ قيل: هذا يدل على أن الله سبحانه توفاه قبل أن يرفعه ، وليس بشيء لأن الأخبار قد تضافرت بأنه لم يمت، وأنه باق في السماء على الحياة التي كان عليها في الدنيا، حتى ينزل إلى الأرض آخر الزمان ، وإنما المعنى : فلما رفعتني إلى السماء.

﴿ كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أصل المراقبة : المراعاة ، أي كنت الحافظ لهم والعالم بهم والشاهد عليهم"(١).

كما ورد اسم الله "**الرقيب**" في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية:" والمعنى: لا يحل لك النساء من بعد بزيادة على نسائك وبتعويض إحداهن بجديدة في كل حالة حتى في حالة إعجاب حسنهن إياك.

وفي هذا إيذان بأن الله لما أباح لرسوله الأصناف الثلاثة أراد اللطف له وأن لا يناكد رغبته إذا أعجبته امرأة لكنه حدد له أصنافا معينة وفيهن غناء.

والاستثناء في قوله: ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ ﴾ منقطع. والمعنى: لكن ما ملكت يمينك حلال في كل حال. والمقصود من هذا الاستدراك دفع توهم أن يكون المراد من لفظ النساء في قوله: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ ﴾ ما يرادف لفظ الإناث دون

(١) تفسير الشوكاني ٢/ ٣٨٥.

استعماله العرفي بمعنى الأزواج ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ أي عالما بجري كل شيء على نحو ما حدده أو على خلافه، فهو يجازي على حسب ذلك. وهذا وعد للنبيء صلى الله عليه وسلم بثواب عظيم على ما حدد له من هذا الحكم"(١).

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم لاسم الله "**الرقيب**"، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له:" **يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**" (٢).

رابعا: الآثار الايمانية لاسم الله الرقيب

لا سم الله "**الرقيب** " آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من مقتضيات الإيمان باسمي الله **الرقيب** " أن يستشعر العبد رقابة الله تعالى في كل وقت وحين، فالله تعالى مطلع عليه، ويعلم كل صغيرة وكبيرة تصدر منه، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة:٧]، وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٢/ ٨٠.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ٤/٦٦٧، برقم(٢٥١٦)، صحيح الجامع، برقم(٧٩٥٧) .

نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ﴾ [الزخرف:٨٠]، قال الإمام الغزالي: "وصف المراقبة للعبد إنما يحمد إذا كانت مراقبته لربه وقلبه وذلك بأن يعلم أن الله تعالى رقيبه وشاهده في كل حال ويعلم أن نفسه عدو له وأن الشيطان عدو له وأنهما ينتهزان منه الفرص حتى يحملانه على الغفلة والمخالفة فيأخذ منهما حذره بأن يلاحظ مكانهما وتلبيسهما ومواضع انبعاثهما حتى يسد عليهما المنافذ والمجاري فهذه مراقبته"(١).

وقال العلامة ابن القيم: " "**المراقبة**" هي علم العبد بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة، وكل نفس وكل طرفة عين، والغافل عن هذا بمعزل عن حال أهل البدايات، فكيف بحال المريدين، فكيف بحال العارفين؟

وقيل: من راقب الله في خواطره، عصمه في حركات جوارحه.

وقال الجنيد: من تحقق في المراقبة خاف على فوات لحظة من ربه لا غير.

وقال ذو النون: علامة المراقبة إيثار ما أنزل الله، وتعظيم ما عظم الله، وتصغير ما صغر الله.

وأرباب الطريق يجمعون على أن مراقبة الله تعالى في الخواطر: سبب لحفظها في حركات الظواهر؛ فمن راقب الله في سره، حفظه الله في حركاته في سره وعلانيته.

والمراقبة توجب صيانة الباطن والظاهر، فصيانة الظاهر: بحفظ الحركات الظاهرة. وصيانة الباطن: بحفظ الخواطر والإرادات والحركات الباطنة التي منها

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٥٦.

رفض معارضة أمره وخبره، فيتجرد الباطن من كل شهوة وإرادة تعارض أمره، ومن كل إرادة تعارض إرادته، ومن كل شبهة تعارض خبره، ومن كل محبة تزاحم محبته، وهذه حقيقة القلب السليم الذي لا ينجو إلا من أتى الله به؛ وهذا هو حقيقة تجريد الأبرار المقربين العارفين؛ وكل تجريد سوى هذا فناقص، وهذا تجريد أرباب العزائم.

والاعتراض ثلاثة أنواع سارية في الناس. والمعصوم من عصمه الله منها.

النوع الأول: الاعتراض على أسمائه وصفاته بالشبه الباطلة، التي يسميها أربابها قواطع عقلية؛ وهي في الحقيقة خيالات جهلية، ومحالات ذهنية اعترضوا بها على أسمائه وصفاته – عز وجل – وحكموا بها عليه، ونفوا لأجلها ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، وأثبتوا ما نفاه، ووالوا بها أعداءه، وعادوا بها أولياءه، وحرفوا بها الكلم عن مواضعه، ونسوا بها نصيبا كثيرا مما ذكروا به، وتقطعوا لها أمرهم بينهم زبرا، كل حزب بما لديهم فرحون.

والعاصم من هذا الاعتراض: التسليم المحض للوحي، فإذا سلم القلب له: رأى صحة ما جاء به، وأنه الحق بصريح العقل والفطرة؛ فاجتمع له السمع والعقل والفطرة؛ وهذا أكمل الإيمان، ليس كمن الحرب قائم بين سمعه وعقله وفطرته.

النوع الثاني: الاعتراض على شرعه وأمره، وأهل هذا الاعتراض: ثلاثة.. أنواع:

أحدها: المعترضون عليه بآرائهم وأقيستهم، المتضمنة تحليل ما حرم الله سبحانه وتعالى، وتحريم ما أباحه، وإسقاط ما أوجبه، وإيجاب ما أسقطه، وإبطال ما صححه، وتصحيح ما أبطله، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وتقييد ما أطلقه، وإطلاق ما قيده.

وهذه هي الآراء والأقيسة التي اتفق السلف قاطبة على ذمها، والتحذير منها، وصاحوا على أصحابها من أقطار الأرض، وحذروا منهم، ونفروا عنهم.

الثاني: الاعتراض على حقائق الإيمان والشرع بالأذواق، والمواجيد والخيالات، والكشوفات الباطلة الشيطانية، المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان، وحظوظ النفوس الجاهلة.

وهؤلاء في حظوظ اتخذوها دينا، وقدموها على شرع الله ودينه، واغتالوا بها القلوب، واقتطعوها عن طريق الله؛ فتولد من معقول أولئك، وآراء الآخرين وأقيستهم الباطلة، وأذواق هؤلاء خراب العالم، وفساد الوجود، وهدم قواعد الدين، وتفاقم الأمر، وكاد لولا أن الله ضمن أنه لا يزال يقوم به من يحفظه، ويبين معالمه، ويحميه من كيد من يكيد.

الثالث: الاعتراض على ذلك بالسياسات الجائرة التي لأرباب الولايات التي قدموها على حكم الله ورسوله، وحكموا بها بين عباده، وعطلوا لها وبها شرعه وعدله وحدوده.

فقال الأولون: إذا تعارض العقل والنقل: قدمنا العقل.

وقال الآخرون: إذا تعارض الأثر والقياس: قدمنا القياس.

وقال أصحاب الذوق والكشف والوجد: إذا تعارض الذوق والوجد والكشف وظاهر الشرع: قدمنا الذوق والوجد والكشف. وقال أصحاب السياسة: إذا تعارضت السياسة والشرع: قدمنا السياسة.

فجعلت كل طائفة قبالة دين الله وشرعه طاغوتا يتحاكمون إليه.

فهؤلاء يقولون: لكم النقل، ولنا العقل. والآخرون يقولون: أنتم أصحاب آثار وأخبار، ونحن أصحاب أقيسة وآراء وأفكار. وأولئك يقولون: أنتم أرباب الظاهر، ونحن أهل الحقائق. والآخرون يقولون: لكم الشرع، ولنا السياسة.

فيا لها من بلية، عمت فأعمت، ورزية رمت فأصمت، وفتنة دعت القلوب فأجابها كل قلب مفتون، وأهوية عصفت، فصمت منها الآذان، وعميت منها العيون. عطلت لها – والله – معالم الأحكام، كما نفيت لها صفات ذي الجلال والإكرام، واستند كل قوم إلى ظلم وظلمات آرائهم، وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم، وصار لأجلها الوحي عرضة لكل تحريف وتأويل، والدين وقفا على كل إفساد وتبديل.

النوع الثالث: الاعتراض على أفعاله وقضائه وقدره؛ وهذا اعتراض الجهال. وهو ما بين جلي وخفي، وهو أنواع لا تحصى.

وهو سار في النفوس سريان الحمى في بدن المحموم، ولو تأمل العبد كلامه وأمنيته وإرادته وأحواله لرأى ذلك في قلبه عيانا؛ فكل نفس معترضة على قدر الله وقسمه وأفعاله، إلا نفسا قد اطمأنت إليه، وعرفته حق المعرفة التي يمكن وصول البشر إليها، فتلك حظها التسليم والانقياد، والرضى كل الرضا" (١).

(١) مدارج السالكين، لابن القيم ٢/٦٥ـ٧١ ، باختصار.

والهدف من المراقبة أن يرتقي العبد بإيمانه إلى درجة الإحسان، والإحسان أعلى مراتب الدين، وقد عرف النبي صلى الله عليه الإحسان بقوله:" **الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك** " [1].

٢ـ ومن مقتضيات الإيمان باسمي الله" **الرقيب**"، أن يدعو المسلم ربه بهذا الاسم، وقد ورد الدعاء ضمنا باسم الله الرقيب في قوله تعالى عن عيسى عليه السلام:﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة:١١٧]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" **يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا**" **ثم قال**: ﴿ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ثم قال:" **ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصيحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح**، ﴿ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم"[2].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان من حديث عمر ٣٧/١، برقم(٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب وكنت عليهم كلاهما ما دمت فيهم ١٦٩١/٤، برقم(٤٣٤٩) وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا ٢١٩٤/٤ ، برقم (٢٨٦٠).

وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة: " إن الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١] [١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يوما على ذنب؛ فقال له: أقصر، فقال خلني وربي، أبعثت على رقيبا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة فقبض أرواحهما؛ فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالما أو كنت على ما في يدي قادرا، وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر اذهبوا به إلى النار، قال أبو هريرة رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته" [٢].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح ٢/٢٣٨ ، برقم(٢١١٨)، وانظر ظلال الجنة في تخريج السنة، للألباني ، برقم (٢٥٥).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي ٤/٢٧٥ (٤٩٠١) .

٢٠ـ القريب جل جلاله

"**القريب**" من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننهما في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" **القريب** في اللغة فعيل بمعنى اسم الفاعل يدل على صفة القرب، والقرب في اللغة نقيض البعد، قرب الشيء يقرب قربا وقربانا أي دنا فهو قريب، الواحد والاثنان والجميع في ذلك سواء، تقول العرب: هو قريب مني، وهما قريب مني، وهم قريب مني، وهي قريب مني.

والقربان بالضم: ما قرب إلى الله عز وجل وتقرب إلى الله بشيء أي: طلب به القربة عنده تعالى، والقرابة والقربى: الدنو في النسب والقربى في الرحم.

والقرب في اللغة على أنواع:

منه قرب المكان، كقوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ﴾ [التوبة:٢٨].

ومنه قرب الزمان نحو قوله تعالى:﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٩].

ومنه قرب النسب، نحو قوله تعالى:﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ [النساء:٧] .

ومنه قرب الحظوة والمنزلة، نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٨٩] [١].

ثانيا: معناه الاصطلاحي

اسم الله "**القريب**" وردت له عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن ذلك ما قاله الزجاجي حيث قال:" **القريب**" الذي ليس ببعيد، فالله عز وجل قريب ليس ببعيد كما قال عز وجل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، أي: أنا قريب الإجابة، وهو مثل قوله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤]، وكما قال عز وجل: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [المجادلة: ٧][٢].

وقال الحليمي:" **القريب**" معناه أنه لا مسافة بين العبد وبينه فلا يسمع دعاءه أو يخفى عليه حاله، كيف ما تصرفت به، فإن ذلك يوجب أن يكون له نهاية، وحاشا له من النهاية.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٦٦٢/١، والمفردات، للراغب الأصفهاني صـ ٦٦٣، اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ١٤٦.

(٢) اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ١٤٦.

وقال الخطابي: معناه أنه قريب بعلمه من خلقه قريب ممن يدعوه بالإجابة كقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]"[١].

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:" وهو سبحانه قريب في علوه؛ عال في قربه، كما في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فارتفعت أصواتنا بالتكبير، قال: "**أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**"[٢] .

فأخبر صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الخلق به أنه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سماواته على عرشه؛ مطلع على خلقه؛ يرى أعمالهم، ويرى ما في بطونهم، وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر.

والذي يسهل عليك فهم هذا: معرفة عظمة الرب؛ وإحاطته بخلقه، وأن السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، وأنه سبحانه يقبض السماوات بيده والأرض بيده الأخرى؛ ثم يهزهن، فكيف يستحيل في حق من هذا بعض عظمته أن يكون فوق عرشه؛ ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش؟"[٣] .

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "القريب أي: هو القريب من كل أحد، وقربه نوعان:

---

(١) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٧٣، وينظر: الاعتقاد، للبيهقي، صـ ٢١.
(٢) صحيح البخاري، برقم (٢٩٩٢)، صحيح مسلم، برقم (٢٧٠٤).
(٣) مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم ٢/٤٦٠.

قرب عام من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته ومشاهدته، وإحاطته، وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.

وقرب خاص من عابديه، وسائليه، ومجيبيه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات، والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق: ١٩]، وهذا النوع قرب يقتضي ألطافه تعالى، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن باسمه "**القريب**" اسمه "**المجيب**"، وهذا القرب قرب لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره من لطفه بعبده، وعنايته به وتوفيقه، وتسديده، ومن آثاره الإجابة للداعين والإثابة للعابدين"[١] .

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

اسمه الله "**القريب**"، ورد في القرآن ثلاث مرات، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآية:" لما طالب الله عباده في الآية السابقة بصوم الشهر وإكمال العدة، وحثهم على التكبير ليعدوا أنفسهم للشكر، عقب بهذه الآية للدلالة على أنه خبير بأحوالهم، سميع لأقوالهم، فيجيب دعوة الداعين ويجازيهم بأعمالهم، وفي هذا حث لهم على الدعاء.

---

(١) الحق الواضح المبين، للسعدي، صـ٦٤٠، وتيسير الكريم الرحمن، للسعدي، صـ ٩٤٩.

وقرب الله من عباده إحاطة علمه بكل شيء، فهو يسمع أقوالهم ويرى أعمالهم، أي ذكر أيها الرسول عبادي بما يجب أن يراعوه في هذه العبادة وغيرها من الطاعة والإخلاص والتوجه إلى وحدي بالدعاء، وأخبرهم بأني قريب منهم ليس بيني وبينهم حجاب، ولا ولى ولا شفيع يبلغني دعاءهم وعبادتهم، أو يشاركني في إجابتهم وإثابتهم، وأجيب دعوة من يدعوني بلا وساطة أحد إذا هو توجه إلى وحدي في طلب حاجته، لأنني أنا الذي خلقته وأعلم ما توسوس به نفسه والعارف بالشريعة وبسنن الله في خلقه، لا يقصد بدعائه إلا هدايته إلى الأسباب التي توصله إلى تحصيل رغباته ونيل مقاصده.

وإجابة الدعاء: تقبله ممن أخلص له وفزع إليه، سواء وصل إليه ما طلبه في ظاهر الأمر أم لم يصل، وعلى هذا فلا داعى لرفع الصوت في الدعاء، ولا إلى الوساطة بينهم وبينه في طلب الحاجات كما كان يفعله المشركون من التوسل بالشفعاء والوسطاء.

﴿ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي ﴾ الاستجابة الإجابة بعناية واستعداد، أي وإذ كنت قريبا منهم مجيبا دعوة من دعانى، فليستجيبوا لى بالقيام بعمل ما أمرتهم به من الإيمان والعبادات النافعة لهم كالصيام والصلاة والزكاة وغيرها مما أدعوهم إليه، كما أجيب دعوتهم بقبول عبادتهم.

﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ الرشد والرشاد ضد الغى والفساد: أي إن الأعمال إذا صدرت بروح الإيمان يرجى أن يكون صاحبها راشدا مهتديا، أما إذا صدرت اتباعا للعادة وموافقة المعاشرين فلا تعد للرشاد والتقوى، بل ربما زادت فاعلها

ضراوة في الشهوات، وفسادا في الأخلاق، كما يشاهد ذلك لدى الصائمين الذين يصومون تقليدا لآبائهم وعشيرتهم لا بإخلاص لربهم وابتغاء لمثوبته"[1]

كما ورد اسم الله القريب في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾ [سبأ: ٥٠]، قال الامام الطبري في تفسيره:" " يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: إن ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق، إنما ضلالي عن الصواب على نفسي، يقول: فإن ضلالي عن الهدى على نفسي ضره، ﴿ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ ﴾ يقول: وإن استقمت على الحق ﴿ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ يقول: فبوحي الله الذي يوحي إلي، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى.

إن ربي سميع لما أقول لكم، حافظ له وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، وذلك مني غير بعيد فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم وما تقولون وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم، يسمع كل ما ينطق به، أقرب إليه من حبل الوريد" [2] .

كما ورد اسم الله القريب في قوله تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١]، قال الامام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى: ولقد أرسلنا ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ ﴾ وهم الذين كانوا يسكنون مدائن الحجر بين

---

(1) تفسير المراغي ٢/ ٧٥، باختصار.

(2) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٢٠.

تبوك والمدينة، وكانوا بعد عاد، فبعث الله منهم ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له الخالق الرازق؛ ولهذا قال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ابتدأ خلقكم منها، من الأرض التي خلق منها أباكم آدم،﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: جعلكم فيها عمارا تعمرونها وتستغلونها، لسالف ذنوبكم، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ فيما تستقبلونه ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]"[١].

والمتأمل في هذ الآية يجد أ ن اسم الله "**القريب**" قد اقد اقترن باسمه المجيب، وعن السر في هذا الاقتران قال سيد قطب:" والإضافة في ﴿رَبِّى﴾ولفظ ﴿قَرِيبٌ﴾ ولفظ ﴿مُّجِيبٌ﴾ واجتماعها وتجاورها، ترسم صورة لحقيقة الألوهية كما تتجلى في قلب من قلوب الصفوة المختارة ، وتخلع على الجو أنسا واتصالا ومودة ، تنتقل من قلب النبي الصالح إلى قلوب مستمعيه لو كانت لهم قلوب.

ولكن قلوب القوم كانت قد بلغت من الفساد والاستغلاق والانطماس درجة لا تستشعر معها جمال تلك الصورة ولا جلالها ، ولا تحس بشاشة هذا القول الرفيق ، ولا وضاءة هذا الجو الطليق"[٢]

كما ورد في السنة النبوية، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **يا أيها الناس، اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا**

([١]) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٣١.

([٢]) في ظلال القرآن، لسيد قطب٤/ ٢٤٩.

تدعون أصم ولا غائبا، إنه معكم، إنه سميع قريب، تبارك اسمه وتعالى جده" [1].

رابعا: الآثار الايمانية لاسم الله القريب

لا سم الله "**القريب**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ الإيمان بقربه سبحانه وتعالى يثمر عند العبد بعده عن المعاصي والسيئات وامتثاله لأوامره، والمسارعة في مرضاته وطاعته، كما أن الإيمان بقربه سبحانه وتعالى يؤدي بالعبد إلى إخفاء دعاءه لربه والإسرار به لعلمه أن الله قريب يسمع دعاء ويجيب نداءه، وقد تحدث العلامة ابن القيم عن ذلك بكلام طويل نفيس نثبته هنا؛ لنفاسته ولأهميته، قال رحمه الله تعالى:" كلما استحضر القلب قرب الله تعالى منه؛ وأنه أقرب إليه من كل قريب؛ وتصور ذلك أخفى دعاءه ما أمكنه، ولم يتأت له رفع الصوت به، بل يراه غير مستحسن، كما أن من خاطب جليسا له يسمع خفي كلامه فبالغ في رفع الصوت: استهجن ذلك منه، ولله المثل الأعلى سبحانه؛ ولهذا أثنى سبحانه على عبده زكريا بقوله: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: ٣].

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى بعينه؛ بقوله في الحديث الصحيح لما رفع الصحابة رضي الله عنهم أصواتهم بالتكبير؛ وهم معه في

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير ٣/١٠٩١، برقم(٢٨٣٠) .

السفر، فقال:" **اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعا قريبا، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**"[1].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقد جاء أن سبب نزولها: أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا: "يارسول الله ، ربنا قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية" [2].

وهذا يدل على إرشادهم للمناجاة في الدعاء؛ لا للنداء الذي هو رفع الصوت فإنهم عن هذا سألوا، فأجيبوا بأن ربهم تبارك وتعالى قريب؛ لا يحتاج في دعائه وسؤاله إلى النداء، وإنما يسأل مسألة القريب المناجي؛ لا مسألة البعيد المنادي.

وهذا القرب من الداعي: هو قرب خاص؛ ليس قربا عاما من كل أحد، فهو قريب من داعيه؛ وقريب من عابده، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وهو أخص من قرب الإنابة وقرب الإجابة الذي لم يثبت أكثر المتكلمين سواه بل هو قرب خاص من الداعي والعابد، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم راويا عن ربه تبارك وتعالى: "**من تقرب مني شبرا: تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا: تقربت منه باعا**" [3].

---

(1) صحيح البخاري، برقم (٢٩٩٢)، صحيح مسلم، برقم (٢٧٠٤).

(2) تفسير الطبري ٢/١٥٨، وضعَّفه أحمد شاكر، في تخريجه لتفسير الطبري، برقم (٢٩٠٤).

(3) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه، برقم (٧٤٠٥)، وصحيح مسلم ، برقم(٢٦٧٥).

فهذا قربه من عابده، وأما قربه من داعيه وسائله: فكما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فيه الإشارة والإعلام بهذا القرب"[١].

٢ـ دعاء الله باسمه القريب، ورد الدعاء بالاسم الله القريب، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

وورد الدعاء بوصف الله بأنه قريب، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون، أسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها حق فادرسوها ثم تعلموها**" [٢].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمها أن تقول:" **اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك، وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل،**

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم ٣/٨.

(٢) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ص ٥/٣٦٨ ، برقم(٣٢٣٥)، مشكاة المصابيح، للتبريزي، وتحقيق الألباني، برقم (٧٤٨) .

وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل، وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا" [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **اللهم إني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فإنما أنا بشر؛ فأي المؤمنين آذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة** " [2].

وعن ابن رفاعة الزرقي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو:" **اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت، وأعوذ بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعت منا** " [3].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة، فقالت عائشة: لم يا رسول الله؟ قال: إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة، يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة** " [4].

---

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء ٢/ ١٢٦٤، برقم (٣٨٤٦)، صحيح الجامع، للألباني، برقم (١٢٧٦) .

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه ٤/٢٠٠٨ ، برقم(٢٦٠١) .

(3) مسند أحمد ٣/٤٢٤ ، برقم(١٥٨٩١) وانظر ظلال الجنة، للألباني، برقم (٣٨١) .

(4) سنن الترمذي كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ٤/٥٧٧ ، برقم(٢٣٥٢) وانظر صحيح الجامع، للألباني، برقم (١٢٦١)

وعن أبي وائل رضي الله عنه عن أبي نحيلة رضي الله عنه رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رمى بسهم فقيل له:" انزعه فقال: اللهم انقص من الوجع ولا تنقص من الأجر، فقيل له: ادع، فقال: اللهم اجعلني من المقربين، واجعل أمي من الحور العين" [1].

٣ـ أن يحرص العبد على التقرب إلى الله تعالى بالعبادات والطاعات، فكلما أكثر من التقرب إلى الله بالعبادات والطاعات كان أقرب إلى الله تعالى، وقد ذكر الله تعالى هذا القريب في الحديث القدسي، والذي قال فيه:" **من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا..**" [2].

وقد شرح شيخ الاسلام ابن تيمية هذا الحديث قائلا:" فتقرب العبد إلى الله وتقريبه له نطقت به نصوص متعددة، مثل قوله:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقوله تعالى:﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ [الواقعة: ٨٨]، وفي الحديث القدسي الصحيح قال فيه تعالى:" **وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه**"[3] ، وفي الحديث الآخر قال صلى الله عليه وسلم: "**أقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل الآخر**"[4] .

فالداعي والساجد يوجه روحه إلى الله، الروح لها عروج يناسبها، فتقرب من الله تعالى بلا ريب بحسب تخلصها من الشوائب، فيكون الله عز وجل منها قريبا

---

(1) المعجم الكبير، للطبراني ٢٢/ ٣٧٨، برقم(٩٤٤)، الأدب المفرد، للبخاري ١/١٧٧ ، برقم(٥٠٤) .
(2) صحيح البخاري، برقم (٦٥٠٢).
(3) صحيح البخاري، برقم (٦٥٠٢).
(4) سنن الترمذي، برقم (٣٨٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، برقم (٢٨٣٣).

قربا يلزم من قربها، ويكون منه قرب آخر كقربه عشية عرفة، وفي جوف الليل، وإلى من تقرب منه شبرا تقرب منه ذراعا.

وظاهر قوله: ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، يدل على أن القرب نعته، ليس هو مجرد ما يلزم من قرب الداعي والساجد، ودنوه عشية عرفة هو لما يفعله الحاج ليلتئذ من الدعاء، والذكر، والتوبة، وإلا فلو قدر أن أحدا لم يقف بعرفة لم يحصل منه سبحانه ذلك الدنو إليهم، فإنه يباهي الملائكة بأهل عرفة، فإذا قدر أنه ليس هناك أحد لم يحصل، فدل ذلك على تقربهم إليه بسبب قربه منهم كما دل عليه الحديث الآخر.

والناس في آخر الليل يكون في قلوبهم من التوجه والتقرب والرقة ما لا يوجد في غير ذلك الوقت، وهذا مناسب لنزوله إلى السماء الدنيا، لقوله تعالى في الحديث القدسي: "**هل من داع؟ هل من سائل؟ هل من تائب؟**"[(١)].

ثم إن هذا النزول هل هو كدنوه عشية عرفة معلق بأفعال؟ فإن في بلاد الكفر ليس فيهم من يقوم الليل فلا يحصل لهم هذا النزول، كما أن دنوه عشية عرفة لا يحصل لغير الحجاج في سائر البلاد، إذ ليس لها وقوف مشروع، ولا مباهاة الملائكة، وكما أن تفتيح أبواب الجنة، وتغليق أبواب النار، وتصفيد الشياطين إذا دخل شهر رمضان، إنما هو للمسلمين الذين يصومونه لا الكفار الذين لا يرون له حرمة"[(٢)].

(١) صحيح البخاري، برقم (٧٤٩٤)، صحيح مسلم ، برقم (٧٥٨) واللفظ لمسلم.
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٥/٢٤٠.

٢١ـ الحسيب جل جلاله

الحسيب من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننهما في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" الحسيب في اللغة من صيغ المبالغة، فعله حسب يحسب حسابا وحسبانا، واسم الفاعل الحاسب، وهو الموصوف بمحاسبة غيره، والحسيب: الكافي، فعيل بمعنى مفعل من أحسبني الشيء إذا كفاني، يقال: وحسبك درهم أي كفاك، وأحسبني ما أعطاني أي: كفاني، ويقال: حسبك هذا أي: اكتف بهذا.

والحساب ضبط العدد وبيان مقادير الأشياء المعدودة، سواء كان ذلك جزما أم ظنا، والحسيب: هو الكريم الرفيع الشأن، والحسب في حقنا هو الشرف الثابت في الآباء، والحسب أيضا هو الفعل الصالح، ويقال: رب حسيب الأصل غير حسيب، أي له آباء يفعلون الخير ولا يفعله هو.

الله تعالى "محسب" أي: كاف فيكون فعيلا في معنى مفعل كأليم ونحوه [١].

ثانيا: معناه الاصطلاحي

اسم الله "**الحسيب**" وردت له عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن ذلك ما قاله الحليمي حيث قال:" ومعناه المدرك للأجزاء والمقادير التي يعلم العباد أمثالها بالحساب من غير أن يحسب، لأن الحاسب يدرك الأجزاء شيئا فشيئا ويعلم

(١) لسان العرب، لابن منظور ٢/٨٦٣ واشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ١٢٩، تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ٣٠.

الجملة عند انتهاء حسابه، والله تعالى لا يتوقف علمه بشيء على أمر يكون، وحال يحدث.

وقيل الحسيب: بمعنى المحاسب وقيل: الحسيب هو الكافي، فعيل بمعنى مفعل تقول العرب نزلت بفلان فأكر مني وأحسبني أي أعطاني ما كفاني حتى قلت حسبي"[1] .

وقال الامام الغزالي: " **الحسيب** هو الكافي، وهو الذي من كان له كان حسبه، والله سبحانه وتعالى حسيب كل أحد وكافيه، وهذا وصف لا تتصور حقيقته لغيره، فإن الكفاية إنما يحتاج إليها المكفي لوجوده ولدوام وجوده ولكمال وجوده وليس في الوجود شيء هو وحده كاف لشيء إلا الله عز وجل، فإنه وحده كاف لكل شيء لا لبعض الأشياء، أي هو وحده كاف ليحصل به وجود الأشياء ويدوم به وجودها ويكمل به وجودها ويكمل به وجودها

ولا تظنن أنك إذا احتجت إلى طعام وشراب وأرض وسماء وشمس وغير ذلك فقد احتجت إلى غيره ولم يكن هو حسبك فإنه هو الذي كفاك بخلق الطعام والشراب والأرض والسماء فهو حسبك ولا تظنن أن الطفل الذي يحتاج إلى أم ترضعه وتتعهده فليس الله حسيبه وكافيه بل الله عز وجل حسيبه وكافيه إذ خلق أمه وخلق اللبن في ثديها وخلق له الهداية إلى التقامه وخلق الشفقة والمودة في قلب الأم؛ حتى مكنته من الالتقام ودعته إليه وحملته عليه.

---

(1) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٨٣، وينظر: الاعتقاد، للبيهقي صـ ٢١.

فالكفاية إنما حصلت بهذه الأسباب والله تعالى وحده هو المتفرد بخلقها لأجله ولو قيل لك: إن الأم وحدها كافية للطفل وهي حسبه لصدقت به ولم تقل إنها لا تكفيه لأنه يحتاج إلى اللبن فمن أين تكفيه الأم إذا لم يكن لبن؟ ولكنك تقول: نعم يحتاج إلى اللبن ولكن اللبن أيضا من الأم فليس محتاجا إلى غير الأم، فاعلم أن اللبن ليس من الأم بل هو والأم من الله سبحانه وتعالى ومن فضله وجوده فهو وحده حسب كل أحد وليس في الوجود شيء وحده هو حسب شيء سواه بل الأشياء يتعلق بعضها ببعض وكلها تتعلق بقدرة الله سبحانه وتعالى "[1].

وقال الراغب الاصفهاني: "**والحسيب** والمحاسب من يحاسبك ثم يعبر به عن المكافئ بالحساب"[2].

وقال الإمام ابن القيم في نونيته:

وهو الحسيب كفاية وحماية .... والحسب كافي العبد كل أوان"[3].

وقال الشيخ السعدي في شرحه لكلام ابن القيم: "والحسيب بمعنى الرقيب الحاسب لعباده المتولي جزاءهم بالعدل، وبالفضل، وبمعنى الكافي عبده همومه، وغمومه. وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣٠]، أي: كافيه أمور دينه ودنياه"[4].

---

(1) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١١٣ .

(2) المفردات، للراغب الأصفهاني، صـ ١١٧.

(3) نونية ابن القيم، البيت رقم (٢٣١٧).

(4) توضيح الكافية الشافية، لابن القيم صـ ١٢٦، للشيخ لسعدي.

وقال في موضع آخر:" **الحسيب**" هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها"[١] .

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

اسم الله **الحسيب** ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، في قوله تعالى: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴿٦﴾ ﴾ [النساء: ٦]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية" قوله: ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ﴾ الابتلاء: الاختبار، ومعنى الاختبار: أن يدفع إليه شيئا من ماله ، ويأمره بالتصرف فيه حتى يعلم حقيقة حاله، والمراد ببلوغ النكاح بلوغ النكاح : بلوغ الحلم، ومن علامات البلوغ الإنبات، وبلوغ خمس عشرة سنة.

وقال مالك، وأبو حنيفة، وغيرهما: لا يحكم لمن لم يحتلم بالبلوغ إلا بعد مضي سبع عشرة سنة، وهذه العلامات تعم الذكر، والأنثى، وتختص الأنثى بالحبل، والحيض.

قوله: ﴿ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ﴾ أي: فإن وجدتم، وعلمتم منهم رشدا، وجمهور العلماء على أن الرشد لا يكون إلا بعد البلوغ ، وعلى أنه إن لم يرشد بعد بلوغ الحلم لا يزول عنه الحجر، فلا تدفع إلى اليتامى أموالهم قبل

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٩٤٧.

البلوغ ، وإن كانوا معروفين بالرشد، ولا بعد البلوغ إلا بعد إيناس الرشد منهم، فلا بد من مجموع الأمرين

والمراد بالرشد: نوعه، وهو المتعلق بحسن التصرف في أمواله، وعدم التبذير بها، ووضعها في مواضعها.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا ﴾ الإسراف التبذير ومجاوزة الحد، والبدار المبادرة، أي: لا تأكلوا أموال اليتامى أكل إسراف، وأكل مبادرة لكبرهم، وتقولوا ننفق أموال اليتامى فيما نشتهي قبل أن يبلغوا ، فينتزعوها من أيدينا.

ومعن قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ بين سبحانه ما يحل لهم من أموال اليتامى، فأمر الغني بالاستعفاف وتوفير مال الصبي عليه، وعدم تناوله منه، وسوغ للفقير أن يأكل بالمعروف، والمراد بالمعروف: المتعارف به بين الناس، فلا يترفه بأموال اليتامى، ويبالغ في التنعم بالمأكول، والمشروب، والملبوس، ولا يدع نفسه عن سد الفاقة، وستر العورة، والخطاب في هذه الآية لأولياء الأيتام القائمين بما يصلحهم كالأب ، والجد ، ووصيهما.

ومعن قوله تعالى: ﴿ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾ أي: إذا حصل مقتضى الدفع، فدفعتم إليهم أموالهم، فأشهدوا عليهم أنهم قد قبضوها منكم لتندفع عنكم التهم، وتأمنوا عاقبة الدعاوى الصادرة منهم، وظاهر النظم القرآني مشروعية الإشهاد على ما دفع إليهم من أموالهم ، وهو يعم الإنفاق قبل الرشد، والدفع للجميع إليهم بعد الرشد: وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ أي: حاسبا لأعمالكم

شاهدا عليكم في كل شيء تعملونه ، ومن جملة ذلك معاملتكم لليتامى في أموالهم ، وفيه وعيد عظيم"(١)

كما ورد اسم الله الحسيب في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦]، قال سيد قطب عند هذه الآية:" جاء الإسلام بتحيته الخاصة، التي تميز المجتمع المسلم؛ وتجعل كل سمة فيه متفردة متميزة وتحية الإسلام تحيته: « السلام عليكم » أو « السلام عليكم ورحمة الله » أو « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته »، والرد عليها بأحسن منها – بالزيادة على كل منها ما عدا الثالثة فلم تبق زيادة لمستزيد فالرد على الأولى، (وعليكم السلام ورحمة الله) والرد على الثانية (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) . والرد على الثالثة (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) إذ أنها استوفت كل الزيادات ، فترد بمثلها.

ونقف أمام اللمسات الكامنة في آية التحية ومن هذه اللمسات ما يلي:

أولا: تلك السمة المتفردة، التي يحرص المنهج الإسلامي على أن يطبع بها المجتمع المسلم بحيث تكون له ملامحه الخاصة، وتقاليده الخاصة، كما أن له شرائعه الخاصة ونظامه الخاص.

ثانيا: المحاولة الدائمة لتوثيق علاقات المودة والقربى بين أفراد الجماعة المسلمة، وإفشاء السلام؛ والرد على التحية بأحسن منها، من خير الوسائل لإنشاء هذه العلاقات وتوثيقها.

---

(١) تفسير الشوكاني، ٢/ ٨٥، باختصار.

والعناية بهذا الأمر تبدو قيمتها عند الملاحظة الواقعية لآثار هذا التقليد في إصفاء القلوب ، وتعارف غير المتعارفين؛ وتوثيق الصلة بين المتصلين، وهي ظاهرة يدركها كل من يلاحظ آثار مثل هذا التقليد في المجتمعات ، ويتدبر نتائجها العجيبة!

ثالثا: أن آية السلام جاءت في وسط آيات القتال قبلها وبعدها، ولعل المراد منها أن يشار إلى قاعدة الإسلام الأساسية السلام، فالإسلام دين السلام، وهو لا يقاتل إلا لإقرار السلام في الأرض، بمعناه الواسع الشامل، السلام الناشئ من استقامة الفطرة على منهج الله.

ومعنى قوله تعال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا ﴾، فهو وحده الذي يحاسبهم ، وليس للناس عليهم من حساب"[1].

كما ورد اسم الله الحسيب في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، قال الإمام ابن كثير في تفسيره:" يمدح تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ أي: إلى خلقه ويؤدونها بأمانتها وَيَخۡشَوۡنَهُۥ أي: يخافونه ولا يخافون أحدا سواه فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله، وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ أي: وكفى بالله ناصرا ومعينا. وسيد الناس في هذا المقام، بل وفي كل مقام محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب٢/ ٢٠٤، باختصار.

بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو، صلوات الله عليه، فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم، ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: " **لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرى أمر الله فيه مقال ثم لا يقوله، فيقول الله: ما يمنعك أن تقول فيه؟ فيقول: رب، خشيت الناس. فيقول: فأنا أحق أن يخشى** "[١].

وقد وصف الله تعالى بأنه سيحاسب الخلق يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ [الانشقاق: ٧ – ٨]، روى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها: أنها كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من حوسب عذب، قالت عائشة فقلت أو ليس يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ فقال: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك" [٢].

---

(١) مسند الإمام أحمد، برقم (١١٢٧٣)، وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده ضعيف.

(٢) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر ١١٩٥/٣ ، برقم (١٥٦١) .

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى سوف يحاسب الخلق يوم القيامة،

وعن أبي مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسرا فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال: قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه** " [1].

وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: " إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة"[2].

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله الحسيب

لا سم الله " **الحسيب** " آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من مقتضيات الإيمان باسم الله الحسيب، أن يؤمن العبد بأن الله تعالى سوف يحاسب العباد على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، وسيجاريهم عليها يوم القيامة،

([1]) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل انتظار المعسر ٣/ ١١٩٥ ، برقم(١٥٦١) .

([2]) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب الشهداء العدول ٢/٩٣٤ ، برقم (٢٤٩٨) .

وهذا الحساب سيكون على شريعة الله تعالى والاحتكام إليها في كل أحوالهم شؤونهم، وهذا الإيمان يثمر في نفوس العباد الخوف من الله تعالى ويدفعهم إلى محاسبة أنفسهم، والاستعداد للقاء الله تعالى، وصدق الله القائل: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢]، قال سيد قطب، قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ ﴾ مولاهم الحق من دون الآلهة المدعاة، مولاهم الذي أنشأهم ، والذي أطلقهم للحياة ما شاء، في رقابته التي لا تغفل ولا تفرط، ثم ردهم إليه عندما شاء؛ ليقضي فيهم بحكمه بلا معقب: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴾، فهو وحده يحكم ، وهو وحده يحاسب، وهو لا يبطئ في الحكم، ولا يمهل في الجزاء، ولذكر السرعة هنا وقعه في القلب البشري، فهو ليس متروكا ولو إلى مهلة في الحساب.

وتصور المسلم للأمر على هذا النحو الذي توحي به أصول عقيدته في الحياة والموت والبعث والحساب، كفيل بأن ينزع كل تردد في إفراد الله سبحانه بالحكم في هذه الأرض في أمر العباد.

إن الحساب والجزاء والحكم في الآخرة، إنما يقوم على عمل الناس في الدنيا؛ ولا يحاسب الناس على ما اجترحوا في الدنيا إلا أن تكون هناك شريعة من الله تعين لهم ما يحل وما يحرم ، مما يحاسبون يوم القيامة على أساسه؛ وتوحد الحاكمية في الدنيا والآخرة على هذا الأساس.

فأما حين يحكم الناس في الأرض بشريعة غير شريعة الله؛ فعلام يحاسبون في الآخرة؟ أيحاسبون وفق شريعة الأرض البشرية التي كانوا يحكمون بها؛

ويتحاكمون إليها؟ أم يحاسبون وفق شريعة الله السماوية التي لم يكونوا يحكمون بها؛ ولا يتحاكمون إليها؟

إنه لا بد أن يستيقن الناس أن الله محاسبهم على أساس شريعته هو لا شريعة العباد، وأنهم إن لم ينظموا حياتهم، ويقيموا معاملاتهم كما يقيمون شعائرهم وعباداتهم وفق شريعة الله في الدنيا، فإن هذا سيكون أول ما يحاسبون عليه بين يدي الله . وأنهم يومئذ سيحاسبون على أنهم لم يتخذوا الله سبحانه إلها في الأرض؛ ولكنهم اتخذوا من دونه أربابا متفرقة، وأنهم محاسبون إذن على الكفر بألوهية الله أو الشرك به باتباعهم شريعته في جانب العبادات والشعائر، واتباعهم شريعة غيره في النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وفي المعاملات والارتباطات والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

ثم يحاكمهم إلى فطرتهم التي تعرف حقيقة الألوهية؛ وتلتجئ إلى إلهها الحق في ساعة الشدة؛ ويرسم لهم هذه الفطرة أمام الهول والكرب؛ وكيف يخالفون عنها في اليسر والرخاء، في مشهد قصير سريع ، ولكنه واضح حاسم ، وموح مؤثر "[1].

٢ـ الإيمان باسم الله الحسيب يقتضي من العبد أن يؤمن بأن الله حسيبه وكافيه في كل أمر من أموره، وما يظن العبد أنه يقوم به من ذات نفسه، فليعلم أن الله خلق فيه القابلية للقيام بمهمته التي تحصل بها الكفاية للعبد، وقد أشار الامام الغزالي إلى هذه المعاني بقوله:" الله سبحانه وتعالى هو الكافي للعبد إذ لا قوام

([1]) في ظلال القرآن، لسيد قطب٣/ ٧١، باختصار.

للعبد بنفسه، وأما ظن العبد أنه مستقل بالكفاية بنفسه وليس بواسطة فهو وحده لا يكفي إذ يحتاج إلى محل قابل لفعله وكفايته وهذا أقل الأمور، فالقلب الذي هو محل العلم لا بد منه أولا ليكون هو كافيا في التعليم والمعدة التي هي مستقر الطعام لا بد منها لتكون كافية بإيصال الطعام إلى بدنه وهذا مع ما يحتاج إليه من أمور كثيرة لا يحصيها ولا يدخل شيء منها في اختياره.

فأقل درجات الفعل حاجته إلى فاعل وقابل فالفاعل لا يكفي دون القابل أصلا وإنما صح هذا في حق الله عز وجل لأنه خالق الفعل وخالق المحل القابل وخالق شرائط قبوله وما يكتنفه ولكن بادئ الرأي ربما يسبق إلى الفاعل ولا يخطر بالبال غيره فيظن أن الفاعل حسبه وحده وليس كذلك"(١).

٣ـ ومن مقتضيات الإيمان باسم الله الحسيب، أن ندعوا الله باسمه الحسيب، فالله تعالى هو الحسيب الذي يكفي عباده إذا التجئوا إليه ودعوه، واستعانوا به واعتمدوا عليه وحده، فيفرج كرباتهم، ويغفر لهم الزلات ويكفر عنهم السيئات قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ – ١٧٤].

وعند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال:" حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم – عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد حين

(١) المقصد الأسنى ، للغزالي، صـ ١٥٢، باختصار وتصرف يسير.

قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ**، فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم: **قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا** "[2].

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أنه قال: أثنى رجل على رجل عند النبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم :" **ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك، مرارا، ثم قال: من كان منكم مادحا أخاه لا محالة فليقل أحسب فلانا، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحدا، أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه** "[3].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ ٤/١٦٦٢، برقم (٤٢٨٧) .

(2) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور ٤/٦٢٠ ، برقم (٢٤٣١)، صحيح الجامع، للألباني، برقم (٤٥٩٢).

(3) صحيح مسلم، برقم(٥٣١٩).

٢٢ ـ الوارث جل جلاله

الوارث جل جلاله من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" **الوارث:** اسم فاعل للموصوف بالوراثة من غيره، من ورث يرث فهو وارث، يقال: ورث فلان أباه يرثه وراثة وميراثا، وورث الرجل ولده مالا أي أشركه في ماله، والوراثة في حقنا انتقال المال أو الملك من المتقدم إلى المتأخر، ومنه وارث مال الميت الذي يملك تركته، ووارث الملك يرث سلطانه.

الوارث: كل باق بعد ذاهب فهو وارث [١].

ثانيا: معناه في الاصطلاح

اسم الله الوارث جل جلاله وردت له عدت تهاري فاصطلاحية متقاربة، ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام الغزالي حيث قال:" **الوارث:** هو الذي يرجع إليه الأملاك بعد فناء الملاك وذلك هو الله سبحانه وتعالى إذ هو الباقي بعد فناء الخلق وإليه مرجع كل شيء ومصيره"[٢]

وقال الإمام البيهقي:" **الوارث:** ومعناه الباقي بعد ذهاب غيره وربنا جل ثناؤه بهذه الصفة لأنه يبقى بعد ذهاب الملاك الذين أمتعهم في هذه الدنيا بما آتاهم ، لأن وجودهم ووجود الأملاك كان به ، ووجوده ليس بغيره"[٣]، وقال الخطابي:

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٢/١٩٩، وكتاب العين، للفراهيدي ٨/٢٣٤، تفسير الأسماء، للزجاج، صـ ٦٥، اشتقاق الأسماء، للزجاجي، صـ ١٧٣.

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٤٨.

(٣) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٢٦.

"الوارث: الباقي بعد فناء الخلق والمسترد أملاكهم وموارثهم بعد موتهم، ولم يزل الله باقيا مالكا لأصول الأشياء كلها يورثها من يشاء، ويستخلف فيها من أحب"(١).

وقال ابن منظور:" الوارث صفة من صفات الله – عز وجل – وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم، والله – عز وجل – يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، أي يبقى بعد فناء الكل ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له " (٢).

وقال الزجاجي:" الله – عز وجل – وارث الخلق أجمعين؛ لأنه الباقي بعدهم وهم الفانون؛ كما قال – عز وجل –: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم: ٤٠](٣).

ثالثاً: وروده في القرآن الكريم

اسم الله الوارث ورد في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، وهذه المواضع هي قوله تعالى﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" إن بطر النعمة، وعدم الشكر عليها، هو سبب هلاك القرى، وقد أوتوا من نعمة الله ذلك الحرم الآمن؛ فليحذروا إذن أن يبطروا ، وألا يشكروا،

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٩٦ .

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ١٩٩/٢

(٣) اشتقاق الأسماء الحسنى، للزجاجي، صـ ١٧٣.

فيحل بهم الهلاك كما حل بالقرى التي يرونها ويعرفونها، ويرون مساكن أهلها الداثرين خاوية خالية ﴿ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وبقيت شاخصة تحدث عن مصارع أهلها . وتروي قصة البطر بالنعمة؛ وقد فني أهلها فلم يعقبوا أحداً، ولم يرثها بعدهم أحد ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾(١) .

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله الوارث قوله تعالى:﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[الأنبياء: ٨٩]،قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أي: واذكر عبدنا ورسولنا زكريا، منوها بذكره، ناشرا لمناقبه وفضائله، التي من جملتها، هذه المنقبة العظيمة المتضمنة لنصحه للخلق، ورحمة الله إياه، وأنه﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا ﴾ أي قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ [مريم: ٤ – ٦].

من هذه الآيات علمنا أن زكريا لما تقارب أجله، خاف أن لا يقوم أحد بعده مقامه في الدعوة إلى الله، والنصح لعباد الله، وأن يكون في وقته فردا، ولا يخلف من يشفعه ويعينه، على ما قام به، ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ أي: خير الباقين، وخير من خلفني بخير، وأنت أرحم بعبادك مني، ولكني أريد ما يطمئن به قلبي، وتسكن له نفسي، ويجري في موازيني ثوابه "(٢) .

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٥/ ٤٣٧.
(٢) تفسير السعدي، صـ ٥٣٠.

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله الوارث قوله تعالى:﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [الحجر: ٢٣]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره عند هذه الآية:" أي نوجد الحياة في المخلوقات ونسلبها عنها متى شئنا ، والغرض من ذلك الاستدلال بهذه الأمور على كمال قدرته – عزّ وجلّ – وأنه القادر على البعث والنشور والجزاء لعباده على حسب ما يستحقونه وتقتضيه مشيئته . ولهذا قال : ﴿ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ أي للأرض ومن عليها، لأنه سبحانه الباقي بعد فناء خلقه، الحيّ الذي لا يموت، الدائم الذي لا ينقطع وجوده [١] .

كما ورد اسم الله الوارث مرة واحدة بصيغة الفعل في قوله سبحانه:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ [مريم: ٤٠]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك يا محمد فيما أتيتهم به من الحق، فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم، ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس، بفنائهم منها، وبقائها لا مالك لها غيرنا، ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله، عند مرجعه إلينا، المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته"[٢] .

وقد جاءت الإشارة إلى اسم الله الوارث في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

---

(١) تفسير الشوكاني ٤/ ١٧٣.
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٢٠٢.

﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره عند هذه الآية:" إن الذين يبخلون بفضل الله يظنون أن البخل خير لمجرد أنه يكدس عندهم الأموال ، وليس ذلك صحيحاً؛ لأن الحق يقول: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: إن ما بخلوا به يصنعه الله طوقاً في رقبة البخيل، وساعة يرى الناس الطوق في رقبة البخيل يقولون : هذا منع حق الله في ماله .

والرسول صلى الله عليه وسلم يصور هذه المسألة تصويراً دقيقاً حين يبين لنا أن من يُطلب منه حق الله ولم يؤده ، يأتي المال الذي منعه وضن وبخل به يتمثل لصاحبه يوم القيامة « شجاعاً أقرع » وهو ثعبان ضخم، ويطوق رقبته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني بشدقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا**" ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾"[1] ،

---

(1) صحيح البخاري، برقم(١٣١٥)، وقد جاء في صحيح مسلم زيادات أخرى غير ما جاء في صحيح البخاري، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" ما من صاحب إبل لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت قط وقعد لها بقاع قرقر تستن عليه بقوائمها وأخفافها ولا صاحب بقر لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بقوائمها ولا صاحب غنم لا يفعل فيها حقها إلا جاءت يوم القيامة أكثر ما كانت وقعد لها بقاع قرقر تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ليس فيها جماء ولا منكسر قرنها ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فاتحا فاه فإذا أتاه فر منه فيناديه خذ

فالذي يدخر بخلاً على الله فهو يزيد من الطوق الذي يلتف حول رقبته يوم القيامة .

﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ،إن الإيمان يدعونا ألاّ ننتظر بالصدقة إلى حالة بلوغ الروح الحلقوم، فعن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا؟ فقال:" **أما وأبيك لتنبأنه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان لانه عند وصول الروح الى الحلقوم لا يكون له مال**"[1] .

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ قضية تجعل القلب يرتجف خوفاً ورعباً، فقد يدلس الإنسان على البشر، فتجد من يتهرب من اخراج، وهذا المتهرب من دفع الزكاة يملك المال ثم ينكر ذلك، هذا الإنسان عليه أن يعرف أن الله خبير بكل ما يعمل"[2].

ما جاء ت الإشارة إلى اسم الله الوارث في قوله تعالى:﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحديد: ١٠]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" ميراث السماوات

كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني فإذا رأى أن لا بد منه سلك يده في فيه فيقضمها قضم الفحل" صحيح مسلم، برقم(١٦٤٩).

(١) صحيح مسلم، برقم(١٣٣٠).

(٢) تفسير الشعراوي ص: ١٢٩٩، باختصار وتصرف

والأرض ملكه وراجع إلى الله، وما استخلفوا فيه إذن سيؤول اليه في الميراث! فما لهم لا ينفقون في سبيله حين يدعوهم الى الإنفاق . وهو استخلفهم فيه، وما الذي يبقى من دواعي الشح وهواتف البخل أمام هذه الحقائق في هذا الخطاب؟ ولقد بذلت الحفنة المصطفاة من السابقين، من المهاجرين والأنصار، ما وسعها من النفس والمال، في ساعة العسرة وفترة الشدة – قبل الفتح – فتح مكة أو فتح الحديبية وكلاهما اعتز به الإسلام أيام أن كان الإسلام غريباً محاصراً من كل جانب، مطارداً من كل عدو، قليل الأنصار والأعوان، وكان هذا البذل خالصاً لا تشوبه شائبة من طمع في عوض من الأرض، ولا من رياء أمام كثرة غالبة من أهل الإسلام . كان بذلاً منبثقاً عن خيرة اختاروها عند الله؛ وعن حمية لهذه العقيدة التي اعتنقوها وآثروها على كل شيء وعلى أرواحهم وأموالهم جميعاً، ولكن ما بذلوه – من ناحية الكم – كان قليلاً بالقياس إلى ما أصبح الذين جاءوا بعد الفتح يملكون أن يبذلوه . فكان بعض هؤلاء يقف ببذله عند القدر الذي يعرف ويسمع أن بعض السابقين بذلوه! هنا نزل القرآن ليزن بميزان الحق بذل هؤلاء وبذل أولئك ، وليقرر أن الكم ليس هو الذي يرجح في الميزان؛ ولكنه الباعث وما يمثله من حقيقة الإيمان : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ﴾، إن الذي ينفق ويقاتل والعقيدة مطاردة، والأنصار قلة، وليس في الأفق ظل منفعة ولا سلطان ولا رخاء . غير الذي ينفق ويقاتل والعقيدة آمنة، والأنصار كثرة ، والنصر والغلبة والفوز قريبة المنال . ذلك متعلق مباشرة بالله ، متجرد تجرداً كاملاً لا شبهة فيه، عميق الثقة والطمأنينة بالله وحده، بعيد عن كل سبب ظاهر وكل واقع قريب . لا يجد

على الخير عوناً إلا ما يستمده مباشرة من عقيدته . وهذا له على الخير أنصار حتى حين تصح نيته ويتجرد تجرد الأولين.

وبعد أن قرر القيم الحقيقية في ميزان الله لهؤلاء ولهؤلاء عاد فقرر أن للجميع الحسنى : ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، فقد أحسنوا جميعاً، على تفاوت ما بينهم في الدرجات، ومرد ذلك التفاوت وهذا الجزاء بالحسنى للجميع إلى ما يعلمه الله من تقدير أحوالهم ، وما وراء أعمالهم من عزائمهم ونواياهم . وخبرته تعالى بحقيقة ما يعملون : ﴿ تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾، وهي لمسة موقظة للقلوب، في عالم النوايا المضمرة وراء الأعمال الظاهرة، وهي التي تناط بها القيم، وترجح بها الموازين"(١).

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الوارث

لاسم الله الوارث آثار ايمانية ينبغي أن تظهر على المؤمنين، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من الآثار الإيمانية لاسم الله الوارث أن لا يغتر المؤمن بالحياة الدنيا؛ لأن ميراثها لا يبقى، وأن نهايتها إلى الفناء والزوال، ولا يبقى للعبد المؤمن من ميراثها إلا ما قدم العبد من عمل صالح ، قال صلى الله عليه وسلم: "**يقول ابن آدم: مالي مالي. قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت**" (٢).

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٧/ ١٢٩، باختصار.

(٢) صحيح مسلم في الزهد، برقم (٢٩٥٨)

وأن يعمل المؤمن في دنياه أعمالاً صالحة في دنياه تؤهله لميراث جنة الله في الآخرة فهذا هو الميراث الحقيقي، كما قال تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦٣] ، وقال تعالى عن عباده المؤمنين﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠ – ١١] .

وأن يقتدي المؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان زاهداً في الدنيا، فعن عبد الله – رضي الله عنه – أنه قال:" **نام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال: ما لي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها** "(١) .

وأن يأخذ بوصية النبي صلى الله عليه وسلم لا صحابه، فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – أنه قال:" **أخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك** "(٢)

٢ـ ومن مقتضيات الإيمان باسم الله الوارث أن يؤمن المسلم أن ميراث الأرض والتمكين فيها إنما تكون لعبادة المؤمنين، وأن أهل الإيمان قبل أن يؤرثهم الله

---

(١) سنن الترمذي في كتاب الزهد ٥٨٨/٤ (٢٣٧٧)، صحيح الجامع، برقم (٥٦٦٨)

(٢) صحيح البخاري في الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم" **كن في الدنيا كأنك غريب**" ٥/ ٢٣٥٨ ، برقم(٦٠٥٣) .

ملك الأرض لابد لهم من دفع ضريبة هذه الميراث بالصبر على الابتلاء وتقديم الغالي والنفيس ابتغاء نصرة دين الله والتمكين له في الأرض، وصدق الله القائل وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وبالتالي الن يهول المؤمن قوة الباطل وانتفاشته، فإن قوتهم لا تساوي شيئا أمام قوة الله وسطوته، والله من ورائهم محيط، وهو لهم بالمرصاد، فسيأتيهم الله من حيث لم يحتسبوا، وسيمكن لعباده المؤمنين في الأرض وسيورثهم ديار الكافرين وأموالهم، وصدق الله القائل: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. وقال تعالى: { ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (١٠٥) } [الأنبياء: ١٠٥].

٣- ومن مقتضيات الإيمان باسم الله الوارث أن يدعو المؤمن ربه باسمه الوارث، وقد دعا انبياء الله ورسله ربهم باسمه الوارث، فهذا زكريا عليه السلام دعا ربه قائلاً الوارث به﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٩ – ٩٠] ،

فزكريا عليه السلام لم يكن له ولد فدعا ربه أن يرزقه ولد يرث منه ميراث النبوة والدعوة على الله تعالى فدعا ربه قائلاً: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ [مريم: ٤ – ٧].

وأن يدعو المسلم بالدعاء الذي دعا به إبراهيم عليه السلام حين قال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٣ – ٨٥].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدعو فيقول: " **اللهم متعني بسمعي وبصري، واجعلهما الوارث منى، وانصرني على من يظلمني، وخذ منه بثأري** " [1] .

٤ـ ومن مقتضيات الإيمان باسم الوارث أن يتقي المؤمن ربه في حقوق الورثة من الأهل والأقارب، فلا يظلم منه أحد ، ولا يأخذ من ميراثهم شيئاً بغير حق، وأن يعطي كل ذي حق حقه من أهل الميراث رجالاً ونساء، وأن يعطي منه الفقراء والمساكين إذا حضروا وقت القسمة، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾

---

[1] سنن الترمذي في الدعوات ٥/٥١٨ ، برقم(٣٤٨٠)، صحيح الجامع، برقم (١٣١٠).

[النساء:٨].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " **إن ناسا يزعمون أن هذه الآية نسخت، ولا والله ما نسخت ولكنها مما تهاون الناس، هما واليان وال يرث وذاك الذي يرزق، ووال لا يرث فذاك الذي يقول بالمعروف، يقول: لا أملك لك أن أعطيك** " [1].

---

(١) صحيح البخاري في الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ ٣/١٠١٤ ، برقم (٢٦٠٨) .

٢٣ـ الوهاب جل جلاله

الوهاب من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذا الاسم في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" وهب لك الشيء يهبه وهبا ووهبا بالتحريك، وهبة، والاسم الموهب، والموهبة بكسر الهاء فيها، ووهبت له هبة وموهبة ووهبا ووهبا إذا أعطيته، ووهب الله له الشيء فهو يهب هبة، الهبة: العطية الخالية عن الأعراض والأغراض، فإذا كثرت سمي صاحبها وهابا، وهو من أبنية المبالغة، على وزن فعال من الواهب وهو المعطي للهبة، فعله، والله عز وجل هو الوهاب يهب لعباده واحد بعد واحد ويعطيهم فجاءت الصفة على وزن فعال لكثرة ذلك وتردده. [١].

ثانيا: معناه في الاصطلاح

المعنى الاصطلاحي لاسمي الله "**الوهاب**" لا يخرج عن معناه اللغوي، قال الزجاج:" "**الوهاب**": هو فعال من قولك وهبت أهب هبة والهبة تمليك الشيء بلا مثل والمثل في الشرع على وجهين قيمة وثمن والله تعالى وهاب الهبات كلها"[٢].

وقال الخطابي:" "**الوهاب**" هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد من غير استثابة، فكل من وهب شيئا من عرض الدنيا لصاحبه فهو واهب، ولا يستحق

([١])لسان العرب، لابن منظور ٤٩٢٩/٦، وكتاب العين، للفراهيدي ٩٧/٤، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، صـ ٢٣٤.

([٢]) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص: ١٨)

أن يسمى وهابا إلا من تصرفت مواهبه في أنواع العطايا فكثرت نوائله ودامت، والمخلوقون إنما يملكون أن يهبوا مالا أو نوالا في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاء لسقيم، ولا ولدا لعقيم، ولا هدى لضال، ولا عافية لذي بلاء، والله الوهاب سبحانه يملك جميع ذلك، وسع الخلق جوده، فدامت مواهبه واتصلت مننه وعوائده"(١) .

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

الجليل ورد اسمه سبحانه "**الوهاب**" ثلاث مرات في القرآن الكريم، وذلك في قوله عز وجل: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[آل عمران : ٨]، قال الإمام الطبري:" يعني إنك أنت والواهب والمعطي عبادك التوفيق والسداد للثبات على دينك وتصديق كتابك ورسلك"(٢).

وقال الشيخ الشعراوي:" والمعنى: يا رب ثبتنا على عبادتك ولا تجعل قلوبنا تميل أو تزيع، وهذا يدلنا على أن القلوب تتحول وتتغير؛ لذلك يأتي القول الفصل بالدعاء على الثبات الإيماني في هذه الآية، إنهم يطلبون من الله تعالى رحمة هبة لا رحمة حق، فليس هناك مخلوق له حق على الله إلا ما وهبه الله له.

والراسخون في العلم يطلبون من الله أن يهبهم الرحمة من الوقوع في الهوى بعد أن هداهم الله إلى هذا الحكم السليم، بأن المتشابه والمحكم كل من عند الله ويعلموننا كيف يكون الطريق إلى الهداية وطلب رحمة الهبة "(٣)

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي صـ ٥٣.

(٢) تفسير الطبري ٣/١٢٥.

(٣) تفسير الشعراوي صـ ٨٢٧.

وورد اسم الله الوهاب في قوله سبحانه: ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴾ [ص: ٩]، قال ابن كثير:" أي: العزيز الذي لا يرام جنابه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد"(١)

كما ورد هذا الاسم في قوله تعالى على لسان نبيه سليمان علي السلام أنه دعا ربه الوها قائلا:﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [ص: ٣٥]، قال ابن عاشور في تفسيره:" وجملة ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾، علة للسؤال كله وتمهيد للإجابة، فقامت (إن) مقام حرف التفريع ودلت صيغة المبالغة في الوهاب على أنه تعالى يهب الكثير والعظيم لأن المبالغة تفيد شدة الكمية أو شدة الكيفية أو كلتيهما بقرينة مقام الدعاء، فمغفرة الذنب من المواهب العظيمة لما يرتب عليه من درجات الآخرة وإعطاء مثل هذا الملك هو هبة عظيمة. وأنت ضمير فصل، وأفاد الفصل به قصرا فصار المعنى: أنت القوي الموهبة لا غيرك، لأن الله يهب ما لا يملك غيره أن يهبه"(٢) .

وقد اقتران اسم الله "**الوهاب**" باسمه سبحانه "**العزيز**" وذلك في قوله تعالى:﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴾ [ص: ٩]، قال الألوسي في تفسيره:" وإضافة الرب إلى ضميره صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ رَبِّكَ ﴾ للتشريف واللطف به عليه الصلاة والسلام﴿ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ القاهر على خلقه، و﴿ ٱلۡوَهَّابِ ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ٥٥.

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٢٣/ ٢٦٣.

الكثير المواهب المصيب بها مواقعها ، وحديث العزة والقهر يناسب ما كانوا عليه من ترفعهم بالنبوة عنه صلى الله عليه وسلم تجبرا .

والمبالغة في **الوهاب** من طريق الكمية تناسب قوله تعالى: ﴿ خَزَآئِنُ ﴾ وتدل على حرمان لهم عظيم، وفي ذلك إدماج أن النبوة ليست عطاء واحدا بالحقيقة بل يتضمن عطايا جمة تفوت الحصر وهي من طريق الكيفية المشار إليها بإصابة المواقع للدلالة على أن مستحق العطاء ومحله من وهب ذلك وهو النبي صلى الله عليه وسلم وفي الوصف المذكور أيضا إشارة إلى أن النبوة موهبة ربانية"[١].

أما السنة النبوة فقد ورد فيها الاشارة إلى اسم الله" **الوهاب**"، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **إن عفريتا من الجن تفلت عليَّ البارحة؛ ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى، فرده الله خاسئا** " [٢] .

وللإمام الغزالي كلام نفيس في بيان معنى اسم الله الوهاب وما فيه من دلالات ومعاني، نذكره هنا كاملا ؛ لنفاسته ولأهميته، قال رحمه الله تعالى:" لا يتصور من العبد الجود والهبة فإنه ما لم يكن الفعل أولى به من الترك لم يقدم عليه فيكون إقدامه لغرض نفسه ولكن الذي يبذل جميع ما يملكه حتى الروح لوجه الله عز وجل فقط لا للوصول إلى نعيم الجنة أو الحذر من عذاب النار أو لحظ

---

(١) تفسير الألوسي ١٧/ ٢٩٥.

(٢) البخاري، كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد ١/١٧٦، برقم(٤٤٩) .

عاجل أو آجل مما يعد من حظوظ البشرية فهو جدير بأن يسمى وهابا وجوادا ، ودونه الذي يجود لينال نعيم الجنة ودونه من يجود لينال حسن الأحدوثة وكل من لم يطلب عوضا يتناول سمي جوادا عند من يظن أن لا عوض إلا الأعيان.

فإن قلت: فالذي يجود بكل ما يملكه خالصا لوجه الله تعالى من غير توقع حظ عاجل أو آجل كيف لا يكون جوادا ولا حظ له أصلا فيه؟

فنقول: حظه هو الله تعالى ورضاؤه ولقاؤه والوصول إليه؛ وذلك هو السعادة التي يكتسبها الإنسان بأفعاله الاختيارية وهو الحظ الذي تستحقر سائر الحظوظ في مقابلته فإن قلت: فما معنى قولهم إن العارف بالله تعالى هو الذي يعبد الله عز وجل خالصا لله لا لحظ وراءه فإن كان لا يخلو فعل العبد عن حظ فما الفرق بين من يعبد الله تعالى لله خالصا وبين من يعبده لحظ من الحظوظ؟

فاعلم أن الحظ عبارة عند الجماهير عن الأغراض أو الأعواض المشهورة عندهم ومن تنزه عنها ولم يبق له مقصد إلا الله تعالى فيقال: إنه قد برئ من الحظوظ أي عما يعده الناس حظا وهو كقولهم: إن العبد يراعي سيده لا لسيده ولكن لحظ يناله من سيده من نعمة أو إكرام والسيد يراعي عبده لا لعبده ولكن لحظ يناله منه بخدمته وأما الوالد فإنه يراعي ولده لذاته لا لحظ يناله منه بل لو لم يكن منه حظ أصلا لكان معنيا بمراعاته. ومن طلب شيئا لغيره لا لذاته فكأنه لم يطلبه فإنه ليس غاية طلبه بل غاية طلب غيره كمن يطلب الذهب فإنه لا يطلبه لذاته بل ليتوصل به إلى المطعم والملبس والمطعم والملبس لا يرادان لذاتهما بل للتوصل بهما إلى جلب اللذة ودفع الألم واللذة تراد لذاتها لا لغاية

أخرى وراءها، وكذا دفع الألم فيكون الذهب واسطة إلى الطعام والطعام واسطة إلى اللذة واللذة هي الغاية وليست واسطة إلى غيرها وكذلك الولد ليس واسطة في حق الوالد بل مطلوبه سلامة الولد لذات الولد لأن عين الولد حظه.

فكذلك من يعبد الله عز وجل للجنة فقد جعل الله سبحانه وتعالى واسطة طلبه ولم يجعله غاية مطلبه وعلامة الواسطة أنه لو حصلت الفائدة دونها لم تطلب كما لو حصلت المقاصد دون الذهب لم يكن الذهب محبوبا ولا مطلوبا فالمحبوب بالحقيقة الغاية المطلوبة دون الذهب ولو حصلت الجنة لمن يعبد الله لأجلها دون عبادة الله عز وجل لما عبد الله فمحبوبه ومطلوبه الجنة إذا لا غير.

وأما من لم يكن له محبوب سوى الله عز وجل ولا مطلوب سواه بل حظه الابتهاج بلقاء الله تعالى والقرب منه والمرافقة مع الملأ الأعلى المقربين من حضرته فيقال إنه يعبد الله تعالى لله لا على معنى أنه غير طالب للحظ بل على معنى أن الله عز وجل هو حظه وليس يبغي وراءه حظا.

ومن لم يؤمن بلذة البهجة بلقاء الله عز وجل ومعرفته والمشاهدة له والقرب منه لم يشتق إليه ومن لم يشتق إليه لم يتصور أن يكون ذلك من حظه فلم يتصور أن يكون ذلك مقصده أصلا فلذلك لا يكون في عبادة الله تعالى إلا كالأجير السوء لا يعمل إلا بأجرة طمع فيها وأكثر الخلق لم يذوقوا هذه اللذة ولم يعرفوها ولا يفهمون لذة النظر إلى وجه الله عز وجل وإنما إيمانهم بذلك من حيث النطق باللسان فأما بواطنهم فإنها مائلة إلى التلذذ بلقاء الحور العين ومصدقة به فقط.

فافهم من هذا أن البراءة من الحظوظ محال إن كنت تجوز أن يكون الله تعالى أي لقاءه والقرب منه مما يسمى حظا وإن كان الحظ عبارة عما يعرفه الجماهير وتميل إليه قلوبهم فليس هذا حظا وإن كان عبارة عما حصوله أوفى من عدمه في حق العبد فهو حظ"[١] .

رابعا: لآثار الإيمانية لاسم الله الوهاب

لاسم الله "**الوهاب**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ أن يشكر العبد ربه على هباته التي وهبها له، ومن هذه الهبات، هبة الأبناء، قال تعالى عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء : ٧٦]، وقال جل وعلا عن نبيه زكريا: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٩٠]، وقال عز وجل عن نبيه داود عليه السلام: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٣٠].

وقد يعطي الله عز وجل عبدا من عباده كلا الهبتين من الذكور والإناث، كما في قوله تعالى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الشورى : ٤٩ـ ٥٠]، قال ابن القيم في تفسيره لهذه الآية:" أخبر سبحانه أن ما قدره بين الزوجين من الولد فقد وهبهما إياه وكفى بالعبد تعرضا لمقته أن يتسخط ما وهبه، وبدأ سبحانه بذكر الإناث جبرا لهن لأجل استثقال

---

[١] المقصد الأسنى ، للغزالي، صـ ٩٩.

الوالدين لمكانتهن، وقيل إنما قدمهن؛ لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الأبوان.

فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالبا، وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء فبدأ بذكر الصنف الذي يشاء ولا يريده الأبوان، وقيل إنه سبحانه قدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئدوهن أي هذا النوع المؤخر عندكم مقدم عندي في الذكر .

وتأمل كيف نكر سبحانه الإناث وعرف الذكور فجبر نقص الأنوثة بالتقديم وجبر نقص التأخير بالتعريف فإن التعريف تنويه، كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، والمقصود أن التسخط بالإناث من أخلاق الجاهلية التي ذمها الله تعالى [1].

والزوجة الصالحة من هبات الله تعالى للعبد: قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤]، وقال تعالى عن نبيه زكريا عليه السلام: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ [الأنبياء : ٩٠].

والأهل من هبات الله تعالى للعبد: قال تعالى عن نبيه أيوب عليه السلام:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص ٣٢].

الأخ الصالح من هبات الله تعالى للعبد ، قال تعالى عن نبيه موسى حين أرسل معه أخاه هارون:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٣] .

---

(1) تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم، صـ٢٠.

فكل هذه الهبات من الله تعالى للعبد تستوجب من العبد شكر الله تعالى عليها.

٢ـ الإيمان باسم الله الوهاب يقتضي من العبد أن يدعو الله باسمه الوهاب، وقد ورد الدعاء باسم الله الوهاب في مواطن كثيرة، فهذا إبراهيم عليه السلام يسأل الله عز وجل أن يهبه الحكم والصلاح ، فيعو ربع قائلا:﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الشعراء : ٨٣].

وهذا زكريا عليه السلام يسأل ربه الوهاب أن يهبه ولدا بعد أن بلغ من العمر عتيا فيدعو ربه قائلا: ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨].

وتحدث موسى عليه السلام عن هبة ربه له بالنبوة فقال: ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١].

ومن ذلك دعاء عباد الله المؤمنين قائلين: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨].

ومن دعاء عباد الرحمن قولهم: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤]

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **كان إذا استيقظ من الليل قال: لا إله إلا أنت سبحانك، اللهم إني أستغفرك**

لذنبي وأسألك برحمتك، اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب " [1].

ومما ورد في الدعاء بالوصف قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ۝٩٠ ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن عفريتا من الجن تفلت على البارحة أو كلمة نحوها ليقطع على الصلاة فأمكنني الله منه، فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٣٥ ﴾ [ص:٣٥] "[2].

وجاء في حلية الأولياء أن خليفة العبدي كان يدعو الله قائلا: اللهم هب لي أنابة أخبات، وأخبات منيب، وزيني في خلقك بطاعتك، وحسني لديك بحسن خدمتك، وأكرمني إذا وفد إليك المتقون، فأنت خير مقصود، وخير معبود خير محمود، وخير مشكور "[3].

٣ـ الإيمان باسم الله الوهاب يلزم منه أن يتصف العبد بخلق الكرم والعطاء وأن يهب الناس بعضا مما آتاه الله تعالى، وأن يحذر من أن يكون من الذين يعودون في هباتهم، فإن ذلك من أقبح الأخلاق والصفات

---

(١) مستدرك الحاكم ٧٢٤/١ ، برقم(١٩٨١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الأسير أو الغريم يربط في المسجد ١٧٦/١ ، برقم(٤٤٩) .

(٣) حلية الأولياء، لأبي نعيم، برقم(٣/ ١٠٢.

فعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه ليس لنا مثل السوء** " [1] ، وفي رواية النسائي، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **لا يحل لأحد أن يهب هبة ثم يرجع فيها إلا من ولده، فمن فعل ذلك فمثله كمثل الكلب يأكل ثم يقيء ثم يعود في قيئه** " [2].

وعند وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها، لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تبتغي بذلك رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم " [3].

---

(1) صحيح البخاري في الحيل، باب إذا حمل على فرس فرآها تباع ٣/١٠٩٣ ، برقم (٢٨٤١) .

(2) سنن النسائي في كتاب الهبة ٦/٢٦٨ ، برقم (٣٧٠٤)، وانظر صحيح الترغيب والترهيب ، برقم(٢٦١٢).

(3) البخاري، كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها ٢/٩١٦ ، برقم(٢٤٥٣).

٢٤ ـ المجيد جل جلاله

المجيد من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" المجيد في اللغة من صيغ المبالغة على وزن فعيل، فعله مجد يمجد تمجيدا، والمجيد هو الكريم الفعال، وقيل: إذا قارن شرف الذات حسن الفعال سمي مجدا، وفعيل أبلغ من فاعل، فكأنه يجمع معنى الجليل والوهاب والكريم.

وأصل المجد في الكلام: الكثرة والسعة، وهو مأخوذ من قولهم: أمجدت الدابة إذا أكثرت علفها، والمجد: السعة في الكرم والجلال ، والمجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي، وأمجده ومجده كلاهما عظمه وأثنى عليه، وتماجد القوم فيما بينهم ذكروا مجدهم، والماجد في اللغة: الكثير الشرف"[١]

ثانياً: معناه في اللغة

اسم الله المجيد وردت له عدت تعريفات اصطلاحية، ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام الغزالي، حيث قال:" **المجيد:** هو الشريف ذاته، الجميل أفعاله، الجزيل عطاؤه ونوله، فكأن شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجدا، وهو الماجد أيضا ولكن أحدهما أدل على المبالغة وكأنه يجمع معاني اسم الجليل والوهاب والكريم"[٢].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٣/ ٣٩٦، تفسير الأسماء، للرجاج، صـ ٥٣، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ ٤٦٣ واشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ١٥٢.

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٢٣.

وقال الحليمي:" **المجيد** معناه المنيع المحمود؛ لأن العرب لا تقول لكل محمود مجيدا ، ولا لكل منيع مجيدا، وقد يكون الواحد منيعا غير محمود كالمتآمر الخليع الجائر أو اللص المتحصن ببعض القلاع، وقد يكون محمودا غير منيع كأمير السوقة والمصابرين من أهل القبلة، فلما لم يقل لواحد منهما: مجيد، علمنا أن المجيد من جمع بينهما وكان منيعا لا يرام، وكان في منعته حسن الخصال جميل الفعال والباري جل ثناؤه يجل عن أن يرام أو يوصل إليه، وهو مع ذلك محسن منعم مجمل مفضل لا يستطيع العبد أن يحصي نعمته ولو استنفد فيه مدته ، فاستحق اسم المجيد وما هو أعلى منه"[١] .

وقال الإمام ابن القيم: "وصف نفسه بأنه مجيد وهو: المتضمن لكثرة صفات كماله وسعتها، وعدم إحصاء الخلق لها، وسعة أفعاله وكثرة خيره ودوامه، وأما من ليس له صفات كمال ولا أفعال حميدة فليس له من المجد شيء، والمخلوق إنما يصير مجيدا بأوصافه وأفعاله فكيف يكون الرب – تبارك وتعالى – مجيدا وهو معطل عن الأوصاف والأفعال تعالى الله عما يقول المعطلون علوا كبيرا، بل هو المجيد الفعال لما يريد، والمجد في لغة العرب: كثرة أوصاف الكمال وكثرة أفعال الخير "[٢].

وقال الشيخ السعدي:" **المجيد:** الكبير العظيم الجليل، وهو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل

---

(١) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٧٢.

(٢) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، صـ ١٢٥.

شيء، وأجل وأعلى، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله والخضوع له والتذلل لكبريائه"[1]

ثالثاً: وروده في القرآن والسنة

اسم الله المجيد ورود في القرآن الكريم في موضعين فقط، وهذين الموضعين هما قوله تعالى:﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود: ٧٣]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" :" المرأة ينقطع طمثها عادة في سن معينة فلا تحمل . ولكن لا شيء بالقياس إلى قدرة الله عجيب، ولا عجب من أمر الله . فالعادة حين تجري بأمر لا يكون معنى هذا أنها سنة لا تتبدل وعندما يشاء الله لحكمة يريدها وهي هنا رحمته بأهل هذا البيت وبركاته الموعودة للمؤمنين فيه يقع ما يخالف العادة ، مع وقوعه وفق السنة الإلهية التي لا نعلم حدودها ، ولا نحكم عليها بما تجري به العادة في أمد هو على كل حال محدود ، ونحن لا نستقرئ جميع الحوادث في الوجود .

والذين يقيدون مشيئة الله بما يعرفونه هم من نواميسه لا يعرفون حقيقة الألوهية كما يقررها الله سبحانه في كتابه وقوله الفصل وليس للعقل البشري قول في ذلك القول وحتى الذين يقيدون مشيئة الله بما يقرر الله سبحانه أنه ناموسه لا يدركون حقيقة الألوهية كذلك! فمشيئة الله سبحانه طليقة وراء ما قرره الله سبحانه من نواميس . ولا تتقيد هذه المشيئة بالنواميس .

نعم إن الله يجري هذا الكون وفق النواميس التي قدرها له . . ولكن هذا شيء والقول بتقيد إرادته بهذه النواميس بعد وجودها شيء آخر! إن الناموس يجري

---

(1) تفسير السعدي ٥/٣٠٠.

وينفذ بقدر من الله في كل مرة ينفذ فيها . فهو لا يجري ولا ينفذ آلياً . فإذا قدر الله في مرة أن يجري الناموس بصورة أخرى غير التي جرى بها في مرات سابقة كان ما قدره الله ولم يقف الناموس في وجه القدر الجديد . . ذلك أن الناموس الذي تندرج تحته كل النواميس هو طلاقة المشيئة بلا قيد على الإطلاق، وتحقق الناموس في كل مرة يتحقق فيها بقدر خاص طليق"(١) .

ومن الآيات التي ورد فيها اسم الله المجيد قوله تعالى:" ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ ﴾[البروج: ١٤ – ١٦]، قال الشيخ السعدي في تفسيره عند هذه الآيات:" ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأناب.

﴿ ٱلْوَدُودُ ﴾ الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال، والمعاني والأفعال، فمحبته في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعًا لها، كانت عذابًا على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه.

والمودة هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن ﴿ ٱلْوَدُودُ ﴾ بـ ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ ، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأنابوا، غفر لهم

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٤/ ٢٥٣.

ذنوبهم وأحبهم، فلا يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين.

﴿ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾ أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تعالى.

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ أي: مهما أراد شيئًا فعله، إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وليس أحد فعالا لما يريد إلا الله.

فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئًا، فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع، والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد"(١).

فقد وصفه بذلك في كتابه فقال سبحانه: ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ [ق:١]، وفي قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾[البروج: ٢١ - ٢٢]، فالقرآن مجيد أي: شريف كريم عظيم واسع الخير والفضل والكرم؛ وذلك لما تضمنه من العلوم والمكارم والمقاصد العليا والمصالح الدنيوية والأخروية ولا غرابة في ذلك فإنه كلام الله - عز وجل - المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ومن عظمة هذا القرآن ومجده: "أن الله يرفع به أقواما، ويخفض به آخرين. يرفع به من عمل به واتخذه دينا ومنهجا، ويخفض به ويذل من تركه وراءه ظهريا؛ ففي صحيح مسلم عن عامر

(١) تفسير السعدي، صـ ٩١٨، باختصار.

بن واثلة أن نافع ابن عبدالحارث لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي؟ فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟! قال: إنه قارئ لكتاب الله – عز وجل – وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: "**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين**"[1] .

فقد رفع الله تعالى هذا المولى لحفظه لكتابه، وعلمه به مع انحطاط نسبه وشرفه على غيره من أهل مكة أهل الشرف والنسب.

وهذا المجد والرفعة في الدرجات في الآخرة، فإنما هي لمن أخذ بهذا الكتاب، وعمل به، والذل والمهانة والدركات لمن تركه وأعرض عنه[2] .

وقد ورد اسم الله المجيد في السنة النبوية، فعن أبي حميد الساعدي – رضي الله عنه –: " **أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلى عليك؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**" [3] .

ربعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله المجيد

لاسم الله المجيد آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وهذه الآثار سوف نتناوله على النحو الآتي:

---

(1) صحيح مسلم، برقم (٨١٧).
(2) النهج الأسمى، لمحمد حمود النجدي ٤٣٧/١.
(3) صحيح البخاري، في أحاديث الأنبياء، ١٢٣٢/٣ ، برقم(٣١٨٩) .

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله أن يمجد المؤمن ربه سبحانه وتعالى وأن يعظمه؛ لأن الله له مجيد في ذاته، فمن مجد جماله وجلاله، فعن أبي موسى – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** " [١]، عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **إن الله جميل يحب الجمال**" [٢]، أما كيفية جمال الذات فهذا" أمر لا يدركه سواه ولا يعلمه إلا الله، وليس عند المخلوقين منه إلا ما أخبر به عن نفسه من كمال وصفه وجلال ذاته وكمال فعله [٣].

ومن مجد الله في ذاته استواؤه على عرشه، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]، وعرشه أعلى المخلوقات، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" **فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة** " [٤]، والله – عز وجل – مستوى على عرشه، محيط بخلقه، ويعلم ما هم عاملون، وهو القائم عليهم والمحيط بهم، يعلم السر وأخفى في ملكه.

ومن مجد الله في ذاته امساكه للسماوات والأرض أن تزولا؛ لأنه لا يقوى أحد غيره على امساكهن وحفظهن قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن

---

(١) صحيح مسلم، باب في قوله عليه السلام:" إن الله لا ينام" ١٦١/١ ، برقم (١٧٩) .

(٢) صحيح مسلم، في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ٩٣/١ ، برقم(١٣١) .

(٣) الفوائد، لابن القيم، صـ ١٨٢.

(٤) صحيح البخاري، في كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء ٢٧٠٠/٦ ، برقيم(٦٩٨٧)

تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [فاطر:٤١]، وهذه السموات رغم عظمها إلا أنها أمام كرسيه كحلقة في فلاة، عن أبي ذر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة** "[1].

ومن مجده وعظمته سبحانه وتعالى أنه يقضي بين الخلائق وحده يوم القيامة، وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – أنه قال: قرأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذه الآية وهو على المنبر: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧] ، قال:" **يقول الله – عز وجل –: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا المتعال، يمجد نفسه قال: فجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يرددها حتى رجف به المنبر حتى ظننا أنه سيخر به** "[2]

فالله هو المجيد حقا وصدقا، فهو الذي أوجد المخلوقات وحفظها وهداها ورزقها فسبحان المجيد في ذاته وصفاته وأفعاله قال تعالى: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون:١١٦]،

وتمجيد المؤمن لربه يستلزم منه عبادته وحده لا شريك له، والتعلق به وحده، وترك التعلق بالمخلوقات؛ لأنها ضعيفة وفقيرة بذاتها إلى الله تعالى.

---

(١) صحيح ابن حبان ٧٧/٢ (٣٦١)،وهو في السلسلة الصحيحة، للألباني ٢٢٣/١ ، برقم (١٠٩) .

(٢) مسند أحمد ٨٧/٢ ، برقم(٥٦٠٨)، وهو في صحيح ابن ماجة ٣٩/١ ، برقم(١٦٤) .

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المجيد أن يلهج المؤمن بذكر الله تعالى المجيد، وأن يثني عليه بما هو أهله، بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير؛ لأن الله تعالى وحده النافع والضار والمعطي والمانع، وأسوة المؤمن في ذلك رسوله الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان أكثر الخلق تمجيداً لله تعالى في صلاته وفي سائر أحواله، فعن أبي سعيد – رضي الله عنه – قال:" **كان رسول الله إذا رفع رأسه من الركوع قال: ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد** " (١).

وعن عمرو بن عبسة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" **فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه** " (٢).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال عن رب العزة:" **وإذا قال: مالك يوم الدين قال: مجدني عبدي، وقال: مرة فوض إلي عبدي** " (٣).

---

(١) صحيح مسلم في الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة ١/٣٤٣ ، برقم (٤٧١) .

(٢) صحيح مسلم في صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة ١/٥٧٠ ، برقم(٨٣٢) .

(٣) صحيح مسلم، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١/٢٩٦ ، برقم (٣٩٥) .

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المجيد أن يدعو المؤمن ربه باسمه المجيد، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فعبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فأهدها لي فقال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال:" **قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**"[١] .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثا غير تمام، فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: **قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد:** ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾**قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال:** ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ **قال الله تعالى: أثنى علي عبدي وإذا قال:** ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾**قال: مجدني عبدي، وقال مرة: فوض إلي عبدي فإذا قال:** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ، **قال: هذا بيني وبين عبدي**

(١) صحيح البخاري، برقم (٣١١٩).

ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ، قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل " [1] .

وعن أبي سعيد – رضي الله عنه – قال:" كان رسول الله إذا رفع رأسه من الركوع قال: ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد " [2].

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا قام من الليل كبر ثم يقول: " سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك، ثم يقول: لا إله إلا الله ثلاثا، ثم يقول: الله أكبر كبيرا ثلاثا، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه " [3].

---

(1) مسلم في الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١/٢٩٦ (٣٩٥) .

(2) سبق تخريجه قبل قليل.

(3) سنن أبي داود، في كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم وبحمدك ١/٢٠٦ ، برقم (٧٧٥)، وهو في مشكاة المصابيح، للألباني، برقم (١٢١٧) .

٢٥ ـ الهادي جل جلاله

الهادي من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" الهادي: الدليل، ويقال: هديته الطريق، وهديته للطريق، وهديته إلى الطريق بثلاث لغات قد جاءت في التنزيل، قال عز وجل: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾ [البلد: ١٠]، يقال: هديت الرجل الطريق والبيت هداية أي: عرفته، وهديت الرجل في الدين هدى، فأنا هاد وهو مهدي.

الهدى: الرشاد والدلالة، يؤنث ويذكر، يقال: هداه الله للدين هدى، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ ﴾ } [السجدة: ٢٦]، قال أبو عمرو بن العلاء: أو لم يبين لهم.

والهدى: إخراج شيء إلى شيء، والهدى: الطاعة والورع، والهدى أيضا: النهار والاهتداء: اتباع الهدى، والمستهدي: طالب الهدية."(١).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٦/٤٦٣٩، واشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ١٨٧، الصِّحَاحِ في اللغة، الجوهري٦/٢٥٣٣.

ثانيا: معناه في الاصطلاح

اسم الله الهادي وردت له عدت تعريفات اصطلاحية، ومن هذه التعريفات ما ذكره الإمام الغزالي، حيث قال:" **الهادي**: هو الذي هدى خواص عباده أولا إلى معرفة ذاته حتى استشهدوا بها على الأشياء، وهدى عوام عباده إلى مخلوقاته حتى استشهدوا بها على ذاته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في قضاء حاجاته، فهدى الطفل إلى التقام الثدي عند انفصاله والفرخ إلى التقاط الحب وقت خروجه والنحل إلى بناء بيته على شكل التسديس؛ لكونه أوفق الأشكال لبدنه وأحواها وأبعدها عن أن يتخللها فرج ضائعة وشرح ذلك يطول وعنه عبر قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]، وقال تعالى:﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٣]"[١]. وقال الخطابي:" **الهادي** هو الذي منَّ بهداه على من أراد من عباده فخصه بهدايته، وأكرمه بنور توحيده كقوله تعالى: ﴿ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥]، وهو الذي هدى سائر الخلق من الحيوان إلى مصالحها، وألهمها كيف تطلب الرزق وكيف تتقي المضار والمهالك كقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]" [٢].

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٤٦.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٩٥ .

وقال الزجاج:" **الهادي** هو الذي هدى خلقه إلى معرفته وربوبيته، وهو الذي هدى عباده إلى صراطه المستقيم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥]"[١] .

وقال الزجاجي:" **الهادي** يهدي عباده إليه، ويدلهم عليه، وعلى سبيل الخير والأعمال المقربة منه عز وجل"[٢].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:" **الهادي** أي الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويلهمهم التقوى ويجعل قلوبهم منيبة إليه منقادة لأمره"[٣].

ثالثاً: وروده في القرآن والسنة

اسم الله الهادي ورد في موضعين من القرآن الكريم، وهذين الموضعين هما قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" ولله الحكمة البالغة، فإن بروز المجرمين لحرب الأنبياء والدعوات يقوي عودها؛ ويطبعها بطابع الجد الذي يناسب طبيعتها . وكفاح أصحاب الدعوات للمجرمين الذي يتصدون لها مهما كلفهم من مشقة وكلف الدعوات من تعويق هو الذي يميز الدعوات الحقة من الدعاوى الزائفة؛ وهو الذي يمحص القائمين عليها، ويطرد الزائفين منهم؛

---

(١) تفسير الأسماء، للزجاج، صـ٦٤.

(٢) اشتقاق الأسماء، للزجاجي، صـ١٨٧.

(٣) تفسير السعدي ٥/٣٠٥.

فلا يبقى بجوارها إلا العناصر المؤمنة القوية المتجردة ، التي لا تبتغي مغانم قريبة . ولا تريد إلا الدعوة خالصة ، تبتغي بها وجه الله تعالى .

ولو كانت الدعوات سهلة ميسورة ، تسلك طرقاً ممهدة مفروشة بالأزهار، ولا يبرز لها في الطريق خصوم ومعارضون، ولا يتعرض لها المكذبون والمعاندون، لسهل على كل إنسان أن يكون صاحب دعوة، ولا ختلطت دعوات الحق ودعاوى الباطل، ووقعت البلبة والفتنة . ولكن بروز الخصوم والأعداء للدعوات، هو الذي يجعل الكفاح لانتصارها حتماً مقضياً، ويجعل الآلام والتضحيات لها وقوداً.

فلا يكافح ويناضل، ويحتمل الآلام والتضحيات إلا أصحاب دعوة الحق الجادون المؤمنون، الذين يؤثرون دعوتهم على الراحة والمتا ع، وأعراض الحياة الدنيا . بل على الحياة نفسها حين تقتضيهم دعوتهم أن يستشهدوا في سبيلها، ولا يثبت على الكفاح المرير إلا أصلبهم عوداً ، وأشدهم إيماناً ، وأكثرهم تطلعاً إلى ما عند الله واستهانة بما عند الناس، عندئذ تتميز دعوة الحق من دعاوى الباطل، وعندئذ تمحص الصفوف فيتميز الأقوياء من الضعفاء، وعندئذ تمضي دعوة الحق في طريقها برجالها الذين ثبتوا عليها، واجتازوا امتحانها وبلاءها، أولئك هم الأمناء عليها الذين يحتملون تكاليف النصر وتبعاته، وقد نالوا هذا النصر بثمنه الغالي، وأدوا ضريبته صادقين مؤثرين، وقد علمتهم التجارب والابتلاءات كيف يسيرون بدعوتهم بين الأشواك والصخور، وقد حفزت الشدائد والمخاوف كل طاقاتهم ومقدراتهم، فنما رصيدهم من القوة وذخيرتهم من

المعرفة، فيكون هذا كله رصيداً للدعوة التي يحملون رايتها على السراء والضراء.

والذي يقع غالباً أن كثرة الناس تقف متفرجة على الصراع بين المجرمين وأصحاب الدعوات؛ حتى إذا تضخم رصيد التضحيات والآلام في صف أصحاب الدعوات، وهم ثابتون على دعوتهم، ماضون في طريقهم، قالت الكثرة المتفرجة أو شعرت أنه لا يمسك أصحاب الدعوة على دعوتهم على الرغم من التضحيات والآلام، إلا أن في هذه الدعوة ما هو أغلى مما يضحون به وأثمن، وعندئذ تتقدم الكثرة المتفرجة لترى ما هو هذا العنصر الغالي الثمين الذي يرجح كل أعراض الحياة ، ويرجح الحياة ذاتها عند أصحاب الدعوة، وعندئذ يدخل المتفرجون أفواجاً في هذه العقيدة بعد طول التفرج بالصراع.

من أجل هذا كله جعل الله لكل نبي عدواً من المجرمين؛ وجعل المجرمين يقفون في وجه دعوة الحق، وحملة الدعوة يكافحون المجرمين، فيصيبهم ما يصيبهم وهم ماضون في الطريق، والنهاية مقدرة من قبل، ومعروفة لا يخطئها الواثقون بالله، إنها الهداية إلى الحق، والانتهاء إلى النصر.

﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾، وبروز المجرمين في طريق الأنبياء أمر طبيعي، فدعوة الحق إنما تجيء في أوانها لعلاج فساد واقع في الجماعة أو في البشرية، فساد في القلوب، وفساد في النظم، وفساد في الأوضاع، ووراء هذا الفساد يكمن المجرمون، الذين ينشئون الفساد من ناحية، ويستغلونه من ناحية، والذين تتفق مشاربهم مع هذا الفساد، وتتنفس شهواتهم في جوه الوبيء، والذين يجدون فيه سنداً للقيم الزائفة التي يستندون هم في وجودهم إليها، فطبيعي إذن

أن يبرزوا للأنبياء وللدعوات دفاعاً عن وجودهم، واستبقاء للجو الذي يملكون أن يتنفسوا فيه، وبعض الحشرات يختنق برائحة الأزهار العبقة ، ولا يستطيع الحياة إلا في المقاذر، وبعض الديدان يموت في الماء الطاهر الجاري، ولا يستطيع الحياة إلا في المستنقع الآسن، وكذلك المجرمون فطبيعي إذن أن يكونوا أعداء لدعوة الحق، يستميتون في كفاحها، وطبيعي أن تنتصر دعوة الحق في النهاية؛ لأنها تسير مع خط الحياة ، وتتجه إلى الأفق الكريم الوضيء الذي تتصل فيه بالله ، والذي تبلغ عنده الكمال المقدر لها كما أراد الله ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ (١) .

والموضع الثاني الذي ورد فيه اسم الله الهادي قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الحج: ٥١ – ٥٤]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآيات :" هذه الآيات، فيها بيان أن للرسول صلى الله عليه وسلم أسوة بإخوانه المرسلين، لما وقع منه عند قراءته صلى الله عليه وسلم: { والنجم } فلما بلغ { أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى } ألقى

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٥/ ٣١٥.

الشيطان في قراءته: " **تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى** "[1]، فحصل بذلك للرسول حزن وللناس فتنة، كما ذكر الله، فأنزل الله هذه الآيات.

---

(1) قال المفسرون: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله تعالى ما يقارب به بينه وبين قومه، وذلك لحرصه على إيمانهم، فجلس ذات يوم في ناد من أندية قريش كثير أهله، وأحب يومئذ

أن لا يأتيه من الله تعالى شئ ينفر عنه، وتمنى ذلك، فأنزل الله تعالى سورة – والنجم إذا هوى – فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النجم: ١٩ – ٢٠]، ألقى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه وتمناه" **تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي**"، فلما سمعت قريش ذلك فرحوا، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها، وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبا أحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتهما وسجدا عليهما، لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود.

وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيى ويميت ويخلق ويرزق لكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، فإن جعل ا محمدا نصيبا فنحن معه، فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فقال: ماذا صنعت تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله سبحانه وتعالى، وقلت ما لم أقل لك، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كبيرا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

فقالت قريش: ندم محمد عليه الصلاة والسلام على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فازدادوا شرا إلى ما كانوا عليه"،

أخبرنا أبو بكر الحارثي قال: أخبرنا أبو بكر بن حيان قال: أخبرنا أبو يحيى الرازي قال: أخبرنا سهل العسكري قال: أخبرنا يحيى عن عثمان بن الاسود، عن سعيد ابن جبير قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم – أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى – فألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى، ففرح بذلك المشركون وقالوا: قد ذكر آلهتنا، فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: اعرض علي كلام الله، فلما عرض عليه فقال: أما هذا فلم آتك به هذا

يخبر تعالى بحكمته البالغة، واختياره لعباده، وأن الله ما أرسل قبل محمد ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ أي: قرأ قراءته، التي يذكر بها الناس، ويأمرهم وينهاهم، ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: في قراءته، من طرقه ومكايده، ما هو مناقض لتلك القراءة، مع أن الله تعالى قد عصم الرسل بما يبلغون عن الله، وحفظ وحيه أن يشتبه، أو يختلط بغيره. ولكن هذا الإلقاء من الشيطان، غير مستقر ولا مستمر، وإنما هو عارض يعرض، ثم يزول، وللعوارض أحكام، ولهذا قال: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يزيله ويذهبه ويبطله، ويبين أنه ليس من آياته﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: يتقنها، ويحررها، ويحفظها، فتبقى خالصة من مخالطة إلقاء الشيطان، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي: كامل العلم والاقتدار، فبكمال علمه، يحفظ وحيه، ويزيل ما تلقيه الشياطين، ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع الأشياء مواضعها، فمن كمال حكمته، مكن الشياطين من الإلقاء المذكور، ليحصل ما ذكره بقوله: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ لطائفتين من الناس،

من الشيطان، فأنزل الله تعالى – وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته" أسباب النزول، للواحدي، صـ ٢٠٨، وهذه القصة موضوعة مكذوبة لا تصح، وقد جزم بوضعها وعدم صحتها أكابر العلماء، ومن العلماء الذين حكموا بالوضع على هذه القصة المكذوبة، ابن العربي في أحكام القرآن ٢/٧٣-٧٥، والقاضي عياض في كتابه الشفا ٢/١١٦-١٢١، والفخر الرازي في تفسيره ٦/١٩٣-١٩٧ ، والقرطبي في تفسيره ١٢/٨٠-٨٤ ، والكرماني في شرح صحيح البخاري ٨/٤٩٨ ، والعيني في عمدة القاري، شرح صحيح البخاري ٩/٤٧، والشوكاني في تفسيره فتح القدير ٣/٢٤٧-٢٤٨؛ وغيرهم من أهل العلم، وللعلامة الألباني رسالة لطيفة في بيان كذب هذه القصة سماها : " نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق" وهي نافعة.

لا يبالي الله بهم، وهم الذين ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي: ضعف وعدم إيمان تام وتصديق جازم، فيؤثر في قلوبهم أدنى شبهة تطرأ عليها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، داخلهم الريب والشك، فصار فتنة لهم"[1].

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الهادي

اسم الله الهادي له آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وبعض هذه الآثار سو نتناولها في هذا المقام على النحو التالي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله الهادي أن يحب المؤمن ربه الهادي سبحانه وتعالى؛ لأنه تعالى أعطى كل شيء خلقه ثم هداه إلى ما فيه صلاحه وقيام حياته، وهذا النوع من الهداية تشمل جميع المخلوقات، المكلف منها وغير المكلف، وأعظم هداياته سبحانه وتعالى هدايته لعباده، حيث أنزل إليهم الكتب وأرسل إليهم الرسل؛ ليبينوا لهم طريقة الهداية ، وليحذرنهم من طريق الغواية والضلال، وقد أعطى الله تعالى لعباده عقولاً؛ ليستعينوا بها على معرفة الله تعالى، وعلى طرق الهداية الموصلة إليه، ومن أجمل من تكلم عن أنواع الهداية العلامة ابن القيم؛ ولنفاسة كلامه والأهمية نثبته هنا كاملاً؛ لتتم به الفائدة، قال رحمه الله تعالى:" اعلم أن أنواع الهداية أربعة:

النوع الأول: الهداية العامة المشتركة بين الخلق، المذكورة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]، أي: أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيه بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل

([1]) تفسير السعدي ، صـ ٥٤٢.

شيء موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال، وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وهداية الجماد المسخر لما خلق له، فله هداية تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به، وإن اختلفت أنواعها وصورها.

وكذلك كل عضو له هداية تليق به فهدى الرجلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خلق له، وهدى الزوجين من كل حيوان إلى الأزدواج والتناسل وتربية الولد، وهدى الولد إلى التقام الثدي عند وضعه وطلبه. ومراتب هدايته سبحانه لا يحصيها إلا هو، فتبارك الله رب العالمين.

وهدى النحل أن تتخذ من الجبال بيوتا، ومن الشجر ومن الأبنية، ثم تسلك سبل ربها مذللة لها، لا تستعصي عليها، ثم تأوي إلى بيوتها، وهداها إلى طاعة يعسوبها واتباعه والائتمام به أين توجه بها، ثم هداها إلى بناء البيوت العجيبة الصنعة، المحكمة البناء، ومن تأمل بعض هدايته المبثوثة في العالم شهد له بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

وانتقل من معرفة هذه الهداية إلى إثبات النبوة بأيسر نظر وأول وهلة وأحسن طريق وأخصرها وأبعدها من كل شبهة، فإن من لم يهمل هذه الحيوانات سدى ولم يتركها معطلة، بل هداها إلى هذه الهداية التي تعجز عقول العقلاء عنها، كيف يليق به أن يترك النوع الإنساني الذي هو خلاصة الوجود، الذي كرمه وفضله على كثير من خلقه مهملا وسدى معطلا، لا يهديه إلى أقصى كمالاته

وأفضل غاياته، بل يتركه معطلا لا يأمره ولا ينهاه ولا يثيبه ولا يعاقبه؟ وهل هذا إلا مناف لحكمته ونسبته له مما لا يليق بجلاله؟!

ولهذا أنكر ذلك على من زعمه، ونزه نفسه عنه، وبين أنه يستحيل نسبة ذلك إليه، وأنه يتعالى عنه، فقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١١٥ - ١١٦]، فنزه نفسه عن هذا الحسبان، فدل على أنه مستقر بطلانه في الفطر السليمة والعقول المستقيمة، وهذا أحد ما يدل على إثبات المعاد بالعقل، وأنه مما تظاهر عليه العقل والشرع كما هو أصح الطريقين في ذلك.ومن فهم هذا فهم سر اقتران قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، بقوله: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٧]، وكيف جاء ذلك في معرض جوابهم عن هذا السؤال والإشارة به إلى إثبات النبوة، وأن من لم يهمل أمر كل دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه، بل جعلها أمما وهداها إلى غاياتها ومصالحها، كيف لا يهديكم إلى كمالكم ومصالحكم؟! فهذا أحد أنواع الهداية وأعمها.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة، والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجب، ولهذا لا ينبغي الهدى معها، كقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا

ﭐلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [فصلت: ١٧]، أي: بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا، ومنها قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى: ٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾ [فاطر: ٨]، وفي قوله: ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [النحل: ٣٧]، وفي قوله تعالى: ﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾ [الكهف: ١٧]، وفي قول لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦]، فنفى عنه هذه الهداية ، وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورى: ٥٢].

النوع الرابع: غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلها إليهما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [يونس: ٩]، وقال أهل الجنة فيها: ﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الصافات: ٢٢ – ٢٣] "[1].

([1]) بدائع الفوائد، لابن القيم، صـ ٣٣٠ .

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الهادي أن يدعو المؤمن ربه أن يهديه إلى صراطه المستقيم، وأن يثبته على طريق الهداية حتى يلقى ربه؛ لأن الهداية الحقة للعبد لا يملكها إلا الله تعالى، وهو سبحانه يوفق لها من يشاء من عباده، وهدية الله لعبده المؤمن من أكبر نعم الله تعالى على عبده؛ لأنها ستكون سبباً في سعادته في الدنيا والأخرى.

وقد أمر الله تعالى هذه الأمة بأن تسأله الهداية في كل ركعة من صلاتها، وذلك من خلال قراءتهم لسورة الفاتحة، وفيها يدعون ربهم قائلين : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وأنبياء الله ورسله، ومع أنهم أكمل الخلق هداية وقرباً منه سبحانه وتعالى، ومع ذلك قد كانوا يسألون ربهم أن يهديهم الهداية الكاملة، فهذا موسى – عليه السلام – يقول: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

وكان خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم يسأل ربه تعالى الهداية في دعواته وصلاته، فعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: " كان صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته: "**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، أنت**

تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم" [1] . وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام: "**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت وبك خاصمت، أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**"[2].

وكان يقول: "**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**" [3] .

وقال لعلي – رضي الله عنه –: "**قل: اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم**"[4]

وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي – رضي الله عنهما – أن يقول: "**اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت**" [5] .

إن حاجة المؤمن إلى الهداية أشد من حاجتنا إلى الطعام والشراب، فليكثر من دعاء الله تعالى أن يرزقه الهداية وأن يثبته عليها

٣- ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الهادي أن يحرص المؤمن على هداية الخلق ودلالتهم إلى الله تعالى، وذلك من خلال اشتغاله بالدعوة إلى الله تعالى، وأسوته في ذلك أنبياء الله ورسله، فما أرسلهم الله تعالى إلا دعوة الخلق إلى الله تعالى ودلالتهم الى طريق الهداية الموصلة إلى رضوان الله تعالى وجنته.

---

(١) صحيح مسلم، برقم (٧٧٠).

(٢) صحيح مسلم، برقم (٢٧١٧).

(٣) صحيح مسلم، برقم (٢٧٢١).

(٤) صحيح مسلم، برقم (٢٧٢٥).

(٥) مسند أحمد ١/١٩٩، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم (١٤٢٥)

والدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة الأنبياء والرسل ومن تبعهم من أهل الإيمان، وصدق الله القائل: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨].

وأقوال المؤمن في دعوة الخلق الى الله وهدايتهم من أحسن الأقوال التي يقولها المؤمن، وصدق الله القائل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

ومما يجعل المؤمن تنشط همته في الدعوة إلى الله تعالى أن يتذكر الأجور المترتبة على قيامه بالدعوة إلى الله تعالى وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم، فعن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا**"[1] .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه فقاموا يرجون لذلك أيهم يعطى فغدوا وكلهم يرجو أن يعطى فقال أين علي فقيل يشتكي عينيه فأمر فدعي له فبصق في عينيه فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء فقال نقاتلهم حتى يكونوا

---

(1) صحيح مسلم، برقم(٤٨٣١).

مثلنا فقال "**على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدى بك رجل واحد خير لك من حمر النعم**""[١] .

(١) صحيح البخاري، برقم(٢٧٢٤)

٢٦ ـ المقيت جل جلاله

المقيت من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" "**المقيت** اسم فاعل للموصوف بالإقاتة، فعله أقات وأصله قات يقوت قوتا، والمقيت" بمعنى الحافظ والحفيظ، مأخوذ من قولهم: قت الرجل أقوته إذا حفظت نفسه بما يقوته، والقوت: اسم الشيء الذي يحفظ. .

والمقيت: المقتدر على الشيء، وقال الله عز وجل:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴾ [النساء: ٨٥]، أي: مقتدر، وقيل: حافظا، وقيل: شاهدا، وحقيقته قائما عليه يحفظه ويقيته.

وقاته يقيته قوتا أطعمه قوته، وأقاته يقيته جعل له ما يقوته، والقوت: هو ما يمسك الرمق من الرزق، تقول: قات الرجل وأقاته أي أعطاه قوته، والمصدر القوت، وهو المدخر المحفوظ الذي يقتات منه حين الحاجة، فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت** "[1] [2] .

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله المقيت وردت له عدة تعريفات اصطلاحية، ومنها ما ذكره الإمام الغزالي، حيث قال:" المقيت، معناه خالق الأقوات وموصلها إلى الأبدان وهي

---

(١) سنن أبي داود في كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم٢/١٣٢ برقم(١٦٩٢وهو في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، برقم (٩٨٩)

(٢) لسان العرب، لابن منظور ٥/٣٧٦٩، تفسير الأسماء الحسنى، للزجاج، صـ ٤٨، واشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ١٣٦، المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ ٤١٤.

الأطعمة وإلى القلوب وهي المعرفة و فيكون بمعنى الرزاق إلا أنه أخص منه، إذ الرزق يتناول القوت وغير، القوت والقوت ما يكتفى به في قوام البدن، وإما أن يكون معناه المستولي على الشيء القادر عليه، والاستيلاء يتم بالقدرة والعلم وعليه يدل قوله عز وجل:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴾ [النساء: ٨٥]، أي مطلعا قادراً، فيكون معناه راجعا إلى القدرة والعلم أما العلم، ويكون بهذا المعنى وصفه بالمقيت أتم من وصفه بالقادر؛ لأنه دال على اجتماع المعنيين وبذلك يخرج هذا الاسم عن الترادف"[١].

وقال الإمام البيهقي:" المقيت هو المقتدر فيرجع معناه إلى صفة القدرة وقيل: المقيت الحفيظ، وقيل: هو معطي القوت فيكون من صفات الفعل" [٢] .

وقال الإمام الخطابي: "**المقيت** بمعنى القدير، والمقيت: معطي القوت"[٣]

وقال الشيخ السعدي: "**المقيت** الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء بحكمته وحمده"[٤] .

وقال الإمام ابن جرير الطبري : "اختلف أهل التأويل في معنى اسم الله المقيت الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ﴾ ، فقال بعضهم في تأويله: وكان الله على كل شيء حفيظا وشهيدا.

وقال آخرون معنى ذلك: القائم على كل شيء بالتدبير.

وقال آخرون: هو القدير.

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١١٣

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي، ص٥٩..

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٦٨.

(٤) تفسير السعدي ٥/٦٢٥.

والصواب من هذه الأقوال: قول من قال: معنى المقيت: القدير؛ وذلك أن هذا المعنى قد ورد في قريش، وقد أنشد الزبير بن عبد المطلب قائلاً:

وذي ضغن كففت النفس عنه .... وكنت على مساءته مقيتا، أي: قادرا"[1].

ثالثاً: وروده في القرآن الكريم

اسم الله المقيت لم يرد ذكر في القرآن الكريم إلا مرةً واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء: ٨٥]، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية:" قوله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ الشفاعة الحسنة هي التوسط بالقول في وصول إنسان إلى منفعة دنيوية أو أخروية أو إلى الخلاص من مضرّة وتكون بلا مقابل، ولذلك يقال: فلان سيشفع لي عند فلان، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس يا فلان أراك مكتئبا حزينا قال نعم يا ابن عم رسول الله لفلان علي حق ولاء وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس أفلا أكلمه فيك فقال إن أحببت قال فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد فقال له الرجل أنسيت ما كنت فيه قال لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم والعهد به قريب فدمعت عيناه وهو يقول:" **من مشى في حاجة أخيه وبلغ**

(1) تفسير الطبري ٥/١١٨.

فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين"[١].

ذلك لأن العبد الذي سعى في قضاء حاجة أخيه يكون قد أدى حق نعمة الله فيما تفضل به عليه ، ويكون من أثر ذلك أنه لا يسخط أو يحقد غير الواجد للموهبة على ذي الموهبة . وبذلك فسبحانه يزيل الحقد من نفس غير الموهوب على ذي الموهبة؛ فغير الموهوب يقول : إن موهبة فلان تنفعني أنا كذلك ، فيحبّ بقاءها عنده ونماءها لديه.

ثم يأتي الحق بالمقابل، فيضع الترهيب للأشرار ، فيقول: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ولنر المخالفة والفارق بين كلمة « النصيب » وكلمة « الكفل » . كلمة « النصيب » تأتي بمعنى الخير كثيرا، فعندما يقول واحد: أنت لك في مالي نصيب.

هذا القول يصلح لأي نسبة من المال . أما كلمة « كفل » فهي جزء على قدر السيئة فقط . وهذا هو فضل من الله ، فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، وهذا نصيب كبير . ومن جاء بالسيئة فلا يجزي إلا مثلها .

فقول الحق : ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ أي يكون له جزء منها، أي يصيبه شؤم السيئة، أما الجزاء الكبير على الحسنة فيدفع إلى إشاعة مواهب الناس لكل الناس . وما دامت مواهب الناس مشاعة لكل الناس فالمجتمع يكون متساندا لا متعاندا، ويصير الكل متعاونا صافي القلب.

---

(١) ضعيف الترغيب والترهيب، للألباني، برقم(٦٦٢).

ولذلك قلنا: إن الذي يحب أن تسرع إليه نعم غيره فليحب النعم عند أصحابها، فإنك أيها المؤمن إن أحببت نعمة عند صاحبها جاءك خيرها وأنت جالس. وإذا ما حُرمت من آثار نعمة وهبها الله لغيرك عليك فراجع قلبك في مسألة حبك للنعمة عنده، فقد تجد نفسك مصاباً بشيء من الغيرة منها أو كارهاً للنعمة عنده، فتصير النعمة وكأنها في غيرة على صاحبها .

ويختم الحق الآية : ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا﴾ جاء هذا القول بعد الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة، وفي ذلك تنبيه لكل العباد: إياكم أن يظن أحدكم أن هناك شيئاً مهما صغر يفلت من حساب الله ، فلا في الحسنة سيفلت شيء ، ولا في السيئة سيضيع شيء.

ومعنى « مُقيت » من « قاته » أي أعطاه القوت، ولماذا يعطيهم القوت؟ ليحافظ على حياتهم، فهو مقيت بمعنى أنه يعطيهم ما يحفظ حياتهم، ومعناها أيضاً: المحافظ عليهم فهو الحفيظ، وبما أنه سبحانه يعطي القوت ليظل الإنسان حياً، فهو مشاهد له فلا يغيب المخلوق عن خالقه لحظة، وبما أنه يعطي القوت للإنسان على قدر حاجته فهو حسيب، وبما أنه يرقب سلوك الإنسان فهو يجازيه.

وأخذت كلمة « مُقيتاً » من العلماء أبحاثاً، فعالم قال في معناه : الشهيد، وقال آخر: إن معناه حسيب » ، وقال ثالث: إن « مقيتاً » معناها « مانح القوت » ورابع قال: « إنه حفيظ » وخامس قال: « إنه رقيب ».

ونقول لهم جميعاً: لا داعي للخلاف في هذه المسألة ، فهناك فرق بين تفسير اللفظ بلازم من لوازمه وقد تتعدد اللوازم ، فكل معنى من هذه المعاني قد يكون صحيحاً، ولكن المعنى الجامع هو الذي يكون من مادة الكلمة ذاتها .

إذن كل هذه المعاني متداخلة ومتلازمة؛ لذلك لا نقول اختلف العلماء في هذا المعنى، ولكن لنقل إن كل عالم لاحظ ملحظاً في الكلمة ، فالذي لاحظ القوت الأصلي على صواب، فلا يعطي القوت الأصلي إلا المراقب لعباده دائماً، فهو شهيد، ولا يعطي أحداً قوتاً إلا إذا كان قائماً على شأنه فهو حسيب . وسبحانه لا يُقيت الإنسان فقط ولكن يقيت كل خلقه ، فهو يقيت الحيوان ويلهمه أن يأكل صنفاً معيناً من الطعام ولا يأكل الصنف الآخر .

إننا إذا رأينا العلماء ينظرون إلى " مقيت " من زوايا مختلفة فهم جميعا على صواب، سواء من جعلها من القوت أو من الحفظ أو من القدرة أو من المشاهدة أو من الحساب، وكل واحد إنما نظر إلى لازم كلمة " مقيت " وسبحانه يقيت كل شيء، فهو يقيت الإنسان والحيوان والجماد والنبات .

ونجد علماء النبات يشرحون ذلك؛ فنحن نزرع النبات، وتمتص جذور النبات العناصر الغذائية من الأرض، وقبل أن يصبح للنبات جذورٌ، فهو يأخذ غذاءه من فلقتي الحبة التي تضم الغذاء إلى أن ينبت لها جذر، وبعد أن يكبر جذر النبات فالفلقتان تصيران إلى ورقتين، وسبحانه على كل شيء مقيت، ويقول العلماء من بعد ذلك: إن الغذاء قد امتصه النبات بخاصية الأنابيب الشعرية . أي أن النبات يمتص الغذاء من التربة بواسطة الجذور الرفيعة التي تمتص الماء المذاب فيه عناصر الغذاء . وفتحة الأنبوبة في الأنابيب الشعرية لا تسع

إلا مقدار الشعرة، وعندما توضع في الإناء فالسائل يصعد فيها ويرتفع الماء عن مستوى الحوض، وعندما تتوازى ضغوط الهواء على مستويات الماء فالماء لا يصعد .

ومثال ذلك: عندما نأتي بماء ملون ونضعه في إناء، ونضع في الإناء الأنابيب الشعرية، فالسائل الملون يصعد إلى الأنابيب الشعرية، ولا تأخذ أنبوبة مادة من السائل، وتترك مادة بل كل الأنابيب تأخذ المادة نفسها، لكن شعيرات النبات تأخذ من الأرض الشيء الصالح لها وتترك الشيء غير الصالح . وهو ما يقول عنه علماء النبات "ذلك هو الانتخاب الطبيعي"، ومعنى الانتخاب هو الاختيار، والاختيار يقتضي عقلاً يفكر ويرجح، والنبات لا عقل له، ولذلك كان يجب أن يقولوا إنه" الانتخاب الإلهي"، فالطبيعة لا عقل لها ولكن يديرها حكيم له مطلق العلم والحكمة والقيومية .

وساعة تسمع قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾، فإياك أن تتصور أن لـ « كان » هنا ملحظاً في الزمن، فعندما نقول بالنسبة للبشر « كان زيد غنياً » فزيد من الأغيار وقد يذهب ثراؤه، لكن عندما نقول: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ فإننا نقول: « كان الله ومازال » ، لأن الذي كان ويتغير هو من تدركه الأغيار . وسبحانه هو الذي يُغَيِّر ولا يَتَغَيَّر ، وموجود منذ الأزل وإلى الأبد، وحين أوضح لنا سبحانه الشفاعة وأمرنا أن يعدي الواحد منا مواهبه إلى غيره فذلك حتى تتساند قدرات المجتمع لأنه يربب الفائدة للعبد المؤمن ويربيها للجميع"[1] .

([1]) تفسير الشعراوي، صـ ١٧١٤، باختصار وتصرف.

وقال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" المراد بالشفاعة هنا: المعاونة على أمر من الأمور، فمن شفع غيره وقام معه على أمر من أمور الخير -ومنه الشفاعة للمظلومين لمن ظلمهم- كان له نصيب من شفاعته بحسب سعيه وعمله ونفعه، ولا ينقص من أجر الأصيل والمباشر شيء، ومَنْ عاون غيره على أمر من الشر كان عليه كفل من الإثم بحسب ما قام به وعاون عليه.

ففي هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر العظيم عن التعاون على الإثم والعدوان، وقرر ذلك بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾ أي: شاهدًا حفيظًا حسيبًا على هذه الأعمال، فيجازي كُلا ما يستحقه"[1].

رابعاً الآثار الإيمانية الاسم الله المقيت

لاسم الله المقيت آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وهذه الآثار سوف نتنا ولها على النحو الآتي:

١ـ محبة الله المقيت جل جلاله؛ لأنه سبحانه الخالق الرازق، المتكفل بحفظ حياة عباده وأرزاقهم وأقواتهم؛ ولأن غير الله من المخلوقات لا يملكون رزقا لأنفسهم فضلا عن أن يملكوه لغيرهم، وهم ضعاف لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا، ولا يملكون لغيرهم موتا ولا حياة ولا نشورا.

وهذه المحبة ينبغي أن تدفع المؤمن إلى التوكل على الله تعالى في طلبه لرزقه وقوته، وهذا التوكل يسكب في نفس المؤمن الطمأنينة والرضى، فلا تتجاذبه المخاوف ولا يعتريه الهلع والقلق على قوته وأجله.

---

(١) تفسير السعدي ، صـ ١٩٠.

وعند توكل المؤمن على ربه في طلبه لقوته لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب المشروعة والمتاحة، مع عدم التعلق بها؛ لأن خالق الأسباب ومسبباتها هو الله سبحانه.

ومن أعظم الأقوات التي ينبغي للمؤمن أن يطلبها من ربه المقيت جل جلاله أقوات القلوب، من محبته جل جلاله والإيمان به، وهذا هو القوت الحقيقي الذي إذا حصل عليه المؤمن فلا يضيره ما فاته من اقوات الأبدان والأجساد، وهذا هو القوت الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم حينما قيل له: إنك تواصل الصوم فقال: "**إني لست كهيئتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقين**"[1].

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المقيت أن يأخذ المؤمن حظه من اسم المقيت، بأن أن يؤثر بقوته غيره من أصحاب الحاجات، من الفقراء والمساكين، وخاصةً في الأوقات التي تقل فيها الأقوات والأرزاق، وليكن قدوته في ذلك أصحاب رسول الله رضي الله عنهم أجمعين فقد ضربوا في ذلك أروع الأمثلة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه –: أن رجلا أتي النبي – صلى الله عليه وسلم – فبعث إلي نسائه فقلن: ما معنا إلا الماء فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "**من يضم أو يضيف هذا؟**"، فقال رجل من الأنصار: أنا فانطلق به إلي امرأته، فقال أكرمي ضيف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني فقال: **هيئي طعامك**، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك، إذا أرادوا عشاء،فهيأت طعامها وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا

---

(١) صحيح البخاري، برقم (١٩٦٤)، وصحيح مسلم، برقم (١١٠٣).

طاويين، فلما أصبح غدا إلي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما، فأنزل الله – سبحانه وتعالى –: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر:٩]) [١] .

وقد كان سيد المؤثرين بقوته نبينا محمد صلى الله وسلم فعن بن عابس عن أبيه قال: قلت لعائشة أنهى النبي – صلى الله عليه وسلم – أن تؤكل لحوم الأضاحي فوق ثلاث؟ قالت: ما فعله إلا في عام جاع الناس فيه، فأراد أن يطعم الغنى الفقير، وإن كنا لنرفع الكراع فنأكله بعد خمس عشرة، قيل: ما اضطركم إليه، فضحكت، قالت: **ما شبع آل محمد – صلى الله عليه وسلم – من خبز بر مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله** " [٢] .

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام أن يتوسط المؤمن في قوته وفي طعامه وشرابه فلا يسرف في ذلك ولا يقتر وحاديه في ذلك قوله تعالى: قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوجه أمته إلى ذلك، فعن المقدام بن معد يكرب – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) صحيح البخاري، في مناقب الأنصار، باب قول الله تعالى:﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الحشر: ٩]، برقم(٣٥٨٧) .

(٢) صحيح البخاري، في الأطعمة، باب ما كان السلف يدخرون في بيوتهم وأسفارهم ٥/٢٠٦٨، برقم(٥١٠٧).

يقول:" **ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**" [١] .

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المقيت أن يدعو المؤمن ربه باسمه المقيت أو بما يدل عليه هذه الاسم، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه المقيت أن يجعل رزقه قوتا، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **اللهم ارزق آل محمد قوتا** " [٢] ، وفي رواية مسلم: " **اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا** " [٣] .

ولما كان من معاني اسم الله المقيت الرزاق لعباده، فيمكن للمؤمن أن يدعو ربه المقيت الرزاق، فهذا نبينا الله إبراهيم عليه السلام يدعو به قائلا:

قال تعالى عن إبراهيم – عليه السلام –: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم:٣٧].

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **من أطعمه الله طعاما فليقل: اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيرا منه، ومن**

---

(١) سنن الترمذي، في الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ٤/٥٩٠ (٢٣٨٠)، وهو في صحيح الجامع، للألباني، برقم (٥٦٧٤) .

(٢) صحيح البخاري، في الرقاق، باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ٥/٢٣٧٢ برقم(٦٠٩٥) .

(٣) صحيح مسلم، في الزهد والرقائق ٤/٢٢٨١ ، برقم(١٠٥٥) .

سقاه الله لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإني لا أعلم ما يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن " [١] .

(١) سنن ابن ماجة، في الأطعمة، باب اللبن ٢/١١٠٣، برقم(٣٣٢٢)، وهو في السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم (٢٣٢٠) .

٢٧ـ القدوس جل جلاله

القدُّوس من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذا الاسم في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

اسم الله القدوس له عند أهل اللغة معنيان:

المعنى الأول: أن "القدوس" فعول من القدس وهو بمعنى الطهارة. والقدس بالتحريك: السطل بلغة أهل الحجاز، لأنه يتقدس منه أي: يتطهر منه، وجاء في لسان العرب: ولهذا قيل: بيت المقدس أي: البيت المطهر.

والمعنى الثاني: أن "القدس": البركة، ومنه الأرض المقدسة أي: المباركة والقدوس: على وزن "فعول" بالضم من أبنية المبالغة[١] .

ثانيا: معناه الاصطلاحي

المعنى الاصطلاحي لهذا الاسم لا يخرج عن معناه اللغوي، قال البيهقي:" القدوس هو الطاهر من العيوب المنزه عن الأولاد والأنداد. وهذه صفة يستحقها بذاته"[٢].

وقال الامام ابن جرير الطبري عند قوله تعالى حكاية عن الملائكة أنهم قالوا:" ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: "ننزهك ونبرئك مما

(١) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٥/٢٣، لسان العرب، لابن منظور، ٥/٣٥٤٩.
(٢) الاعتقاد، للبيهقي، صـ ٥٤.

يضيفه إليك أهل الشرك بك، ونصلي لك، ونقدس لك، ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطهارة من الأدناس، وما أضاف إليك أهل الكفر بك" [1].

وقال الغزالي:" القدوس" هو المنزه عن كل وصف يدركه حس، أو يتصوره خيال، أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يقضى به تفكير[2].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "**القدوس**": المنزه من كل شر ونقص وعيب كما قال أهل التفسير: هو "الطاهر" من كل عيب المنزه عما لا يليق به وهذا قول أهل اللغة. وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة"[3].

وقال الألوسي: " **القدوس**" البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا أو الذي له الكمال في كل وصف اختص به ، أو الذي لا يحد ولا يتصور[4].

ثالثا: وروده في القرآن الكريم والسنة

جاء ذكر اسمه سبحانه "القدوس" مرتين في القرآن الكريم، المرة الأولى في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، قال الإمام الشوكاني، في تفسيره لهذه الآية:" **القدوس**" أي: الطاهر من كل عيب، المنزه عن كل نقص، و"القدس "بالتحريك في لغة أهل الحجاز، السطل؛ لأنه يتطهر به، ومنه القادوس لواحد الأواني التي يستخرج بها الماء، قال ثعلب: كل

---

(١) تفسير الطبري ١/١٦٧.
(٢) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٣٨ .
(٣) شفاء العليل، لابن القيم، ٢/٥١٠.
(٤) روح المعاني، للألوسي، (٦٢/٢٨).

اسم على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس ، فإن الضم فيهما أكثر، وقد يفتحان"[1].

والمرة الثانية التي ذكر فيها اسم الله " **القدوس**" في قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الجمعة: ١]، قال الإمام الطبري:" القدوس: وهو الطاهر من كل ما يضيف إليه المشركون به، ويصفونه به مما ليس من صفاته المبارك"[2].

وقد ورد هذا الاسم في السنة في دعائه صلى الله عليه وسلم به في ركوعه وسجوده في الصلاة؛ فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يقول في ركوعه وسجوده: "**سبوح قدوس رب الملائكة والروح**"[3]، قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث:" المراد بالسبوح القدوس المسبح المقدس، فكأنه قال : مسح مقدس، ومعنى "**سبوح**" المبرأ من النقائض والشريك وكل ما لا يليق بالإلهية، " **وقدوس**" المطهر من كل ما لا يليق بالخالق، وقال الهروي: قيل: القدوس المبارك قال القاضي عياض: وقيل فيه سبوحا قدوسا على تقدير أسبح سبوحا أو أذكر أو أعظم أو أعبد"[4].

وعن بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد

---

(1) تفسير الشوكاني ٧/ ١٩٧، وينظر: تفسير ابن الجوزي ٦/ ١٤.
(2) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٧١، وينظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٧٩.و
(3) صحيح مسلم، برقم، (٤٨٧).
(4) شرح صحيح مسلم، للنووي، ٢/ ٢٣٧.

فإذا سلم قال:" **سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس سبحان الملك القدوس ورفع بها صوته**"[1].

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله القدوس

لاسم الله تعالى القدوس آثار ايمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن ، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ تنزيهه الله سبحانه وتعالى وتقديسه في أقواله وأفعاله وأسمائه وصفاته عن كل نقص وعيب، فأسماء الله تعالى كلها حسنى، وصفاته كلها عليا وأفعاله كلها حكمة، فالله تبارك وتعالى هو المقدس عن كل النقائص والعيوب والمنزه عن كل الآفات، قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه ﴿ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات ﴿ ٱلْبَصِيرُ ﴾ يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

---

(١) مسند أحمد، برقم(١٥٣٩٠)، وقال عنه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة على إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. وفيها رد على المشبهة في قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ ﴾ وعلى المعطلة في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ "[1].

وهذا التنزيه يستلزم، تنزيه الله عز وجل عن الشريك وعن والصاحبة، والولد، فهو الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وهو واحده لا شريك له تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا. قال الله عز وجل: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [الإسراء: ١١١]. وقال عز وجل: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: ٥٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

٢ـ تنزيه الله وتقديسه عن كل الظنون السيئة؛ وكل من ظن بالله تعالى ظنا لا يليق بحمد الله وحكمته ورحمته وعلمه، فهو ظن سيئ، وفيه قدح باسم الله "**القدوس**" وقد فضح الله سبحانه أقواما من الكفار والمنافقين؛ لانهم ظنوا بالله ظنونا سيئة، قال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ ﴾ [الفتح: ٦]، وقد علق الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى على هذه الآية، مستعرضا بعض صور سوء الظن بالله تعالى المنافية لتنزيهه سبحانه، فقال رحمه الله: " **أكثر الخلق، بل كلهم**، إلا من

(١) تفسير السعدي، صـ ٧٥٤.

شاء الله، يظنون بالله غير الحق ظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله، ولسان حاله يقول: ظلمني ربي، ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك، وهو بلسانه ينكره، ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتش نفسه، وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها، رأى ذلك فيها كامنا كمون النار في الزناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشته، لرأيت عنده تعتبا على القدر وملامة له، واقتراحا عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وظن السوء بالله تعالى له صور متعددة ومتنوعة ومن ذلك:

فمن ظن بالله أنه أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل، وتشبيه، وتمثيل، وترك الحق، لم يخبر به، وإنما رمز إليه رموزا بعيدة، وأشار إليه إشارات ملغزة لم يصرح به، وصرح دائما بالتشبيه والتمثيل والباطل، وأراد من خلقه أن يتعبوا أذهانهم، وقواهم، وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة، والتأويلات التي هي بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالكشف والبيان، وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم، لا على كتابه، بل أراد منهم ألا يحملوا كلامه على ما يعرفون من خطابهم ولغتهم، مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به، ويريحهم من الألفاظ التي توقعهم في اعتقاد الباطل، فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان، فقد ظن بالله ظن السوء.

ومن ظن به أنه لا يسمع ولا يبصر، ولا يعلم الموجودات، ولا عدد السماوات والأرض، ولا النجوم، ولا بني آدم وحركاتهم وأفعالهم، ولا يعلم شيئا من الموجودات في الأعيان، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه لا سمع له، ولا بصر، ولا علم له، ولا إرادة، ولا كلام يقول به، وأنه لم يكلم أحدا من الخلق، ولا يتكلم أبدا، ولا قال ولا يقول، ولا له أمر ولا نهي يقوم به، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه ليس فوق سماواته على عرشه بائنا من خلقه، وأن نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبتها إلى أسفل السافلين، وإلى الأمكنة التي يرغب عن ذكرها، وأنه أسفل، كما أنه أعلى ، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن به أنه لا يحب ولا يرضى، ولا يغضب ولا يسخط، ولا يوالي ولا يعادي، ولا يقرب من أحد من خلقه، ولا يقرب منه أحد، وأن ذوات الشياطين في القرب من ذاته كذوات الملائكة المقربين وأوليائه المفلحين، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه يضيع عليه عمله الصالح الذي عمله خالصا لوجهه الكريم على امتثال أمره، ويبطله عليه بلا سبب من العبد، أو أنه يعاقبه بما لا صنع له فيه، ولا اختيار له، ولا قدرة، ولا إرادة في حصوله، بل يعاقبه على فعله هو سبحانه به، أو ظن به أنه يجوز عليه أن يؤيد أعداءه الكاذبين عليه بالمعجزات التي يؤيد بها أنبياءه ورسله، ويجريها على أيديهم يضلون بها عباده، وأنه يحسن منه كل شيء حتى تعذيب من أفنى عمره في طاعته، فيخلده في الجحيم أسفل السافلين، وينعم من استنفد عمره في عداوته، وعداوة رسله ودينه، فيرفعه إلى

أعلى عليين، وكلا الأمرين عنده في الحسن سواء، ولا يعرف امتناع أحدهما ووقوع الآخر إلا بخبر صادق، وإلا فالعقل لا يقضي بقبح أحدهما وحسن الآخر، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أن يترك خلقه سدى، معطلين عن الأمر والنهي، ولا يرسل إليهم رسله، ولا ينزل عليهم كتبه، بل يتركهم هملا كالأنعام، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن بأنه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده، ويؤيد حزبه، ويعليهم، ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنه لا ينصر دينه وكتابه، وأنه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا، فقد ظن بالله ظن السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله، وصفاته ونعوته، فإن حمده وعزته، وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النصرة المستقرة، والظفر الدائم لأعدائه المشركين به، العادلين به، فمن ظن به ذلك، فما عرفه، ولا عرف أسماءه، ولا عرف صفاته وكماله، ومن جوز عليه أن يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم، ويسوي بينهم وبين أعدائه، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه يسلط على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أعداءه تسليطا مستقرا دائما في حياته وفي مماته، وابتلاه بهم لا يفارقونه، فلما مات استبدوا

بالأمر دون وصية، وظلموا أهل بيته، وسلبوهم حقهم، وأذلوهم، وكانت العزة، والغلبة، والقهر لأعدائه وأعدائهم دائما من غير جرم ولا ذنب لأوليائه، وأهل الحق، وهو يرى قهرهم لهم، وغصبهم إياهم حقهم، وتبديلهم دين نبيهم، وهو يقدر على نصرة أوليائه وحزبه وجنده، ولا ينصرهم ولا يديلهم، بل يديل أعداءهم عليهم أبدا، أو أنه لا يقدر على ذلك، بل حصل هذا بغير قدرته ولا مشيئته، ثم جعل المبدلين لدينه مضاجعيه في حفرته، تسلم أمته عليه وعليهم كل وقت كما **تظنه الرافضة**، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه، سواء قالوا: إنه قادر على أن ينصرهم، ويجعل لهم الدولة والظفر، أو أنه غير قادر على ذلك، فهم قادحون في قدرته، أو في حكمته وحمده، وذلك من ظن السوء به، ولا ريب أن (الرب) الذي فعل هذا بغيض إلى من ظن به ذلك غير محمود عندهم، وكان الواجب أن يفعل خلاف ذلك، لكن رفوا هذا الظن الفاسد بخرق أعظم منه، واستجاروا من الرمضاء بالنار، فقالوا: لم يكن هذا بمشيئة الله، ولا له قدرة على دفعه ونصر أوليائه، فإنه لا يقدر على أفعال عباده، ولا هي داخلة تحت قدرته، فظنوا به ظن إخوانهم المجوس بربهم، وكل مبطل، وكافر.

ومن ظن أن له ولدا، أو شريكا أو أن أحدا يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقربون بهم إليه، ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه، فيدعونهم، ويحبونهم كحبه، ويخافونهم ويرجونهم، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه.

ومن ظن به أنه ينال ما عنده بمعصيته ومخالفته، كما يناله بطاعته والتقرب إليه، فقد ظن به خلاف حكمته وخلاف موجب أسمائه وصفاته، وهو من ظن السوء.

ومن ظن به أنه إذا ترك لأجله شيئا لم يعوضه خيرا منه، أو من فعل لأجله شيئا لم يعطه أفضل منه، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه يثيبه إذا عصاه بما يثيبه به إذا أطاعه، وسأله ذلك في دعائه، فقد ظن به خلاف ما تقتضيه حكمته وحمده، وخلاف ما هو أهله وما لا يفعله.

" ومن ظن به أنه إذا أغضبه، وأسخطه، وأوضع في معاصيه، ثم اتخذ من دونه وليا، ودعا من دونه ملكا أو بشرا حيا أو ميتا، يرجو بذلك أن ينفعه عند ربه، ويخلصه من عذابه، فقد ظن به ظن السوء، وذلك زيادة في بعده من الله، وفي عذابه.

ومن ظن به أنه يغضب على عبده، ويعاقبه ويحرمه بغير جرم، ولا سبب من العبد إلا بمجرد المشيئة، ومحض الإرادة، فقد ظن به ظن السوء.

ومن ظن به أنه إذا صدقه في الرغبة والرهبة، وتضرع إليه، وسأله، واستعان به، وتوكل عليه أنه يخيبه ولا يعطيه ما سأله، فقد ظن به ظن السوء، وظن به خلاف ما هو أهله.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا الموضع، وليتب إلى الله تعالى وليستغفره كل وقت من ظنه بربه ظن السوء، وليظن السوء بنفسه التي هي مأوى كل سوء، ومنبع كل شر، المركبة على الجهل والظلم، فهي أولى بظن السوء من أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وأرحم الراحمين.

وبالجملة، فمن ظن به خلاف ما وصف به نفسه ووصفه به رسله، أو عطل حقائق ما وصف به نفسه، ووصفته به رسله، فقد ظن به ظن السوء "(١).

٣ـ تقديس الله تعالى بالإيمان به وتوحيده، وأعظم ما يقدس العباد به ربهم هو الإيمان به وتوحيده، ونفي الشركاء عنه والأنداد؛ لهذا كان الإيمان بالله تعالى أعظم الأعمال وأفضلها؛ لأنه يطهر النفوس ويزكيها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العمل أفضل ؟ فقال: "**إيمان بالله ورسوله** "(٢)؛ وكان الشرك بالله تعالى من أعظم ما يد سي النفوس ويهلكها؛ لان الله تعالى لا يغفره للعبد إن مات وهو مصر عليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ ﴾ [النساء: ٤٨]، والشرك بالله تعالى هو أعظم السب لله جل جلاله وتقدست أسماؤه فقد قال تعالى في الحديث القدسي : " **كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفئا أحد** "(٣).

٤ـ تطهير الأنفس بالعبادات، فقد شرع الله القدوس لعباده كثيرا من العبادات التي إذا أدوها كما أمر الله وشرع طهرت نفوسهم، ومن هذه العبادات الصلاة،

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم، ٣/ من صـ ٢٠٥ـ ٢١١، بتصرف واختصار.
(٢) صحيح البخاري، برقم (٢٥).
(٣) صحيح البخاري، برقم(٤٥٩٢) .

فقبل القيام بها وأدائها جعل الإسلام من شروطها الطهارة الحسية(الوضوء)، وقد جعلها الله تعالى مطهرة لعباده من ذنوبهم وسيئاتهم؛ وذلك أن لعبد يقدس الله فيها بالتسبيح والتكبير والتعظيم ، وكذلك بالركوع والسجود، فالصلاة تطهر العبد من دنس المعاصي والذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه؟ قالوا: لا يبقي من درنه شيئا، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا** "[1]

ومن تطهير الصلاة للعبد أنها تنهاه عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥]، ومن العبادات المطهرة للعبادات الزكاة، فهي تطهر النفوس من الشح والبخل، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٠٣]، فإذا أراد العبد أن تطهره زكاته فليطب بها نفسا، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا** "[2].

قال الإمام الغزالي، عن أثر اسم الله القدوس في تطهير المؤمن، قال رحمه الله:" حظ العبد من هذا الاسم في أن ينزه إرادته وعلمه أما علمه فينزهه عن المتخيلات والمحسوسات والموهومات وكل ما يشاركه فيه البهائم من الإدراكات

(١) صحيح البخاري، برقم(٤٩٧).

(٢) صحيح مسلم، برقم(١٦٨٦).

بل يكون تردد نظره وتطواف علمه حول الأمور الأزلية الإلهية المنزهة عن أن تقرب فتدرك بالحس أو تبعد فتغيب عن الحس بل يصير متجردا في نفسه عن المحسوسات والمتخيلات كلها ويقتني من العلوم ما لو سلب آلة حسه وتخيله بقي ريانا بالعلوم الشريفة الكلية الإلهية المتعلقة بالمعلومات الأزلية الأبدية دون الشخصيات المتغيرة المستحيلة.

وأما إرادته فينزهها عن أن تدور حول الحظوظ البشرية التي ترجع إلى لذة الشهوة والغضب ومتعة المطعم والمشرب والمنكح والملبس والملمس والمنظر وما لا يصل إليه من اللذات إلا بواسطة الحس والقلب بل لا يريد إلا الله عز وجل، ولا يبقى له حظ إلا فيه ولا يكون له شوق إلا إلى لقائه ولا فرح إلا بالقرب منه ولو عرضت عليه الجنة وما فيها من النعيم لم تلتفت همته إليها ولم يقنع من الدار إلا برب الدار. وعلى الجملة الإدراكات الحسية والخيالية تشارك البهائم فيها فينبغي أن يترقى عنها إلى ما هو من خواص الإنسانية والحظوظ البشرية الشهوانية يزاحم البهائم أيضا فيها فينبغي أن يتنزه عنها فجلالة المريد على قدر جلالة مراده.

ومن همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج منه ومن لم يكن له همة سوى الله عز وجل فدرجته على قدر همته ومن رقى علمه عن درجة المتخيلات والمحسوسات وقدس إرادته عن مقتضى الشهوات فقد نزل بحبوحة حظيرة القدس السلام"(١).

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٧٧.

٥- دعاء الله باسمه القدوس، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الاسم في ركوعه وسجوده، وهو دعاء ثناء وحمد، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده : " **سبوح قدوس رب الملائكة والروح** "[1].

كان النبي يسبح الله باسمه القدوس بعد فراغه من صلاة الوتر كما جاء في حديث أبي بن كعب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى ، وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، فإذا سلم قال:" **سبحان الملك القدوس ثلاث مرات** "[2]، وهذا الدعاء ينتج عنه اجابة الدعاء، وهذه الاجابة تؤدي إلى محبة العبد لله القدوس؛ لأنه المتصف بصفات الكمال والجلال، والمنزه عن النقائص والعيوب؛ ومن كان هذا وصفه فإن النفوس مجبولة على حبه وتعظيمه، وهذه المحبة تورث حلاوة في القلب، ونورا في الصدر، وهذا هو النعيم الدنيوي الحقيقي الذي يصغر بجانبه كل نعيم.

---

(١) صحيح مسلم، برقم (٤٨٧).

(٢) مسند أحمد، برقم(١٥٣٩٠)، وقال عنه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٢٨ـ السلام جلَّ جلاله

السلام من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذا الاسم في النقاط التالية:

أولا: المعنى اللغوي

قال أهل اللغة: السلام في الأصل: السلامة يقال: سلم يسلم سلاما وسلامة. ومنه قيل للجنة: دار السلام لأنها دار السلامة من الآفات؛ وقوله عز وجل: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [طه: ٤٧]، معناه: أن من اتبع هدى الله سلم من عذابه وسخطه ومعنى اسم الله السلام: ذو سلامة مما يلحق المخلوقين من الفناء والموت والنقص والعيب، ويقال: السلام هو الذي سلم من عذابه من لا يستحقه السلام [١].

ثانيا: المعنى الاصطلاحي

تنوعت أقوال أهل العلم في بيان معنى اسم الله السلام، قال الإمام ابن القيم اسم الله "**السلام**" في معناه قولان:

أحدهما: أنه اسم مصدر، وإطلاقه عليه كإطلاق العدل عليه، والمعنى: أنه ذو السلام، وذو العدل على حذف المضاف. **والثاني:** أن المصدر بمعنى الفاعل هنا أي: السالم، كما سميت ليلة القدر سلاما أي: سالمة من كل شر، بل هي خير لا شر فيها"[٢].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٣/٢٠٧٨، وينظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٢/٣٩٢، اشتقاق أسماء الله، للزجاجي صـ ٢١٥، وتفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ١٠.

(٢) بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/٣٦٦.

وقال ابن القيم في تفصيل هذين المعنيين:" إنه الحي الذي سلمت حياته من الموت والسنة والنوم والتغير. القادر الذي سلمت قدرته من اللغوب والتعب والإعياء والعجز عما يريد. العليم الذي سلم علمه أن يعزب عنه مثقال ذرة أو يغيب عنه معلوم من المعلومات، وكذلك سائر صفاته على هذا.

فرضاه سبحانه سلام أن ينازعه الغضب، وحلمه سلام أن ينازعه الانتقام، وإرادته سلام أن ينازعها الإكراه، وقدرته سلام أن ينازعها العجز، ومشيئته سلام أن ينازعها خلاف مقتضاها، وكلامه سلام أن يعرض له كذب أو ظلم، بل تمت كلماته صدقا وعدلا، ووعده سلام أن يلحقه خلف، وهو سلام أن يكون قبله شيء، أو بعده شيء، أو فوقه شيء، أو دونه شيء، بل هو العالي على كل شيء، وفوق كل شيء، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، والمحيط بكل شيء، وعطاؤه، ومنعه سلام أن يقع في غير موقعه، ومغفرته سلام أن يبالي بها أو يضيق بذنوب عباده أو تصدر عن عجز عن أخذ حقه كما تكون مغفرة الناس ورحمته، وإحسانه، ورأفته، وبره، وجوده، وموالاته لأوليائه، وتحببه إليهم، وحنانه عليهم، وذكره لهم، وصلاته عليهم سلام أن يكون لحاجة منه إليهم أو تعزز بهم أو تكثر بهم. وبالجملة، فهو السلام من كل ما ينافي كلامه المقدس بوجه من الوجوه"[١].

وقال الإمام الغزالى:" هو الذي تسلم ذاته عن العيب وصفاته عن النقص وأفعاله عن الشر، حتى إذا كان كذلك لم يكن في الوجود سلامة إلا وكانت معزية إليه صادرة منه، وأفعاله تعالى سالمة عن الشر، أعني الشر المطلق، المراد لذاته لا

---

(١) أحكام أهل الذمة، لابن القيم ١/٤١٤.

لخير حاصل في ضمنه أعظم منه وليس في الوجود شر بهذه الصفة إلا لله سبحانه"(١).

وقال الإمام البيهقي: "**السلام**": هو الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة، وهذه صفة يستحقها بذاته. وقيل: هو الذي سلم المؤمنون من عقوبته(٢).

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: "**السلام**" أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله"(٣).

ثالثا: ورود هذا اسم الله السلام في القرآن والسنة

ورد اسم الله السلام في القرآن الكريم في موطن واحد وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، قال ابن الجوزي:" قال ابن قتيبة: سمى الله تعالى نفسه بـ" **السلام**" لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء، وقال الخطابي: معناه: ذو السلام، والسلام في صفة الله سبحانه، هو الذي سلم من كل عيب، وبريء من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين . ، وقد قيل : هو الذي سلم الخلق من ظلمه"(٤) .

وقد ورد اسم الله " **السلام**" في السنة النبوية، فعن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا: وقال:" **اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام**"(٥)، جاء في شرح هذا الحديث:"

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٧٨، باختصار.
(٢) الاعتقاد، للبيهقي صـ ٥٥.
(٣) تفسير ابن كثير ٤/٣٤٣.
(٤) زاد المسير، لابن الجوزي ٦/ ١٤.
(٥) صحيح مسلم، برقم(٩٣١).

قوله صلى الله عليه وسلم: "**اللهم أنت السلام**" أي ذو السلامة من المعائب والحوادث والنقائص والتغير والآفات، أو أنت المالك المسلم للعباد من المهالك "**ومنك**" لا من غيرك يرجى "**السلام**" أي السلامة من الآفات ويستوهب ويستفاد منك.

ولما كان السلام معناه السالم من المعايب وسمات الحدوث جاء بقوله "**ومنك السلام**" وإليك السلام بيانا واحتراسا؛ لأن الوصف بالسلامة إنما يكون فيمن هو بعرضة أن يلحقه ضرر فبين أن وصفه تبارك وتعالى بالسلام ليس على حد وصف المخلوقين المفتقرين؛ لأنه تعالى الغني المتعالي الذي يعطي السلامة ومنه تستوهب وإليه ترجع"(١).

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله السلام

اسم الله السلام له آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وبعض هذه الآثار سو نتناولها في هذا المقام على النحو التالي:

١ـ أن الله سبحانه وتعالى مصدر السلام والأمن في هذا الوجود، وكل من ابتغى السلامة عند غيره سبحانه فلن يجدها، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: "**اللهم أنت السلام ومنك السلام**" (٢).

ولأن الله سبحانه وتعالى مصدر الأمن والسلام في هذا الوجود جاء النهي عن قول: "**السلام على الله**"، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده السلام

---

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، لمحمد الأمين الهَرَري الشافعي، ٨/ ٣٠٢.

(٢) سبق تخريجه قبل قليل.

على فلان وفلان فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **لا تقولوا السلام على الله؛ فإن الله هو السلام ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء أو بين السماء والأرض**" (١) قال البيضاوي ما حاصله: "إنه أنكر التسليم على الله ومن أن ذلك عكس ما يجب أن يقال، فإن كل سلام ورحمة له ومنه وهو مالكها ومعطيها"(٢).

وأول من نال السلام من الله تعالى أنبياء الله ورسله، وقد سلم الله عليهم على وجه الإجمال في قوله تعالى: ﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢]، وسلم عليهم على وجه التفصيل، ومن ذلك سلامه على نوح عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ٧٩]، وسلم على إبراهيم، فقال تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [الصافات: ١٠٩]، ومن ذلك سلام الله تعالى على نبيه يحي عليه السلام، قوله تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم: ١٥]، وفي سبب تخصيص الله ليحي بالسلام في هذه المواطن، قال صدقة بن الفضل: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أوحش ما تكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان، ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم. فأكرم الله فيها

---

(١) صحيح البخاري، برقم(٧٩١) وصحيح مسلم، برقم، (٦٠٩).

(٢) فتح الباري، لابن حجر، ٢/٣١٢.

يحيى فخصه بالسلام في هذه المواطن، كأنه أشار إلى أن الله عز وجل سلم يحيى من شر هذه المواطن الثلاثة وأمنه من خوفها.

وبعد أنبياء الله ورسله سلم الله تعالى عباده الصالحين، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩] (١).

ومن أراد الأمن والسلام في نفسه، أو في بيته وأهله، أو في مجتمعه، فعليه أن يتعلق باسم الله السلام لا وأن يأنس به، وأن يلتزم تزام بأحكامه وشريعته التي كلها أمن وسلام.

وكلما كان المسلم أكثر التزاما بشريعة الله عز وجل كان أكثر تحصيلا للأمن والسلام؛ لأن من موجبات اسمه سبحانه "**السلام**"، قال الإمام الغزالى:" كل عبد سلم عن الغش والحقد والحسد وإرادة الشر قلبه وسلمت عن الآثام والمحظورات جوارحه وسلم عن الانتكاس والانعكاس صفاته فهو الذي يأتي الله تعالى بقلب سليم وهو السلام من العباد القريب في وصفه من السلام المطلق الحق الذي لا مثنوية في صفته وأعني بالانتكاس في صفاته أن يكون عقله أسير شهوته وغضبه إذ الحق عكسه وهو أن تكون الشهوة والغضب أسير العقل وطوعه فإذا انعكس فقد انتكس ولا سلامة حيث يصير الأمير مأمورا والملك عبدا ولن يوصف بالسلام والإسلام إلا من سلم المسلمون من لسانه ويده فكيف يوصف به من لم يسلم هو من نفسه"(٢).

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي صـ ٤٢، بتصرف يسير.

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٧٩.

٢ـ **الاعتقاد بسلامة الله من كل** عيب ونقص في ذاته وفي أقواله وأفعاله وأسمائه وصفاته، قال الإمام ابن القيم:" تضمن اسم الله "**السلام**" كل ما نزه عنه تبارك وتعالى. وكم ممن حفظ هذا الاسم لا يدري ما تضمنه من هذه الأسرار والمعاني، فهو السلام من الصاحبة والولد، والسلام من الكفء والنظير، والسمي والمماثل، والسلام من الشريك، وإذا أنت نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاما مما يضاد كمالها، فحياته سلام من الموت، ومن السنة والنوم، وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه، أو عروض نسيان أو حاجة إلى تذكر وتفكر، وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة.

وكلماته سلام من الكذب والظلم، فكلماته تمت صدقا وعدلا، وغناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجه، وكل ما سواه محتاج إليه، وهو غني عن كل ما سواه، وملكه سلام من منازع فيه، أو مشارك، أو معاون، أو شافع عنده بدون إذنه.

وإلهيته سلام من مشارك له فيها، بل هو الذي لا إله إلا هو، وحلمه وعفوه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذل، كما يكون من غيره، بل هو محض جوده، وإحسانه، وكرمه.

وكذلك عذاب الله وانتقامه وشدة بطشه، وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلما أو تشفيا أو غلظة أو قسوة، بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الأشياء في مواضعها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء، كما يستحقه على إحسانه وثوابه ونعمه، بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضا لحكمته وعزته،

فوضعه العقوبة موضعها هو من عدله، وحكمته، وعزته، فهو سلام مما يتوهم أعداؤه والجاهلون به.

وقضاؤه وقدره سلام من العبث والجور والظلم، وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب، وعطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعطي، ومنعه سلام من البخل وخوف الإملاق، بل عطاؤه إحسان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة، ومنعه عدل محض وحكمة؛ لا يشوبه بخل ولا عجز.

واستواؤه وعلوه على عرشه سلام من أن يكون محتاجا إلى ما يحمله أو يستوي عليه، بل العرش محتاج إليه، وحملته محتاجون إليه، فهو الغني عن العرش، وعن حملته، وعن كل ما سواه، فهو استواء وعلو لا يشوبه حصر، ولا حاجة به إلى عرش، ولا غيره، ولا إحاطة شيء به سبحانه وتعالى، بل كان سبحانه، ولا عرش، ولم يكن من حاجة إليه وهو الغني الحميد.

وكماله سبحانه سلام من كل ما يتوهم من معطل أو مشبه، وسلام من أن يصير تحت شيء أو محصورا في شيء، تعالى الله ربنا عن كل ما يضاد كماله، وغناه، وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل.

وموالاته سبحانه لأوليائه سلام من أن تكون عن ذل كما يوالي المخلوق المخلوق، بل هي موالاة رحمة، وخير، وإحسان، وبر، كما قال: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١١]، فلم ينف أن يكون له ولي مطلقا، بل نفى أن يكون له ولي من الذل.

وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه، سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبة حاجة إليه، أو تملق أو انتفاع بقربه، وسلام مما يتقوله المعطلون فيها، وكذلك ما أضافه إلى نفسه من اليد والوجه، فإنه سلام عما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل"[١].

٣- ومن هذه الآثار أن يسعى المسلم إلى إشاعة السلام والأمن بين المسلمين، وكف الشر والأذى عنهم، وهذا مقتضى الإسلام الذي ينتسب إليه المسلم، قال صلى الله عليه وسلم: **"المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده"** [٢]؛ لهذا حث الإسلام على افشاء السلام الذي هو تحية أهل الإسلام، قولنا:" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، وفي إفشاء السلام إشاعة للأمن والود والسلام بين الناس، وهو طريق من الطرق الموصلة إلى الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: **"لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"** [٣]؛وإنما سميت الجنة دار السلام؛ لأن من دخلها سلم من الآفات والشرور والمنغصات والأكدار، قال تعالى: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦].

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم ٢/٣٦٣ – ٣٦٥ باختصار وتصرف.

(٢) صحيح البخاري، برقم (١٠)، صحيح مسلم، برقم (٤٠).

(٣) صحيح مسلم، برقم (٥٤).

٢٩ـ المؤمن جل جلاله

المؤمن من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة: لاسم الله المؤمن معنيان:

١ـ **المصدق**؛ وذلك أن أصل الإيمان التصديق والثقة، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾[يوسف: ١٧] أي لفرط محبتك ليوسف لا تصدقنا، ومعنى اسم الله المؤمن أنه الذي أمن من عذابه من لا يستحقه، ويقال إنما سمى الله نفسه مؤمنا لأنه شهد بوحدانيته فقال تعالى شهد الله أنه لا إله إلا هو كما شهدنا نحن، ومعنى المؤمن إذا وصفنا به المخلوقين هو الواثق بما يعتقده المستحكم الثقة"[١].

٢ـ **الأمان**: فالمؤمن أي: من يؤمن عباده المؤمنين من بأسه وعذابه فيأمنون ذلك كما تقول: "آمن فلان فلانا" أي: أعطاه أمانا ليسكن إليه ويأمن. فكذلك أيضا يقال: "الله المؤمن" أي: يؤمن عباده المؤمنين فلا يأمن إلا من آمنه"[٢].

ثانيا: معناه الاصطلاحي

تنوعن عبارات أهل العلم في بيان المعنى الاصطلاحي لاسم الله "**المؤمن**"، قال ابن جرير:" قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما "**المؤمن**" أي: أمن خلقه من أن يظلمهم"[٣]، وقال الشيخ السعدي: "المؤمن": الذي أثنى على

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، صـ ١١.

(٢) اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ٢٢١.

(٣) تفسير الطبري ٢٨/٣٦.

نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال، والجمال الذي أرسل رسله وأنزل كتبه بالآيات والبراهين، وصدق رسله بكل آية وبرهان، ويدل على صدقهم وصحة ما جاءوا به"[1].

ثالثا: ورود هذا الاسم في القرآن والسنة

لم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، قال الإمام الغزالي:" **المؤمن**: هو الذي يعزى إليه الأمن والأمان بإفادته أسبابه وسده طرق المخاوف ولا يتصور أمن وأمان إلا في محل الخوف ولا خوف إلا عند إمكان العدم والنقص والهلاك والمؤمن المطلق هو الذي لا يتصور أمن وأمان إلا ويكون مستفادا من جهته وهو الله سبحانه وتعالى.

ولو قدرنا إنسانا وحده مطلوبا من جهة أعدائه وهو ملقى في مضيعة لا تتحرك عليه أعضاؤه لضعفه وإن تحركت فلا سلاح معه وإن كان معه سلاح لم يقاوم أعداءه وحده وإن كان له جنود لم يأمن أن تتكسر جنوده ولا يجد حصنا يأوي إليه فجاء من عالج ضعفه فقواه وأمده بجنوده وأسلحته وبنى حوله حصنا حصينا فقد أفاده أمنا وأمانا فالأحرى أن يسمى مؤمنا في حقه.

والعبد ضعيف في أصل فطرته وهو عرضة الأمراض والجوع والعطش من باطنه، وعرضة الآفات المحرقة والمغرقة والجارحة والكاسرة من ظاهره ولم يؤمنه من هذه المخاوف إلا الذي أعد الأدوية نافعة ورافعة لأمراضه والأطعمة مزيلة لجوعه والأشربة مميطة لعطشه والأعضاء دافعة عن بدنه والحواس

---

(1) تفسير السعدي ٥/٣٠١.

جواسيس منذرة بما يقرب من مهلكاته ثم خوفه الأعظم من هلاك الآخرة ولا يحصنه عنه إلا كلمة التوحيد.

والله سبحانه وتعالى هاديه إليها ومرغبه فيها حيث قال لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي فلا أمن في العالم إلا وهو مستفاد بأسباب هو متفرد بخلقها والهداية إلى استعمالها فهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى فهو المؤمن المطلق"[1] .

وقال الامام ابن القيم:" من أسمائه تعالى المؤمن وهو في أحد التفسيرين المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذي صدَّقَ رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه؛ وشهد لهم بأنهم صادقون بالدلائل التي دل بها على صدقهم – قضاء وخلقا– فإنه سبحانه أخبر وخبره الصدق؛ وقوله الحق: أنه لا بد أن يري العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته رسله، فقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، أي: القرآن، فإنه هو المتقدم في قوله: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ ﴾ [فصلت: ٥٢]، ثم قال: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي ، صـ ٧٩، باختصار.

فشهد سبحانه لرسوله بقوله أن ما جاء به حق، ووعده أن يري العباد من آياته الخلقية ما يشهد بذلك أيضا، ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك وأجل؛ شهادته – سبحانه – على كل شيء شهيد"(١).

رابعا: الآثار الإيمانية لهذا الاسم

لاسم الله "**المؤمن**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١- من يؤمن بالله تعالى حق إيمانه، فإن الله تعالى يهبه الأمن والطمأنينة في الحياة الدنيا، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]، فيؤمن خوفه، ويكشف كربته، إذا لجأ إليه بصدق قال ابن القيم: "والمضطر إذا صدق في الاضطرار إليه وجده رحيما مغيثا، والخائف إذا صدق في اللجوء إليه: وجده مؤمنا من الخوف"(٢).

كما أن المؤمن سبحانه وتعالى، يؤمن عباده المؤمنين عند الموت فيأمر ملائكته بأن تؤمن مخاوفهم وتهدئ من روعهم، وبأن تبشرهم بالجنة، ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ٣/٤٦٦.

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم، ٣/٣٢٤.

كما أنه سبحانه وتعالى يؤمن عباده في الآخرة، من مخاوف يوم القيامة ومن عذاب النار، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٣]، وقد أمن الله تعالى أهل الجنة من كل المخاوف، كما قال تعالى عنهم :﴿ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الطور: ٢٥ – ٢٨]، ويقال لهم:﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٩].

٢- المتعبد لله حقا باسمه "**المؤمن**" من يأمن الناس جانبه، فيكف شره وأذاه عن عباد الله تعالى، قال الإمام الغزالي:" حظ العبد من هذا الاسم والوصف أن يأمن الخلق كلهم جانبه، بل يرجو كل خائف الاعتضاد به في دفع الهلاك عن نفسه في دينه ودنياه، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم**" [1] وأحق العباد باسم المؤمن من كان سببا لأمن الخلق من عذاب الله بالهداية إلى طريق الله عز وجل والإرشاد إلى سبيل النجاة وهذه حرفة الأنبياء والعلماء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" **إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت**

---

(١) السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم، (٥٤٩).

ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها"(١) (٢).

بل إنه من كرمه سبحانه وتعالى أنه يؤمن لجميع خلقه، مؤمنهم وكافرهم، إنسهم وجنهم، كل ما يؤمن بقاء حياتهم فيرزقهم ويعافيهم ويدفع الشرور والمخاطر عنهم.

٣. الإيمان بهذا الاسم يورث محبة الله عز وجل في قلب عبده المؤمن؛ لأن "**المؤمن**" سبحانه وتعالى هو الذي يأمن الخائفون في كنفه، ويطمئنون بعبادته وحده، فيحصل لهم من جراء ذلك الأمن النفسي، والسلام الداخلي، فيتعلقون بالله وحده، فيحبونه ويجلونه، ويكثرون من ذكره وشكره، ويلجؤون إليه وحده عند الشدائد، لطلب الأمن والأمان وذهاب الخوف والفزع في الدنيا والآخرة؛ لأنه وحده الذي يملك فتح أبواب الرحمة والأمان قال – عز وجل –: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾ [فاطر: ٢].

٤ـ دعاء الله تعالى بهذا الاسم، ومن الأدعية المناسبة لذلك، أن يدعو العبد ربه أن يزيده إيمانا وحسن خلق، ومرافقة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى درجات الجنة، فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: النبي صلى الله عليه وسلم قال:" "من أحب ان يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة بن أم

(١) صحيح البخاري، برقم(٦٠٠٢).
(٢) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٨٢.

عبد، ثم قال:" سل تعطه، سل تعطه فقال فيما سأل: "اللهم اني أسألك إيمانا لا يرتد، ونعيما لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنة الخلد"[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى سلمان الخير، قال إن نبي الله عليه السلام يريد أن يمنحك كلمات تسألهن الرحمن ترغب إليه فيهن وتدعو بهن بالليل والنهار قال:" **اللهم انى أسألك صحة إيمان، وإيمانا في خلق حسن، ونجاحا يتبعه فلاح، ومغفرة منك ورضوانا"**[٢].

٥- إذا انقاد المؤمنون لشرع الله تعالى، في عباداتهم ومعاملاتهم وأحكامهم، أمنوا على أنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم، سواء على مستوى الفرد، أو الأسرة، أو المجتمع، فيعيش الجميع في أمن في ظل شرع الله تعالى، وكل ذلك أثر من آثار اسمه "**المؤمن**".

---

(١) مسند أحمد، برقم(٤٢٥٥)، قال الأرناؤوط: صحيح بشواهده

(٢) مسند أحمد، برقم(٨٢٥٥)، قال الأرناؤوط: صحيح بشواهده.

٣٠ـ المهيمن جل جلاله

المؤمن من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة: "**المهيمن**" في اللغة اسم فاعل للموصوف بالهيمنة، فعله هيمن يهيمن هيمنة، والهيمنة على الشيء السيطرة عليه وحفظه والتمكن منه كما يهيمن الطائر على فراخه ويرفرف بجناحيه فوقهم لحمايتهم وتأمينهم، ويقال: المهيمن أصله المؤمن من آمن يعني أمن غيره من الخوف، وقيل: إن "**المهيمن**" الرقيب الحافظ، وقيل: إنه الشاهد، قال الله عز وجل:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] أي: شاهدا عليه، كذلك روي عن ابن عباس، وتقول: فلان مهيمن على فلان إذا كان شاهدك عليه، ويقال: إن المهيمن الرقيب الحافظ فـ" **المهيمن** " من أسماء الله تعالى بمعنى الرقيب المسيطر على كل شيء الحافظ له(١).

وقال ابن حجر: وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، تقول: هيمن فلان على فلان إذا صار رقيبا عليه فهو مهيمن" (٢).

فاسم الله المهيمن في اللغة بمعنى الشاهد والرقيب، والحافظ.

ثانيا: معناه في الاصطلاح

لأهل العلم أقوال متقاربة حول معنى اسم الله" المهين"

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٤٣٧/١٣، وينظر: تفسير الأسماء الحسنى، للزجاج، صـ ٣٢، واشتقاق أسماء الله، للزجاجي صـ ٢٢٧، والمعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، ٢/ ١٠٠٥

(٢) فتح الباري، لابن حجر ٨/ ٢٦٩، تفسير الطبري، ٦/ ٢٦٦ .

قال ابن كثير:" قال ابن عباس " **المهيمن**" أي: الشاهد على خلقه بأعمالهم، كقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ [المجادلة: ٦]، وقوله: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾ [يونس: ٤٦]" [(١)].

وقال ابن جرير:" أصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال: إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو يهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل إلا أنهم اختلفت عباراتهم عنه"[(٢)].

وقال الإمام البغوي: "**المهيمن**" الشهيد على عباده بأعمالهم، وهو قول ابن عباس، ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل. يقال: هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا على الشيء"[(٣)].

وقيل في معنى "**المهيمن**" أنه الذي لا ينقص الطائع من ثوابه شيئا ولو كثر ولا يزيد العاصي عقابا على ما يستحقه؛ لأنه لا يجوز عليه الكذب، وقد سمى الثواب والعقاب جزاء، وله أن يتفضل بزيادة الثواب ويعفو عن كثير من العقاب [(٤)].

وقال الشيخ السعدي: " "**المهيمن**" المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور الذي أحاط بكل شيء علما"[(٥)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣٤٣.
(٢) تفسير الطبري ٦/١٧٢.
(٣) تفسير البغوي ٨/ ٨٧.
(٤) فتح الباري، لابن حجر ٦/ ٣٦٦، وتفسير أسماء الله، للزجاج صـ٣٢، والمقصد الأسنى، للغزالي، صـ٦٩.
(٥) تفسير السعدي ٥/٣٠١.

ثالثا: ورود هذ الاسم في القرآن الكريم

لم يرد هذا الاسم في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، قال **الإمام** الغزالي:" المهيمن معناه، أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم، وإنما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه، وكل مشرف على كنه الأمر مستول عليه حافظ له، فهو مهيمن عليه، والإشراف يرجع إلى العلم، والاستيلاء إلى كمال القدرة، والحفظ إلى الفعل، فالجامع بين هذه المعاني اسمه المهيمن، ولن يجتمع ذلك على الإطلاق والكمال إلا لله عز وجل "[١] .

وقال الإمام البيهقي:" الله عز وجل **المهيمن** أي: الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول وفعل كقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس: ٦١]،وقيل: المهيمن الرقيب على الشيء والحافظ له"[٢].

ومن الآيات القرآنية التي وردت فيها كلمة **مهيمن**، قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:٤٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما:" **المهيمن**" الأمين، والقرآن أمين على كل كتاب قبله" [٣] ، وقيل:" المشتمل على ما اشتملت عليه الكتب السابقة"[٤].

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ٥٥.

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي، تحقيق عبد الله الحاشدي ١/ ١٦٨.

(٣) تفسير الطبري، ٨/ ٤٨٨.

(٤) تفسير السعدي، صـ ٢٣٤.

وقال الدكتور عمر الأشقر:" فالقرآن الكريم حاكم على الكتب من قبله، فقد جاء بأحسن ما فيها، ونسخ منها ما نسخه، وقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون، فأظهر تحريفهم ، وأظهر الحق الذي تضمنته الكتب السابقة[1].

رابعا: الآثار الإيمانية لهذا الاسم

لاسم الله "**المؤمن**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

أولا: من معاني اسم الله "**المهيمن**" الشاهد على عبادة، وهذا المعنى ينبغي أن يثمر في النفوس مراقبة الله تعالى في السر والعلانية، وفي الخلوة والجلوة، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]، فالله شاهد على عباده فيما يكون منهم وما يفعلونه، قال الإمام الغزالي:" كل عبد راقب قلبه حتى أشرف على أغواره وأسراره واستولى مع ذلك على، تقويم أحواله وأوصافه وقام بحفظها على الدوام على مقتضى تقويمه فهو مهيمن بالإضافة إلى قلبه فإن اتسع إشرافه واستيلاؤه حتى قام بحفظ بعض عباد الله عز وجل على نهج السداد بعد اطلاعه على بواطنهم وأسرارهم بطريق التفرس والاستدلال بظواهرهم كان نصيبه من هذا المعنى أوفر وحظه"[2].

---

(1) أسماء الله الحسنى، للأشقر صـ ٦٨.

(2) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٥٥.

فإذا استشعر العبد رقابة الله له وشهوده على ما يعمل، حرص العبد على أن لا يعل إلا خيرا؛ لأن الله تعالى سوف يجازيه الله تعالى على كل عمل عمله، ففي صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: " **يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه** " (١).

ثانيا: إن استشعار العبد لهيمنة لله تعالى على هذا الوجود كله علويه وسفليه، هذا الشعور يجعل العبد المؤمن بالله تعالى يعظم الله تعالى حق تعظيمه، وبالتالي، وتسقط من حساباته، كل قوى العالم التي تدعي أن لها الهيمنة المطلقة على مجريات الأحداث في العالم، قال أبو الحسن الأشعري:" خلق الله تعالى الأشياء بقدرته، ودبرها بمشيئته، وقهرها بجبروته وذللها بعزته فذل لعظمته المتكبرون، واستكان لعز ربوبيته المتعظمون، وانقطع دون الرسوخ في علمه العالمون، وذلت له الرقاب وحارت في ملكوته فطن ذوي الألباب، وقامت بكلمته السماوات السبع، واستقرت الأرض المهاد، وثبتت الجبال الرواسي وجرت الرياح اللواقح وسار في جو السماء السحاب وقامت على حدودها البحار وهو الله الواحد القهار "(٢).

ثالثا: دعاء الله تعالى باسمه "**المهيمن**"، لم أقف على دعاء نبوي، فيه الدعاء باسم الله المهيمن، لكن هناك أدعية نبوية فيها الدعاء، بمعنى اسم الله المهيمن

---

(١) صحيح مسلم، برقم (٢٥٧٧).

(٢) الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري صـ ٨.

أو بمقتضاه، فمن معاني اسم الله المهيمن الرقيب الذي أحاط بكل شيء علما، ومما جاء في هذا الصدد من أدعية، ما رواه البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له:" **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به** " [١].

وفي شعب الإيمان للبيهقي، من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه، أن أعرابيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: " علمني دعاء لعل الله أن ينفعني به قال: **قل: اللهم لك الحمد كله وإليك يرجع الأمر كله**"[٢].

ومما ورد من دعاء الله باسمه المهيمن، ما دعاء به يحيى بن معاذ الرازي، حيث كان يقول في دعائه قائلا:

جلالك يا مهيمن لا يبيد.. وملكك دائم أبدا جديد

وحكمك نافذ في كل أمر... وليس يكون إلا ما تريد

ذنوبي لا تضرك يا إلهي... وعفوك نافع وبه تجود

فنعم الرب مولانا وإنا... لنعلم أننا بئس العبيد

وينقص عمرنا في كل يوم... ولا زالت خطايانا تزيد

---

(١) البخاري في الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء ١/٩٧ (٢٤٤) .

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي، ٤/٩٧، برقم(٤٣٩٨)، وانظر صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم (١٥٧٦)

قصدت إلى الملوك بكل باب... عليه حاجب فظ شديد

وبابك معدن للجود يا من ... إليه يقصد العبد الطريد [١].

---

(١) شعب الإيمان، للبيهقي ٥/٤٦٦.

٣١ـ الجبار جل جلاله

الجبار من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" الجبار صيغة مبالغة من اسم الفاعل الجابر، وهو الموصوف بالجبر، فعله جبر يجبر جبرا، تقول العرب: جبر الرجل على الأمر يجبره جبرا وجبورا وأجبره: أكرهه عليه، ويستعمل الجبر بمعنى الإكراه على الفعل والإلزام بلا تخير، وتقول العرب: «ناقة جباره» بالهاء: عظيمة سمينة وجمعها جبابير، و "نخلة جبار" بغير هاء: إذا فاتت الأيدي طولا وارتفاعا، وأصل الجبر إصلاح الشيء بضرب من القهر، ومنه جبر العظم أي أصلح كسره، وجبر الفقير أغناه، وجبر الخاسر عوضه وجبر المريض عالجه، والله عز وجل الجبار ذو الجبرية والكبرياء والعظمة، ويقال: الجبار: العالي فوق خلقه من قولهم: تجبر النبات: إذا علا واكتهل، ويقال للنخلة التي لا تنالها اليد طولا: الجبارة' فالله جبار لأنه متصف بكثرة جبره حوائج الخلائق [١].

ومما سبق يتبين لنا أن سم الله الجبار، في اللغة يدل على القوة العظمة والجبروت، فالله جبار؛ لعلوه على خلقه، ونفاذ مشيئته في ملكه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

ثانيا: معناه الاصطلاحي

([١]) لسان العرب، لابن منظور ٥٣٥/١، تهذيب اللغة، للأزهري،٥٧/١١، المفردات، للراغب الأصفهاني صـ ١٨٣، وتفسير الأسماء الحسنى، للزجاج ص ٣٤، واشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ٢٤٠، وشأن الدعاء، للخطابي، صـ ٤٨.

المعنى الاصطلاحي لاسم الله الجبار لا يخرج عن تعريفه اللغوي، قال الإمام الطبري: "**الجبار**: يعني المصلح أمور خلقه المصرفهم فيما فيه صلاحهم"[١].

وقال ابن كثير "**الجبار**" أي الذي لا تليق الجبرية إلا له، وقال قتادة: الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء[٢].

وقال محمد ابن كعب القرظي:" إنما تسمى الجبار؛ لأنه يجبر الخلق على ما أراده"[٣]

وقال أبو حامد الغزالي: " الجبار هو الذي ينفذ مشيئته على سبيل الإجبار في كل واحد، ولا تنفذ فيه مشيئة أحد، الذي لا يخرج أحد من قبضته، وتقصر الأيدي دون حمى حضرته فالجبار المطلق هو الله سبحانه وتعالى فإنه يجبر كل أحد ولا يجبره أحد، ولا مثنوية في حقه في الطرفين " [٤].

وقال الراغب الأصفهاني:" والجبار اسم دل على معنى من معاني العظمة والكبرياء، وهو في حق الله وصف محمود من معان الكمال والجمال، وفي حق العباد وصف مذموم من معاني النقص لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر:٣٥] [٥].

---

(١) تفسير الطبري ٣٦/٢٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٤١٢.

(٣) الأسماء والصفات، للبيهقي، صـ ٤٨، والدر المنثور، للسيوطي، ١٤/ ٤٠١

(٤) المقصد الأسنى ص٧٤، والأسماء والصفات للبيهقي صـ ٤٨، واشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ٢٤١، وتفسير الطبري ٢٨/ ٣٦.

(٥) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، صـ ١٨٤ .

وقد فسرت فرقة الجبرية، اسم الله الجبار، بأنه الذي يجبر عباده على المعاصي والسيئات، وقد رد علماء الإسلام على قولهم هذا، قال شيخ الاسلام ابن تيمية:" والجبار عند الجبرية هو الذي يكره العباد على الفعل فلا اختيار لهم ولا حرية وهو مردود لقوله تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ ، [البقرة:٢٥٦]، وإنما يتحقق معنى الجبار في الإجبار عن إسقاط الاختيار ورفع التكليف والمسؤولية كالسنن الكونية التي لا تحويل فيها ولا تبديل، وكالحركات اللاإرادية في الإنسان كحركة القلب وسريان الروح في الأبدان(١).

وقال الأزهري:" والجبرية الذين يقولون أجبر الله العباد على الذنوب أي أكرههم. ومعاذ الله أن يكرههم على معصيته، ولكنه قد علم ما العباد عاملون وما هم إليه صائرون. قلت: وهذا المعنى الإيمان بالقضاء والقدر. إنما هو علم الله السابق في خلقه، وقد كتبه عليهم فهم صائرون إلى ما علمه، وكل ميسر لما خلق له"(٢) .

ثالثا: ورود هذ الاسم في القرآن والسنة

اسم الله الجبار ورد مرة واحدة في أواخر سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣]، قال ابن القيم"

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في العقيدة ٨ /٤٦٥، وتفسير القرطبي ٢/ ١٣٩ .

(٢) تهذيب اللغة، للأزهري ١١/٥٩.

الجبار من أسماء الرب تعالى فقد فسره بأنه الذي يجبر الكسير ويغني الفقير والرب سبحانه كذلك ولكن ليس هذا معنى اسمه الجبار؛ ولهذا قرنه باسمه المتكبر وإنما هو الجبروت وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" **سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة**"(١).

فالجبار اسم من أسماء التعظيم كالمتكبر والملك والعظيم والقهار، قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ هو العظيم وجبروت الله عظمته، والجبار من أسماء الملوك والجبر الملك والجبابرة الملوك قال الشاعر:

وأنعم صباحا أيها الجبر: أي أيها الملك

وقال السدى: الجبار هو الذي يجبر الناس ويقهرهم على ما يريد، وعلى هذا فالجبار معناه القهار.

وقال ابن الأنباري: الجبار في صفة الرب سبحانه الذي لا ينال، ومنه قولهم نخلة جبارة إذا فاتت يد المتناول.

فالجبار في صفة الرب سبحانه ترجع إلى ثلاثة معان الملك والقهر والعلو، فإن النخلة إذا طالت وارتفعت وفاتت الأيدي سميت جبارة؛ ولهذا جعل سبحانه اسمه الجبار مقرونا بالعزيز والمتكبر وكل واحد من هذه الأسماء الثلاثة تضمن الاسمين الآخرين، وهذه الأسماء الثلاثة نظير الأسماء الثلاثة وهي الخالق البارئ المصور، فالجبار المتكبر يجريان مجرى التفصيل لمعنى اسم العزيز كما

(١) سنن أبي داود، برقم (٨٧٣)، وقال عنه الألباني: صحيح.

أن البارئ المصور تفصيل لمعنى اسم الخالق، فالجبار من أوصافه يرجع إلى كمال القدرة والعزة والملك؛ ولهذا كان من أسمائه الحسنى.

وأما المخلوق فاتصافه بالجبار ذم له ونقص كما قال تعالى:﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: ٣٥] وقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ [ق: ٤٥] أي مسلط تقهرهم وتكرههم على الإيمان وفي الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم:" **يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطأهم الناس**"[1] [2].

وقد ورد اسم الله " الجبار"، في السنة النبوية في مواطن كثيرة، فعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة** "[3]، قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث:" ومعنى الحديث أن الله تعالى يجعل الأرض كالظلمة والرغيف العظيم ويكون ذلك طعاما نزلا لأهل الجنة والله على كل شيء قدير"[4].

وعبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول: " **يأخذ الجبار عز وجل سماواته وأرضيه بيديه** " [5].

---

(1) مسند أحمد، برقم (٦٦٧٧)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد، برقم (٤٣٤).
(2) شفاء العليل، لابن القيم، ١/ ١٦٥.
(3) صحيح مسلم، برقم، (٥٠٠٠)
(4) شرح صحيح مسلم، للنووي ٩/ ١٧١.
(5) صحيح مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/٢١٤٩ ، برقم(٢٧٨٨)

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فسمعه حين كبر قال: " **الله أكبر ذا الجبروت والملكوت والكبرياء العظمة وكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وإذا رفع رأسه من الركوع قال: لربي الحمد، لربي الحمد، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى، وبين السجدتين: رب اغفر لي، رب اغفر لي**" [١].

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله الجبار

لاسم الله "**المؤمن**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن ، ومن هذه الآثار ما يلي:

١- بما أن من معاني اسم الله "الجبار" الذي يجبر كسر عباده ويغنيهم من الافتقار، فإن هذه المعاني تثمر في قلب المؤمن محبة الله تعالى والانكسار بين يديه وطلب الحاجات منه وحده ولذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم في الجلسة بين السجدتين: "**اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارفعني واهدني وعافني وارزقني**"[٢].

كما أن على المسلم أن يعمل على جبر قلوب عباد الله تعالى من الفقراء والمساكين، فيواسي فقيرهم، ويطعم جائعهم، فيجبره الله تعالى في الموطن التي يحتاج فيها إلى الجبر؛ لأن الجزاء من جنس العمل

---

(١) سنن النسائي، برقم (٦٥٦)، وصححه الألباني.

(٢) سنن الترمذي، برقم (٢٦٢)، وسنن ابن ماجة، برقم (٨٩٨)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، برقم (٧٣٢)

٢ـ أن يبتعد السلم عن خلق التجبر في الأرض؛ لأن الله قد ذم المتجبرين في كتابه الكريم وتوعدهم بالعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٥ – ١٧]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية، قوله تعالى: ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ الجبار المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقا، والعنيد المعاند للحق والمجانب له ، قال أبو عبيد : هو الذي عند وبغى ومعنى الآية : أنه خسر وهلك من كان متصفا بهذه الصفة"[١].

وأخبر النبي صلى الله علسه وسلم أن مصير المجبرين نار جهنم، قال صلى الله عليه وسلم: "**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين**" [٢]

٣ـ أن يحرص العبد على أن يكون قدوة صالحة لغيره، بحيث أن كل من رآه يكون مجبرا على التأسي به والإقتداء، قال الأمام الغزالي:" الجبار من العباد من ارتفع عن الأتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته، بحيث يجبر الخلق بهيئته وصورته على الاقتداء به ومتابعته في سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع ولا يشاهده أحد إلا ويفنى عن ملاحظة نفسه ويصير متشوقا إليه غير ملتفت إلى ذاته ولا يطمع أحد في استدراجه

---

(١) فتح القدير ، للشوكاني، ٤/ ١٣٥ .

(٢) صحيح البخاري، برقم (٤٨٥٠)،وصحيح مسلم، برقم (٢٨٤٦).

واستتباعه وإنما حظي بهذا الوصف سيد البشر حيث قال لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا اتباعي وأنا سيد ولد آدم ولا فخر "[١].

٤. دعاء الله تعالى باسمه الجبار، وله برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فقد دعا الله تعالى ربه باسمه الجبار في مواطن متعدد، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال:" ما صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قريب منه إلا سمعته يقول في دبر كل صلاة : "**اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها، اللهم أنعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق؛ فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت** " [٢] .

وعن بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدتين:" **اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني** " [٣].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه: " **سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة** " [٤].

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ٨٥.

(٢) المعجم الكبير، للطبراني، برقم (٧٨٩٣) ، صحيح الجامع، للألباني، برقم (١٢٦٦) .

(٣) سنن الترمذي، كتاب الصلاة ، باب ما يقول بين السجدتين ٢/٧٦ (٢٨٤) ، وانظر صفة صلاة، للألباني، صـ ١٥٣.

(٤) أبو داود في الصلاة، باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ١/٢٣٠ (٨٧٣)، والمشكاة (٨٨٢)

٣٢ـ البارئ جل جلاله

البارئ من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذين الاسمين في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" البارئ في اللغة اسم، فاعل فعله برأ يبرأ برءا، وبرء بضم الراء أي خلا من العيب أو التهمة والمذمة، وخلص منها، وبرئ المريض أي شفي من مرضه وبرئ إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى:﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ ﴾ [التوبة: ١]، وبريت القلم بغير همز إذا قطعته وأصلحته، والبرية: الخلق وأخذت من البري وهو التراب، فأصلها غير الهمز.

ويقال: برأ الله الخلق فهو يبرؤهم برءا إذا فطرهم، والبرء خلق على صفة، فكل مبروء مخلوق وليس كل مخلوق مبروءا؛ وذلك لأن البرء من تبرئة الشيء من الشيء من قولهم برأت من المرض وبرئت من الدين أبرأ منه وبعض الخلق إذا فصل من بعض سمي فاعلة بارئا، والبرئء الذي به انفصلت الصور بعضها من بعض فصورة زيد مفارقة لصورة عمرو وصورة حمار مفارقة لصورة فرس فتبارك الله خالقا وبارئا"(١).

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٢٣٩/١، تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج صـ ١٧، وشأن الدعاء، للخطابي صـ ٥٠، تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة صـ١٥.

ثانيا: معناه الاصطلاحي

المعنى الاصطلاحي لاسم الله الباري لا يختلف كثيرا عن معناه اللغوي، قال ابن القيم: "وأما البارئ فلا يصح إطلاقه إلا عليه سبحانه فإنه الذي برأ الخليقة وأوجدها بعد عدمها والعبد لا تتعلق قدرته بذلك إذ غاية مقدوره التصرف في بعض صفات ما أوجده الرب تعالى وبراه، وتغييرها من حال إلى حال على وجه مخصوص لا تتعداه قدرته.

مبدع الشيء وبديعه لا يصح إطلاقه إلا على الرب، والإبداع إيجاد المبدع على غير مثال سبق والعبد يسمى مبتدعا لكونه أحدث قولا لم تمض به سنة ثم يقال لمن اتبعه عليه مبتدع أيضا"[١].

وقال الخطابي: "**البارئ** هو الخالق، إلا أن لهذه اللفظة من الاختصاص بالحيوان ما ليس لها بغيره من الخلق، وقلما يستعمل في خلق السماوات والأرض والجبال فيقال: برأ الله السماء كما يقال: برأ الله الإنسان وبرأ النسم، كان يمين على بن أبي طالب رضي الله عنه التي يحلف بها:" لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة" "[٢] [٣].

ثالثا: ورود اسم الله البارئ في القرآن والسنة

اسم الله البارئ لم يرد إلا مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في خواتيم سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ

---

(١) شفاء العليل، لابن القيم صـ ١٣١.

(٢) صحيح البخاري ، برقم(٣٠٤٧).

(٣) شأن الدعاء' للخطابي صـ ٥١.

مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤]، قال ابن كثير: "الخلق هو التقدير، والبرء هو الفري، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله – عز وجل – قال الشاعر يمدح آخر:

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري"(١)

وقيل: البارئ: هو الذي أبرأ الخلق، وفصل كل جنس عن الآخر، وصور كل مخلوق بما ينساب الغاية من خلقه (٢).

وقال الإمام الطبري:" "البارئ" الذي برأ الخلق فأوجدهم بقدرته"(٣) .

وقال الزمخشري:" **البارئ** هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت، ومتميزا بعضه من بعض بالأشكال المختلفة والصور المتباينة، فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر، إلى عباد غيره"(٤)

ومن المواطن التي ذكر فيها اسم الله " البارئ" قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٥٤]، وفي هذين الموطنين ورد اسم الله **البارئ** مضافا "**بارئكم**" قال الشوكاني قوله

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣٤٣.

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي صـ٤٠، والمقصد الأسنى، للغزالي صـ٧٢، وتفسير القرطبي ١٨/٤٨، وشرح أسماء الله الحسنى، للرازي ص،٢١٦، والكشاف للزمخشري ٤/٨٥.

(٣) تفسير الطبري ٢٨/٣٧.

(٤) تفسير الزمخشري ١/ ١٤٠.

تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ﴾ المراد هنا بالقوم: عبدة العجل، قيل إن البارئ: هو : المبدع المحدث، **والخالق** هو: المقدر الناقل من حال إلى حال، وفي ذكر "**البارئ**" هنا إشارة إلى عظيم جرمهم، أي: فتوبوا إلى الذي خلقكم ، وقد عبدتم معه غيره"[1].

رابعا: الآثار الإيماني لاسم الله البارئ

لاسمي الله "**البارئ**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن ، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ الإيمان باسم الله **البارئ** يقتضي أن يؤمن المسلم بأن كل ما يقع في الكون من أحداث قد برأها الله وأوجدها قبل خلق السموات والأرض، وأنها مسجلة عنده في اللوح المحفوظ، وأنه لا يقع شيئ في الوجود إلا بإذنه تعالى، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" تفسير السعدي:" يقول تعالى مخبرا عن عموم قضائه وقدره: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ وهذا شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر

([1]) تفسير الشوكاني . ١/ ١٠١.

هذه القاعدة عندهم، ويبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا إليه، لعلمهم أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحوا بما آتاهم الله فرح بطر وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومنه، فيشتغلوا بشكر من أولى النعم ودفع النقم، ولهذا قال: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ أي: متكبر فظ غليظ، معجب بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطغيه وتلهيه "[1].

٢ـ أن يتبرأ العبد من كل ذنب يخالف أمر الله تعالى، ومن كل بدعة تخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا ما فعله أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فعن صفوان بن محرز رضي الله عنه أنه قال: " **أغمي على أبي موسى فبكوا عليه فقال: أبرأ إليكم كما برئ إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليس منا من حلق ولا خرق ولا سلق**" [2].

وعم جندب رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول:" **إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك** " [3] .

---

(1) تفسير السعدي، صـ٨٤٢.

(2) صحيح سنن ابن ماجة، برقم (١٥٨٦)، "وخرق" شق الثياب و"سلق" رفع صوته عند المصيبة.

(3) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/٣٧٧، برقم (٥٣٢).

وعن سالم عن أبيه رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام؛ فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صبأنا، وجعل خالد قتلا وأسرا، فدفع إلى كل رجل أسيره حتى إذا أصبح يومنا، أمر خالد بن الوليد أن يقتل كل رجل منا أسيره، قال ابن عمر: فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل أحد، فقدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له صنع خالد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ورفع يديه: **اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، مرتين** " [1].

٣- البراءة من كل المناهج الأرضية التي تخالف منهج الله وشرعة، وهذا ما فعله نبي الله إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [التوبة:١١٤] وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى البراءة من كل الأنظمة التي تخالف سنته وهدية، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع** "[2].

وقد كان الصحابة يتبرؤون من بعض التصرفات التي يظهر فيها عدم نصرة دين الله تعالى بالشكل المطلوب، فعن أنس رضي الله عنه أن عمه أنس بن النضر رضي الله عنه غاب عن قتال بدر فقال: " غبت عن أول قتال قاتله

---

(١) البخاري في المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ٤/١٥٧٧ (٤٠٨٤) .

(٢) مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع ٣/١٤٨٠، برقم (١٨٥٤)

رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين، لئن الله أشهدني قتالا للمشركين ليرين الله كيف أصنع؟ فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: **اللهم إني أبرأ إليك مما جاء** به هؤلاء، يعني المشركين، وأعتذر إليك مما يصنع هؤلاء يعني أصحابه، ثم تقدم فلقيه سعد فقال: يا أخي ما فعلت؟ أنا معك، فلم أستطع أن أصنع ما صنع، فوجد فيه بضع وثمانون من ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم فكنا نقول فيه وفي أصحابه نزلت: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب:٢٣][١].

٤ـ على المرء أن يبدع في عمله وأن بتقنه وأن يخرجه في أحسن صورة وفي أبهى حلة، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه** "[٢]؛ لأن الإبداع في العمل واتقانه يدل على ابداع صاحب العمل وخبرته.

٥ـ الدعاء بهذا الاسم لم يرد الدعاء بالاسم البارئ بصورة مباشرة ولكن ورد الدعاء بصفة الإبراء، فعبد الرحمن بن خنبش، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أتاني جبريل فقال: يا محمد! قل، قلت: **وما أقول ؟ قال: قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في**

(١) البخاري، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد ٤/ ١٤٨٧ ، برقم (٣٨٢٢)

(٢) صحيح الجامع الصغير، برقم(١٨٨٠).

الأرض وبرأ ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق ؛ إلا طارق يطرق بخير يا رحمن "[١].

وعن أم المؤمنبن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" كان إذا اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقاه جبريل قال:" **باسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر حاسد إذا حسد وشر كل ذي عين**" [٢].

(١) صحيح الجامع، برقم (٧٤)، والسلسلة الصحيحة، برقم (٨٤٠) .

(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب رآه والمرض والرقى ٤/١٧١٨، برقم (٢١٨٥) .

٣٣ـ المصور جل جلاله

المصور من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" **والمصور**" اسم الفاعل من صور يصور فهو المصور إذا فعل الصورة، والمصدر التصوير، والصورة شخص الشيء وهيئته من طول وعرض وكبر وصغر وما اتصل بذلك وتعلق به مما يكمله فيرى مصورا.

والله – عز وجل – مصدر الصورة وخالقها، والله تعالى مصور كل صورة لا على مثال احتذاه ولا رسم ارتسمه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير: التماثيل، وصورة الأمر كذا وكذا: أي صنعته"[١].

وقال الراغب الأصفهاني: الصورة: ما ينتقش به الأعيان ويتميز بها غيرها، وذلك ضربان: **أحدهما**: محسوس يدركه الخاصة والعامة، بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان بالمعاينة كصورة الإنسان والفرس والحمار، **والثاني**: معقول يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الإنسان بها من العقل والروية والمعاني التي خص بها شيء بشيء) [٢].

([١]) لسان العرب، لابن منظور ٤/ ٢٥٢٣، وينظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي صـ ٤٢٤، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٣/٥٨، و تفسير الأسماء، للزجاج صـ ٣٧ .

([٢]) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني صـ ٤٩٧ .

ثانيا: معناه الاصطلاحي

المعنى الاصطلاحي لاسم الله المصور لا يخرج عن معناه اللغوي، قال الخطابي: "**المصور**" هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة ليتعارفوا به، كما قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]" [١].

وقال الإمام الغزالي:" "**المصور**" فهو له من حيث رتب صور الأشياء أحسن ترتيب وصورها أحسن تصوير وهذا من أوصاف الفعل فلا يعلم حقيقته إلا من يعلم صورة العالم على الجملة ثم على التفصيل فإن العالم كله في حكم شخص واحد مركب من أعضاء متعاونة على الغرض المطلوب منه وإنما أعضاؤه وأجزاؤه السموات والكواكب والأرضون وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما وقد رتبت أجزاؤه ترتيبا محكما لو غير ذلك الترتيب لبطل النظام فخصص بجهة الفوق ما ينبغي أن يعلو وبجهة السفل ما ينبغي أن يسفل"[٢].

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

ورد اسمه سبحانه "**المصور**" في القرآن الكريم "مرة واحدة" وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤]، قال ابن كثير رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ﴾ [الحشر: ٢٤] أي: الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد، والصورة التي يختار، كقوله تعالى: ﴿ فِىٓ أَىِّ

(١) شأن الدعاء، للخطابي صـ ٥١.

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٩٠.

صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٨]، "**المصور**" أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها"[١].

وقال الإمام الرازي:" وأما "**المصور**" فمعناه أنه يخلق صور الخلق على ما يريد، وقدم ذكر الخالق على البارئ؛ لأن ترجيح الإرادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور، لأن إيجاد الذوات مقدم على إيجاد الصفات"[٢].

وقال الإمام الشوكاني" **المصور**" أي: الموجد للصور المركب لها على هيئات مختلفة، فالتصوير مترتب على الخلق والبراية وتابع لهما، ومعنى التصوير: التخطيط والتشكيل ، قال النابغة :

الخالق البارئ المصور في ال ... أرحام ماء حتى يصير دما"[٣]

وقد جاءت الإشارة إلى اسم الله "**المصور**" بصيغة الفعل المضارع، في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" أي: الله الذي يصوركم فيجعلكم صورا أشباحا في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب، فيجعل هذا ذكرا وهذا أنثى، وهذا أسود وهذا أحمر. يعرف عباده بذلك أن جميع من اشتملت عليه أرحام النساء، ممن صوره وخلقه كيف شاء، وأن عيسى ابن مريم ممن صوره في رحم أمه وخلقه فيها كيف شاء وأحب، وأنه لو كان إلها لم يكن

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٣٤٤.

(٢) تفسير الرازي ١٥/ ٣١٦.

(٣) تفسير الشوكاني ٧/ ١٩٨.

ممن اشتملت عليه رحم أمه، لأن خلاق ما في الأرحام لا تكون الأرحام عليه مشتملة، وإنما تشتمل على المخلوقين"(١).

وجاءت الإشارة إلى اسم الله "**المصور**" بصيغة الفعل الماضي، في قوله تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التغابن: ٣]، قال سيد قطب في ظلاله:" قوله تعالى: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْۖ ﴾ يشعر الإنسان بكرامته على الله ، وبفضل الله عليه في تحسين صورته، صورته الخلقية وصورته الشعورية، فالإنسان هو أكمل الأحياء في الأرض من ناحية تكوينه الجثماني، كما أنه أرقاها من ناحية تكوينه الشعوري واستعداداته الروحية ذات الأسرار العجيبة. ومن ثم وكلت إليه خلافة الأرض ، وأقيم في هذا الملك العريض بالقياس إليه.

ونظرة فاحصة إلى الهندسة العامة لتركيب الإنسان ، وإلى أي جهاز من أجهزته، تثبت تلك الحقيقة وتجسمها: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْۖ ﴾ ، وهي هندسة يجتمع فيها الجمال إلى الكمال، ويتفاوت الجمال بين شكل وشكل، ولكن التصميم في ذاته جميل وكامل الصنعة ، وواف بكل الوظائف والخصائص التي يتفوق بها الإنسان في الأرض على سائر الأحياء.

﴿ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ مصير كل شيء وكل أمر وكل خلق، مصير هذا الكون ومصير هذا الإنسان فمن إرادته انبثق ، وإليه سبحانه يعود ومنه المنشأ وإليه المصير"(٢).

---

(١) تفسير الطبري ٦/ ١٦٦.

(٢) في ظلال القرآن، لسيد قطب، ٧/ ٢٢٢.

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن اسم الله المصور جاء قبله اسمي الله "**الخالق، والباري**" وقد يقول قائل: ما لسر في ترتيبها بهذا الشكل؟ وهل هل بينها ترادف؟ وللإجابة عن هذا التساؤل يقول الإمام الغزالي:" اسماء الخالق البارئ المصور قد يظن أن هذه الأسماء مترادفة وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع ولا ينبغي أن يكون كذلك، بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى تقدير أولا وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانيا وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثا والله سبحانه وتعالى خالق من حيث أنه مقدر وبارئ من حيث أنه مخترع موجد ومصور من حيث أنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب.

وهذا كالبناء مثلا فإنه يحتاج إلى مقدر يقدر ما لا بد له منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض وعدد الأبنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه (المهندس) فيرسمه ويصوره، ثم يحتاج إلى (بناء) يتولى الأعمال التي عندها يحدث أصول الأبنية، ثم يحتاج إلى (مزين) ينقش ظاهره ويزين صورته فيتولاه غير البناء هذه هي العادة في التقدير والبناء والتصوير، وليس كذلك في أفعال الله عز وجل بل هو المقدر والموجد والمزين فهو الخالق البارئ المصور.

ومثاله الإنسان(المراد به آدم عليه السلام) وهو أحد مخلوقاته وهو محتاج في وجوده أولا إلى أن يقدر ما منه وجوده فإنه جسم مخصوص فلا بد من الجسم أولا حتى يخصص بالصفات كما يحتاج البناء إلى آلات حتى يبني.

ثم لا يصلح لبنية الإنسان إلا الماء والتراب جميعا إذ التراب وحده يابس محض لا ينثني ولا ينعطف في الحركات والماء وحده رطب محض لا يتماسك ولا ينتصب بل ينبسط.

فلا بد أن يمتزج الرطب باليابس حتى يعتدل ويعبر عنه بالطين ثم لا بد من حرارة طابخة حتى يستحكم مزج الماء بالتراب ولا ينفصل فلا يتخلق الإنسان من الطين المحض بل من صلصال كالفخار والفخار هو الطين المعجون بالماء الذي قد عملت فيه النار حتى أحكمت مزاجه ثم يحتاج إلى تقدير الماء والطين بمقدار مخصوص فإنه إن صغر مثلا لم تحصل منه الأفعال الإنسانية بل كان على قدر الذر والنمل فتسفيه الرياح ويهلكه أدنى شيء.

ولا يحتاج إلى مثل الجبل من الطين فإن ذلك يزيد على قدر الحاجة بل الكافي من غير زيادة ونقصان قدر معلوم يعلمه الله عز وجل، وكل ذلك يرجع إلى التقدير فهو باعتبار تقدير هذه الأمور خالق وباعتبار الإيجاد على وفق التقدير مصور وباعتبار مجرد الإيجاد والإخراج من العدم إلى الوجود بارئ والإيجاد المجرد شئ والإيجاد على وفق التقدير شيء آخر وهذا يحتاج إليه من يبعد رد الخلق إلى مجرد التقدير مع أن له في اللغة وجها إذ العرب تسمي الحذاء خالقا لتقديره بعض طاقات النعل على بعض ولذلك قال الشاعر

ولأنت تفري ما خلقت وبعض ... القوم يخلق ثم لا يفري"[١].

ويتحدث الشيخ الشنقيطي عن بعض الأسرار في اقتران هذه الأسماء الحسنى قائلا: "**الخالق**" هو المقدر قبل الإيجاد، و"**البارئ**" الموجد من العدم على مقتضى الخلق والتقدير، وليس كل من قدر شيئا أوجده إلا الله "**والمصور**" المشكل لكل موجود على الصورة التي أوجده عليها، ولم يفرد كل فرد من

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٨٦.

موجوداته على صورة تختص به إلا الله سبحانه وتعالى كما هو موجود في خلق الله للإنسان والحيوان والنبات، كل في صورة تخصه"[١].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن هذه المسألة:" وأما الخالق والمصور فإن استعملا مطلقين غير مقيدين لم يطلقا إلا على الرب سبحانه كقوله: ﴿ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤]، وإن استعملا مقيدين أطلقا على العبد كما يقال لمن قدر شيئا في نفسه: إنه خلقه، وبهذا الاعتبار صح إطلاق خالق على العبد في قوله تعالى: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقيل:" إن البارئ المصور تفصيل لمعنى اسم الخالق[٢]".

رابعا: الأثار الإيمانية لاسم الله المصور

لاسم الله "**المصور**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ الإيمان باسم الله المصور يقتضي، الإيمان بصفة التصوير التي يتضمنها اسمه المصور، وقد دل على هذه الصفة آيات كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [غافر:٦٤]، قال الشيخ السعدي قوله تعالى:﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ فليس في جنس الحيوانات، أحسن صورة من بني آدم، وإذا أردت أن تعرف حسن الآدمي وكمال حكمة الله تعالى

(١) أضواء البيان، للشنقيطي، ١٢٤/٨.

(٢) شفاء العليل، لابن القيم ٣٩٣/١.

فيه، فانظر إليه، عضوا عضوا، هل تجد عضوا من أعضائه، يليق به، ويصلح أن يكون في غير محله؟ وانظر أيضا، إلى الميل الذي في القلوب، بعضهم لبعض، هل تجد ذلك في غير الآدمين؟ وانظر إلى ما خصه الله به من العقل والإيمان، والمحبة والمعرفة، التي هي أحسن الأخلاق المناسبة لأجمل الصور "[1]

ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأعراف:١١]، قال ابن عاشور:" **الخلق** الإيجاد وإبراز الشيء إلى الوجود، وهذا الإطلاق هو المراد منه عند إسناده إلى الله تعالى أو وصف الله به، **والتصوير** جعل الشيء صورة، والصورة الشكل الذي يشكل به الجسم كما يشكل الطين بصورة نوع من الأنواع.

وعطفت جملة صورناكم بحرف ﴿ ثُمَّ ﴾ الدالة على تراخي رتبة التصوير عن رتبة الخلق؛ لأن التصوير حالة كمال في الخلق بأن كان الإنسان على الصورة الإنسانية المتقنة حسنا وشرفا، بما فيها من مشاعر الإدراك والتدبير، سواء كان التصوير مقارنا للخلق كما في خلق آدم، أم كان بعد الخلق بمدة، كما في تصوير الأجنة من عظام ولحم وعصب وعروق ومشاعر، كقوله تعالى: فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما فإن الخطاب للناس كلهم. وأما تعلق فعلي الخلق والتصوير بضمير المخاطبين فمراد منه أصل نوعهم الأول وهو آدم

---

(١) تفسير السعدي صـ ٧٤١.

بقرينة تعقيبه بقوله: ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فنزل خلق أصل نوعهم منزلة خلق أفراد النوع الذين منهم المخاطبون لأن المقصود التذكير بنعمة الإيجاد ليشكروا موجدهم"[١].

٢ـ التأمل في خلق الله تعالى لهذا الإنسان، الذي خلقه وصوره في أحسن صورة،

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾ [الانفطار: ٦ – ٨]، قال شيخنا العلامة الشيخ عبد المجيد الزنداني:" عند التفكر في أنفسنا سنرى آيات الله في كل شئ ابتداء من الخلية وانتهاء بكل أجهزة الجسم المختلفة ، هذه الخلايا يجمعها الله مع بعضها البعض لتؤدي وظيفة النسيج، ويضم النسيج إلى نسيج آخر بجواره وإلى ثالث و رابع بإذن الله لإنشاء عضو من الأعضاء في جزء من أجسامنا، وجعل الله لتلك الأنسجة أشكالا خاصة ومواد خاصة وأماكن خاصة لتؤدي الوظيفة التي قدرها الله لها، وتجتمع تلك الوظائف لتلك الأعضاء لتؤدي وظيفة أكبر، هي وجود كامل كيان الإنسان على هذه الأرض.

الجهاز العظمي في جسم الإنسان:

قال تعالى:﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] إذا نظرنا إلى الجهاز الهيكلي العظمي سنجد أنه يتكون من ٢٠٦من العظام، وهو قسمان:

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور٨/ ٣٦.

١ـ الهيكل العظمي المحوري، وبه ثمانون عظما، ويشمل (عظم الجمجمة – العظم اللامي – عظم العمود – عظام القص – عظام الأضلاع) .

٢ـ الهيكل العظمي الزائدي، وبه ١٢٦عظما، ويشمل (عظام الطرف العلوي– عظام الطرف السفلي – الأحزمة التي تربط هذه العظام بالهيكل المحوري).

وهذه العظام تختلف في الجسم من حيث طولها وشكلها وحجمها وتركيبها وأنواعها وهي:

١ـ عظام طويلة : كالعضد والساعد والفخذ والساق .

٢ـ عظام قصيرة : كعظام الكاحل وعظام المعصم .

٣ـ عظام مسطحة : كعظام الجمجمة وعظام الأضلاع والكتف .

٤ـ عظام غير منتظمة : كالفقرات وبعض عظام الوجه .

٥ـ عظام صغيرة: كالعظام داخل أوتار العضلات، وعظام الركبة، (صابونة الركبة). كل هذه العظام لا نجد فيها عظما يمكن أن يصلح بدلا من عظم، وكل عظم له وظيفة خاصة لا يمكن أن يقوم بوظيفته عظم آخر، ولا أن يوضع في مكانه، فلكل واحد منها شكل خاص وحجم خاص وتركيب خاص، قد أحكم مع وظيفته، فالعظم الذي يكون الجمجمة يتناسب مع وظيفته في حفظ المخ، ولا يمكن أن يكون عظم الحوض بدلا منه. والعمود الفقري يتناسب مع وظيفته في حفظ النخاع الشوكي وتحريك الجذع بزوايا معينة ولا يمكن أن يحل محله عظم الساق ذو القطعة الواحدة غير القابلة للانثناء .

وإذا نظرنا إلى الجمجمة فسنجد أنها من أقوى العظام لكي تحمى المخ الذي هو جسم هلامي لا يتحمل الضغط والصدمات ، فلو تعرض لها فقد يؤدي ذلك إلى

تلف في مركز من مراكزه. أو شلل في أي عضو من الأعضاء. فالذي خلق العظام وركبها عليم بكل عظم وبمكانه وبوظيفته وبحجمه وشكله المناسب وتركيبه من مادته المناسبة ، وهو حكيم خبير أحكم كل شئ ، ووضع كل شئ في مكانه، وجعله متناسبا متوافقا مع ما يحيط به من الأنسجة والأعضاء . ونلاحظ أن زاوية أعلى الفخذ في كل إنسان تساوي ١٢٥درجة، ولو زادت أو نقصت درجة واحدة لأدت إلى عرجة في السير، فسبحان المريد الذي قدر واختار الزاوية الصحيحة للسير من بين سائر الزوايا لتؤدي الوظيفة المطلوبة للسير السوي، تلك الإرادة الواحدة التي تتجلى في تقدير زاوية أعلى الفخذ في كل إنسان .ونجد أن الخالق جل وعلا قد جعل الجمجمة حفظا لأجزاء أخرى غير المخ، فقد حفظ بها الأذن، حيث نشاهد قناة الأذن غير مستقيمة، وهذا يمنع دخول أي جسم حاد لصد عظام الجمجمة له.

فتلك آية تدل كما تدل الآيات الكثيرة على أن الخالق عليم بالأجزاء الضعيفة في الجسم، فحفظها بالهيكل العظمي القوى، فسبحان الحفيظ العليم الرحيم،ولما كانت الجمجمة في أعلى الجسم فقد ركبها الله بطريقة تحقق فيها الخفة في الوزن بالرغم من قوتها وصلابتها فجعل لها تجاويف كثيرة ونسيجا عظميا مناسبا يحقق تلك القوة والخفة في الوزن معا، فسبحان الخبير العليم"(١)

٣. معرفة القول الحق في مسألة التصوير، فالممنوع منه هو التصوير باليد للأحياء مما فيه روح من الإنسان والحيوان، أما النبات والجماد فلا بأس بتصويره. وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك في أحاديث كثيرة

(١) علم الإيمان، لشيخنا العلامة، الشيخ عبد المجيد الزنداني ١/ ٢٤.

منها: "**إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون**"[١] وفي الحديث الآخ: "**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**"[٢] وحديث: "**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**.... الحديث" [٣]، وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل البيت؛ فرأى صورا؛ فدعا بماء فجعل يمحوها ويقول:" قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون" [٤].

أما التصوير الفتوغرافي الحديث بالآلات الحديثه، فوقع فيه خلاف، فبعض أهل العلم حرمها لعموم الأدلة الوارد في النهي عن التصوير، وبعضهم لم يحرمه؛ لأنه ليس من عمل اليد بل من عمل الآلة، ومن أعدل الأقوال في ذلك ما ذكره العلامة ابن عثيمين، فقد سئل هذا السؤال، فضيلة الشيخ يوجد أحد الشباب أشكل عليه أمر التصوير إشكالا كبيرا، ويقول: هناك أحاديث صريحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم بتحريمها وإنه جائز في حال الضرورة وعنده إشكالات كثيرة نريد بسطها، **فأجاب قائلا:**" الواقع أنه ليس هناك إشكال؛ لأن التصوير الذي كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فيه مضاهاة لخلق الله؛ ليس عندهم آلات تعكس الصورة، في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يرسمون باليد، والراسم باليد مضاه لخلق الله، لأن هذا عمله بيده هو الذي قدر العين، قدر الأنف، قدر الشفتين وما أشبه ذلك فيكون مضاهيا لخلق الله،

---

(١) صحيح البخاري، برقم (٥٩٥)، وصحيح مسلم، برقم (٢١٠٩).
(٢) صحيح البخاري (٧٥٥٨)، وصحيح مسلم (٢١٠٨).
(٣) صحيح البخاري (٥٩٥٢)، وصحيح مسلم (٢١١١).
(٤) صحيح الجامع، برقم (٤٢٩٢) .

وأما في وقتنا الحاضر فإن المصور لا يفعل هذا، ولا يصور بيده، وإنما ذلك بآلة تنعكس على ما أمامها سواء كان رجلا أو حيوانا أو شجرا أو أي شيء فيطبع فيها، لكن الإنسان ليس له عمل في تخطيطها وتكييف عينيها وشفتيها وأنفها، فليس هذا من التصوير في شيء. فلا إشكال عليك أبدا.

وخاصة إذا كان يتوقف عليها أن يدخل الإنسان المدرسة أو يتوظف في وظيفة ينفع المسلمين بها أو أن يسافر لحاجة فلا إشكال فيها. الآن لا ينضبط الناس إلا بالصورة، وإلا كان كل إنسان يأتي يزور عليك ويقول: أنا فلان الفلاني وليس هو كذلك.

وقال في موطن آخر:" التصوير باليد على شكل التمثال لا شك في تحريمه إذا كان التصوير لذوات الأرواح، كما لو صنع من الجبس أو غيره صورة أسد أو صورة فرس أو ما أشبه ذلك، فهذا حرام وفاعله داخل في لعنة الرسول صلى الله عليه وسلم، في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي جحيفة أنه: "**لعن المصورين، وقال: المصورون أشد الناس عذابا يوم القيامة**" والتحريم في هذه الصورة التمثالية محقق؛ لأنها جسم ذو أعضاء ورأس، فهو مضاه لخلق الله تماما وهو حرام لا شك فيها.

وأما التصوير بالآلات الحديثة؛ الكاميرات، **فهذه نوعان:**

١- نوع يحتاج إلى تحميض وتعديل باليد، فهذا للتحريم أقرب؛ لأن الإنسان له فيها عمل لقاء بيده.

٢- نوع فوري لا يحتاج الإنسان فيه إلى عمل، فهذا لا يدخل في التصوير المحرم؛ لأن الرجل لم يصور حقيقة، وغاية ما هناك أنه سلط أضواء معينة

على جسم فانطبع هذا الجسم، ولهذا يحدث هذا التصوير من الرجل الأعمى ومن الإنسان المبصر، وهو في ظلمة، وليس له فيه أي عمل.

وسئل رحمه الله تعالى عن حكم التصوير بالفيديو، فقال رحمه الله تعالى:" التصوير بالفيديو حسب المصور، وماذا تريد أن تصور؟ فما يفعله بعض الناس الآن في أيام العرس يصورون المحفل، فهذا خطأ عظيم وجناية؛ لأن هذه الصورة سوف يشاهدها كل الناس، قد يكون فيه النساء متبرجات بزينة، قد يكون فيه النساء كاشفات الوجوه، قد يكون النساء فيما بينهن يتكلم بعضهن إلى بعض ويضحك بعضهن إلى بعض، فيحصل بذلك فتنة، هذا حرام ولا إشكال فيه.

وقد يكون التصوير لنقل مواد علمية كتمرين على صناعة الشيء، أو على تحضير الشيء، المهم مادة علمية مفيدة، وقد يكون محاضرة لإنسان يتكلم مع الناس يرشدهم ويعظهم، فهذا لا شيء فيه، فالمهم أنه على حسب الشيء الذي يصور"(١)؟

٤ـ استشعار تكريم الله تعالى للإنسان؛ لأن الله تعالى قد خلقه في أحسن صورة ؛ ليكون خليفته في أرضه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك؛ فقال: السلام عليكم: فقالوا: السلام عليك ورحمة الله**

---

(١) لقاء الباب المفتوح، لابن عثيمين١/ ٥٣، ١/ ٤٩٦، ٢/ ٤٥٥، باختصار وتصرف.

فزادوه ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن" [١] .

وقد يقع في هذا الحديث اشكال ، وهو كيف أن الله تعالى خلق آدم على صورته، ولإزالة هذا الاشكال نستمع إلى ما قاله الحافظ ابن حجر حول معنى هذا الحديث:" اختلف أهل العلم إلى ماذا يعود الضمير في قوله صلى الله عليه وسلم: "**على صورته**" فقيل: إلى آدم أي خلقه على صورته التي استمر عليها إلى أن أهبط وإلى أن مات، دفعا لتوهم من يظن أنه لما كان في الجنة كان على صفة أخرى، أو ابتدأ خلقه كما وجد ولم ينتقل في النشأة كما ينتقل ولده من حالة إلى حالة .

وقيل للرد على الدهرية القائلين: إنه لم يكن إنسان إلا من نطفة ولا تكون نطفة إنسان إلا من إنسان ولا أول لذلك ، فبين أنه خلق من أول الأمر على هذه الصورة.

وقيل الضمير لله وتمسك قائل ذلك بما ورد في بعض طرقه " **على صورة الرحمن** " والمراد بالصورة الصفة، والمعنى أن الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء

٥ـ دعاء الله باسمه المصور، وقد ورد في السنة النبوية دعاء الله تعالى بوصف التصوير، فعن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام ٥/٢٢٩٩، برقم (٥٨٧٣)، وصحيح مسلم، كتاب الجنة ٤/٢١٨٣، برقم (٢٨٤١).

كان إذا سجد قال:" **اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين**" [1].

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو بأدعية تتضمن اسم الله المصور، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت " [2].

وجاء في حلية الأولياء هذا الدعاء:" إلهي أنت الذي خلقتني، **وفي الرحم صورتني**، إلهي فكما مننت علي بالإسلام فامنن علي بطاعتك، وبترك معاصيك أبدا ما أبقيتني ولا تفضحني بسرائري، ولا تخذلني بكثرة فضائحي.

سبحانك خالقي أنا الذي لم أزل لك عاصيا، هلكت إن لم تعف عني، سبحانك خالقي بأي وجه ألقاك؟ وبأي قدم أقف بين يديك؟ وبأي لسان أناطقك؟ وبأي عين أنظر إليك؟ وأنت قد علمت سرائر أمري، وكيف أعتذر إليك إذا ختمت على لساني، ونطقت جوارحي بكل الذي قد كان مني، إلهي فارحمني"[3]

٦ـ الحذر من وساوس الشيطان ومكائده، فإن الله تعالى لما خلق أدم وصوره، جعل إبليس يطوف حول أبينا آدم عليه السلام، ليكتشف نقاط ضعفه، فلما علم أنه مخلوق فأجوف علم أنه قد يتسلط عليه وعلى ذيته؛ لأن الكثير منهم لن

---

(1) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين ١/٥٣٥ ، برقم(٧٧١) .

(2) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٣٥ ، برقم (٧٧١).

(3) حلية الأولياء، لابي نعيم٢/ ١٩٧.

يتمالك نفسه عن ورود الشبهة أو الشهوة، فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك**"[١]، قال الإمام النووي: قوله صلى الله عليه وسلم:" **يطيف به**" قال أهل اللغة: طاف بالشيء يطوف طوفا وطوافا، وأطاف يطيف إذا استدار حواليه، وقوله صلى الله عليه وسلم:" **فلما رآه أجوف**" الأجوف صاحب الجوف، وقيل: هو الذي داخله خاويا

وقوله" **عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك**" ومعنى" **لا يتمالك**" لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات، وقيل: لا يملك دفع الوسواس عنه، وقيل: لا يملك نفسه عند الغضب، والمراد جنس بني آدم"[٢].

٧ـ تكريم الإنسان لأخيه الإنسان، فإذا وقع بين إنسان وآخر شجار ونزاع وأدى ذلك للعراك والضرب بينهما، فلا يضرب المسلم وجه أخيه المسلم؛ لأن الله تعالى خلقه في أحسن صورة، فعنن أبي هريرة قال رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته** " قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث قال العلماء: هذا تصريح بالنهي عن ضرب الوجه؛ لأنه لطيف يجمع المحاسن، وأعضاؤه نفيسة لطيفة، وأكثر الإدراك بها ؛ فقد يبطلها ضرب الوجه ، وقد ينقصها، وقد يشوه الوجه، والشين فيه فاحش ؛ ولأنه بارز ظاهر لا يمكن ستره، ومتى ضربه

---

(١) صحيح مسلم، برقم (٤٧٢٧).

(٢) شرح صحيح مسلم، للنووي ، برقم(٨/ ٤٣٦).

لا يسلم من شين غالبا، ويدخل في النهي إذا ضرب زوجته أو ولده أو عبده ضرب تأديب فليجتنب الوجه"[١].

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي (٨/ ٤٣٧)، برقم(٤٧٢٨).

٣٤ ـ الشافي جل جلاله

الشافي من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذا الاسم في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة الشافي: اسم فاعل فعله شفى يشفي شفاء، وشفى كل شيء حرفه قال تعالى:﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

واستشفى طلب الشفاء وناله، وأشفى زيد عمرا إذا وصف له دواء يكون شفاؤه فيه، واستشفى: طلب الشفاء. واستشفى: نال الشفاء، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن هجاء حسان رضي الله عنه لقريش: "**هجاهم حسان فشفى واشتفى** "[١]، أراد أنه شفى المؤمنين واشتفى بنفسه أي اختص بالشفاء، وهو من الشفاء من المرض، لكن المعنى نقل من شفاء الأجسام إلى شفاء القلوب والنفوس.

الشفاء هو الدواء الذي يكون سببا فيما يبرئ من السقم بإذن الله، يقال: أشفاه الله عسلا، إذا جعله له شفاء، والشفاء: البرء من المرض، يقال : شفاه الله يشفيه شفاء، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**فإنما شفاء العي السؤال** "[٢] [١].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت – رضي الله عنه – ١٩٣٦/٣ ، برقم(٢٤٩٠) .

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم ٩٣/١(٣٣٦)، وانظر صحيح الجامع، برقم(٤٣٦٢) .

ثانيا: معناه الاصلاحي

لاسم الله الشافي تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن ذلك ما ذكره الحليمي حيث قال:

:" يجوز أن يقال في الدعاء: يا شافي يا كافي؛ لأن الله عز وجل يشفي الصدور من الشبه والشكوك، ومن الحسد والغلول، ويشفي الأبدان من الأمراض والآفات لا يقدر على ذلك غيره، ولا يدعى بهذا الاسم سواه"(٢).

فالله عز وجل هو الشافي الحقيقي لجميع أمراض الناس في أبدانهم وفي قلوبهم قال تعالى:﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس: ١٠٧]، وأما التماس الشفاء عند غير الله تعالى فإنماهو من باب الأخذ بالأسباب والتي إن شاء الله عز وجل انتفع نفع وإن شاء أبطلها.

وقد درج بعض من كتبوا في أسماء الله أن يذكروا مع اسم الله الشافي اسمه "**الطبيب**" والصحيح أن تسمية الله بهذا الاسم غير صحيحة؛ لأن الطبيب صفة من صفات الله تعالى وليست اسما من أسمائه، وهذا ما ذهب إليه الأمام البيهقي، حيث قال:" فأما **الطبيب** فهو العالم بحقيقة الداء والدواء والقادر على الصحة والشفاء، وليس بهذه الصفة إلا الخالق البارئ المصور، فلا ينبغي أن يسمى بهذا الاسم أحد سواه ، فأما صفة تسمية الله جل ثناؤه فهي أن يذكر ذلك

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ١٤/٤٣٦، وكتاب العين، للفراهيدي ٦/٢٩٠، والمفردات، للراغب الأصفهاني ص٤٥٩.

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي، صـ ٩٠.

في حال الاستشفاء مثل أن يقول:" اللهم إنك أنت المصح والممرض والمداوي والطبيب"، ونحو ذلك فأما أن يقال: يا طبيب كما يقال: يا رحيم أو يا حليم أو يا كريم فإن ذلك مفارقة لآداب الدعاء"[1]

قال الإمام ابن القيم وهو يتحدث عن اسم الله الشافي لأمراض الأبدان والقلوب، قال رحمه الله تعالى:" ولما كان البدن المريض يؤذيه ما لا يؤذي الصحيح: من يسير الحر، والبرد، والحركة، ونحو ذلك، فكذلك القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيء، من الشبهة أو الشهوة، حيث لا يقوى على دفعهما إذا وردا عليه، والقلب الصحيح القوي يطرقه أضعاف ذلك وهو يدفعه بقوته وصحته، والقلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن من أمراض وأدواء .

ومرض القلب نوعان: نوع لا يتألم به صاحبه في الحال؛ وهو كمرض الجهل، ومرض الشبهات والشكوك، ومرض الشهوات. وهذا النوع هو أعظم النوعين ألما، ولكن لفساد القلب لا يحس بالألم، ولأن سكرة الجهل والهوى تحول بينه وبين إدراك الألم، وإلا فألمه حاضر فيه حاصل له، وهو متوار عنه باشتغاله بضده، وهذا أخطر المرضين وأصعبهما، وعلاجه إلى الرسل وأتباعهم، فهم أطباء هذا المرض.

والنوع الثاني: مرض مؤلم له في الحال، كالهم والغم والحزن والغيظ، وهذا المرض قد يزول بأدوية طبيعية، كإزالة أسبابه، أو بالمداواة بما يضاد تلك

---

(1) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ١٦١.

الأسباب؛ وما يدفع موجبها مع قيامها، وهذا كما أن القلب قد يتألم بما يتألم به البدن ويشقى بما يشقى به البدن.

فكذلك البدن يألم كثيرا بما يتألم به القلب، ويشقيه ما يشقيه. فأمراض القلب التي تزول بالأدوية الطبيعية من جنس أمراض البدن، وهذه قد لا توجب وحدها شقاءه وعذابه بعد الموت، وأما أمراضه التي لا تزول إلا بالأدوية الإيمانية النبوية فهي التي توجب له الشقاء والعذاب الدائم، إن لم يتداركها بأدويتها المضادة لها، فإذا استعمل تلك الأدوية حصل له الشفاء، ولهذا يقال: "شفي غيظه" فإذا استولى عليه عدوه آلمه ذلك، فإذا انتصف منه اشتفى قلبه، قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٤ – ١٥] فأمر بقتال عدوهم، وأعلمهم أن فيه ست فوائد.

فالغيظ يؤلم القلب، ودواؤه في شفاء غيظه، فإن شفاه بحق اشتفى، وإن شفاه بظلم وباطل زاده مرضا من حيث ظن أنه يشفيه، وهو كمن شفى مرض العشق بالفجور بالمعشوق، فإن ذلك يزيد مرضه، ويوجب له أمراضا أخر أصعب من مرض العشق.

وكذلك الجهل مرض يؤلم القلب، فمن الناس من يداويه بعلوم لا تنفع، ويعتقد أنه قد صح من مرضه بتلك العلوم، وهي في الحقيقة إنما تزيده مرضا إلى مرضه؛ لكن اشتغل القلب بها عن إدراك الألم الكامن فيه، بسبب جهله بالعلوم النافعة، التي هي شرط في صحته وبرئه، قال النبي – صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم – في الذين أفتوا بالجهل، فهلك المستفتي بفتواهم:" قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإنما شفاء العي السؤال"[1] فجعل الجهل مرضا وشفاءه سؤال أهل العلم.

وكذلك الشاك في الشيء المرتاب فيه، يتألم قلبه حتى يحصل له العلم واليقين، ولما كان ذلك يوجب له حرارة قيل لمن حصل له اليقين: ثلج صدره؛ وحصل له برد اليقين، وهو كذلك يضيق بالجهل والضلال عن طريق رشده، وينشرح بالهدى والعلم، قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

والمقصود: أن من أمراض القلوب ما يزول بالأدوية الطبيعية، ومنها ما لا يزول إلا بالأدوية الشرعية الإيمانية، "[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب فإن آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قبله موتا لا ترجى الحياة معه أبدا أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبدا"[3].

---

(1) سنن أبي داود في الطهارة باب التيمم للمجروح، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم(٣٢٦).

(2) إغاثة اللهفان، لابن القيم ١٦/١ باختصار، وتصرف.

(3) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٩٦/١٩.

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

وورد اسم الله الشافي في القرآن الكريم بصيغة الفعل وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٠].

وورد في السنة النبوة في أحادي كثيرة، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتي مريضا أو أتي به قال:" **أذهب الباس رب الناس، اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما**" [(١)].

وعنها رضي الله عنها أنها قالت: " **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى منا إنسان مسحه بيمينه ثم قال: أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما** " [(٢)].

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن القرآن الكريم احتوى على مواعظ فيها شفاء لا مراض الصدور من الشبهات والشهوات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧]، قال الإمام ابن القيم في شرحه لهذه الآية :" ولا شيء أحق أن يفرح العبد به من فضله ورحمته التي تتضمن الموعظة، وشفاء الصدور من أدوائها بالهدى والرحمة فأخبر سبحانه: أن ما آتى عباده من الموعظة التي هي الأمر والنهي، المقرون بالترغيب والترهيب، وشفاء الصدور، المتضمن لعافيتها، من داء الجهل، والظلمة، والغي، والسفه وهو أشد ألما لها من أدواء البدن، ولكنها لما

---

(١) صحيح البخاري في كتاب الطب، باب دعاء العائد للمريض ٥/٢١٤٧ ، برقم(٥٣٥١) .

(٢) صحيح مسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض ٤/١٧٢٢، برقم(٢١٩١)

ألفت هذه الأدواء لم تحس بألمها، وإنما يقوى إحساسها بها عند المفارقة للدنيا. فهنالك يحضرها كل مؤلم محزن، وما آتاها من ربها الهدى الذي يتضمن ثلج الصدور باليقين وطمأنينة القلب به، وسكون النفس إليه، وحياة الروح به، و"الرحمة" التي تجلب لها كل خير ولذة، وتدفع عنها كل شر ومؤلم.

فذلك خير من كل ما يجمع الناس من أعراض الدنيا وزينتها، أي: هذا هو الذي ينبغي أن يفرح به، ومن فرح به فقد فرح بأجل مفروح به، لا ما يجمع أهل الدنيا منها، فإنه ليس بموضع للفرح، لأنه عرضة للآفات، ووشيك الزوال، ووخيم العاقبة، وهو طيف خيال زار الصب في المنام ، ثم انقضى المنام وولى الطيف وأعقب مزاره الهجران"[١].

وذكر الله في كتابه الكريم أنه جعل فيه شفاء ورحمة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى عند هذه الآية: "يقول تعالى ذكره: وننزل عليك يا محمد من القرآن ما هو شفاء يستشفى به من الجهل ومن الضلالة، ويبصر به من العمى، للمؤمنين، ورحمة لهم دون الكافرين به، لأن المؤمنين يعلمون بما فيه من فرائض الله، ويحلون حلاله ويحرمون حرامه فيدخلهم بذلك الجنة، وينجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله، أنعم بها عليهم.﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ يقول: ولا يزيد هذا الذي ننزل عليك من القرآن الكافرين به إلا خسارا، يقول: إهلاكا، لأنهم كلما نزل فيه أمر من الله

---

(١) بدائع التفسير، لابن القيم ٢/٤٠٨.

بشيء أو نهي عن شيء كفروا به، فلم يأتمروا لأمره، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه، فزادهم ذلك خسارا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار، ورجسا إلى رجسهم قبل"[١].

وأعظم سور القرآن الكريم فيها شفاء للناس، سورة الفاتحة، وقد قال عنها ابن القيم: "فإن هذا الدواء مركب من ستة أجزاء ١ـ عبودية الله لا غيره ٢ـ بأمره وشرعه ٣ـ لا بالهوى ٤ـ ولا بآراء الرجال وأوضاعهم، ورسومهم، وأفكارهم٥ـ بالاستعانة على عبوديته به ٦ـ لا بنفس العبد وقوته وحوله ولا بغيره.

فهذه هي أجزاء ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] فإذا ركبها الطبيب اللطيف، العالم بالمرض، واستعملها المريض، حصل بها الشفاء التام، وما نقص من الشفاء فهو لفوات جزء من أجزائها، أو اثنين أو أكثر.

ثم إن القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما العبد تراميا به إلى التلف ولا بد. وهما الرياء والكبر. فدواء الرياء بـ ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ ودواء الكبر بـ: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾.

وكثيرا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾تدفع الرياء: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ تدفع الكبرياء.

فإذا عوفي من مرض الرياء بـ ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ ومن مرض الكبرياء والعجب بـ ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ ومن مرض الضلال والجهل بـ ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] عوفي من أمراضه وأسقامه؛ ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه

(١) تفسير الطبري ١٥/١٥٢.

النعمة، وكان من المنعم عليهم: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة: ٧] وهم أهل فساد القصد، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه:﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[الفاتحة: ٧] وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه"[١].

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله الشافي

لاسم الله "**الشافي** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من مقتضبات الإيمان باسم الله الشافي الاعتقاد بأن الله تعالى هو الشافي لأمراض القلوب والأبدان، ه وعدم التعلق بأي شيء من الأسباب والمسببات.

والتعلق بالله تعالى وحده في شفاء الأمراض والأسقام لا يتنافى مع الأخذ بأسباب الشفاء والعلاج المشروعة، بل هو من حسن التوكل على الله ومن كمال توحيده بشرط أن لا يتعلق بها قلبه ويظن أنها هي النافعة والضارة من دون الله تعالى.

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى التداوي، فعن أسامة بن شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **تداووا عباد الله فان الله عز وجل لم ينزل داء ألا أنزل معه شفاء الا الموت والهرم**"[٢]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**"[٣].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم ١/٥٤.

(٢) مسند أحمد، برقم(١٨٤٧٨)، قال شعيب الأرناؤوط : حديث صحيح، وهذا إسناد حسن.

(٣) صحيح البخاري، برقم (٥٢٤٦) .

٢ـ **أن** يرى العبد إلى ما أنزله الله به من أمراض وبلايا على أنها هي الشفاء له من أمراضه الظاهرة والخفية، والتي لو بقيت فيه ربما لأهلكته، وقد عدد ابن القيم حكم الله تعالى في الصائب والبلايا النازلة، حيث قال: "**السابع:** أن يعلم أن هذه المصيبة هي دواء نافع ساقه إليه الشافي العليم بمصلحته، الرحيم به فليصبر على تجرعه ولا يتقيأه بتسخطه وشكواه فيذهب نفعه باطلا. **الثامن:** أن يعلم أن في عقبى هذا الدواء من الشفاء والعافية والصحة وزوال الألم ما لم تحصل بدونه، فإذا طالعت نفسه كراهة هذا الدواء ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال الله تعالى: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ ﴾ النساء: ١٩]"[١].

٣ـ الدعاء باسم الله الشافي عندا يصاب العبد [أمراض وأسقام، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول:" **اللهم رب الناس، أذهب البأس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما** "[٢] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال:" **اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا ، اللهم اشف سعدا** "[٣] .

---

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم صـ ٤١٦.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **من عاد مريضا لم يحضره أجله، فقال عنده سبع مرات: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض** "[1].

عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" **من اشتكى منكم شيئا أو اشتكاه أخ له فليقل: ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبر**"[2]

٤ـ الأخذ بأسباب الشفاء المشروعة، ومن هذه الأسباب ما ذكرها في القرآن والسنة، ومن هذ الأسباب ما يلي:

١ـ الشفاء بالرقى بالقرآن والمعوذات، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الرقية:" **تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا**" [3].

٢- الشفاء بالعسل قال تعالى عن العسل: ﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل : ٦٩]، عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه

([1]) صحيح أبي داود، برقم(٢٦٦٣)، وصحيح الترغيب والترهيب، برقم(٣٤٨٠)

([2]) ضعيف أبي داود، برقم(٣٣٩٤).

([3]) صحيح البخاري، برقم(٥٣٠٥).

وسلم قال: " **الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنهى أمتي عن الكي** " [١] .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيده نفسه لبركتها[٢] .

٣- الشفاء في الحبة السوداء، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " **إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء ، إلا السام** " . قلت : وما السام؟ قال: "**الموت**"[٣]

٤- الشفاء بماء زمزم ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب من ماء زمزم ، وأنه قال:" **إنها مباركة، وهي طعام طعم وشفاء سقم** "[٤]، وقد غسل جبريل صدر النبي صلى الله عليه وسلم بماء زمزم .

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، برقم (٥٦٨١) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لدقي بالقرآن والمعوذات، برقم(٥٧٣٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الحبة السوداء، برقم (٥٦٨٧).

(٤) صحيح مسلم، برقم (٢٤٧٣) وليس عند مسلم قوله:" **وشفاء سقم** " .

٣٥ـ الغني جل جلال

الغني من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذا الاسم في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" الغني في اللغة صفة مشبهة لمن اتصف بالغنى فعله غني غنى، واستغنى واغتنى فهو غني، وقيل: تغنى بمعنى استغنى، وحمل قوله صلى الله عليه وسلم: " ليس منا من لم يتغن بالقرآن "[١] على ذلك.

والغنى مقصور: ضد الفقر، واستغنى الرجل: أصاب غنى، وتغانوا: استغنى بعضهم عن بعض، والغني والغاني: ذو الوفر، يقال: وما لك عنه غنى ولا غنية أي: ما لك عنه بد، ويقال: ما يغني عنك هذا، أي: ما يجزي عنك وما ينفعك، والله غني؛ لأنه لا يحتاج إلى أحد في شيء وكل أحد محتاج إليه،وهذا هو الغنى المطلق"[٢].

وقال الراغب الأصفهاني: الغنى يأتي في اللغة على ضروب :

أحدها: يعني عدم الاحتياج إلى ما عند الناس فلا يفتقر إليهم فيتعفف عما عندهم، كما قال تعالى: ﴿ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ [البقرة :

(١) صحيح البخاري، برقم (٧٥٢٧).

(٢) لسان العرب، لابن منظور ٥/٣٣٠٨، والعين، للفراهيدي، ٧/٤٥٠، المفردات، للأصفهاني، صـ٥١٥، والمغرب، في ترتيب المعرب، للمطرزي ٢/ ٢٣١.

٢٧٣]، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس"[١].

الثاني: قد يعني الكفاية يقال: أغناني كذا، وأغنى عنه كذا إذا كفاه، كما في قوله تعالى: ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴾ [الحاقة : ٢٨]، وكما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٠].

الثالث:قلة الحاجات، وهو المشار إليه بقوله: ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴾ [الضحى : ٨]

الرابع: كثرة القنيات؛ كما جاء في قوله: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ ﴾ [النساء : ٦][٢].

ثانيا: معناه الاصطلاحي

المعنى الاصطلاحي لاسم الله "**الغني**" لا يخرج كثيرا عن معناه اللغوي، وقد جاءت تعريفات كثيرة لاسم الله الغني، ومن هذه التعريفات، أن الغني:" وهو "**الغني**" والمستغني عن الخلق بقدرته وعزة سلطانه، والخلق فقراء إلى تطوله وإحسانه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ ﴾ [محمد: ٣٨][٣] ..

---

(١) صحيح البخاري، برقم (٦٤٤٦) ، وصحيح مسلم، برقم (١٠٥١) ، من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه

(٢) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ ٥١٥، باختصار وتصرف.

(٣) تفسير الأسماء، للرجاج صـ ٦٣.

وقال الخطابي رحمه الله تعالى: "**الغني**" هو الذي استغنى عن الخلق وعن نصرتهم وتأييدهم لملكه، فليست به حاجة إليهم، وهم إليه فقراء محتاجون كما وصف نفسه تعالى فقال عز من قائل: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمد: ٣٨] "[١].

وقال الزجاجي رحمه الله تعالى: " **الغني**" الذي ليس بمحتاج إلى غيره، وكذلك الله ليس بمحتاج إلى أحد جل وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦] (٢).

وقال العلامة ابن القيم:" قد دل البرهان الضروري والعقل الصريح على استغنائه سبحانه بنفسه وأنه الغني بذاته عن كل ما سواه فغناه من لوازم ذاته ولا يكون غنيا على الإطلاق إلا إذا كان قائما بنفسه إذ القيام بالغير يستلزم فقر القائم إلى ما قام به وعدم القيام بالنفس وبالغير يستلزم العدم فصح ضرورة وجوب قيامه بنفسه وهذا حقيقة المباينة ونفي المباينة والمداخلة كنفي القيام بالنفس وبالغير ولا تتصور العقول قط قائما بنفسه مع قائم بنفسه إلا إذا كان مباينا له أو محايثا والفرق بين هذا الوجه وبين الاستدلال بقيامه بنفسه"[٣].

وقال الإمام الغزالي:" الله هو الغني المغني، فالغني هو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفات ذاته بل يكون منزها عن العلاقة مع الأغيار فمن

---

(١) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٩٢.
(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي صـ ١١٧ .
(٣) الصواعق المرسلة، لابن القيم ٤/ ١٣٣١.

تتعلق ذاته أو صفات ذاته بأمر خارج من ذاته يتوقف عليه وجوده أو كماله فهو فقير محتاج إلى الكسب ولا يتصور ذلك إلا لله سبحانه وتعالى.

والله عز وجل هو المغني أيضا ولكن الذي أغناه لا يتصور أن يصير بإغنائه غنيا مطلقا فإن أقل أموره أنه محتاج إلى المغني فلا يكون غنيا بل يستغني عن غير الله بأن يمده بما يحتاج إليه لا بأن يقطع عنه أصل الحاجة والغني الحقيقي هو الذي لا حاجة له إلى أحد أصلا والذي يحتاج ومعه ما يحتاج فهو غني بالمجاز وهو غاية ما يدخل في الإمكان في حق غير الله سبحانه وتعالى وأما فقد الحاجة فلا ولكن إذا لم يبق حاجة إلا إلى الله تعالى سمي غنيا ولو لم يبق له أصل الحاجة لما صح قوله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء ٤٧ سورة محمد الآية ٣٨ ولولا أنه يتصور أن يستغني عن كل شيء سوى الله عز وجل لما صح لله تعالى وصف المغني"[١] .

وقال الشيخ السعدي:" **الغني**، فهو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه، والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه ، ولا يمكن أن يكون إلا غنيا، لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقا قادرا رازقا محسنا فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني جميع خلقه غنى عاما، والمغني لخواص خلقه مما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية"[٢]

([١]) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٩٤.

([٢]) تفسير السعدي صـ ٩٤٨.

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

اسم الله الغني ورد في القرآن الكريم في ثمان عشرة آية من كتاب الله ؛ منها قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ ﴾ [الأنعام : ١٣٣]، وقوله تعالي: ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [يونس:٦٨].

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم بأنه غني عن جميع خلقه، وأنهم أهل افتقار إليه قال تعالي:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]، قال العلامة ابن القيم:" بين سبحانه في هذه الآية أن فقر العباد إليه أمر ذاتي لهم لا ينفك عنهم ، كما أن كونه غنيا حميدا ذاتي له ، فغناه وحمده ثابت له لذاته، لا لأمر أوجبه ، وفقر من سواه إليه ثابت لذاته لا لأمر أوجبه ، فلا يعلل هذا الفقر بحدوث ولا إمكان ، بل هو ذاتي للفقير ، فحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعلة أوجبت تلك الحاجة ، كما أن غنى الرب سبحانه لذاته لا لأمر أوجب غناه .

فالخلق فقير محتاج إلى ربه بالذات لا بعلة، وكل ما يذكر، ويقدر من أسباب الفقر والحاجة فهي أدلة على الفقر والحاجة لا علل لذلك، إذ ما بالذات لا يعلل، فالفقير بذاته محتاج إلى الغني بذاته .

وفقر العالم إلى الله سبحانه أمر ذاتي لا يعلل فهو فقير بذاته إلى ربه الغني بذاته .

فيستحيل أن يكون العبد إلا فقيرا، ويستحيل أن يكون الرب سبحانه إلا غنيا، كما أنه يستحيل أن يكون العبد إلا عبدا ، والرب إلا ربا .

و فقر العباد إلى ربهم فقران :الأول : فقر اضطراري ، وهو فقر عام لا خروج لبر ولا فاجر عنه ، وهذا الفقر لا يقتضي مدحا ولا ذما ، ولا ثوابا ولا عقابا ، بل هو بمنزلة كون المخلوق مخلوقا ، ومصنوعا .

الفقر الثاني: فقر اختياري، وهو فقر الخشية والطاعة وذلة العبودية . وهو نتيجة علمين شريفين ؛ أحدهما : معرفة العبد لربه ، والثاني: معرفته بنفسه ، فمتى حصلت له هاتان المعرفتان أنتجتا فقرا هو عين غناه وعنوان فلاحه وسعادته ، وتفاوت الناس في هذا الفقر بحسب تفاوتهم في هاتين المعرفتين ، فمن عرف ربه بالغنى المطلق ، عرف نفسه بالفقر المطلق ، ومن عرف ربه بالقدرة التامة ، عرف نفسه بالعجز التام ، ومن عرف ربه بالعز التام ، عرف نفسه بالمسكنة التامة ، ومن عرف ربه بالعلم التام والحكمة التامة ، عرف نفسه بالجهل .

فإن الله تعالى قد أخرج العبد من بطن أمه ضعيفا مسكينا ، جاهلا ، كما قال تعالى : { والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا } . وسخر الله له ما في البر والبحر مما يصلحه ويعينه على أمر دينه ودنياه ، فلما شعر بأن له قدرة على السعي ، واستطاعة على التدبير ظن المسكين أن له نصيبا من الملك، وادعى لنفسه ملكا مع الله سبحانه ، ورأى نفسه بغير هذا الضعف الأول الذي كان عليه ، ونسي ما كان فيه من حالة الإعدام والفقر والحاجة ؛ حتى كأنه لم يكن هو ذلك الفقير المحتاج ، بل كأن ذلك شخصا غيره .

كما روى الإمام أحمد في مسنده من حديث بسر بن جحاش القرشي أن النبي صلى الله عليه وسلم بزق يوما في كفه ، فوضع عليها إصبعه ، ثم قال :" **قال الله : ابن آدم، أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق ، وأنى أوان التصدق** "[1] .

ومن هنا خذل من خذل ، ووفق من وفق ، فحجب المخذول عن حقيقته ونسي نفسه ، فنسي فقره وحاجته وضرورته إلى ربه ، فطغى وعتا فحقت عليه الشقوة ، قال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق : ٦، ٧].

فأكمل الخلق أكملهم عبودية ، وأعظمهم شهودا لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه وعدم استغنائه عنه طرفة عين .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس افتقارا إلى ربه ، وكان من دعائه : "**اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله** "[2]

وقد كان يعلم أن قلبه الذي بين جنبيه بيد الرحمن عز وجل لا يملك منه شيئا ، وأن الله سبحانه يصرفه كما يشاء ، وكان يدعو : " **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** "[3] . أن قلبه بيد الرحمن عز و جل لا يملك منه شيئا"[4].

---

(1) مسد أحمد، برقم (١٧٨٧٦)،قال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن.
(2) صحيح الترغيب والترهيب، برقم(١٨٢٣).
(3) صحيح الترمذي ، برقم(٢٧٩٢).
(4) طريق الهجرتين، لابن القيم ، صـ ٢٢

رابعا: اقتران اسم الله الغني بغيره من الاسماء

اسم الله الغني يأتي في القرآن الكريم مقترنا بغيره من الأسماء الحسنى، ومن هذه الأسماء التي يأتي مقترنا بها اسم الله الكريم، وقد اقترن به مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠]، وقد بين العلامة ابن القيم سر هذا الاقتران بين هذين الاسمين فقال رحمه الله:" الله سبحانه غني كريم، عزيز رحيم، فهو محسن إلى عبده مع غناه عنه، يريد به الخير، ويكشف عنه الضر، لا لجلب منفعة إليه من العبد، ولا لدفع مضرة، بل رحمة منه وإحسانا، فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة، ولا ليعتز بهم من ذلة، ولا ليرزقوه ولا لينفعوه، ولا ليدفعوا عنه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء: ١١١] فهو سبحانه لا يوالي من يواليه من الذل، كما يوالي المخلوق المخلوق، وإنما يوالي أولياءه إحسانا ورحمة ومحبة لهم، وأما العباد فإنهم كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمد: ٣٨]، فهم لفقرهم وحاجاتهم إنما يحسن بعضهم إلى بعض لحاجته إلى ذلك وانتفاعه به عاجلا أو آجلا، ولولا تصور ذلك النفع لما أحسن إليه، فهو في الحقيقة إنما أراد الإحسان إلى نفسه، وجعل إحسانه إلى غيره وسيلة وطريقا إلى وصول نفع ذلك الإحسان إليه، فإنه إما أن يحسن إليه لتوقع جزائه في العاجل، فهو محتاج

إلى ذلك الجزاء، أو معاوضة بإحسانه، أو لتوقع حمده وشكره، وهو أيضا إنما يحسن إليه ليحصل منه ما هو محتاج إليه من الثناء والمدح، فهو محسن إلى نفسه بإحسانه إلى الغير، وإما أن يريد الجزاء من الله تعالى في الآخرة، فهو أيضا محسن إلى نفسه بذلك، وإنما أخر جزاءه إلى يوم فقره وفاقته، فهو غير ملوم في هذا القصد، فإنه فقير محتاج، وفقره وحاجته أمر لازم له من لوازم ذاته، فكماله أن يحرص على ما ينفعه ولا يعجز عنه، وقال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [الإسراء: ٧]، وقال: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال تعالى، فيما رواه عنه رسول صلى الله عليه وسلم: "**يا عبادي إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني؛ يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**"[1] "[2].

كما اقترن اسم الله **الغني** باسمه "**الحليم**"، وهذا الاقتران جاء مرة واحدة كما في قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٣]، قال سيد قطب عند هذه الآية: ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾، غني عن الصدقة المؤذية، حليم يعطي عباده الرزق فلا يشكروه فلا يعجلهم بالعقاب، ولا يبادرهم بالإيذاء وهو معطيهم كل شيء، ومعطيهم وجودهم ذاته قبل أن يعطيهم أي شيء. فليتعلم عباده من حلمه سبحانه فلا يعجلوا بالأذى والغضب على من

---

(١) صحيح مسلم، برقم (٢٥٧٧).

(٢) إغاثة اللهفان، لابن القيم ١/ ٤١ .

يعطونهم جزءا مما أعطاهم الله لهم حين لا يروقهم منه أمر أو لا ينالهم منهم شكر "[1] .

كما اقترن اسم الله **الغني** باسمه الحميد، وقد جاء هذا الاقتران في القرآن الكريم عشر مرات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وعن سبب هذا الاقتران قال العلامة ابن القيم، قوله تعالى:﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ فغناه وحمده يأبى قبول الرديء، فإن قابل الرديء الخبيث: إما أن يقبله لحاجته إليه، وإما أن نفسه لا تأباه لعدم كمالها وشرفها، وأما الغني عنه، الشريف القدر الكامل الأوصاف: فإنه لا يقبله"[2]

وبقية المواضع في سورة الحج، الحديد، الممتحنة، التغابن وفاطر، وإبراهيم، ولقمان، والنساء.

كما ورد اسم الله **الغني** في السنة، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: شكى الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر! فأمر بمنبر، فوضع له في المصلى، فقعد على المنبر، وحمد الله عز وجل، ثم قال:" **لا إله إلا الله؛ يفعل ما يريد، اللهم! أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء، آنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين** "[3].

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٣٠٨/١.

(2) طريق الهجرتين، لابن القيم صـ ٦٦٦.

(3) صحيح أبي داود، برقم (١٠٦٤)، باختصار.

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الغني

لاسم الله "**الغني**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم الإيمان باسم الله **الغني** يقتضي الإيمان بغناه المطلق عن كل خلقه، فهو غني عن إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم : ٨]، وهو غني عن جهادهم، كما قال تعالى:﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦] وهو غني عن شكرهم، قال تعالى: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل : ٤٠].

ومن غناه أنه لا تنفعه طاعة الخلق ولا تضره معصيتهم، وهذا المعنى ما أشار الله إليه في الحديث القدسي الصحيح الذي قال الله فيه تعالى:" **يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد**

فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه "(١).

٢ـ الإيمان باسم الله **الغني** يستلزم منه افراد الله تعالى إفراد الله تعالى بالمحبة وبالعبادة؛ لأن الله إنما خلقهم لعبادته، وما خلقهم عبثا ولن يتركهم سدى، وجميع الخلق عباد له وهو غني عنهم وعن عبادتهم وطاعتهم، ولا يشفع أحد منهم عنده إلا بإذن, وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" **فالله** غناه من لوازم ذاته؛ وكل ما سواه فقير إليه بذاته؛ وكل من في السماوات والأرض عبيد له؛ مقهورون بقهره مصرفون بمشيئته، لو أهلكهم جميعا: لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١٧].

فالأمر كله لله وحده، فليس لأحد معه من الأمر شيء، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده: هم الرسل والملائكة المقربون – وهو عبيد محض -: ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٧]، ولا يتقدمون بين يديه

(١) صحيح مسلم، برقم(٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ، رضي الله عنه .

ولا يفعلون شيئا إلا بعد إذنه لهم وأمرهم؛ ولا سيما: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٥]، فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيدة بأمره وإذنه، فإذا أشرك بهم المشرك واتخذهم شفعاء من دونه – ظنا منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله –: فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه، فإن هذا محال ممتنع؛ شبيه قياس الرب تعالى على الملوك والكبراء، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج، وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام؛ واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي.

والفرق بينهما: هو الفرق بين المخلوق والخالق؛ والرب والمربوب؛ والسيد والعبد؛ والمالك والمملوك؛ والغني والفقير؛ والذي لا حاجة به إلى أحد قط، والمحتاج من كل وجه إلى غيره."(١).

٣ـ دعاء الله باسمه الغني، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، ومن ذلك، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **وقد أمركم الله عز وجل أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم**، ثم قال: **الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين، لا إله إلا الله يفعل ما يريد، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا إلى حين** " (٢).

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم ١/٣٤١ – ٣٤٢.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب رفع اليدين في الاستسقاء ١/٣٠٤، برقم (١١٧٣)، وهو في صحيح الجامع، برقم (٢٣١٠).

وعن علي رضي الله عنه أن مكاتبا جاءه فقال إني قد عجزت عن كتابتي فأعني قال ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه و سلم لو كان عليك مثل جبل صير دينا أداه الله عنك قال قل: " **اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك**"[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا أوى إلى فراشه: قال" **اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء، زاد وهب في حديثه، اقض عني الدين وأغنني من الفقر** " [2].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:" **اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، اللهم اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب**" [3] .

---

(1) سنن الترمذي، برقم (٢٨٢٢)، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وهو في صحيح الترغيب والترهيب.

(2) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما يقال عند النوم ٤/٣١٢ ، برقم (٥٠٥١)، هو في وصحيح الجامع، برقم (٤٤٢٤) .

(3) صحيح البخاري في الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر ٥/٢٣٤١ ، برقم(٦٠٠٧) .

٤ـ أن يحرص العبد على الأخذ بالأسباب المشروعة الجالبة للغنى؛ لأن ذلك خير له ولذريته، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال له: " **إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك** " (١).

وقد جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم جملة من الأسباب الجالبة للرزق، وسوف نتناول بعض هذه الأسباب بشكل مختصر:

١– **تقوى الله عز وجل** قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق : ٢ـ ٣]، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦] .

٢– **الاستغفار**: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢ ﴾ [نوح: ٩ – ١٢].

(١) صحيح البخاري في الدعوات، باب رثى النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة ١/٤٣٥ ، برقم(١٢٣٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا، ومن كل هم فرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب** "[1].

٣- **إرادة الزواج تعففا** : قال تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور : ٣٢]، وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **ثلاثة حق على الله عونهم، المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف**" "[2]، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: " أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى "[3].

٤- **التفرغ للعبادة:** عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: "**يا بن آدم تفرغ لعبادتي، أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا، ولم أسد فقرك** [4].

٥- **المتابعة بين الحج والعمرة** عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب**

---

[1] سنن أبي داود، برقم(١٥١٨) وضعه الألباني في السلسلة الضعيفة، برقم (٧٠٦)، لأن فيه مجهول.

[2] سنن الترمذي، برقم(١٦٥٥) قال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو في صحيح الترغيب والترهيب، برقم(١٣٠٨).

[3] تفسير ابن كثير (٢٧٣/٣) .

[4] مسند أحمد، برقم (٨٦٨١)، وقال شعيب الأرناؤوط: سناده محتمل للتحسين لأجل زائدة بن نشيط.

كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة "[١] .

٦- **صلة الرحم:** عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **من أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره ، فليصل رحمه** "[٢] .

٧- **الدعاء:** عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول :" **إذا بقي ثلث الليل ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا ، فيقول: من ذا الذي يدعوني استجيب له ؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له ؟ من ذا الذي يسترزقني أرزقه ؟ من ذا الذي يستكشف الضر أكشفه** "[٣].

٨- **الاستغناء بالله عن الخلق:** عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **... من يستعفف يعفه الله، ومن يستغني يغنه الله** "[٤].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس** "[٥] .

---

(١) سنن الترمذي، برقم(٨١٠)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وهو في صحيح الترغيب والترهي ، برقم(١١٠٥)

(٢) متفق عليه ، ومعنى " **ينسأ له في أثره** " أي: يؤخر له في أجله وعمره .

(٣) صحيح ابن حبان، برقم(٩١٥). قال الألباني: صحيح دون جملة الاسترزاق، ينظر: "ظلال الجنة، للألباني، برقم (٤٩٧) .

(٤) متفق عليه .

(٥) متفق عليه .

٣٦ـ الواسع جل جلال

الواسع من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذا الاسم في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

" السعة: نقيض الضيق، وشيء وسيع أي: واسع، والوسع والسعة: الجدة والطاقة، وأوسع الرجل إذا صار ذا سعة وغنى، والسعة تقال في الأمكنة، وفي الحال، وفي الفعل كالقدرة والجود ونحو ذلك.

والواسع في اللغة اسم فاعل للموصوف بالوسع، فعله وسع الشيء يسعه سعة فهو واسع، وأوسع الله عليك أي أغناك، ورجل موسع يعني مليء بالمال والثراء، ثم قد يستعمل في الغنى فيقال: فلان يعطي من سعة، أو هو وواسع الرحل يعني غنيا، قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق:٧] وتوسعوا في المجلس أي تفسحوا، والسعة الغنى والرفاهية، والسعة تكون في العلم والإحسان وبسط النعم، الواسع ومن أسماء الله الحسنى؛ لأنه الذي وسع رزقه جميع خلقه، ووسعت رحمته كل شيء، وغناه كل فقر [١].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٨/٣٩٢، وينظر: كتاب العين، للفراهيدي ٢/٢٠٣، والصحاح، للجوهري ٣/١٢٩٨، المفردات، للأصبهاني صـ ٥٢٣.

ثانيا: معناه الاصطلاحي

المعنى الاصطلاحي لاسم الله "**الواسع**" لا يخرج كثيرا عن معناه اللغوي، وقد جاءت تعريفات كثيرة لاسم الله الغني، منها ما قاله القرطبي: "**الواسع**" أى يوسع على عباده فى دينهم ولا يكلفهم ما ليس فى وسعهم[١].

وقال الحليمى:" **الواسع**" ومعناه الكثير مقدوراته ومعلوماته المنبسط فضله ورحمته، وهذا تنزيه له من النقص والعلة واعتراف له بأنه لا يعجزه شيء ولا يخفى عليه شيء ورحمته وسعت كل شيء[٢] .

وقال الخطابي رحمه الله: "**الواسع**": هو الغني الذي وسع غناه مفاقر عباده، ووسع رزقه جميع خلقه، والسعة في كلام العرب: الغنى. ويقال: الله يعطي عن سعة أي عن غنى" [٣].

وقال الغزالي: "**الواسع**" مشتق من السعة والسعة تضاف مرة إلى العلم إذا اتسع وأحاط بالمعلومات الكثيرة ، وتضاف أخرى إلى الإحسان وبسط النعم، وكيفما قدر وعلى أى شيء نزل فالواسع المطلق هو الله تعالى، لأنه إن نظر إلى علمه فلا ساحة لبحر معلوماته ، بل تنفد البحار لو كانت مدادا لكلماته، وإن نظر إلى إحسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته وكل سعة وإن عظمت فتنتهى إلى طرف والذى لا ينتهى إلى طرف هو أحق باسم السعة والله تعالى هو الواسع المطلق، لأن كل واسع بالإضافة (أى بالمقارنة) إلى ما هو أوسع منه ضيق ، وكل سعة

---

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي، صـ ١٣٢.

(٢) المنهاج، للحليمي ١/١٩٨

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٧٢.

تنتهي إلى طرف فالزيادة عليها متصورة، وما لا نهاية له ولا طرف فلا يتصور عليه زيادة[١] .

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

ذكر اسم الله الواسع في كتاب الله تعالى في تسعة مواضع، وقد ورد مفردا ومقرونا بغيره من الأسماء، وأكثر ما يقترن باسم الله العليم، كقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال الإمام ابن القيم:" ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقهما وهما: **(الواسع والعليم)** فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة، ولا يضيق عنها عطاؤه، فإن المضاعف واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق فإنه عليم بمن تصلح له المضاعفة، وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها. فإن كرمه وفضله تعالى لا يناقض حكمته، بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهله بحكمته وعلمه"[٢].

ومن الآيات القرآنية التي اقترن فيها اسم الله الواسع باسمه العليم قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ والله واسع بفضله فينعم به

---

(١)المقصد الأسنى، للغزالي صـ ٧٥ .

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم ١/٥٤٠.

على من أحب، ويريد به من يشاء، ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بمن هو أهل لملكه الذى يؤتيه وفضله الذى يعطيه ، فيعطيه ذلك لعلمه به وأنه لما أعطاه أهل إما للإصلاح به، وإما لأن ينتفع هو به[1]] .

وكقوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥]، قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أى جواد يسع لما يسأل، وذلك كقوله تعالى فى الحديث القدسي: " **يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر** [2] [3] "

ومن الآيات القرآنية التي اقترن فيها اسم الله الواسع باسمه العليم قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، قال سيد قطب عند هذه الآية:" الشيطان يخوفكم الفقر، فيثير في نفوسكم الحرص والشح والتكالب، والشيطان يأمركم بالفحشاء، والفحشاء كل معصية تفحش أي تتجاوز الحد، وإن كانت قد غلبت على نوع معين من المعاصي ولكنها شاملة، وخوف الفقر كان يدعو القوم في جاهليتهم لوأد البنات وهو فاحشة؛ والحرص على جمع الثروة كان يؤدي ببعضهم إلى أكل

---

(١) تفسير الطبري ١/٤٠٣.
(٢) مجاز القرآن، أبي عبيدة معمر بن المثنى ١/٥١ .
(٣) صحيح مسلم "عن أبى ذر" رضى الله عنه .

الربا وهو فاحشة . . على أن خوف الفقر بسبب الإنفاق في سبيل الله في ذاته فاحشة.

وحين يعدكم الشيطان الفقر ويأمركم بالفحشاء يعدكم الله المغفرة والعطاء:﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًاۗ ﴾، ويقدم المغفرة، ويؤخر الفضل؛ فالفضل زيادة فوق المغفرة، وهو يشمل كذلك عطاء الرزق في هذه الأرض، جزاء البذل في سبيل الله والإنفاق، ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾، يعطي عن سعة، ويعلم ما يوسوس في الصدور، وما يهجس في الضمير"(١)

ومن الآيات القرآنية التي اقترن فيها اسم الله الواسع باسمه العليم قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، قال الشيخ الشعراوي عند هذه الآية:" ويختم الحق الآية بقوله : ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ أي عنده لكل مقام مقال، ولكل موقع رجل، وهو سبحانه عليم بمن يصلح لهذه المهمة، ومن يصلح لتلك ، لا عن ضيق أو قلة رجال، ولكن عن سعة وعلم"(٢).

وقد يقترن اسم الله الغني باسم الله الحكيم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغۡنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٣٠]، قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" أخبر تعالى أن الزوجين إذا تفرقا فإن الله يغنيه عنها ويغنيها عنه، بأن يعوضه بها من هو خير له منها، ويعوضها عنه بمن

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ١/ ٢٩٢.
(٢) تفسير الشعراوي صـ ٦٦١.

هو خير لها منه: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴾ أي: واسع الفضل عظيم المن، حكيما في جميع أفعاله وأقداره وشرعه"[1].

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله الواسع

لاسم الله "**الواسع**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ تعظيم الله تعالى من خلال التعرف على سعة علم الله تعالى، فالله تعالى هو الذي وسع علمه جميع المعلومات، ووسعت قدرته جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه:٩٨]، كما أنه الله تعالى وسع سمعه جميع المسموعات، ووسع رزقه جميع المخلوقات، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله أنها قالت: " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات فأنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة:١])[2].

ومما يعين على تعظيم اله تعالى التفكر في مخلوقات الله الواسعة العظيمة، ومن ذلك التفكر في سعة خلق الله للسموات قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧]، ومن ذلك التفكر في سعة خلق لكرسي عرشة، قال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٣١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وكان الله سميعا بصيرا ٢٦٨٩/٦ ، برقم(٦٩٥١) .

[البقرة:٢٥٥]، والكرسي عند السلف موضع القدمين، فما بالك بعظمة عرشه، ثم ما بالك بعظمة من استوى عليه سبحانه وتعالى.

٢ـ إذا وسَّعَ الله على العبد في رزقه، فينبغي على العبد أن ينفق منه على خلق الله من الفقراء والمساكين، وأن يبتغي في كل ما ينفقه وجه الله تعالى، وأن لا ينفقه رياء وسمعة، وإلا تعرض لسخط الله وعذابه في الآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد... ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار** " [1].

كما ينبغي على العبد أن يظهر أثر توسيع الله عليه في طعامه وشرابه ولباسة، وهذا ليس من باب التكبر والخيلاء بل هو من باب شكر الله تعالى من العبد على ما وسع به عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: " **أن رجلا قام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الصلاة في الثوب الواحد فقال: أوكلكم يجد ثوبين؟ ثم سأل رجل عمر فقال: إذا وسع الله فأوسعوا جمع رجل عليه ثيابه صلى رجل في إزار ورداء في إزار وقميص في إزار وقباء في سراويل ورداء في سراويل**

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ٣/ ١٥١٣ ، برقم (١٩٠٥)

وقميص في سراويل وقباء في تبان وقباء في تبان وقميص قال وأحسبه قال في تبان ورداء" [1].

كما ينبغي على العبد أن يرضى العبد بما قسمه الله تعالى له في رزقه سواء وسع الله عليه أو قتر، فعن رجل من بني سليم مرفوعا: **" إن الله تبارك وتعالى يبتلي عبده بما أعطاه، فمن رضي بما قسم الله عز وجل له، بارك الله له فيه ووسعه، ومن لم يرض لم يبارك له فيه "** [2]

٣- ومن مقتضيات الإيمان باسم الله الواسع أن يطمع العبد بسعة مغفرة الله ورحمته، مهما كثرة ذنوبه وزادت خطاياه، فإن العبد إذ تاب إلى الله تعالى ورجع إليه، وسعته رحمة الله ومغفرته، قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ إِنَّ رَبَّكَ ﴾ يا محمد﴿ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ واسع عفوه للمذنبين الذين لم تبلغ ذنوبهم الفواحش وكبائر الإثم، وإنما أعلم جل ثناؤه بقوله هذا عباده أنه يغفر اللمم بما وصفنا من الذنوب لمن اجتنب كبائر الإثم والفواحش"[3].

وقد بين الله تعالى لنا سعة رحمته ومغفرته في قوله تعالى:﴿ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى:﴿ قُلۡ

([1]) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب الصلاة في القميص والسراويل ١/١٤٣ ، برقم (٣٥٨).
([2]) مسند أحمد ١٠/٢٥٧، والسلسلة الصحيحة، برقم(١٦٥٨)، وصحيح الجامع، برقم (١٨٦٩).
([3]) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٣٩.

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا قال: اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **لقد حجرت واسعا، يريد رحمة الله** " [١].

٤- ومن مقتضيات الإيمان باسم الله الواسع أن يحرص العبد على أن يكون واسع الأخلاق في معاملاته مع الخلق، بأن يتحمل جاهلهم، وبأن يصبر على سوء تصرفاتهم وأفعالهم، وله في رسول الله صلى الله عله ولم أسوة حسنة، فعن أبي سعيد رضي الله عنه:" أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال: "**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر**"[٢].

وقد أكد النبي صلى اله عليه وسلم على أن العبد لا يمكن أن يسع الناس إلا بحسن أخلاقه وتعامله، فقال صلى الله عليه وسلم:" **إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق**"[٣].

---

(١) صحيح البخاري، برقم (٦٠١٠) ومعنى "**حجرت**" : أي ضيقت، انظر فتح الباري، لابن حجر ٤٣٩/١٠

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ٥٣٤/٢، برقم (١٤٠٠).

(٣) رواه البزار، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٤٧٤/١٠.

وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم حياة الزهد في الدنيا وكره لنفسه ولأمته التوسع في شهوات الدنيا وملذاتها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه أنه قال: " قلت: يا رسول الله، ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال:" **أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت: استغفر لي يا رسول الله** "[1].

ومن هذا القبيل أن يأخذ العبد من العلوم والمعارف ما يجعله واسع الاطلاع والمعرفة؛ حتى يكون له حظا من اسم الله الواسع، وقد أشار الإمام الغزالي إلى ذلك بقوله:" سعة العبد في معارفه وأخلاقه، فإن كثرت علومه فهو واسع بقدر سعة علمه، وإن اتسعت أخلاقه حتى لم يضيقها خوف الفقر وغيظ الحسد وغلبة الحرص وسائر الصفات، فهو واسع وكل ذلك فهو إلى نهاية وإنما الواسع الحق هو الله تعالى"[2].

٥ـ ومن مقتضيات الإيمان باسم الله الواسع أن يدعو المسلم ربه سبحانه وتعالى باسمه الواسع، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، وقد حدثنا الله تعالى عن حملة العرش أنهم يقولون في دعائهم: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في الإبلاء واعتزال النساء ٢/١١١٢ ، برقم (١٤٧٩) .

(٢) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٥٩.

وعن عباد بن عباد عن أبي مجلز عن أبي موسى قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بوضوء فتوضأ وصلى وقال:" **اللهم أصلح لي ديني ووسع علي في ذاتي وبارك لي في رزقي**"[1].

وعوف بن مالك رضي الله عنه أنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول:" **اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد** .. **الحديث** "[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال:" **أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت: استغفر لي يا رسول الله** "[3].

---

(1) مسند أحمد، برقم(١٩٥٨٩)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن لغيره

(2) صحيح مسلم في الجنائز، باب الدعاء للميت ٢/٦٦٢، برقم(٩٦٣) .

(3) صحيح مسلم في الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء ٢/١١١٢، برقم (١٤٧٩) .

٣٧ـ الودود جل جلال

الودود من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عن هذا الاسم في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة: الودود في اللغة من صيغ المبالغة، الودود يجوز أن يكون فعولا بمعنى فاعل، ويجوز أن يكون فعولا بمعنى مفعول، والودود المحب، والودود: ذو المحبة لمن أناب وتاب إليه يوده ويحبه، المودة هي المحبة . قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم : ٢١]، وودِدت الرجل أوده ودا، إذا أحببته.

والود مصدر المودة، فعله ود الشيء ودا وودا وودا، الود هو الحب يكون في جميع مداخل الخير، وددت الشيء أوده، الود محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن معنى الود ؛ لأن التمني هو تشهي حصول ما توده [١] .

وقال الزجاجي:" الودود: فيه قولان **أحدهما**: أنه مفعول بمعنى فاعل كقولك: " غفور " بمعنى غافر، وشكور بمعنى شاكر، فيكون معنى الودود في صفات الله عز وجل على هذا المذهب من أهل اللغة أنه تبارك وتعالى يود عباده

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٤٧٩٣/٦، الصحاح، للجوهري ٥٤٩/٢، المفردات، للأصفهاني، صـ ٣٦٠، تفسير الأسماء الحسنى ، للزجاج، صـ ٥٢. تفسير الطبري ٦٤/١٢.

الصالحين ويحبهم . **الثاني:** أنه فعول ، فتقديره أنه عز وجل مودود ؛ أي يوده عباده ويحبونه[1] .

ثانيا: معناه الاصطلاحي

المعنى الاصطلاحي لاسم الله "**الودود**" لا يخرج كثيرا عن معناه اللغوي، وقد جاءت تعريفات كثيرة لاسم الله الودود، منها ما ذكره ابن القيم حيث قال:" الودود من صفات الله سبحانه وتعالى أصله من المودة واختلف فيه على قولين فقيل هو ودود بمعنى واد كضروب بمعنى ضارب وقتول بمعنى قاتل ونؤوم بمعنى نائم ويشهد لهذا القول أن فعولا في صفات الله سبحانه وتعالى فاعل كغفور بمعنى غافر وشكور بمعنى شاكر وصبور بمعنى صابر وقيل بل هو بمعنى مودود وهو الحبيب وبذلك فسره البخاري في صحيحه فقال الودود الحبيب والأول أظهر لاقترانه بالغفور في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج: ١٤] وبالرحيم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠]، وفيه سر لطيف وهو أنه يحب التوابين وأنه يحب عبده بعد المغفرة فيغفر له ويحبه كما قال﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فالتائب حبيب الله فالود أصفى الحب وألطفه"[2].

وقال في موطن آخر:" وأما الودود ففيه قولان: أحدهما أنه بمعنى فاعل وهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأولياءه وعباده المؤمنين، والثاني أنه بمعنى مودود

---

(1) اشتقاق اسماء اللّه، وللزجاجي، صـ ١٥٢.

(2) روضة المحبين، لابن القيم، صـ ٤٧.

وهو المحبوب الذي يستحق أن يحب الحب كله وأن يكون أحب إلى العبد من سمعه وبصره وجميع محبوباته) [1].

وقال الخطابي : وقد يكون معنى الودود: أن يوددهم إلى خلقه كقوله جل وعز: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] [2].

وقال الإمام الغزالي:" الودود: هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم وهو قريب من معنى الرحيم؛ لكن الرحمة إضافة إلى مرحوم والمرحوم هو المحتاج والمضطر وأفعال الرحيم تستدعي مرحوما ضعيفا، وأفعال الودود لا تستدعي ذلك بل الإنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود وكما أن معنى رحمته سبحانه وتعالى إرادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزه عن رقة الرحمة فكذلك وده إرادته الكرامة والنعمة وإحسانه وإنعامه وهو منزه عن ميل المودة والرحمة لكن المودة والرحمة لا تراد في حق المرحوم والمودود إلا لثمرتهما وفائدتهما لا للرقة والميل فالفائدة هي لباب الرحمة والمودة وروحهما وذلك هو المتصور في حق الله سبحانه وتعالى دون ما هو مقارن لهما وغير مشروط في الإفادة"[3].

---

(1) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لابن القيم صـ٣١٥.

(2) شأن الدعاء، للخطابي،صـ٦٧.

(3) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٦٢.

وقال الشيخ السعدي:" الودود: فهو الذي يحب أنبياءه ورسله وأتباعهم ويحبونه، فهو أحب إليهم من كل شيء قد امتلأت قلوبهم من محبته، ولهجت ألسنتهم بالثناء عليه، وانجذبت أفئدتهم إليهم ودا وإخلاصا وإنابة من جميع الوجوه"[١].

ثالثا: ورود في القرآن والسنة

اسم الله الودود ورد مرتين في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ [البروج: ١٢ - ١٤]، قال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية:" "**الودود**" أي المحب لأوليائه، وروى الضحاك عن ابن عباس قال: كما يود أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة.

وعن ابن عباس أيضا قال: "**الودود**" أي المتودد إلى أوليائه بالمغفرة، وقال مجاهد الواد لأوليائه، وقيل: الودود بمعنى المودود، كركوب، وحلوب، أي يوده عباده الصالحون ويحبونه.

وقال ابن زيد: الرحيم، وحكى المبرد عن إسمعيل بن إسحق القاضي أن الودود هو الذي لا ولد له، وأنشد قول الشاعر:

وأركب في الروع عريانة

ذلول الجناح لقاحا ودودا، أي لا ولد لها تحن إليه، ويكون معنى الآية: إنه يغفر لعباده وليس له ولد يغفر لهم من أجله، ليكون بالمغفرة متفضلا من غير جزاء، "[٢].

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٩٤٧.

(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٦.

وقال العلامة ابن القيم في تفسيره لهذه الآية:" ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ يغفر لمن تاب إليه ويوده ويحبه فهو سبحانه الموصوف بشدة البطش ومع ذلك هو الغفور الودود المتودد إلى عباده بنعمه الذي يود من تاب إليه وأقبل عليه وهو الودود أيضا أي المحبوب، قال البخاري في صحيحه الودود الحبيب.

والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين على كونه وادا لأوليائه ومودودا لهم فأحدهما بالوضع والآخر باللزوم فهو الحبيب المحب لأوليائه يحبهم ويحبونه وقال شعيب عليه السلام﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠].

وما ألطف اقتران اسم الودود بالرحيم وبالغفور فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب والرب تعالى يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحبه مع ذلك فإنه يحب التوابين وإذا تاب إليه عبده أحبه ولو كان منه ما كان"(١)

كما ورد اسم الله الودود في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠]، قال الشيخ الشعراوي في تفسيره لهذه الآية:" وهذه الآية الكريمة تبين مدى مودة الله سبحانه لخلقه؛ تلك المودة التي لا تستوعبها القلوب المشركة، ومعنى الآية: أي: ما دمتم ستستغفرون الله عن الذنوب الماضية؛ وتتوبون إليه؛ بألا تعودوا إلى ارتكابها مرة أخرى؛ فالحق سبحانه لا يرد من قصد بابه : ﴿ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ ؛ لأن مغفرته تستر العذاب، ورحمته تمنع العذاب .

---

(١) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، صـ ٩٣.

وجاء الحق سبحانه هنا بأوسع المعاني: المغفرة، والرحمة، ومعهما صفته "**الودود**"؛ وهي من الود؛ والود هو الحب؛ والحب يقتضي العطف على قدر حاجة المعطوف عليه .

ولله المثل الأعلى: نرى الأم ولها ولدان: أولهما قادر ثري يأتي لها بما تريد؛ وثانيهما ضعيف فقير؛ فنجد قلب الأم دائما مع هذا الضعيف الفقير؛ وتحنن قلب القوي القادر على الفقير الضعيف .

ونجد المرأة العربية القديمة تجيب على من سألها: أي أبنائك أحب إليك؟ فتقول : الصغير حتى يكبر؛ والغائب حتى يعود؛ والمريض حتى يشفى، فالحب يقتضي الود والعطف على قدر الحاجة "[١].

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله الودود

لاسم الله "**الودود**" آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، ومن هذه الآثار ما يلي:

١ـ الإيمان باسم الله الودود يقتضي، محبة الله تعالى؛ لأن الله تعالى يود خلقه ويحبهم؛ فكان من الواجب عليهم محبة الله تعالى؛ لانه خالقهم ورازقهم ومميتهم ومحيهم، قال العلامة ابن القيم:" فمن ظهر له اسم الودود مثلا وكشف له عن معاني هذا الاسم ولطفه وتعلقه بظاهر العبد وباطنه كان الحال الحاصل له من حضرة هذا الاسم مناسبا له فكان حال اشتغال حب وشوق ولذه مناجاة لا أحلى منها ولا أطيب بحسب استغراقه في شهود معنى هذا الاسم وخطه من أثره

([١]) تفسير الشعراوي صـ ٤٢٧٥.

فإن الودود وإن كان بمعنى المودود كما قال البخاري في صحيحه الودود الحبيب واستغرق العبد في مطالعة صفات الكمال التي تدعو العبد إلى حب الموصوف بها أثمر له صفاء علمه بها وصفاء حاله في تعبده بمقتضاها ما ذكره الشيخ من هذه الأمور الثلاثة وغيرها

وكذلك إن كان اسم فاعل بمعنى الواد وهو المحب أثمرت له مطالعة ذلك حالا تناسبه

فإنه إذا شاهد بقلبه غنيا كريما جوادا عزيزا قادرا كل أحد محتاج إليه بالذات وهو غني بالذات عن كل ما سواه وهو مع ذلك يود عباده ويحبهم ويتودد إليهم بإحسانه إليهم وتفضله عليهم كان له من هذا الشهود حالة صافية خالصة من الشوائب، وكذلك سائر الأسماء والصفات فصفاء الحال بحسب صفاء المعرفة بها وخلوصها من دم التعطيل وفرث التمثيل فتخرج المعرفة من بين ذلك فطرة خالصة سائغة للعارفين كما يخرج اللبن من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين "[١].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: "وليس ما يستحق أن يكون هو المحبوب لذاته، المراد لذاته، المطلوب لذاته، المعبود لذاته، إلا الله. كما أنه ليس ما هو بنفسه مبدع خالق إلا الله، فكما أنه لا رب غيره، فلا إله إلا هو، فليس في المخلوقات ما يستقل بإبداع شيء حتى يكون ربا له، ولكن ثم أسباب متعاونة ولها فاعل هو سببها.

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ٣/ ١٥٠.

وكذلك ليس في المخلوقات ما هو مستحق لأن يكون المستقل بأن يكون هو المعبود المقصود المراد بجميع الأعمال، بل إذا استحق أن يحب ويراد، فإنما يراد لغيره، وله ما شاركه في أن يحب معه، وكلاهما يجب أن يحب لله، لا يحب واحد منهما لذاته، إذ ليست ذاته هي التي يحصل بها كمال النفوس وصلاحها وانتفاعها، إذا كانت هي الغاية المطلوبة... ولهذا وجب التفريق بين الحب مع الله، والحب لله. الأول شرك والثاني إيمان.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فليس لأحد أن يحب شيئا مع الله وأما الحب لله فقال صلى الله عليه وسلم في الصحيح: "**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذا أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار**" [1] "[2]

٢ـ ومن مقتضيات الايمان باسم الله الودود دعاء الله تعالى باسمه الودود، الذي هو بمعنى المحب، وقد وردت جملة من الأدعية با لدعاء باسم الله الودود، فعن حديث معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون، أسألك حبك وحب من**

---

(١) صحيح البخاري، برقم (٢١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ٩/٣٧٤ ، باختصار.

يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إنها حق فادرسوها ثم تعلموها " [1].

وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من دعاء داود يقول " **اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد**"[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا:" **اللهم ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهود، الركع السجود الموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد**" [3].

ومن ذلك دعاء أبى معلق الأنصاري رضي الله عنه وكان قد تعرض للهلاك على يد سارق فنجاه الله – عز وجل –: " **يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعالا لما يريد، أسألك بعزتك التي لا ترام وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص** " [4].

٣ـ ومن مقتضيات الايمان باسم الله الودود أن يأخذ العبد حضه من اسم الله الودود بأن يكون ودودا في تعامله مع الخلق؛ وذلك بأن يحب إخوانه المسلمين، ويحب الخير لهم، ويكف شره عنهم، ويتعامل مع الخلق بالأخلاق الطيبة

---

(1) سنن الترمذي، برقم(٣٢٣٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، مشكاة المصابيح، برقم (٧٤٨).

(2) ضعيف الترمذي، برقم(٣٤٩٠)

(3) سنن الترمذي ،برقم(٣٤١٩)، وصحيح ابن خزيمة في، باب الدعاء بعد ركعتي الفجر، برقم (١١١٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم، (١١٩٤) .

(4) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر ٣٧٩/٧ (١٠٥٥١)

الحسنة التي تجعلهم يحبونه ويألفونه، **وقد** جاء في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن يألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف"[١].

قال الإمام الغزالي عن حض العبد من اسم الله الودود:" الودود من عباد الله من يريد لخلق الله كل ما يريده لنفسه وأعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم أريد أن أكون جسرا على النار يعبر علي الخلق ولا يتأذون بها وكمال ذلك أن لا يمنعه عن الإيثار والإحسان الغضب والحقد وما ناله من الأذى كما قال رسول الله حيث كسرت رباعيته وأدمي وجهه وضرب" **اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**"[٢] فلم يمنعه سوء صنيعهم عن إرادته الخير لهم وكما أمر عليا رضي الله عنه حيث قال إن أردت أن تسبق المقربين فصل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك"[٣].

٤. ومن مقتضيات الايمان باسم الله الودود أن يحرص البد على الأعمال الصالحة التي توجب له محبة الله تعالى، وقد ذكر العلامة ابن القيم هذه الأسباب بقوله:" الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة

---

(١) مسند أحمد ٥/٢٣٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٦٦٦١).

(٢) صحيح البخاري، برقم(٣٢١٨).

(٣) المقصد الأسنى ، للغزالي، صـ ١٦٣.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر

الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب

السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه ونعمه الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته

السابع: وهو من أعجبها انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيدا لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز و جل، فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب وملاك ذلك كله أمران ١ـ استعداد الروح لهذا الشأن ٢ وانفتاح عين البصيرة "(١).

وقد ذكر الله تعالى في كتابه جملة من الأعمال الصالحة، فالله تعالى يحب المتطهرين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والله تعالى يحب الصابرين، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والله تعالى يحب المقسطين، قال تعالى: ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩].

والله تعالى يحب المتقين، قال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ٧٦].

والله تعالى يحب المتوكلين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والله تعالى يحب المحسنين، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

والله تعالى يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٤].

(١) مدارج السالكين، لابن القيم٣/ ١٧.

ومن أسباب نيل محبة الله تعالى للعبد، المحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قال: "**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**"[١]

---

(١) صحيح البخاري، برقم(٦٠٢١).

٣٨ـ المجيب جل جلاله

المجيب من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عننهما في النقاط التالية:

أولا: معناه اللغوي

قال أهل اللغة:" المجيب في اللغة اسم فاعل، فعله أجاب يجيب جوابا وإجابة واستجابة، والإجابة صدى الكلام أو ترديده، أو المحاورة في الكلام ورد السؤال، قال الله تعالى:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، أي فليجيبوني، وعند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" **ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب**" (١).

والإجابة: رجع الكلام؛ تقول: أجابه عن سؤاله وقد أجابه إجابة وإجابا وجوابا وجابة، واستجوبه واستجابه واستجاب له.. والإجابة والاستجابة بمعنى.

والإجابة كذلك إجابة المحتاج بالعطية والنوال، وإعطاء الفقير عند السؤال، فللمجيب معنيان، إجابة السائل بالعلم وإجابة النائل بالمال

والمجيب من أسماء الله تعالى، وهو الذي يقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول سبحانه وتعالى (٢).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث الإفك ٤/١٥١٨ ، برقم(٣٩١٠) .

(٢) لسان العرب، لابن منظور ١/٧١٦، شرح أسماء الله الحسنى، للرازي صـ٢٨١، وتفسير أسماء الله، للزجاج صـ٥١ .

أولا: معناه الاصطلاحي

اسم الله **المجيب** وردت له عدة تعريفات اصطلاحية متقاربة، ومن ذلك ما قاله الامام الغزالي حيث قال:" **المجيب**" هو الذي يقال مسألة السائلين بالإسعاف ودعاء الداعين بالإجابة وضرورة المضطرين بالكفاية بل ينعم قبل النداء ويتفضل قبل الدعاء وليس ذلك إلا لله عز وعلا فإنه يعلم حاجة المحتاجين قبل سؤالهم وقد علمها في الأزل فدبر أسباب كفاية الحاجات بخلق الأطعمة والأقوات وتيسير الأسباب والآلات الموصلة إلى جميع المهمات"(١).

وقال البيهقي: "**المجيب**" معناه الذي ينيل سائله ما يريد ولا يقدر على ذلك غيره، قال الحليمي: وأكثر ما يدعى بهذا الاسم مع اسم الله القريب قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١] ، فيقال: القريب المجيب أو يقال: مجيب الدعاء ومجيب دعوة المضطرين"(٢).

وقال الخطابي: "هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه، فقال: ﴿ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويقال: أجاب واستجاب بمعنى واحد" (٣) .

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٥٧.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ١/ ١٢٥، والاعتقاد، للبيهقي صـ ٢١.

(٣) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٧٢.

وقال الزجاج:" **المجيب**" هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾"[1].

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

اسم الله المجيب ورد مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره: وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا، فقال لهم:﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة، فما لكم من إله غيره يستوجب عليكم العبادة ، ولا تجوز الألوهة إلا له ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ ، أي: هو ابتدأ خلقكم من الأرض، ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ ، يقول: وجعلكم عمارا فيها، فكان المعنى فيه: أسكنكم فيها أيام حياتكم.

وقوله: ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ﴾ أي: اعملوا عملا يكون سببا لستر الله عليكم ذنوبكم، وذلك الإيمان به، وإخلاص العبادة له دون ما سواه ، واتباع رسوله صالح ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ ، أي: ثم اتركوا من الأعمال ما يكره ربكم، إلى ما يرضاه ويحبه

---

[1] تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، صـ٣٢.

﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾، يقول: إن ربي قريب ممن أخلص له العبادة ورغب إليه في التوبة، مجيب له إذا دعاه"[1].

كما ورد اسم الله المجيب بصيغة الجمع، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ٧٥ – ٨٢]، قال الامام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" المراد: أن نوحا دعا ربه على قومه لما عصوه ، فأجاب الله دعاءه ، وأهلك قومه بالطوفان . فالنداء هنا هو: نداء الدعاء لله، والاستغاثة به، ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ المراد بأهله: أهل دينه ، وهم من آمن معه، وكانوا ثمانين ، والكرب العظيم هو: الغرق، وقيل: تكذيب قومه له، وما يصدر منهم إليه من أنواع الأذى ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ وحدهم دون غيرهم كما يشعر به ضمير الفصل، وذلك لأن الله أهلك الكفرة بدعائه ، ولم يبق منهم باقية.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ يعني: في الذين يأتون بعده إلى يوم القيامة من الأمم ، والمتروك هذا هو قوله ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ أي: تركنا هذا الكلام بعينه، والسلام هو: الثناء الحسن، أي: يثنون عليه ثناء حسنا، ويدعون له، ويترحمون عليه، والمراد بالعالمين الملائكة، والجن، والإنس، وهذا يدل على عدم

---

[1] تفسير الطبري ١٥/ ٣٦٨.

اختصاص ذلك بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ هذه الجملة تعليل لما قبلها من التكرمة لنوح بإجابة دعائه، وبقاء الثناء من الله عليه، وبقاء ذريته، أي: إنا كذلك نجزي من كان محسنا في أقواله، وأفعاله راسخا في الإحسان معروفا به، إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا بيان لكونه من المحسنين ، وتعليل له بأنه كان عبدا مؤمنا مخلصا لله في دعائه ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْأَخَرِينَ ﴾ أي: الكفرة الذين لم يؤمنوا بالله ، ولا صدقوا نوحا"[1].

وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه يستجيب دعاء من دعاه، فقد استجاب الله دعاء رسوله والمؤمنين يوم بدر فأمدهم بألف من الملائكة مردفين، قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٩ـ ١٠]، قال ابن عاشور في تفسيره:" الاستغاثة: طلب الغوث، وهو الدعاء على رفع الشدة والمشقة، وضمير ﴿ تَسْتَغِيثُونَ ﴾ مرادا به النبيء صلى الله عليه وسلم وعبر عنه بضمير الجماعة؛ لأنه كان يدعو لأجلهم، ولأنه كان معلنا بدعائه وهم يسمعونه، فهم بحال من يدعون.

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ وفعل استجاب يدل على قبول الطلب، وتحقيق المطلوب. فكانت استجابة الله لهم بإمدادهم بالملائكة، فكانت الاستغاثة يوم القتال في بدر

([1]) تفسير الشوكاني ٦/ ٢٠٣، باختصار.

وإرادة الله أن يحق الحق، وبين وقت الإرادة ووقت الاستغاثة مدة أيام، ولكن لما كانت الإرادة مستمرة إلى حين النصر يوم بدر صح تعليق ظرف الاستغاثة بفعلها؛ لأنه اقترن ببعضها في امتدادها.

﴿ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ **والإمداد** إعطاء المدد وهو الزيادة من الشيء النافع، ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ **والإرداف** الاتباع والإلحاق فيكون الوعد بألف وبغيرها على ما هو متعارف عندهم من إعداد نجدة للجيش عند الحاجة تكون لهم مددا، وذلك أن الله أمدهم بآلاف من الملائكة بلغوا خمسة آلاف كما بينت ذلك سورة آل عمران(1) ، وكانت عادتهم في الحرب إذا كان الجيش عظيما أن يبعثوا طائفة منه ثم يعقبوها بأخرى؛ لأن ذلك أرهب للعدو، ويوجه سيوفهم.

وحلول الملائكة في المسلمين كان بكيفية يعلمها الله تعالى: إما بتجسيم المجردات فيراهم من أكرمه الله برؤيتهم، وإما بإراءة الله الناس ما ليس من شأنه أن يرى عادة"(2) .

وقد جاء في السنة النبوية وصف دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، فعن عبد الله بن عباس حدثنا عمر بن الخطاب قال نظر نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا

---

(1) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٢٣ - ١٢٥].

(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٩/ ٢٧٥، باختصار وتصرف.

فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه:" **اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه من منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك إنه سينجز لك ما وعدك**، فأنزل الله تبارك وتعالى:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩] فأمدهم الله بالملائكة"[١].

وحينما مس أيوب عليه السلام الضر دعا ربه تبارك وتعالى أن يكشف ما نزل به من ضر، فاستجاب الله وكشف ما به من ضر، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[ص: ٤١ - ٤٤]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" "أي: واذكر عبدنا ورسولنا، أيوب مثنيا معظما له، رافعا لقدره حين ابتلاه، ببلاء شديد، فوجده صابرا راضيا عنه، وذلك أن الشيطان سلط على جسده، ابتلاء من الله، وامتحانا فنفخ في جسده، فتقرح قروحا عظيمة ومكث مدة طويلة، واشتد به البلاء، ومات أهله، وذهب ماله، فنادى ربه: رب ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾فتوسل إلى الله بالإخبار عن حال نفسه، وأنه بلغ الضر منه كل مبلغ، وبرحمة ربه الواسعة العامة فاستجاب

---

(١) سنن الترمذي، برقم(٣٠٨١)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وحسنه الألباني.

الله له، وقال له: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ فركض برجله فخرجت من ركضته عين ماء باردة فاغتسل منها وشرب، فأذهب الله عنه ما به من الأذى، ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ ﴾ أي: رددنا عليه أهله وماله.

﴿ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ بأن منحه الله العافية من الأهل والمال شيئا كثيرا، رَحْمَةً مِّنَّا به، حيث صبر ورضي، فأثابه الله ثوابا عاجلا قبل ثواب الآخرة.

﴿ وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أي: جعلناه عبرة لأولي الألباب، الذين ينتفعون بالعبر، فإذا رأوا ما أصابه من البلاء، ثم ما أثابه الله بعد زواله، ونظروا السبب، وجدوه الصبر، ولهذا أثنى الله عليه به في قوله: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ فجعلوه أسوة وقدوة عندما يصيبهم الضر "[1].

ويونس عليه السلام حينما القي به في البحر ولتقمه الحوت وعلم أنه لا أمل له بالنجاة، دعا ربه تبارك وتعالى وأن ينجيه مما نزل به من ضيق وكرب، فاستجاب الله دعاءه، قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٧) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨]، قال الشيخ المراغي في تفسيره:" أي: واذكر نبأ يونس عليه السلام حين بعثه الله إلى أهل نينوى (قرية بالموصل) فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته، فأبوا عليه وتمادوا فى كفرهم، فخرج من بين ظهرانيهم مغاضبا لهم، وأوعدهم بالعذاب بعد ثلاث.

---

(1) تفسير السعدي، صـ ٥٢٨.

ثم ذهب فركب مع قوم فى سفينة، فلما وصلوا اللجة تكفأت بهم وأشرفوا على الغرق، فاقترعوا على رجل منهم يلقونه فى البحر يتخففون منه، فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه، ثم أعادوها فوقعت القرعة عليه أيضا فأبوا، ثم أعادوها فوقعت عليه فقام يونس وتجرد من ثيابه وألقى بنفسه فى البحر، فأرسل الله إليه حوتا يشق البحر فالتقمه، ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ ﴾دعاءه الذي دعا به، وأظهر به التوبة على ألطف وجه وأحسنه وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ الذي ناله حين التقمه الحوت، فجعلناه يقدفه إلى الساحل بعد ساعات، قال الشعبي: التقمه ضحى، ولفظه عشية.

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا طالبين رحمتنا، وشرط كل من يلتجئ إلى الله أن يبدأ بالتوحيد، ثم بعده بالتسبيح والثناء، ثم بالاستغفار والاعتراف بالذنب"(١).

وزكريا عليه السلام لما تأخر إنجابه للأولاد توجه إلى الله ودعاه أن يرزقه ولدا، فاستجاب الله له دعاءه، قال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٩ ـ ٩٠]، قال الالوسي في تفسيره لهذه الآية:" أي:

(١) تفسير المراغي ١٧/ ٦٣، باختصار.

واذكر خبر زكريا عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي وحيدا بلا ولد يرثني، والمراد بقوله وَأَنتَ ﴿خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ وأنت خير حي يبقى بعد ميت، وفيه مدح له تعالى بالبقاء وإشارة إلى فناء من سواه من الأحياء،﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دعاءه ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ وقدم هبة يحيى مع توقفها على إصلاح الزوج للولادة؛ لأنها المطلوب الأعظم، والواو لا تقتضي ترتيبا، قال عون بن عبد الله أو أصلحناها له عليه السلام برد شبابها إليها وجعلها ولودا وكانت لا تلد كما روى عن ابن جبير وقتادة.

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ تعليل لما فصل من فنون إحسانه المتعلقة بالأنبياء المذكورين سابقا عليهم السلام ، فضمائر الجمع للأنبياء المتقدمين.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي راغبين في نعمنا وراهبين من نقمنا أو راغبين في قبول أعمالهم وراهبين من ردها، ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ أي مخبتين متضرعين أو دائمي الوجل ، وحال التعليل أنهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة "(1).

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله المجيب

لا سم الله " **المجيب** " آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المسلم، ومن هذه الآثار ما يلي: العبد على يقين بأن الله تعالى

---

(1) تفسير الألوسي ١٢/ ٤٥٧، باختصار.

١ـ الإيمان باسم الله المجيب يقتضي من العبد أن يؤمن بأن الله تعالى يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، وأنه لا يخيب رجاء من التجأ إليه أو اعتمد عليه، وأن الله إذا دعى فإنه سبحانه سوف يستجيب دعاءه لا محاله، وأن العبد له مع الدعاء ثلاثة أحوال بينها النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نكثر، قال: الله أكثر** " [١].

وقد تتأخر إجابة الله لدعاء العبد وذلك لحكم ذكرها ابن الجوزي، حيث قال:" رأيت من البلاء العجاب أن المؤمن يدعو فلا يجاب، فيكرر الدعاء وتطول المدة، ولا يرى أثرا للإجابة، فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر.

وما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرض يحتاج إلى طب.

ولقد عرض لي من هذا الجنس، فإنه نزلت بي نازلة، فدعوت وبالغت، فلم أر الإجابة، فأخذ إبليس يجول في حلبات كيده.، فتارة يقول: الكرم واسع والبخل معدوم، فما فائدة تأخير الجواب؟ فقلت له: اخسأ يا لعين، فما أحتاج إلى تقاضي، ولا أرضاك وكيلا.

ثم عدت إلى نفسي فقلت: إياك ومساكنة وسوسته، فإنه لو لم يكن في تأخير الإجابة إلا أن يبلوك في محاربة العدو لكفى في الحكمة.

---

(١) مسند أحمد، برقم (١١١٤٩)، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده جيد.

قالت: فسلني عن تأخير الإجابة في مثل هذه النازلة. فقلت: قد ثبت بالبرهان أن الله عز وجل مالك، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء، فلا وجه للاعتراض عليه.

والثاني: أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاط

عة، فربما رأيت الشيء مصلحة، والحق أن الحكمة لا تقتضيه، وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب، من أشياء تؤذي في الظاهر يقصد بها المصلحة، فلعل هذا من ذاك.

والثالث: أنه قد يكون التأخير مصلحة، والاستعجال مضرة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **لا يزال العبد في خير ما لم يستعجل، يقول دعوت فلم يستجب لي**"[1].

والرابع: أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك، فربما يكون في مأكولك شبهة، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة، أو تزاد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت في التوبة منه. فابحثي عن بعض هذه الأسباب لعلك توقنين بالمقصود.

والخامس: أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب، فربما كان في حصوله زيادة إثم، أو تأخير عن مرتبة خير، فكان المنع أصلح، وقد روي عن بعض السلف أنه كان يسأل الله الغزو، فهتف به هاتف: إنك إن غزوت أسرت، وإن أسرت تنصرت.

---

(1) صحيح مسلم، برقم (٢٧٣٥).

والسادس: أنه ربما كان فقد ما تفقدينه سببا للوقوف على الباب واللجأ، وحصوله سببا للاشتغال به عن المسؤول، وهذا الظاهر بدليل أنه لولا هذه النازلة ما رأيناك على باب اللجأ.

فالحق عز وجل علم من الخلق اشتغالهم بالبر عنه، فلذعهم في خلال النعم بعوارض تدفعهم إلى بابه، يستغيثون به، فهذا من النعم في طي البلاء"[١].

٢ـ ومن مقتضى الايمان باسم الله المجيب أن يكون العبد مستجيبا لأوامر الله الله تعالى وطاعته، وأن يستجيب لقضاء حاجات الناس فيقضيها بقدر استطاعته ووسعه، وقد أشار الأمام الغزالي إلى هذه المعاني بقوله:" ينبغي للعبد أن يكون مجيبا أولا لربه تعالى فيما أمره ونهاه وفيما ندبه إليه ودعاه، كما ينبغي للعبد أن يكون مجيبا لعباد الله تعالى فيما أنعم الله عز وجل عليه بالاقتدار عليه وفي إسعاف كل سائل بما يسأله إن قدر عليه وفي لطف الجواب إن عجز عنه قال الله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ [الضحى: ٩، ١٠] ، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **لو دعيت إلى كراع لأجبت ولو أهدي إلي كراع لقبلت**"[٢].

وكان حضوره الدعوات وقبوله الهدايا غاية الإكرام والإيجاب منه، فكم من خسيس متكبر يترفع عن قبول كل هدية ولا يتبذل في حضور كل دعوة بل

(١) صيد الخاطر، لابن الجوزي، صـ ٦٩.
(٢) صحيح البخاري، برقم(٤٧٨٠).

يصون جاهه وكبره ولا يبالي بقلب السائل المستدعي وإن تأذى بسببه، فلا حظ لمثله في معنى اسم الله المجيب"[١].

فعلى المسلم أن يكون متواضعا هينا لينا قريبا من الناس مجيبا لدعوتهم، وقدوته في ذلك رسوله الله صلى الله عليه وسلم، وليعلم أن في هذه الاجابة اعطاء للمسلم حقا من حقوقه، فعن ابن عباس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير "[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **للمؤمن على المؤمن ست خصال** .. وذكر منها .. **ويجيبه إذا دعاه**" [٣] .

٣- ومن مقتضى الايمان باسم الله المجيب دعاء الله بهذا الاسم، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنه يجيب دعاء المضطرين من عباده، ويكشف ما نزل بهم من ضر وبلاء، قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢] .

كما ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنه استجاب دعاء نبيه موسى عليه السلام حينما دعا على فرعون وملئه، قال تعالى:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس:٨٩].

([١]) المقصد الأسنى، للغزالي صـ ١٥٧.

([٢]) المعجم الكبير، للطبراني ٦٧/١٢ ، برقم(١٢٤٩٤)، صحيح الجامع ، برقم(٤٩١٥) .

([٣]) سنن الترمذي في كتاب الأدب، باب في حق المسلم على المسلم ٣٥٧/٢ ، برقم(٢٦٣٣) .

كما ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أنه استجاب دعاء عباده المؤمنين، فأخبر تبارك وتعالى عنهم أنهم دعوا الله قائلين: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٣ـ١٩٤].

ومن المواطن التي يستجيب الله فيها الدعاء جوف الليل والثلث الأخير منه، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال، اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته** " (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له** " (٢) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أمته أن الله يستجيب الدعاء، فكان يخرج مع أصحابه لصلاة الاستسقاء فيدعون ربهم فيستجيب الله لهم، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: شكى الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى ٣٨٧/١ ، برقم(١١٠٣) .

(٢) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ٣٨٤/١، برقم(١٠٩٤) .

قالت عائشة: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر صلى الله عليه وسلم وحمد الله عز وجل ثم قال: **إنكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم وقد أمركم الله – عز وجل – أن تدعوه ووعدكم أن يستجيب لكم** "(١).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قام يدعو عام الرمادة فقال:" **اللهم اجعل رزقهم على رؤوس الجبال؛ فاستجاب الله له وللمسلمين، فقال حين نزل به الغيث: الحمد لله، فوالله لو أن الله لم يفرجها ما تركت أهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت معهم أعدادهم من الفقراء، فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم واحدا**" (٢) .

وقد كان بعض الصحابة من مستجابي الدعاء، ومنهم سعد ابن وقاص، وقد قيل له متى أصبت الدعوة قال: يوم بدر كنت أرمي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأضع السهم في كبد القوس أقول: اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم، وافعل بهم وافعل؛ فيقول النبي صلى الله عليه وسلم :" **اللهم استجب لسعد** " (٣) .

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء١/٣٠٤ ، برقم(١١٧٣)، وهو في صحيح الجامع ، برقم(٢٣١٠) .

(٢) صحيح الأدب المفرد، للبخاري، برقم (٥٦٢).

(٣) الطبراني في المعجم الكبير ١/١٤٣، وهو في صحيح الترمذي، برقم(٢٩٥٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" **ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه** " (١).

وينبغي للمسلم أن يدعو ربه وأن يوقن بأنه مستجيب لدعائه، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض؛ فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة؛ فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل**" (٢) .

وعن زيد بن الأرقم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والبخل والجبن والهرم، وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها** " (٣).

---

(١) سنن الترمذي في الدعوات ٥/٥١٧ ، برقم(٣٤٧٩)، وهو في السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم (٥٩٤)

(٢) مسند أحمد ٢/١٧٧ ، برقم(٦٦٥٥)، صحيح الترغيب والترهيب، للألباني ، برقم (١٦٥٢) .

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ٤/٢٠٨٨ ، برقم(٢٧٢٢) .

٣٩ ـ الفتاح جل جلاله

الفتاح من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" الفتاح في اللغة من صيغ المبالغة على وزن فعال من اسم الفاعل الفاتح، فعله فتح يفتح فتحا.

والفتاح في اللغة أيضا هو الحاكم يقال للقاضي الذي يحكم بين الناس فتاح لأنه يفتح مواضع الحق

الفتح: أن تحكم بين قوم يختصمون إليك كما قال سبحانه مخبرا عن شعيب: ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٩]، أي: اقض بيننا.

" الفتح إزالة الإغلاق والإشكال وذلك ضربان:

أحدهما: يدرك بالبصر كفتح الباب ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف:٤٠]، والمعنى أن أبواب السماء تغلق أمام أرواحهم، فلا تصعد أرواحهم ولا أعمالهم بعكس المؤمنين.

والثاني: يدرك بالبصيرة كفتح الهم وهو إزالة الغم، وذلك على ضروب، أحدها: في الأمور الدنيوية كغم يفرج، وفقر يزال بإعطاء المال ونحوه، كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ } [الأعراف: ٩٦].

والثاني: فتح المستغلق من العلوم، نحو قولك: فلان فتح من العلم بابا مغلقا وفتح القضية فتاحا فصل الأمر فيها، وإزالة الإغلاق عنها.

والمفتاح كل ما يتوصل به إلى استخراج المغلقات التي يتعذر الوصول إليها، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **أعطيت مفاتيح الكلم ونصرت بالرعب، وبينما أنا نائم البارحة إذ أتيت بمفاتيح خزائن الأرض حتى وضعت في يدي** "[١]، فأخبر – صلى الله عليه وسلم – أنه أوتي مفاتيح الكلم، وهو ما يسر الله له من البلاغة والفصاحة والوصول إلى غوامض المعاني وبدائع الحكم ومحاسن العبارات والألفاظ التي أغلقت على غيره، ومن كان في يده مفاتيح شيء سهل عليه الوصول إليه [٢]

ثانيا: معناه الاصطلاحي

اسم الله **الفتاح** وردت له عدة تعريفات اصطلاحية، ومنها ما ذكره الإمام الغزالي، حيث قال:" **الفتاح:** هو الذي ينفتح بعنايته كل منغلق وبهدايته ينكشف كل مشكل، فتارة يفتح الممالك لأنبيائه ويخرجها من أيدي أعدائه قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وتارة يرفع الحجاب عن قلوب أوليائه ويفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه وجمال كبريائه قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ

(١) صحيح البخاري في التعبير، باب رؤيا الليل ٦/٢٥٦٨ ، برقم(٦٥٩٧) .

(٢) لسان العرب، لابن منظور ٢/٥٣٦، وكتاب العين، للفراهيدي، ٣/١٩٤، والمفردات ، للراغب الأصفهاني، صـ٣٧٠.، واشتقاق أسماء الله، للزجاجي صـ ١٨٩.

لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ [فاطر: ٢]، ومن بيده مفاتح الغيب ومفاتيح الرزق فبالحري أن يكون فتاحا"[١].

وقال الخطابي " **الفتاح** هو الحاكم بين عباده.. وقد يكون معناه، الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم وأسبابهم، ويفتح قلوبهم وعيون بصائرهم، ليبصروا الحق، ويكون الفاتح أيضا بمعنى الناصر "[٢]

.

وقال الحليمي: وهو الحاكم أي يفتح ما انغلق بين عباده ويميز الحق من الباطل ويعلي المحق ويخزي المبطل، وقد يكون ذلك منه في الدنيا والآخرة"[٣].

وقال الإمام ابن القيم في نونيته:

وكذلك الفتاح من أسمائه والفتح في أوصافه أمران

فتح بحكم وهو شرع الرضا والفتح بالأقدار فتح ثان

والرب فتاح بذين كليهما عدلا وإحسانا من الرحمن"[٤]

وقال الشيخ السعدي:" **الفتاح** هو الحكم المحسن الجواد، وفتحه تعالى قسمان: أحدهما فتحه بحكمه الديني وحكمه الجزائي، والثاني: الفتاح بحكمه القدري، ففتحه بحكمه الديني هو شرعه على ألسنة رسله جميع ما يحتاجه المكلفون، ويستقيمون به على الصراط المستقيم.

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٨٦.

(٢) شأن الدعاء للخطابي، صـ ٥٦.

(٣) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ١١٥.

(٤) نونية ابن القيم، الأبيات ٣٣٢٩ – ٣٣٣١.

وأما فتحه بجزائه فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم، وبين أوليائه وأعدائه بإكرام الأنبياء وأتباعهم ونجاتهم، وبإهانة أعدائهم وعقوباتهم، وكذلك فتحه يوم القيامة وحكمه بين الخلائق حين يوفي كل عامل ما عمله.

أما فتحه القدري فهو ما يقدره على عباده من خير وشر ونفع وضر وعطاء ومنع، قال تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢].

فالرب تعالى هو الفتاح العليم الذي يفتح لعباده الطائعين خزائن جوده وكرمه، ويفتح على أعدائه ضد ذلك، وذلك بفضله وعدله"[١] .

ثالثا: وروده في القرآن

اسم الله الفتاح ورد في القرآن الكريم مرة واحدة فقط وذلك بصيغة مفردة وذلك في قوله تعالى:" ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٦]،

كما ورد اسم الله الفتاح مرة واحدة بصيغة التفضيل، وذلك أثناء حوار نبي الله شعيب مع الملأ الذين استكبروا من قومه، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٨ – ٨٩]، قال سيد قطب

---

[١] الحق الواضح المبين، للسعدي، صـ ٨٤.

في ظلاله عند هاتين الآيتين:" إن هذا القصص يصور طبيعة الإيمان وطبيعة الكفر في نفوس البشر؛ ويعرض نموذجا مكررا للقلوب المستعدة للإيمان، ونموذجا مكررا للقلوب المستعدة للكفر أيضا، إن الذين آمنوا بكل رسول لم يكن في قلوبهم الاستكبار عن الاستسلام لله والطاعة لرسوله؛ ولم يعجبوا أن يختار الله واحدا منهم ليبلغهم وينذرهم.

فأما الذين كفروا بكل رسول فقد كانوا هم الذين أخذتهم العزة بالإثم، فاستبكروا أن ينزلوا عن السلطان المغتصب في أيديهم لله صاحب الخلق والأمر، وأن يسمعوا لواحد منهم، كانوا هم « الملأ » من الحكام والكبار والوجهاء وذوي السلطان في قومهم، ومن هنا نعرف عقدة هذا الدين، إنها عقدة الحاكمية والسلطان، فالملأ كانوا يحسون دائما ما في قول رسولهم لهم: ﴿ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُـدُواْ ٱللَّهَ مَا لَـكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[الأعراف: ٨٥]، كانوا يحسون أن الألوهية الواحدة والربوبية الشاملة تعني – أول ما تعني – نزع السلطان المغتصب من أيديهم؛ ورده إلى صاحبه الشرعي، إلى الله رب العالمين.

وهذا ما كانوا يقاومون في سبيله حتى يكونوا من الهالكين! وقد بلغ من عقدة السلطان في نفوسهم ألا ينتفع اللاحق منهم بالغابر، وأن يسلك طريقه إلى الهلاك، كما يسلك طريقه إلى جهنم كذلك، إن مصارع المكذبين – كما يعرضها هذا القصص – تجري على سنة لا تتبدل: نسيان لآيات الله وانحراف عن طريقه، إنذار من الله للغافلين على يد رسول، استكبار عن العبودية لله وحده والخضوع لرب العالمين، اغترار بالرخاء واستهزاء بالإنذار واستعجال للعذاب،

طغيان وتهديد وإيذاء للمؤمنين . ثبات من المؤمنين ومفاصلة على العقيدة . . ثم المصرع الذي يأتي وفق سنة الله على مدار التاريخ.

وأخيرا فإن طاغوت الباطل لا يطيق مجرد وجود الحق، وحتى حين يريد الحق أن يعيش في عزلة عن الباطل – تاركا مصيرهما لفتح الله وقضائه – فإن الباطل لا يقبل منه هذا الموقف . بل يتابع الحق وينازله ويطارده، ولقد قال شعيب لقومه : ﴿ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأعراف: ٨٧]، ولكنهم لم يقبلوا منه هذه الخطة ، ولم يطيقوا رؤية الحق يعيش؛ ولا رؤية جماعة تدين لله وحده وتخرج من سلطان الطواغيت : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ ﴾ وهنا صدع شعيب بالحق رافضا هذا الذي يعرضه عليهم الطواغيت : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ ﴾ ذلك ليعلم أصحاب الدعوة إلى الله أن المعركة مع الطواغيت مفروضة عليهم فرضا ،وأنه لا يجديهم فتيلا أن يتقوها ويتجنبوها، فالطواغيت لن تتركهم إلا أن يتركوا دينهم كلية، ويعودوا إلى ملة الطواغيت بعد إذ نجاهم الله منها . وقد نجاهم الله منها بمجرد أن خلعت قلوبهم عنها العبودية للطواغيت ودانت بالعبودية لله وحده، فلا مفر من خوض المعركة، والصبر عليها، وانتظار فتح الله بعد المفاصلة فيها؛ وأن

يقولوا مع شعيب ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ ثم تجري سنة الله بما جرت به كل مرة على مدار التاريخ"[1].

رابعاً. الأثار الإيمانية لاسم الله الفتاح

لاسم الله الفتاح آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وهذه الآثار سوف نتناولها على النحو الآتي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله الفتاح محبته سبحانه وتعالى؛ لانه الذي بيده مفاتيح كل شيء، فهو الذي بيده مفاتيح الخيرات والبركات، متى ما استقاموا على شرعه ودينه، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف:٩٦].

وإذا فتح الله على الناس أبواب رحمته فلا يستطيع أحد من الخلق أن يغلق عليهم تلك الأبواب، وقال تعالى:" ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[فاطر: ٢] ، قال سيد قطب عند هذه الآية: "وما من نعمة – يمسك الله معها رحمته – حتى تنقلب هي بذاتها نقمة، وما من محنة – تحفها رحمة الله – حتى تكون هي بذاتها نعمة... ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله – فإذا هو مهاد، وينام على حرير – وقد أمسكت عنه – فإذا هو شوك القتاد، ويعالج أعسر الأمور – برحمة الله – فإذا

([1]) في ظلال القرآن، لسيد قطب٣/ ٢٣٧.

هي هوادة ويسر، ويعالج أيسر الأمور – وقد تخلت رحمة الله – فإذا هي مشقة وعسر.

ويخوض بها المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام، ويعبر بدونها المناهج والمسالك فإذا هي مهلكة وبوار ولا ضيق مع رحمة الله، إنما الضيق في إمساكه دون سواه، لا ضيق ولو كان صاحبها في غياهب السجن، أو في شعاب الهلاك، ولا وسعة مع إمساكها ولو تقلب الإنسان في أعطاف النعيم، وفي مراتع الرخاء، فمن داخل النفس برحمة الله تتفجر ينابيع السعادة والرضا والطمأنينة، ومن داخل النفس مع إمساكها تدب عقارب القلب والتعب والنصب والكدر والمعاناة... "[١].

ونحبه الله الفتاح؛ لأنه يفتح لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة باب الشفاعة للخلق، ويفتح عليه بدعوات ما دعى بها من قبل، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربى – عز وجل – ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي** " [٢].

ونحب الله الفتاح؛ لأنه بيده مفاتيح الشرور والبلايا، فلا يقع شيء من ذلك إلا بإذن الفتاح سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب ٥/٢٩٢٢.

(٢) صحيح البخاري في التفسير، باب ذرية من حملنا مع نوح ٤/ ١٧٤٦ ، برقم (٤٤٣٥) .

أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:٤٤] (١).

وهذه المحبة ينبغي أن تثمر عند العبد الخوف من الله تعالى، فلا يظلم أحد من خلق الله تعالى ولا يأخذ حقوقهم؛ لأن الفتاح سبحانه وتعالى سوف يقتص من الظالم للمظلوم؛ لهذا سمى الله تعالى يوم القيامة بيوم الفتح كما قال تعالى﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [السجدة: ٢٩].

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الفتاح أن يأخذ المؤمن حظه من اسم الله الفتاح؛ وذلك بأن يكون مفتاحا للخير مغلاقا للشر، فعن سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **إن هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير** " (٢)، قال الإمام الغزالي:" ينبغي للعبد أن يتعطش إلى أن يصير بحيث ينفتح بلسانه مغاليق المشكلات الإلهية وأن يتيسر بمعرفته ما يتعسر على الخلق من الأمور الدينية والدنيوية ليكون له حظ من اسم الفتاح"(٣).

وينبغي للعبد المؤمن باسم الله الفتاح أن يحذر مما يفتح عليه من زهرة الحياة الدنيا والذي قد يشغله عن الله والدار الآخرة وهذا النوع من الفتح خافه رسول الله

---

(١) فتح القدير، للشوكاني، ٤/ ٣٢٦، وتفسير الطبري ٢٢/ ١١٤، وتفسير الثعالبي ٣/ ٢٥٢.

(٢) سنن ابن ماجه في المقدمة، باب من كان مفتاحا للخير ١/٨٧ (٢٣٨)، وصحيح الترغيب والترهيب، برقم (٦٦)

(٣) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ٨٦.

صلى الله عليه على أمته، فعن أبي سعيد – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قام على المنبر فقال:" **إنما أخشى عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من بركات الأرض**" (١).

وفي رواية أخرى قال:" **إني مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها** " (٢).

٤ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الفتاح أن يثق المؤمنون بنصر الله ؛ لأن الله وحده بيد مفاتيح النصر والتأييد لعباده المؤمنين، قال تعالى:" ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٤١].

وعن سهل بن سعد – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال يوم خيبر: " **لأعطين الراية رجلا يفتح الله على يديه** " (٣).

وقد توجه رسل الله – عليهم الصلاة والسلام – إلى ربهم الفتاح سبحانه وتعالى ودعوه أن يفتح بينهم وبين أقوامهم المكذبين لهم ولرسالات ربهم، قال نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى

---

(١) صحيح البخاري في الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله ٣/١٠٤٥ ، برقم(٢٦٨٧) .
(٢) صحيح البخاري في الزكاة، باب الصدقة على اليتامى ٢/٥٣٢ ، برقم(١٣٩٦) .
(٣) صحيح البخاري في الجهاد، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة ٣/١٠٧٧ ، برقم(٢٧٨٣) .

ﵟذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٢ﵞ [الشعراء: ١١٧ - ١٢٢]، ودعا شعيب عليه الصلاة والسلام ربه قائلاً: ﵟرَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَﵞ [الأعراف: ٨٩]. وقال:

وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء أنبيائه ورسله، ففتح بينهم وبين أقوامهم بالحق، فنجى الله رسله وأتباعهم وأهلك أعدائهم من المعاندين المكذبين، فبطل كيدهم فخاب سعيهم وبطل استفتاحهم، وهذا من الحكم بين المؤمنين وبين أعدائهم في الحياة الدنيا.، قال تعالى: ﵟوَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖﵞ [إبراهيم: ١٥].

فلا يجوز بحال من الأحوال أن يتطرق اليأس والقنوط إلى نفوس المؤمنين من فتح سبحانه وتعالى ونصره لعباده المؤمنين، وإذا أبطأ نصر الله وفتحه لعباده المؤمنين، فإن لله سبحانه وتعالى له الحكمة من تأخير الفتح والنصر.

ومن طرق إهلاك الله تعالى لأعدائه أن يفتح عليهم أبواب كل شيء؛ حتى إذا فرحوا بذلك أهلكهم الله تعالى، كما قال تعالى: ﵟفَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَﵞ [الأنعام:٤٤] (١).

---

(١) فتح القدير، للشوكاني، ٤/ ٣٢٦، وتفسير الطبري ٢٢/ ١١٤، وتفسير الثعالبي ٣/ ٢٥٢.

وعلى أهل الإيمان أن يأخذوا بأسباب نصر الله وتأييده لهم، فإذا توفرت أسباب النصر وانتفت موانعه جاء نصر الله وفتحه، ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الروم: ٤ – ٥].

٤- ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الفتاح أن يدعو المؤمن ربه باسمه الفتاح، وقد جاء في ذلك جملة من الأدعية النبوية، فعن أبي حميد – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك** " [1]

وعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء** " [2].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ما قال عبد: لا إله إلا الله قط مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر** " [3] .

---

(1) صحيح مسلم في صلاة المسافرين، باب ما يقول إذا دخل المسجد ١/٤٩٤ ، برقم(٧١٣) .
(2) صحيح مسلم في الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء ١/٢٠٩ ، برقم(٢٣٤) .
(3) سنن الترمذي، في الدعوات، باب دعاء أم سلمة ٥/٥٧٥ ، برقم(٣٥٩٠)، وصحيح الجامع، برقم (٥٦٤٨) .

وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال: " إنا ليلة الجمعة في المسجد إذ جاء رجل من الأنصار فقال: لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فتكلم جلدتموه أو قتل قتلتموه، وإن سكت سكت على غيظ، والله لأسألن عنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فلما كان من الغد أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فسأله فقال: لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فتكلم جلدتموه أو قتل قتلتموه أو سكت سكت على غيظ، فقال: "**اللهم افتح**"، وجعل يدعو فنزلت آية اللعان: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [النور: ٦ – ١٠]؛ فابتلى به ذلك الرجل من بين الناس، فجاء هو وامرأته إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتلاعنا؛ فشهد الرجل أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ثم لعن الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فذهبت لتلعن فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : **مه**، فأبت، فلعنت، فلما أدبرا قال:" **لعلها أن تجيء به أسود جعدا، فجاءت به أسود جعدا**" [١].

(١) صحيح مسلم، في كتاب اللعان ٢/١١٣٣ ، برقم(١٤٩٥) .

٤٠ ـ المبين جل جلاله

المبين من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" **المبين** اسم فاعل من الفعل بان أو أبان، فهو مبين إذا أظهر وبان إما قولا أو فعلا، وبان الشيء إذا اتضح وظهر، وأبنته أي أوضحته، وأصل البين التميز والظهور، يقال: بان الحق إذا تميز وظهر، والبين أيضا البعد والانفصال، يقال وتباين الرجلان أي بان كل واحد منهما عن صاحبه وانفصل، وبانت المرأة عن زوجها يعني انفصلت عنه بتطليقة.

والبائن بمعنى الظاهر الواضح، كما في قوله تعالى:﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف:١٠٧]، وقوله – عز وجل –: ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان:١٠] .

والتبيين: الإيضاح والوضوح، والبيان الفصاحة، يقال: فلان أبين من فلان أي أفصح منه وأوضح كلاما، فعن ابن عمر – رضي الله عنه – أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " إن من البيان لسحرا، أو إن بعض البيان لسحر" [١]، فالبيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ وأصله الكشف والظهور [٢].

---

(١) صحيح البخاري، في كتاب الطب، باب إن من البيان سحرا ٢١٧٦/٥، برقم(٥٤٣٤) .

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ٦٨/١٣، وكتاب العين، للفراهيدي، ٣٨١/٨، والصحاح في اللغة، للجوهري ٢٠٨٢/٥، المغرب، للمطرزي ٩٨/١، اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ١٨٠.

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله المبين وردت له عدت تعريفا اصطلاحية متقاربة، ومن هذه التعريفات ما ذكره الإمام الزجاجي، حيث قال:" الله تبارك وتعالى المبين: المبيِّن لعباده سبيلَ الرشاد، والموضِّح لهم الأعمال الموجبة لثوابه والأعمال الموجبة لعقابه، والمبين لهم ما يأتونه ويَذَرُونه"[1] .

قال الحليمي: **المبين:** هو الذي لا يخفى ولا ينكتم، والباري جل ثناؤه ليس بخاف ولا منكتم؛ لأن له من الأفعال الدالة عليه ما يستحيل معها أن يخفى فلا يوقف عليه ولا يدرى"[2].

وقال البيهقي :" المبين له معان منها أنه بين لذوي العقول، ومنها أن الفضل يقع به، ومنها أن التحقيق والتمييز إليه، ومنها أن الهداية به " [3] .

وقال الخطابي: " **المبينُ:** هو البَيِّنُ أَمْرُهُ في الوحدانية، وأنه لا شريك له"[4].

ثالثاً: وروده في القرآن

لم يرد اسم الله المبين في القرآن الكريم إلا في آية واحدة، وقد ورد هذا الاسم في أعقاب اتهام المنافقين لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بحادثة الإفك، فأظهر الله براءتها وأبان للناس طهارتها وعفتها، قال تعالى:"

---

(1) اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، صـ ١٨٠.

(2) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٢٥.

(3) شعب الإيمان، للبيهقي ١/ ١١٩، المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، صـ ١٥٧، واشتقاق أسماء الله للزجاجي، صـ١٨٠.

(4) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ١٠٢.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾[النور: ٢٣ – ٢٦]، قال الشيخ السعدي في تفسيره قوله تعالى:"﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ أي: العفائف عن الفجور ﴿ٱلۡغَٰفِلَٰتِ﴾ التي لم يخطر ذلك بقلوبهن ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ واللعنة لا تكون إلا على ذنب كبير.

وأكد اللعنة بأنها متواصلة عليهم في الدارين ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ وهذا زيادة على اللعنة، أبعدهم عن رحمته، وأحل بهم شدة نقمته.

وذلك العذاب يوم القيامة ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ فكل جارحة تشهد عليهم بما عملته، ينطقها الذي أنطق كل شيء، فلا يمكنه الإنكار، ولقد عدل في العباد، من جعل شهودهم من أنفسهم، ﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي: جزاءهم على أعمالهم، الجزاء الحق، الذي بالعدل والقسط، يجدون جزاءها موفرا، لم يفقدوا منها شيئا، ويعلمون في ذلك الموقف العظيم، أن الله هو الحق المبين، فيعلمون انحصار الحق المبين في الله تعالى.

فأوصافه العظيمة حق، وأفعاله هي الحق، وعبادته هي الحق، ولقاؤه حق، ووعده ووعيده، وحكمه الديني والجزائي حق، ورسله حق، فلا ثم حق، إلا في الله وما من الله.

﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾

أي: كل خبيث من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للخبيث، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، وكل طيب من الرجال والنساء، والكلمات والأفعال، مناسب للطيب، وموافق له، ومقترن به، ومشاكل له، فهذه كلمة عامة وحصر، لا يخرج منه شيء، من أعظم مفرداته، أن الأنبياء -خصوصا أولي العزم منهم، خصوصا سيدهم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي هو أفضل الطيبين من الخلق على الإطلاق لا يناسبهم إلا كل طيب من النساء، فالقدح في عائشة رضي الله عنها بهذا الأمر قدح في النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المقصود بهذا الإفك، من قصد المنافقين، فمجرد كونها زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم، يعلم أنها لا تكون إلا طيبة طاهرة من هذا الأمر القبيح.

فكيف وهي هي؟" صديقة النساء وأفضلهن وأعلمهن وأطيبهن، حبيبة رسول رب العالمين، التي لم ينزل الوحي عليه وهو في لحاف زوجة من زوجاته غيرها، ثم صرح بذلك، بحيث لا يبقى لمبطل مقالا ولا لشك وشبهة مجالا فقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ ﴾ والإشارة إلى عائشة رضي الله عنها أصلا وللمؤمنات

المحصنات الغافلات تبعا ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾ تستغرق الذنوب ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ في الجنة صادر من الرب الكريم"[1].

المتأمل في الآية التي ورد فيها اسم الله البين يجد أنها جاء في الآيات التي تتحدث عن حادثة الإفك التي رمى بها أهل النفاق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولكي يتجلى لنا المعنى المراد بهذه الآية ينبغي لنا أن نقف عند حادثة الإفك من خلال السنة النبوية، ففيها مزيداً من التفصيل والبيان، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا في غزاة غزاها فخرج سهمي فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه فأقبل الذين يرحلون لي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم وإنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج فاحتملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدي بعد ما

---

(1) تفسير السعدي، صـ ٥٦٣.

استمر الجيش فجئت منزلهم وليس فيه أحد فأممت منزلي الذي كنت به فظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي.

فبينا أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطئ يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين في نحر الظهيرة فهلك من هلك وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك ويريبني في وجعي أني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه.

فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي فعثرت في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها: بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه ألم تسمعي ما قالوا فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم فقال: كيف تيكم؟ فقلت ائذن لي إلى أبوي قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند

رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، فقلت سبحان الله ولقد يتحدث الناس بهذا قالت فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: **يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك؟** فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتي الداجن فتأكله.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي**" فقام سعد بن معاذ فقال يا رسول الله أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك.

فقام أسيد بن حضير فقال كذبت لعمر الله والله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله صلى الله عليه

وسلم على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي قالت: فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد ثم قال:" **يا عائشة فإنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه**" فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة وقلت لأبي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن فقلت إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال:﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[يوسف: ١٨]، ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله.

فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي:" **يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله**" فقالت لي أمي قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله فأنزل الله تعالى

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ [النور: ١١]، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله تعالى

﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢]، فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال:" **يا زينب ما علمت ما رأيت،** فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيرا قالت وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع "[١].

---

(١) صحيح البخاري، برقم(٢٤٦٧).

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله المبين

لاسم الله **المبين** آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وهذه الآثار سوف نتناولها في هذا المقام على النحو الآتي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله المبين محبة الله تعالى ؛ لأنه قد أبان لعباده العلة من وجودهم والغاية من خلقهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٧]، كما أبان الله لعباد دينهم وشريعته، والهدف من هذا البيان هو تيسير طريق الهداية لعباده، وتوبته عليهم، ورحمة بهم، كما قال تعالى:﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النساء:٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩].

ونحبه سبحانه وتعالى؛ لأنه أرسل لعباده رسلاً يتكلمون بألسنة أقوامهم؛ ليعرفوا الخلق بربهم سبحانه وتعالى، وليبينوا للعباد طريق الخير ويحثونهم عليه، وليبينوا لعباده طريق الشر ويحذرونهم منها؛ وليبينوا لعباده طريق الهدى والرشاد، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:٤]، وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٥].

ونحب الله تعالى المبين؛ لأنه لا يعذب أحداً من خلقه حتى تبلغة الحجة والرسالة، وحتى يتبن له ما يفعله وما يتقيه، قال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾ [التوبة:١١٥].

٢. ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المبين أن يأخذ المؤمن حظه من اسم الله المبين؛ بأن يكون مبيناً لآيات الله تعالى التي يعلمها بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن لا يكتم منها شيئاً، وأن لا يكون كأهل الكتاب الذين كتموا آيات الله تعالى الواضحات، فتعرضوا للعنة الله وسخطه، قال تعالى:﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾[آل عمران:١٨٧]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" تفسير السعدي:" الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، الذي أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل.

فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفا من إثم الكتمان، وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤا على محارم الله، وتهاونا بحقوق الله، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنا قليلا.

وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق، ﴿ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ لأنه أخس العوض، والذي رغبوا عنه –وهو بيان الحق، الذي فيه السعادة الأبدية، والمصالح الدينية والدنيوية– أعظم المطالب وأجلها، فلم يختاروا الدنيء الخسيس ويتركوا العالي النفيس، إلا لسوء حظهم وهوانهم، وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له"[1].

وقد ضرب أهل العلم الصادقين أروع الأمثلة في بيان الحق وعدم الخوف في الله لومة لائم، منهم الإمام الأوزاعي حيث قال:" دخلت على الخليفة المنصور فقال لي: ما الذي بطأ بك عني؟ قلت: يا أمير المؤمنين وما الذي تريده مني؟ فقال: الاقتباس منك، قلت: انظر ماذا تقول؟ فإن مكحولا حدثني عن عطية بن بشير – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " من بلغه عن الله نصيحة في دينه فهي رحمة من الله سيقت إليه فإن قبلها من الله بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه، ليزداد إثما وليزداد عليه غضبا، وإن بلغه شيء من الحق فرضي فله الرضا وإن سخط فله السخط، ومن كرهه فقد كره الله لأن الله هو الحق المبين، فلا تجهلن، قال: وكيف أجهل؟ قال: تسمع ولا تعمل بما تسمع، قال الأوزاعي: فسل على الربيع السيف وقال: تقول لأمير المؤمنين هذا، فانتهره المنصور وقال: أمسك، ثم واصل فقال: إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذي أصبحت به، والله سائلك عن صغيرها وكبيرها وفتيلها ونقيرها، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ما من وال يلي رعية من**

---

(1) تفسير السعدي، صـ ١٦٠.

المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة " [(١)] ، فحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظرا وبالقسط قائما، ولما استطاع من عوراتهم ساترا [(٢)]

.

٣- ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المبين أن يتأمل المؤمن كتاب الله تعالى؛ لأن الله تعالى قد أبان فيه كل ما فيه سعادة العبد وفلاحه في الدنيا والآخرة، وقد دل على ذلك كثير من الآيات القرآنية، قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٧]، قال الإمام الطبري في تفسيره عند هذه الآية:" يعني تعالى ذكره بذلك: كما بينت لكم أيها الناس واجبَ فرائضي عليكم من الصوم، وعرّفتكم حدودَه وأوقاته، وما عليكم منه في الحضر، وما لكم فيه في السفر والمرض، وما اللازم لكم تجنُّبه في حال اعتكافكم في مساجدكم، فأوضحت جميعَ ذلك لكم – فكذلك أبيِّن أحكامي، وحلالي وحرامي، وحدودي، وأمري ونهيي، في كتابي وتنزيلي، وعلى لسان رسولي صلى الله عليه وسلم للناس.

ويعني بقوله:﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ يقول: أبيِّن ذلك لهم ليتقوا مَحارمي ومعاصيَّ، ويتجنَّبوا سَخطي وَغضبي، بتركهم رُكوبَ ما أبيِّن لهم في آياتي أني قد حرَّمته عليهم، وأمرتهم بهجره وتركه"[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، برقم(٦٦١٨).

(٢) شعب الإيمان ، للبيهقي،٦/٢٩ (٧٤٠٩) .

(٣) تفسير الطبري ٣/ ٥٤٧.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى:" وقال سبحانه﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ [النور:٥٩]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" أي: مثل ذلك التبيين، يبين الله لكم الآيات الدالة على ما شرعه لكم من الأحكام ﴿ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ كثير العلم بالمعلومات ، وكثير الحكمة في أفعاله"(١).

وقد ذكر الله في كتابه الكريم أن من اتبع ما فيه من الآيات البينات أخرجه الله بها من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد:٩].

٤. ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المبين أن يدعو المؤمن ربه باسمه المبين، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية، فعن عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال: لما نزل تحريم الخمر، قال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء؛ فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [البقرة:٢١٩]، قال: فدعي عمر؛ فقرئت عليه، قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء فنزلت الآية التي في النساء: {﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ ﴾ [النساء:٤٣]، فكان منادي رسول

(١) تفسير الشوكاني ٥/ ٢٤٧.

الله – صلى الله عليه وسلم – إذا أقيمت الصلاة ينادي: ألا لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر فقرئت عليه، فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفاء؛ فنزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١] ، قال عمر: انتهينا [(١)].

وعن عبد الله ابن عباس – رضي الله عنه –: " أنه ذكر التلاعن عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال عاصم بن عدي في ذلك قولا ثم انصرف، فأتاه رجل من قومه يشكو إليه أنه وجد مع امرأته رجلا، فقال عاصم: ما ابتليت بهذا إلا لقولي، فذهب به إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخبره بالذي وجد عليه امرأته، وكان ذلك الرجل مصفرا قليل اللحم سبط الشعر وكان الذي ادعى عليه أنه وجده عند أهله خدلا آدم كثير اللحم، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : "**اللهم بين**" فجاءت شبيها بالرجل الذي ذكر زوجها أنه وجده، فلاعن النبي – صلى الله عليه وسلم – بينهما، قال رجل لابن عباس في المجلس: هي التي قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : " **لو رجمت أحدا بغير بينة رجمت هذه؟** فقال: لا تلك امرأة كانت تظهر في الإسلام السوء " [(٢)] .

---

(١) صحيح الترمذي، برقم(٣٢٥٥)، سنن أبي داود في كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر ٣/٣٢٥ ، برقم(٣٦٧٠) .

(٢) صحيح البخاري، في باب الطلاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " **لو كنت راجما بغير بينة** ٥/ ٢٠٣٤ ، برقم(٥٠٠٤) .

وكان الإمام ابن الجوزي يدعو ربه قائلا:" لا اله إلا الله توحيدا يباين عقائد المشركين، لا اله إلا الله تنزيها يناقض دعاوى المبطلين، لا اله إلا الله إقرارا بما أنكرته عقول الجاحدين، لا اله إلا الله إيقانا لا يشوبه تردد الشاكين، لا اله إلا الله الملك الحق المبين " [١] .

([١]) التذكرة في الوعظ، لابن الجوزي، صـ ٤٧.

٤١ ـ الصمد جل جلاله

الصمد من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" الصمد في اللغة صفة مشبهة للموصوف بالصمدية، وصمده يصمده، قصده، وبيت مصمد بالتشديد أي: مقصود، وأصمد إليه الأمر: أسنده. والصمد يأتي على عدة معان: منها السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر، ومنها: الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد وليس فوقه أحد، ومنها الذي يطعم ولا يطعم، ومنها السيد الذي ينتهي إليه السؤدد في كل شيء فله الصمدية المطلقة، ومنها: الدائم الباقي بعد فناء خلقه، وقيل: الصمد الذي صمد إليه كل شيء أي الذي خلق الأشياء كلها لا يستغني عنه شيء، وكلها تلك المعاني تدل على وحدانية الله [١].

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله الصمد وردت له عدة تعريفات اصطلاحية، ومن هذه التعريفات ما ذكره الإمام البخاري ،حيث قال:"

الإمام البخاري :" العرب تسمي أشرافها الصمد، قال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده" [٢] .

([١]) لسان العرب، لابن منظور ٢٤٩٥/٤، النهاية في غريب الحديث ٥٢/٣ .

([٢]) صحيح البخاري، في التفسير، باب ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ [المسد: ٤]، ١٩٠٣/٤ .

وقال الأمام الغزالي:" الصمد: هو الذي يصمد إليه في الحوائج ويقصد إليه في الرغائب إذ ينتهي إليه منتهى السؤدد، والصمد المطلق هو الذي يقصد إليه في جميع الحوائج وهو الله سبحانه وتعالى"[١]

وقال الخطابي: " **الصمد** هو السيد الذي يصمد إليه في الأمور ويقصد في الحوائج والنوازل، وأصل الصمد: القصد ويقال للرجل: أصمد صمد فلان أي: أقصد قصده، وجاء في التفسير: أن الصمد الذي قد انتهى سؤدده. وقيل: **الصمد** الدائم، وقيل: الباقي بعد فناء خلقه، وأصح هذه الوجوه ما شهد له معنى الاشتقاق والله أعلم"[٢]

. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: اسم الله الصمد للسلف فيه أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة وليست كذلك، بل كلها صواب، والمشهور منها قولان: أحدهما أن الصمد هو الذي لا جوف له، والثاني أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج" [٣].

وقال ابن القيم في نونيته:

والله أكبر واحد صمد وكل الشأن في صمدية الرحمن

نفت الولادة والأبوة عنه والكفء الذي هو لازم الإنسان

وكذاك أثبتت الصفات جميعها لله سالمة من النقصان

---

(١) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٣٤.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي، صـ ٥٨.

(٣) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية ١/٥١١ .

وكذاك وإليه يصمد كل مخلوق فلا صمد سواه عز ذو السلطان [١]

وقال الشيخ السعدي:" الصمد أي الرب الكامل والسيد، العظيم، الذي لم يبق صفة كمال إلا اتصف بها، ووصف بغايتها، وكمالها بحيث لا تحيط الخلائق ببعض تلك الصفات بقلوبهم، ولا تعبر عنها ألسنتهم، وهو المصمود إليه المقصود في جميع الحوائج والنوائب: ﴿ يَسْئَلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩].

فهو الغني بذاته، وجميع الكائنات فقيرة إليه بذاتهم: في إيجادهم، وإعدادهم، وإمدادهم بكل ما هم محتاجون إليه من جميع الوجوه، ليس لأحد منها غنى مثقال ذرة، في كل حالة من أحوالها"[٢] .

وخلاصة المعاني لاسم الله الصمد أن الصمد:" هو الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وسائر أمورهم، فالأمور أصمدت إليه وقيامها وبقاؤها عليه لا يقضي فيها غيره، وهو المستغني عن كل شيء، وكل من سواه مفتقر إليه، يصمد إليه ويعتمد عليه، وهو السيد الذي له الكمال المطلق في كل شيء، وهو الكامل في جميع صفاته وأفعاله، لا نقص فيه بوجه من الوجوه، وليس فوقه أحد في كماله، وهو المقصود إليه في الرغائب والمستغاث به عند المصائب، الذي يطعم ولا يطعم، ولم يلد ولم يولد [٣]

---

(١) توضيح المقاصد شرح نونية ابن القيم، ٢/ ٤٤٧.

(٢) بهجة قلوب الأبرار، للسعدي، ص ١٦٥.

(٣) ينظر: الأسماء والصفات، للبيهقي صـ٧٨، وتفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج ص٥٧، والمقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٩٩.

ثالثاً: وروده في القرآن والسنة

اسم الله الصمد لم يرد في القرآن الكريم إلا في موضع واحد، وهذا الموضع جاء في سورة الإخلاص، قال تعالى:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤]،

قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره لهذه السورة:" في سبب نزولها ثلاثة أقوال .

أحدها: أن المشركين قالوا : يا محمد انسب لنا ربك ، فنزلت هذه السورة ، قاله أبي بن كعب .

والثاني: أن عامر بن الطفيل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إلام تدعونا يا محمد؟ قال : إلى الله عز وجل . قال : صفه لي، أمن ذهب هو، أو من فضة أو من حديد ، فنزلت هذه السورة ، قاله ابن عباس.

والثالث: أن الذين قالوا هذا، قوم من أحبار اليهود قالوا: من أي جنس هو، وممن ورث الدنيا ، ولمن يورثها؟ فنزلت هذه السورة ، قاله قتادة، والضحاك .

قرأ ابن كثير، ونافع ، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، «أحد الله» وقرأ أبو عمرو «أحد الله» بضم الدال، ووصلها باسم الله . قال الزجاج: هو كناية عن ذكر الله عز وجل . والمعنى: الذي سألتم تبيين نسبته هو الله و «أحد» مرفوع على معنى: هو أحد، فالمعنى: هو الله، وهو أحد . وقرئت «أحد الله الصمد» بتنوين أحد . وقرئت «أحد الله» بترك التنوين، وقرئت بإسكان الدال «أحد الله» ، وأجودها الرفع بإثبات التنوين، وكسر التنوين لسكونه وسكون اللام في «الله» ، ومن حذف التنوين، فلالتقاء الساكنين أيضا ، ومن أسكن أراد الوقف ثم ابتدأ «الله الصمد» وهو أردؤها.

فأما «الأحد» فقال ابن عباس ، وأبو عبيدة : هو الواحد . وفرق قوم بينهما . وقال أبو سليمان الخطابي الواحد : هو المنفرد بالذات ، فلا يضاهيه أحد . والأحد: هو المنفرد بالمعنى، فلا يشاركه فيه أحد . وأصل «الأحد» عند النحويين: الوحد، ثم أبدلوا من الواو الهمزة .

وفي «الصمد» أربعة أقوال .

أحدها: أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج ، رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الصمد : السيد الذي قد كمل في سؤدده . قال أبو عبيدة : هو السيد الذي ليس فوقه أحد والعرب تسمي أشرافها : الصمد . قال الأسدي :

لقد بكر الناعي بخيري بني أسد ... بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال الزجاج : هو الذي ينتهي إليه السؤدد ، فقد صمد له كل شيء قصد قصده . وتأويل صمود كل شيء له : أن في كل شيء أثر صنعه . وقال ابن الأنباري: لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد: السيد الذي ليس فوقه أحد يصمد إليه الناس في أمورهم وحوائجهم .

والثاني: أنه الذي لا جوف له، قاله ابن عباس ، والحسن ، ومجاهد ، وابن جبير ، وعكرمة ، والضحاك، وقتادة ، والسدي . وقال ابن قتيبة : فكأن الدال من هذا التفسير مبدلة من تاء، والمصمت من هذا .

والثالث : أنه الدائم .

والرابع : الباقي بعد فناء الخلق ، حكاهما الخطابي وقال: أصح الوجوه الأول؛ لأن الاشتقاق يشهد له، فإن أصل الصمد: القصد، يقال : اصمد صمد فلان ،

أي اقصد قصده . فالصمد : السيد الذي يصمد إليه في الأمور ، ويقصد في الحوائج .

قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ قال مقاتل: لم يلد فيورث ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾فيشارك ، وذلك أن مشركي العرب قالوا : الملائكة بنات الرحمن . وقالت اليهود : عزير ابن الله ، وقالت النصارى: المسيح ابن الله ، فبرأ نفسه من ذلك

قوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ قرأ الأكثرون بالتثقيل والهمز، ورواه حفص بالتثقيل وقلب الهمز واوا . وقرأ حمزة بسكون الفاء . والكفء : المثل المكافئ . وفيه تقديم وتأخير ، تقديره : ولم يكن له أحد كفوا ، فقدم وأخر لتتفق رؤوس الآيات"(١) .

وقال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه السورة:" أي ﴿ قُلْ ﴾قولا جازمًا به، معتقدًا له، عارفًا بمعناه، ﴿ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل.

﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ أي: المقصود في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه،

(١) تفسير ابن الجوزي ٦/ ٢٠٢.

ومن كماله أنه ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ لكمال غناه ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى، فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات"[١].

وقد ورد اسم الل الصمد في السنة فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: خرج إلينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: أقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤ ﴾ حتى ختمها [٢].

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أنه قال: " قال النبي – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه: **أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة**؟ فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: **الله الواحد الصمد ثلث القرآن** " [٣].

وعن أبي بن كعب – رضي الله عنه – قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوتر بسبح اسم ربك الأعلى، وقل للذين كفروا، والله الواحد الصمد " [٤].

---

(١) تفسير السعدي صـ ٩٣٧.

(٢) صحيح مسلم، في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة قل هو الله أحد ١/٥٥٧ ، برقم (٨١٢).

(٣) صحيح البخاري، في فضائل القرآن، باب فضل قل هو الله أحد ٤/١٩١٦ ، برقم(٤٧٢٧) .

(٤) سنن أبي داود في الوتر، باب ما يقرأ في الوتر ٢/٦٣ ، برقم (١٤٢٣)، وهو في صحيح أبي داود ١/٢٦٧ ، برقم (١٢٦١) .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول: "اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"، فقال صلى الله عليه وسلم: "**لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب**"[١]

رابعا: الآثار الإيمانية لاسم الله الصمد

لاسم الله الصمد آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وهذه الآثار سوف نتناولها على النحو الآتي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية الاسم الله الصمد محبة الله – عز وجل – الصمد؛ لأنه وحده الذي تصمد له الخلائق في قضاء الحاجات وتفريج الكربات؛ لأنه سبحانه القادر على ذلك، ولا يقد على ذلك أحد من المخلوقات مهما كانت قوته وعظمته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" الصمد المستحق؛ لأن تقصده الخلائق بحاجاتها، فهو الصمد دون ما سواه، والمخلوق وإن كان صمدا من بعض الوجوه، فإن حقيقة الصمدية منتفية عنه، فإنه يقبل التفرق والتجزئة، وهو أيضا محتاج إلى غيره، فإن كان ما سوى الله محتاج إليه من كل وجه، فليس أحد يصمد إليه كل شيء ولا يصمد هو إلى شيء إلا الله تبارك وتعالى، وليس في المخلوقات إلا ما يقبل أن يتجزأ ويتفرق وينقسم، وينفصل بعضه من بعض، والله سبحانه هو الصمد الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك، بل حقيقة الصمدية وكمالها له وحده واجبة لازمة لا يمكن عدم صمديته بوجه من الوجوه، كما لا

---

(١) سنن الترمذي ،برقم(٣٥٤٢)، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم (١٣٢٤).

يمكن تثنية أحديته بوجه من الوجوه، فهو أحد لا يماثله شيء من الأشياء بوجه من الوجوه، كما قال في آخر السورة: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص: ٤] استعملها هنا في النفي أي: ليس شيء من الأشياء كفوا له في شيء من الأشياء لأنه أحد"[١].

ولازم هذه المحبة عبادة الله الصمد وحده سبحانه لا شريك له، والبراءة من الشرك وأهله، وإفراده بالرغبة والرهبة لما له سبحانه من الأسماء الحسنى والصفات الحميدة وكثرة خصال الخير والألطاف والأفضال.

٢ـ ومن الآثار الإيمانية الاسم الله الصمد أن يأخذ المؤمن حظه من اسم الله الصمد،

فإذا عرضت للمؤمن حاجة في أمور دينه أو دنياه قصد باب الله تعالى وسأله أن يقضي حاجته، وأن يصلح حاله، قال الإمام ابن القيم:" إن الصمد من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة وذلك لكثرة خصال الخير فيه، وكثرة الأوصاف الحميدة له، ولهذا قال جمهور السلف منهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "الصمد: السيد الذي كمل سؤدده، الحكيم الذي كمل حكمه، الرحيم الذي كملت رحمته، الجواد الذي كمل جوده"[٢].

ومن حظ المؤمن من اسم الله الصمد إذا قصده الخلق لبعض حاجاتهم عمل على قضائها بقدر استطاعته، قال الإمام الغزالي:" من جعله الله تعالى مقصد

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٧/٢٣٨، باختصار وتصرف، يسير.
(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم ٣/١٠٢٧.

عباده في مهمات دينهم ودنياهم، وأجرى على يده ولسانه حوائج خلقه فقد أنعم عليه بحظه من اسم الله الصمد"[1].

ومما يدفع المسلم لأن يسعى لقضاء حوائج من قصده من الخلق أن يتذكر المؤمن ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضائل قضاء حوائجهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس يا فلان أراك مكتئبا حزينا قال نعم يا ابن عم رسول الله لفلان علي حق ولاء وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس أفلا أكلمه فيك فقال إن أحببت قال فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد فقال له الرجل أنسيت ما كنت فيه قال لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم والعهد به قريب فدمعت عيناه وهو يقول:" **من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين**"[2].

٣- ومن الآثار الإيمانية الاسم الله الصمد أن يدعو المؤمن ربه باسمه الصمد، فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول: "اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد

---

(1) المقصد الأسنى، للغزالي، صـ ١٣٤.

(2) ضعيف الترغيب والترهيب، للألباني، برقم(٦٦٢).

الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"، فقال صلى الله عليه وسلم: "**لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب**"[١]

وعن حنظلة بن علي – رضي الله عنه – أن محجن بن الأدرع حدثه: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – دخل المسجد إذا رجل قد قضى صلاته وهو يتشهد، فقال: اللهم إني أسألك يا ألله بأنك الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أن تغفر لي ذنوبي إنك أنت الغفور الرحيم، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : **قد غفر له ثلاثا** " [٢].

وعن البراء ابن عازب – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال له: " **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به، قال فرددتها على النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت ورسولك، قال: لا، ونبيك الذي أرسلت**" [٣] .

---

(١) سبق تخريجه قبل قليل

(٢) سنن النسائي في السهو، باب الدعاء بعد الذكر ٣٨٦/١، برقم (١٢٢٤)، وهو في صحيح أبي داود ١٨٥/٢، برقم(٨٦٩) .

(٣) صحيح البخاري في الدعوات، باب فضل من بات على الوضوء ٢٣٢٦/٥ ، برقم(٥٩٥٢) .

٤٢ ـ المحسن جل جلاله

المحسن من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" المحسن في اللغة اسم فاعل، فعله أحسن يحسن إحسانا فهو محسن، الحسن: نقيض القبح والجمع محاسن، وحسنت الشيء تحسينا: زينته وأحسنت إليه صنع له وبه معروفا، وهو يحسن الشيء أي يعلمه بخبره، واستحسن الشيء رغب فيه وتعلق به واعتبره حسنا.

والإحسان على وجهين: أحدهما: الإنعام على الغير يقال: أحسن إلى فلان.

والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علما حسنا أو عمل عملا حسنا. والإحسان فوق العدل وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، فالإحسان زائد على العدل فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع. والمحاسن في الأعمال ضد المساوئ. والمحاسن: المواضع الحسنة من البدن"(١)

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله **المحسن** وردت له عدت اصطلاحية ومن هذه التعاريف ما ذكره الإمام المناوي ، حيث قال:" المحسن من الإحسان له وصف لازم لا يخلو موجود عن إحسانه طرفة عين، فلا بد لكل مكون من إحسانه إليه بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد"(٢).

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٢/٨٧٧، والصحاح في اللغة، للجوهري، ٥/(٢٠٩٩)، والمفردات، للراغب الأصفهاني، صـ٢٣٥ .

(٢) فيض القدير، للمناوي ٢/٢٦٤.

وقال الإمام القرطبي: "المحسن: معناه راجع إلى معنى المفضل وذي الفضل، والمنان والوهاب"(١).

والله سبحانه وتعالى هو المحسن:" لأنه الذي أحسن كل شيء خلقه فأتقن صنعه وأبدع كونه وهداه لغايته وأحسن إلى خلقه بعموم نعمه وشمول كرمه وسعة رزقه على الرغم من مخالفة أكثرهم لأمره ونهيه، وأحسن إلي المؤمنين فوعدهم الحسني وعاملهم بفضله، وأحسن إلى من أساء فأمهله ثم حاسبه بعدله. وهو المحسن؛ لأن له كمال الحسن في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما قال تعالى في كتابه: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [طه:٨]، فلا شيء أكمل ولا أجمل من الله، فكل كمال وجمال في المخلوق من آثار صنعته، وهو الذي لا يحد كماله ولا يوصف جلاله، ولا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، ليس في أفعاله عبث ولا في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة والعدل والفضل والرحمة. إن أعطى فبفضله ورحمته، وإن منع أو عاقب فبعدله وحكمته، (٢)

ثالثاً: وروده في القرآن والسنة

دل القرآن الكريم على اسم الله المحسن بصيغة الفعل، ومن ذلك ما ورد في قصة قارون مع قومه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا

(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي ١٥٣/٣.

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم، صـ٤٧٠، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للقرطبي ٥١٢/١

يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٦ – ٧٧]، قال سيد قطب في ظلاله عند هاتين الآيتين:" هكذا تبدأ القصة فتعين اسم بطلها ﴿ قَـٰرُونَ ﴾وتحدد قومه﴿ قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ وتقرر مسلكه مع قومه، وهو مسلك البغي ﴿ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾وتشير إلى سبب هذا البغي وهو الثراء : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾، ثم تمضي بعد ذلك في استعراض الأحداث والأقوال والانفعالات التي صاحبتها في النفوس.

لقد كان قارون من قوم موسى، فآتاه الله مالاً كثيراً، يصور كثرته بأنه كنوز والكنز هو المخبوء المدخر من المال الفائض عن الاستعمال والتداول وبأن مفاتح هذه الكنوز تعيي المجموعة من أقوياء الرجال، من أجل هذا بغى قارون على قومه، ولا يذكر فيم كان البغي، ليدعه مجهلاً يشمل شتى الصور، فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال، وللفقراء حق في أموال الأغنياء، كي لا يكون دولة بين الأغنياء وحدهم ومن حولهم محاويج إلى شيء منه، فتفسد القلوب، وتفسد الحياة . وربما بغى عليهم بهذه وبغيرها من الأسباب .

وقد وجد من قوم قارون من يحاول رده عن هذا البغي، ورجعه إلى النهج القويم، الذي يرضاه الله في التصرف بهذا الثراء؛ وهو نهج لا يحرم الأثرياء ثراءهم؛ ولا يحرمهم المتاع المعتدل بما وهبهم الله من مال؛ ولكنه يفرض عليهم القصد

والاعتدال؛ وقبل ذلك يفرض عليهم مراقبة الله الذي أنعم عليهم ، ومراعاة الآخرة وما فيها من حساب: ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡ ﴾ فرح الزهو المنبعث من الاعتزاز بالمال، والاحتفال بالثراء، والتعلق بالكنوز ، والابتهاج بالملك والاستحواذ، لا تفرح فرح البطر الذي ينسي المنعم بالمال؛ وينسي نعمته، وما يجب لها من الحمد والشكران، لا تفرح فرح الذي يستخفه المال، فيشغل به قلبه؛ ويطير له لبه ، ويتطاول به على العباد .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ فهم يردونه بذلك إلى الله، الذي لا يحب الفرحين المأخوذين بالمال، المتباهين، المتطاولين بسلطانه على الناس .

﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم، المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة . بل يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفاً ، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها.

لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس؛ وليعلموا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض؛ ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة ، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها، والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم ، وتقبل لعطاياه ، وانتفاع بها . فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى .

وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة .

﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ فهذا المال هبة من الله وإحسان، فليقابل بالإحسان فيه، إحسان التقبل وإحسان التصرف، والإحسان به إلى الخلق، وإحسان الشعور بالنعمة، وإحسان الشكران .

﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الفساد بالبغي والظلم، والفساد بالمتاع المطلق من مراقبة الله ومراعاة الآخرة، والفساد بملء صدور الناس بالحرج والحسد والبغضاء، والفساد بإنفاق المال في غير وجهه أو إمساكه عن وجهه على كل حال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾، كما أنه لا يحب الفرحين"(١).

ومن الآيات التي دلت على اسم الله المحسن بصيغة الفعل وذلك في قصة نبي الله يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يوسف: ٢٢ – ٢٣]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهاتين الآيتين:"

أي: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ ﴾ يوسف ﴿ أَشُدَّهُۥٓ ﴾ أي: كمال قوته المعنوية والحسية، وصلح لأن يتحمل الأحمال الثقيلة، من النبوة والرسالة. ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ أي: جعلناه

(١) تفسير سيد قطب في ظلال القرآن، ٥/ ٤٤٢.

نبيا رسولا وعالما ربانيا، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾في عبادة الخالق ببذل الجهد والنصح فيها، وإلى عباد الله ببذل النفع والإحسان إليهم، نؤتيهم من جملة الجزاء على إحسانهم علما نافعا.

ودل هذا، على أن يوسف وفَّى مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس والعلم الكثير والنبوة، هذه المحنة العظيمة أعظم على يوسف من محنة إخوته، وصبره عليها أعظم أجرا، لأنه صبر اختيار مع وجود الدواعي الكثيرة، لوقوع الفعل، فقدم محبة الله عليها، وأما محنته بإخوته، فصبره صبر اضطرار، بمنزلة الأمراض والمكاره التي تصيب العبد بغير اختياره وليس له ملجأ إلا الصبر عليها، طائعا أو كارها؛ وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام بقي مكرما في بيت العزيز.

وكان له من الجمال والكمال والبهاء ما أوجب ذلك، أن ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي: هو غلامها، وتحت تدبيرها، والمسكن واحد، يتيسر إيقاع الأمر المكروه من غير إشعار أحد، ولا إحساس بشر.

وزادت المصيبة، بأن ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ وصار المحل خاليا، وهما آمنان من دخول أحد عليهما، بسبب تغليق الأبواب، وقد دعته إلى نفسها ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ أي: افعل الأمر المكروه وأقبل إليَّ، ومع هذا فهو غريب، لا يحتشم مثله ما يحتشمه إذا كان في وطنه وبين معارفه، وهو أسير تحت يدها، وهي سيدته، وفيها من الجمال ما يدعو إلى ما هنالك، وهو شاب عزب، وقد توعدته، إن لم يفعل ما تأمره به بالسجن، أو العذاب الأليم.

فصبر عن معصية الله، مع وجود الداعي القوي فيه، لأنه قد هم فيها هما تركه لله، وقدم مراد الله على مراد النفس الأمارة بالسوء، ورأى من برهان ربه – وهو ما معه من العلم والإيمان، الموجب لترك كل ما حرم الله – ما أوجب له البعد والانكفاف، عن هذه المعصية الكبيرة، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: أعوذ بالله أن أفعل هذا الفعل القبيح، لأنه مما يسخط الله ويبعد منه، ولأنه خيانة في حق سيدي الذي أكرم مثواي، فلا يليق بي أن أقابله في أهله بأقبح مقابلة، وهذا من أعظم الظلم، والظالم لا يفلح.

والحاصل أنه جعل الموانع له من هذا الفعل تقوى الله، ومراعاة حق سيده الذي أكرمه، وصيانة نفسه عن الظلم الذي لا يفلح من تعاطاه، وكذلك ما منَّ الله عليه من برهان الإيمان الذي في قلبه، يقتضي منه امتثال الأوامر، واجتناب الزواجر، والجامع لذلك كله أن الله صرف عنه السوء والفحشاء، لأنه من عباده المخلصين له في عباداتهم، الذين أخلصهم الله واختارهم، واختصهم لنفسه، وأسدى عليهم من النعم، وصرف عنهم من المكاره ما كانوا به من خيار خلقه"(١).

قال الإمام ابن الجوزي في تفسيره:" قوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ قال الزجاج: هو مصدر، والمعنى: أعوذ بالله أن أفعل هذا، يقال: عذت عياذا ومعاذا ومعاذة. ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ أي: إن العزيز صاحبي وسيدي ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ قال: ويجوز أن

---

(١) تفسير السعدي، صـ ٣٩٥.

يكون ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ ﴾ يعني الله عز وجل ﴿ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾ أي : تولاني في طول مقامي"[١].

وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ [التين: ٤]، قال الشيخ المراغي في تفسيره لهذه الآية:" أي لقد خلقنا الإنسان فى أحسن صورة، فجعلناه مديد القامة، حسن البزّة، يتناول ما يريد بيده لا كسائر الحيوان يتناول ما يريد بفيه إلى أنه خصه بالعقل والتمييز والاستعداد لقبول العلوم والمعارف، واستنباط الحيل التي بها يستطيع أن يكون له السلطان على جميع الكائنات، وله من الحول والطّول ما يمتد إلى كل شيء.

لكن قد غفل عما ميّز به، وظنّ نفسه كسائر المخلوقات، وراح يعمل ما لا يبيحه له العقل، ولا ترضى عنه الفطرة، وانطلق يتزوّد من متاع الدنيا والاستمتاع بشهواتها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وأعرض عن النظر فيما ينفعه فى معاده، وما يرضى به ربه وما يوصله إلى النعيم المقيم"[٢] .

وقد ورد اسم الله المحسن في السنة المطهرة صراحة في أحادي كثيرة، فعن شداد بن أوس – رضي الله عنه – قال: "حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتين أنه قال: "**إن الله – عز وجل – محسن يحب الإحسان فإذا قتلتم**

(١) تفسير ابن الجوزي، ٣/ ٤١٤

(٢) تفسير المراغي٣٠/ ١٩٥.

فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته ثم ليرح ذبيحته" "[1].

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا حكمتم فاعدلوا وإذا قلتم فأحسنوا فإن الله محسن يحب الإحسان"[2]

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم ربه بأنه محسن، فعن شداد بن أوس – رضي الله عنه – لكن فيه ذكر الوصف دون الاسم قال شداد: " ثنتان حفظتهما عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته " [3].

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله المحسن

لاسم الله المحسن آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وبعض هذه الآثار سوف نتناولها في هذا المقام على النحو الآتي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله المحسن أن يحب المؤمن ربه؛ لكثرة إحسانه ونعمه عليه، قال الإمام ابن القيم:" الله هو المحسن إلى عبده مع غناه عنه يريد

---

(1) مصنف عبد الرزاق، برقم (٨٦٠٣)، والمعجم الكبير، للطبراني ٧١٢١/٧، وصححه الألباني في الجامع الصغير، برقم (١٨٢٤)، وإثبات أن المحسن من أسماء الله الحسنى، لعبد الرزاق البدر، صـ١٠.

(2) الكامل في الضعفاء، لابن عدي ٢١٤٥/٦، أخبار أصبهان، لأبي نعيم ٢١٣/٢، وحسنه الألباني في السلسة الصحيحة، برقم (٤٧٠)، ومجمع الزوائد، للهيثمي ١٩٧/٥، ومصنف عبد الرزاق ٤٩٢/٤ .

(3) صحيح مسلم، في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل ١٥٤٨/٣، برقم(١٩٥٥) .

به الخير ويكشف عنه الضر لا لجلب منفعة إليه من العبد ولا لدفع مضرة بل رحمة منه وإحسانا فهو سبحانه لم يخلق خلقه ليتكثر بهم من قلة ولا ليعتز بهم من ذلة ولا ليرزقوه ولا لينفعوه ولا ليدفعوا عنه كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ ﴾ [الذاريات: ٥٦ – ٥٧] وقال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء : ١١١] فهو سبحانه لا يوالي من يواليه من الذل كما يوالى المخلوق المخلوق وإنما يوالي أولياءه إحسانا ورحمة ومحبة لهم وأما العباد فإنهم كما قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمد : ٣٨] فهم لفقرهم وحاجتهم إنما يحسن بعضهم إلى بعض لحاجته إلى ذلك وانفاعه به عاجلا أو آجلا ولولا تصور ذلك النفع لما أحسن إليه فهو في الحقيقة إنما أراد الإحسان إلى نفسه وجعل إحسانه إلى غيره وسيلة وطريقا إلى وصول نفع ذلك الإحسان إليه فإنه إما أن يحسن إليه لتوقع جزائه في العاجل فهو محتاج إلى ذلك الجزاء أو معاوضة بإحسانه أو لتوقع حمده وشكره.

وهو أيضا إنما يحسن إليه ليحصل منه ما هو محتاج إليه من الثناء والمدح فهو محسن إلى نفسه بإحسانه إلى الغير وإما أن يريد الجزاء من الله تعالى في الآخرة فهو أيضا محسن إلى نفسه بذلك وإنما أخر جزاءه إلى يوم فقره وفاقته فهو غير ملوم في هذا القصد فإنه فقير محتاج وفقره وحاجته أمر لازم له من لوازم ذاته فكماله أن يحرص على ما ينفعه ولا يعجز عنه وقال تعالى﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [الإسراء : ٧] وقال : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ

﴿ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] وقال تعالى فيما رواه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم:" عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"(١).

فالمخلوق لا يقصد منفعتك بالقصد الأول بل إنما يقصد انتفاعه بك والرب تعالى إنما يريد نفعك لا انتفاعه به وذلك منفعة محضة لك خالصة من المضرة بخلاف إرادة المخلوق نفعك فإنه قد يكون فيه مضرة عليك ولو بتحمل منته فتدبر هذا فإن ملاحظته تمنعك أن ترجو المخلوق أو تعامله دون الله عز و جل أو تطلب منه نفعا أو دفعا أو تعلق قلبك به فإنه إنما يريد انتفاعه بك لا محض

---

(١) صحيح مسلم ١٢/ ٤٥٥)، برقم(٤٦٧٤).

نفعك وهذا حال الخلق كلهم بعضهم مع بعض وهو حال الولد مع والده والزوج مع زوجه والمملوك مع سيده والشريك مع شريكه فالسعيد من عاملهم لله تعالى لا لهم وأحسن إليهم لله تعالى وخاف الله تعالى فيهم ولم يخفهم مع الله تعالى ورجا الله تعالى بالإحسان إليهم ولم يرجهم مع الله وأحبهم لحب الله ولم يحبهم مع الله تعالى كما قال أولياء الله عز و جل:﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان : ٩]"[١].

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المحسن أن يتخلق المؤمن بخلق الإحسان، والإحسان المطلوب له صور كثيرة، فمن ذلك أن يحسن المؤمن في عبادته لله تعالى، وهذا النوع من الإحسان عرفه النبي صلى الله عليه وسلم، حينما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**الإحسان أن تعبد الله تعالى كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**"[٢].

ومن ذلك أن يحسن المؤمن في رده بالسلام على من سلم عليه، قال تعالى: -:

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء:٨٦].

ومن ذلك أن يحسن المؤمن في أدائه للصلاة، بأن يجاهد نفسه بأن يقوم بها كما أمر الله تعالى، وكما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا عبيد الله بن عدي دخل على عثمان بن عفان – رضي الله عنه – هو محصور، يعني

([١]) إغاثة اللهفان، لابن القيم، ١/ ٤١، باختصار.

([٢]) صحيح مسلم، برقم (٨).

في منزله فقال: " إنك إمام عامة، ونزل بك ما ترى ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرج، فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم " [1]

ومن ذلك أن يحسن المؤمن الظن بربه وخاصة حين يشعر بقرب أجله وانتقاله إلى الدار الآخرة قالت أم الفضل: دخل النبي – صلى الله عليه وسلم – على العباس وهو يشتكي فتمنى الموت فقال:" **يا عباس يا عم رسول الله لا تتمن الموت إن كنت محسنا تزداد إحسانا إلى إحسانك خير لك، وإن كنت مسيئا فإن تؤخر تستعتب خير لك فلا تتمن الموت**" [2] .

ومن ذلك أن يحسن في تربية البنات، قالت عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي – صلى الله عليه وسلم – فحدثته فقال:" **من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن كن له سترا من النار** "[3] .

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المحسن أن يدعو المؤمن ربه باسمه المحسن، أو بما يدل عليه هذا لاسم، فعن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله

(1) صحيح البخاري في الأذان، باب إمامة المفتون والمبتدع ، ١/٢٤٦ (٦٦٣) .

(2) مسند أحمد ٦/٣٣٩ ، برقم(٢٦٩١٦)، وه في صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، برقم (٣٣٦٨) .

(3) صحيح البخاري، في الإيمان، باب كفران العشير وكفر بعد كفر فيه١/١٩ ، برقم(٢٩) .

عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال:" **وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك، وإذا ركع قال:" اللهم لك ركعت وبك، آمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وإذا رفع قال:" اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات، وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، وإذا سجد قال:" اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت"** (١).

وعن جابر بن عبد الله أنه قال: " كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا استفتح الصلاة كبر ثم قال:" **إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم اهدني لأحسن**

---

(١) صحيح مسلم، في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ١/٥٣٥، برقم(١٢٩٠) .

الأعمال وأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، وقني سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق لا يقي سيئها إلا أنت " [١].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يقول:" **اللهم أحسنت خلقي فأحسن خلقي** " [٢] .

([١]) سنن النسائي في الافتتاح، باب نوع آخر من الدعاء ١٢٩/٢ ، برقم(٨٩٦)، مشكاة المصابيح، برقم (٨٢٠) .

([٢]) مسند أحمد ٤٠٣/١، برقم(٣٨٢٣)، مشكاة المصابيح، برقم (٥٠٩٩)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٢٦٥٧) .

٤٣ ـ الجميل جل جلاله

الجميل من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" الجميل في اللغة من الجمال هو الحسن في الخلقة والخلق، جمل يجمل فهو جميل ككرم فهو كريم، وتجمل تزين، وجمله تجميلا زينه، وأجمل الصنيعة عند فلان يعني أحسن إليه، والمجاملة هي المعاملة بالجميل، والتجمل تكلف الجميل، وقد جمل الرجل جمالا فهو جميل والمرأة جميلة .

الجمال: الحسن، والجمال: مصدر الجميل، والفعل: جمل، وقوله – عز وجل – : ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل: ٦]، أي: بهاء وحسن".

والجمال: الحسن ويكون في الفعل والخلق، وقد جمل الرجل بالضم جمالا فهو جميل وجمال وجمال"[١] .

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله **الجميل** وردت له عدت تعريفات اصطلاحية، ومن هذه التعريفات، مذكر الإمام ابن القيم، حيث قال:" من أسماء الله الحسنى: **الجميل**، فله جمال الذات؛ وجمال الأوصاف؛ وجمال الأفعال؛ وجمال الأسماء، فأسماؤه كلها حسنى؛ وصفاته كلها كمال؛ وأفعاله كلها جميله.

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ١١/١٢٦، الصحاح في اللغة، للجوهري، ١/ ١٠٢.

فلا يستطيع بشر النظر إلى جلاله وجماله في هذه الدار، فإذا رأوه سبحانه في جنات عدن: أنستهم رؤيته ما هم فيه من النعيم، فلا يلتفتون حينئذ إلى شيء غيره"[١] .

وقال الحلمي حيث قال :" قال الحليمي: معناه ذو الأسماء الحسنى، لأن القبائح إذ لم تلق به لم يجز أن يشتق اسمه من أسمائها، وإنما تشتق أسماؤه من صفاته التي كلها مدائح، وأفعاله التي أجمعها حكمة.

وقال الخطابي: الجميل هو المجمل المحسن، فعيل بمعنى مفعل، وقد يكون الجميل معناه ذو النور والبهجة[٢].

قال ابن القيم في نونيته:

وهو الجميل على الحقيقة كيف لا وجمال سائر هذه الأكوان

من بعض آثار الجميل فربها أولى وأجدر عند ذي العرفان

فجماله بالذات والأوصاف واﻟ أفعال والأسماء بالبرهان

لا شيء يشبه ذاته وصفاته سبحانه عن إفك ذي البهتان"[٣] .

قال الشيخ السعدي في شرحه لأبيات ابن القيم في نونيته: "الجميل من له نعوت الحسن والإحسان، فإنه جميل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فلا يمكن لمخلوق أن يعبر عن بعض جمال ذاته، حتى أن أهل الجنة مع ما هم

---

(١) روضة المحبين، لابن القيم، صـ ٤٢٠

(٢) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٧٤.

(٣) نونية ابن القيم ٢/٢١٤ الأبيات (٣٢٢٣ – ٣٢٢٦).

فيه من النعيم المقيم، واللذات، والسرور، والأفراح التي لا يقدر قدرها إذا رأوا ربهم، وتمتعوا بجماله نسوا ما هم فيه من النعيم، وتلاشى ما هم فيه من الأفراح، وودوا أن لو تدوم هذه الحال، ليكتسبوا من جماله، ونوره جمالا إلى جمالهم، وكانت قلوبهم في شوق دائم ونزوع إلى رؤية ربهم، ويفرحون بيوم المزيد فرحا تكاد تطير له القلوب.

وكذلك هو جميل في أسمائه، فإنها كلها حسنى، بل أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، فكلها دالة على غاية الحمد، والمجد، والكمال، لايسمى باسم منقسم إلى كمال وغيره.

وكذلك هو الجميل في أوصافه؛ فإن أوصافه كلها أوصاف كمال ونعوت ثناء وحمد، فهي أوسع الصفات، وأعمها، وأكثرها تعلقا، خصوصا أوصاف الرحمة، والبر، والكرم، والجود.

وكذلك أفعاله كلها جميلة فإنها دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمد عليها ويثنى عليها ويشكر، وبين أفعال العدل التي يحمد عليها لموافقتها للحكمة والحمد، فليس في أفعاله عبث ولا سفه، ولا سدى ولا ظلم، كلها خير وهدى ورحمة ورشد وعدل: ﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦]، فلكماله الذي لا يحصي أحد عليه به ثناء كملت أفعاله كلها فصارت أحكامه من أحسن الأحكام، وصنعه وخلقه

أحسن خلق وصنع، وأتقن ما صنعه: ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨]، وأحسن ما خلق: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧].

ثم استدل ابن القيم بدليل عقلي على جمال الباري، وأن الأكوان محتوية على أصناف الجمال، وجمالها من الله تعالى فهو الذي كساها الجمال، وأعطاها الحسن، فهو أولى منها، لأن معطي الجمال أحق بالجمال، فكل جمال في الدنيا والآخرة باطني وظاهري، خصوصا ما يعطيه المولى لأهل الجنة من الجمال المفرط في رجالهم، ونسائهم، فلو بدا كف واحدة من الحور العين إلى الدنيا لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم: أليس الذي كساهم ذلك الجمال ومن عليهم بذلك الحسن والكمال أحق منهم بالجمال الذي ليس كمثله شيء؟

فهذا دليل عقلي واضح مسلم المقدمات على هذه المسألة العظيمة وعلى غيرها من صفاته، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ ﴾ [النحل: ٦٠].

فكل ما وجد في المخلوقات من كمال لا يستلزم نقصا، فإن معطيه وهو الله أحق به من المعطى بما لا نسبة بينه وبينهم كما لا نسبة لذواتهم إلى ذاته، وصفاتهم إلى صفاته، فالذي أعطاهم السمع، والبصر، والحياة، والعلم، والقدرة، والجمال، أحق منهم بذلك.

وكيف يعبر أحد عن جماله وقد قال أعلم الخلق به: " **لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**"[١]

وقال صلى الله عليه وسلم: "**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**"[٢] فسبحان الله، وتقدس عما يقوله الظالمون النافون لكماله علوا كبيرا، وحسبهم مقتا وخسارا أنهم حرموا من الوصول إلى معرفته والابتهاج بمحبته"[٣].

ثالثاً : وروده في القرآن والسنة

اسم الله الجميل لم يرد في القرآن الكريم وإنما ورد في السنة النبوية، فعن عبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس** "[٤] ، قال العلامة ابن القيم في تعليقه على هذا الحديث:" والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين. فأوله معرفة، وآخره سلوك، فيعرف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله فيه شيء، ويعبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فيحب من عبده أن يجمل لسانه بالصدق، وقلبه بالإخلاص والمحبة والإنابة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره له من الأنجاس

---

(١) صحيح مسلم، برقم (٤٨٦).

(٢) صحيح مسلم، برقم (١٧٩).

(٣) توضيح الكافية الشافية، صـ ١١٧، والحق الواضح المبين، صـ ٢٩ ، وكلامهما للشيخ السعدي.

(٤) مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ١/٩٣ (٩١) .

والأحداث والأوساخ والشعور المكروهة، والختان، وتقليم الأظافر، فيعرفه بصفات الجمال ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك"[١].

وقال في موضع آخر:" وجماله سبحانه على أربعة مراتب: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء. فأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة. وأما جمال الذات وما هو عليه، فأمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره، وليس عند المخلوقين منه الا تعريفات تعرّف بها الى من أكرمه من عباده، فان ذلك الجمال مصون عن الأغيار، محجوب بستر الرداء والازار، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الكبرياء ردائي والعظمة ازاري" أبو داود كتاب اللباس بال ما جاء في الكبر ٥٩١٤ رقم ٤٠٩. ولما كانت الكبرياء أعظم وأوسع كانت أحق باسم الرداء، فانه سبحانه الكبير المتعال فهو سبحانه العلي العظيم.

قال ابن عباس: حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمال حجب بأوصاف الكمال، وستر بنعوت العظمة والجلال.

ومن هذا المعنى يفهم البعض معاني جمال ذاته، فانه العبد يترقّى من معرفة الأفعال الى معرفة الصفات، ومن معرفة الصفات الى معرفة الذات فاذا شاهد شيئا من جمال الأفعال استدل به على جمال الصفات ثم استدل بجمال الصفات على جمال الذات. ومن هاهنا يتبين أنه سبحانه له الحمد كله، وأن

---

(١) الفوائد، لابن القيم، صـ ١٨١.

أحدا من خلقه لا يحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وأنه يستحق أن يعبد لذاته، ويشكر لذاته، وأنه سبحانه يحب نفسه، ويثني على نفسه، ويحمد نفسه، وأن محبته لنفسه، وحمده لنفسه، وثناءه على نفسه، وتوحيده لنفسه، هو في الحقيقة الحمد والثناء والحب والتوحيد، فهو سبحانه كما أثنى على نفسه، وفوق كا يثني به عليه خلقه، وهو سبحانه كما يحب ذاته يحب صفاته وأفعاله، فكل أفعاله حسن محبوب وان كان في مفعولاته ما يبغضه ويكرهه، فليس في أفعاله ما هو مكروه مسخوط، وليس في الوجود ما يحب لذاته، ويحمد لذاته الا هو سبحانه وتعالى، وكل ما يحب سواه فان كانت محبته تابعة لمحبته سبحانه بحيث يحب لأجله، فمحبته صحيحة، والا فهي محبة باطلة، وهذا هو حقيقة الالهية، فان الله الحق هو الذي يحب لذاته ويحمد لذاته. فكيف اذا انضاف الى ذلك احسانه وانعامه، وحلمه وتجاوزه وعفوه وبرّه ورحمته؟

فعلى العبد أن يعلم أنه لا اله الا الله فيحبه ويحمده لذاته وكماله، وأن يعلم أنه لا محسن على الحقيقة بأصناف النعم الظاهرة والباطنة الا هو، فيحبه لاحسانه وانعامه، ويحمده على ذلك، فيحبه من الوجهين جميعا. وكما أنه ليس كمثله شيء فليس كمحبته محبة. والمحبة مع الخضوع هي العبودية التي خلق الخلق لأجلها، فانها غاية الحب بغاية الذل، ولا يصلح ذلك الا له سبحانه. والاشراك به في هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ولا يقبل لصاحبه عملا.

وحمده يتضمن أصلين: الاخبار بمحامده وصفات كماله، والمحبة له عليها، فمن أخبر بمحاسن غيره من غير محبة له لم يكن حامدا. ومن أحبّه من غير اخبار بمحاسنه لم يكن حامدا حتى يجمع الأمرين، وهو سبحانه يحمد نفسه بما

يجريه على ألسنة الحامدين له من ملائكته وأنبائه ورسله وعباده المؤمنين، فهو الحامد لنفسه بهذا وهذا، فان حمدهم له بمشيئته واذنه وتكوينه، فانه هو الذي جعل الحامد حامدا والمسلم مسلما والمصلي مصليا والتائب تائبا، فمنه ابتدأت النعم واليه انتهت، فابتدأت بحمده وانتهت الى حمده، وهو الذي ألأهم عبده التوبة وفرح بها أعظم فرح، وهي من فضله وجوده. وهو سبحانه غني عن كل ما سواه بكل وجه، وما سواه فقير اليه بكل وجه، والعبد مفتقر اليه لذاته في الأسباب والغايات، فان ما لا يكون به لا يكون، وما لا يكون له لا ينفع"[١] .

فالجمال صفة ثابته لله تعالى على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تمثيل، قال القاضي أبو يعلى: "اعلم أنه غير ممتنع وصفه تعالى بالجمال وأن ذلك صفة راجعة إلى الذات، لأن الجمال في معنى الحسن، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : "رأيت ربي في أحسن صورة"[٢]، وليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأن طريقه الكمال والمدح، ولأنه لو لم يوصف بالجمال جاز أن يوصف بضده وهو القبح، ولما لم يجز أن يوصف بضده؛ وجب أن يوصف به، ألا ترى أنا وصفناه بالعلم والقدرة والكلام، لأن في نفيها إثبات أضدادها وذلك مستحيل عليه، كذلك ها هنا.

فإن قيل: قوله: "**جميل**" بمعنى: مجمل من شاء من خلقه، لأن فعيل قد يجيء على معنى: مفعل، ومنه قولنا: حكيم، والمراد محكم لما فعله.

---

(١) الفوائد، لابن القيم، صـ ٢٠٢

(٢) صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، (٤٤٨).

قيل: هذا غلط، لأن الخبر ورد على سبب، وهو الحث لهم على التجمل في صفاتهم لا على معنى التجميل في غيرهم فكان مقتضى الخبر، إن الله جميل في ذاته يجب أن تتجملوا في صفاتكم، فإذا حمل الخبر على فعل التجميل في الغير، عدل بالخبر عما قصد به.

فإن قيل: معنى الجمال ها هنا الإحسان والإفضال، فيكون معناه: هو المظهر النعمة والفضل على من شاء من خلقه برحمته، قيل: هذا غلط لأنه قد ذكر الجمال والإحسان والإفضال فقال: " **إن الله جميل يحب الجمال**"[1]، فإذا حملنا الجمال على ذلك حمل اللفظ على التكرار وعلى ما لا يفيد.

وجواب آخر: وهو أن نعم الله ظاهرة، فحمل الخبر على هذا يسقط فائدة التخصيص بالجمال"[2] .

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الجميل

لاسم الله الجميل آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وبعض هذه الآثار سوف نتناولها في هذا المقام على النحو الآتي:

١ـ فمن الآثار الإيماني لاسم الله الجميل محبته الله تعالى؛ لأن له كمال الجمال في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وليس في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله صفة نقص وذم، بل هي كلها جميلة وحسننه.

والجمال أحد أركان الجلال، والجلال منتهى الحسن في الذات والصفات والأفعال، والجلال يقوم على أمرين اثنين: فالجمال بلوغ الحسن منتهاه،

(1) صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١، برقم(٩١) .

(2) إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبو يعلى، صـ ٤٦٥

والكمال بلوغ الوصف أعلاه،، قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن:٢٦/٢٧]، وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٧٨]، وعن النعمان بن بشر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **إن مما تذكرون من جلال الله التسبيح والتهليل والتحميد ينعطفن حول العرش، لهن دوي كدوي النحل تذكر بصاحبها، أما يحب أحدكم أن يكون له أو لا يزال له من يذكر به** " [1].

فحقيق بمن هذا وصفه أن يحب لذاته، وقد فطر الله النفوس على محبة من كان له كمال الجمال والكمال، قال العلامة ابن القيم": " تعرف الله سبحانه إلى عباده من أسمائه وصفاته وأفعاله بما يوجب محبتهم له، فإن القلوب مفطورة على محبة الكمال؛ ومن قام به، والله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق من كل وجه؛ الذي لا نقص فيه بوجه ما.

وهو سبحانه "**الجميل** الذي لا أجمل منه، بل لو كان جمال الخلق كلهم على رجل واحد منهم؛ وكانوا جميعهم بذلك الجمال: لما كان لجمالهم قط نسبة إلى جمال الله؛ بل كانت النسبة أقل من نسبة سراج ضعيف إلى حذاء جرم الشمس: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النحل: ٦٠]" [2].

ومما يترتب على هذه المحبة الشوق إلى رؤية الله تعالى في الآخرة، وهذه الرؤية أعظم نعيم أهل الجنة، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يكثر أن

(1) سنن ابن ماجة في الأدب، باب فضل التسبيح ٢/ ١٢٥٢ ، برقم (٣٨٠٩)، وهو في السلسلة الصحيحة، للألباني، برقم (٣٣٥٨) .

(2) روضة المحبين، لابن القيم، صـ ٤٢٠.

يقول في دعائه: "**وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**[1].

٢- ومن الآثار الإيماني لاسم الله الجميل أن يأخذ المؤمن حظه من اسم الله الجميل؛ بأن يحرص على جمال ظاهره وباطنه، فإذا أنعم الله على عبد من عباده أحب أن يرى أثر نعمه على عبده، فعن أبي سعيد – رضي الله عنه – مرفوعا: " **إن الله تعالى جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس** " [2].

وعن عبد الله ابن مسعود – رضي الله عنه قال، قال رجل: يا رسول الله، إني ليعجبني أن يكون ثوبي غسيلا ورأسي دهينا وشراك نعلي جديدا، وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه أفمن الكبر ذاك يا رسول الله؟ قال: **لا، ذاك الجمال، إن الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر من سفه الحق وازدرى الناس**" "[3].

وقال العلامة ابن القيم "الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع، منه ما يحمد، ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم. فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله وتنفيذ أوامره والاستجابة له كما كان النبي × يتجمل للوفود وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه، فإن ذلك محمود إذا تضمن إعلاء كلمة الله ونصر دينه وغيظ عدوه، والمذموم منه ما كان للدنيا والرياسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات وأن

---

(١) صحيح النسائي، للألباني، برقم، (١٢٣٧).

(٢) صحيح الجامع الصغير، للألباني، برقم(١٧٤٢) .

(٣) مسند أحمد، برقم(٣٧٨٩)، قال شعيب الأرناؤوط : مرفوعه صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف؛ لإرساله يحيى بن جعدة لم يلق ابن مسعود، كما في المراسيل لابن أبي حاتم.

يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه، فإن كثيرا من النفوس ليس لها همة في سوى ذلك، وأما ما لا يحمد ولا يذم هو ما خلا عن هذين القصدين وتجرد عن الوصفين"[1].

وليحرص المؤمن على جمال باطنه أشد من حرصه على جمال ظاهر؛ لأنه محل نظر الله تعالى، فينقية من أمراض القلوب الكبيرة، كالكبر والغل والحقد والحسد، ومن الاعتقادات الفاسدة وغيرها من أمراض والتي إذا نظر الله إلى قلب العبد ووجده متسخ بها، قد يمقت الله هذا العبد، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بأصابعه إلى صدره**"[2]، وليحرص المؤمن على أن يتطهر من الذنوب والمعاصي، وليبادر إلى التخلص منها بالتوبة إلى الله تعالى، وبذلك يجمل باطنه كما جمل ظاهره.

٣ـ ومن الآثار الإيماني لاسم الله الجميل أن يدعو المؤمن ربه باسمه الجميل أو بما يدل عليه مقتضى هذا الاسم، وصفاً أو معنى، فعن عبد الله بن عمر وقيل عن الحسن بن علي – رضي الله عنهم – أنه قال في دعائه:" **اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية** " [3].

وعن عمار بن ياسر – رضي الله عنه – في دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – الذي فيه: " **وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير**

([1]) الفوائد، لابن القيم، صـ ١٨١.

([2]) صحيح مسلم، برقم(٤٦٥٠).

([3]) ضعيف الجامع الصغير للألباني، برقم (١١٧٩)

ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين"[1]

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي – صلى الله عليه وسلم – في حادثة الإفك: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم: إني بريئة والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[يوسف: ١٨]. [2].

([1]) سنن النسائي في كتاب السهو ٣/٥٤ ، برقم (١٣٠٥)، وهو في صحيح الجامع الصغير، للألباني، برقم (١٣٠١) .

([2]) صحيح البخاري في الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا ٢/٩٤٥ ، برقم (٢٥١٨) .

٤٤ ـ السيد جل جلاله

ملاحظه/ يجعل هذا الإسم بعد الصمد لان معناهما متقارب

السيد من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" السيد في اللغة صفة مشبهة للموصوف بالسيادة، أصله من ساد يسود فهو سيود فقلبت الواو ياء لأجل الياء الساكنة قبلها ثم أدغمت، وقد سادهم سودا وسيادة يعني استادهم،

قال ابن شميل: السيد الذي فاق غيره بالعقل والمال والدفع والنفع، والمعطي ما له في حقوقه المعين بنفسه فذلك السيد، وقال عكرمة: السيد الذي لا يغلبه غضبه.

وقال الفراء: السيد الملك، والسيد الرئيس، والسيد السخي، وسيد العبد مولاه، والأنثى من كل ذلك بالهاء، وسيد المرأة: زوجها.

وقال الراغب: "السيد: المتولي للسواد أي الجماعة الكثيرة.

والسيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم، والسيد على الإطلاق هو الله لأنه مالك الخلق أجمعين ولا مالك لهم سواه ٠

السؤدد: الشرف، وقال أبو خبرة: سمي سيدا لأنه يسود سواد الناس أي عظمهم."[١] .

([١]) لسان العرب، لابن منظور ٣/٢٢٨، الصحاح في اللغة، للجوهري، ٢/٤٩٠، المفردات، للراغب الأصفهاني، صـ٢٤٧. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٢/٤١٧.

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله السيد وردت له عدت تعريفات اصطلاحية، ومن هذه التعريفات ما ذكره الإمام ابن القيم، حيث قال:" السيد إذا أطلق على الله تعالى فهو بمعنى المالك والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق) [١]

وقال في نونيته:

وهو الإله السيد الصمد الذي صمدت إليه الخلق بالإذعان

الكامل الأوصاف من كل الوجوه كماله ما فيه من نقصان [٢]

وقال الحليمي: ومعناه المحتاج إليه بالإطلاق، فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي إليه يرجعون، وبأمره يعملون، وعن رأيه يصدرون ومن قوله يستهدون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقا للباري جل ثناؤه ولم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم وهو الوجود، إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض العارضة أثناء البقاء، كان حقا له جل ثناؤه أن يكون سيدا، وكان حقا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم"[٣]

وقال الإمام البيهقي:" السيد الذي يصمد إليه في الأمور، ويقصد في الحوائج، وقيل: هو الباقي الذي لا يزول، وهو من صفات الذات"[٤]

وقال الخطابي:" السؤدد على حقيقته لله تعالى، والخلق كلهم عبيد له"[٥].

([١]) بدائع الفوائد، لابن القيم ٣/٧٣٠ .

([٢]) النونية، لابن القيم ٢/٢٣١.

([٣]) الأسماء والصفات، للبيهقي ١/ ٤١.

([٤]) الاعتقاد، للبيهقي صـ ٢١.

([٥]) معالم السنن، للخطابي ٧/١٧٦.

ثالثاً: وروده في القرآن والسنة

اسم الله تعالى السيد لم يرد ذكر في القرآن الكريم، وإنما ورد في السنة الصحيحة، فعن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: "قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا فقال صلى الله عليه وسلم : "**السيد الله**" قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال: " **قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان**" [1].

وفي رواية أخرى عن قتادة قال: سمعت مطرف بن عبد الله بن الشخير يحدث عن أبيه – رضي الله عنه – أن رجلا جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: أنت سيد قريش، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – **": السيد الله"**، قال: أنت أفضلها فيها قولا وأعظمها فيها طولا، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : **ليقل أحدكم بقوله ولا يستجره الشيطان** " [2]، قال العلامة ابن القيم في تعليقه على هذا الحديث:" وهذا الحديث يدل دلالة صريحة على إثبات اسم الله السيد، وأن الذي سماه بذلك هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وليس بعد قول رسول الله تعقيب، لأنه – صلى الله عليه وسلم – يعني السيادة المطلقة التي تتضمن كل أوجه الكمال والجمال، فالسيد إطلاقا هو رب العزة والجلال، ولم ينف – صلى الله عليه وسلم – السيادة المقيدة التي تليق بالمخلوق، أو السيادة النسبية التي تتضمن المفاضلة والتفوق على الآخرين.

---

(1) صحيح أبي داود، للألباني، برقم (٤٠٢١).

(2) مسند أحمد برقم(١٦٣٥٠) قال شعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم

وصف الرب تعالى بأنه **السيد** فذلك وصف لربه على الإطلاق، فإنه سيد الخلق: هو مالك أمرهم الذي إليه يرجعون؛ وبأمره، يعملون؛ وعن قوله يصدرون، فإذا كانت الملائكة والإنس والجن خلقا له سبحانه وتعالى وملكا له، ليس لهم غنى عنه طرفة عين، وكل رغباتهم إليه، وكل حوائجهم إليه: كان هو سبحانه وتعالى السيد على الحقيقة ."[1] .

قد يقول قائل وردت نصوي بجواز اطلاق السيد على المخلوق كما في قوله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩]، وكما جاء في حديث الشفاعة: "**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**"[2]، وقوله صلى الله عليه وسلم في حق الحسن ابن على رضي الله عنه:" **إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**"[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم لقوم سعد بن معاذ: "**قوموا إلى سيدكم**"[4]، فكيف نجمع بين هذه النصوص وبين قوله صلى الله عليه وسلم: **:" السيد الله"** ؟.

وللإجابة عن ذلك قال ابن منظور في لسان العرب:" قال ابن الأنباري: إن قال قائل: كيف سمى الله – عز وجل – يحيى سيدا وحصورا، والسيد هو الله، إذ كان مالك الخلق أجمعين، ولا مالك لهم سواه؟ قيل له: لم يرد بالسيد ههنا المالك، وإنما أراد الرئيس والإمام في الخير، كما تقول العرب: فلان سيدنا، أي:

---

(1) تحفة المولود بأحكام المولود، لابن القيم، صـ ١٠٩.

(2) صحيح الجامع الصغير، للألباني، برقم (١٤٦٨).

(3) صحيح البخاري، برقم(٢٥٠٥).

(4) سنن أبي داود، برقم (٥٢١٥)، وصححه الألباني في صيح الجامع، برقم (٤٤٢٧).

رئيسنا والذي نعظمه وأما صفة الله – جل ذكره – بالسيد فمعناه أنه مالك الخلق، والخلق كلهم عبيده.

ونحو ذلك ما جاء في حديث مطرف بن عبد الله بن الشخير، إذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أنت سيدنا فقال صلى الله عليه وسلم : **"السيد الله"** قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال: " **قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان**" [(١)]. قال أبو منصور الأزهري: كره النبي صلى الله عليه وسلم أن يمدح في وجهه، وأحب التواضع لله تعالى، وجعل السيادة للذي ساد الخلق أجمعين.

أما قوله صلى الله عليه وسلم: **"أنا سيد ولد آدم ولا فخر"** ، أراد أنه أول شفيع وأول من يفتح له باب الجنة، قال ذلك إخبارا عما أكرمه الله به من الفضل والسؤدد، وتحدثا بنعمة الله عنده، وإعلاما منه ليكون إيمانهم به على حسبه وموجبه.

ولهذا أتبعه بقوله: **"ولا فخر"** أي: إن هذه الفضيلة التي نلتها كرامة لله، لم أنلها من قبل نفسي، ولا بلغتها بقوتي فليس لي أن أفتخر، وقيل في معنى قوله لهم لما قالوا له: أنت سيدنا: " **قولوا بقولكم**" ادعوني نبيا ورسولا كما سماني الله، ولا تسموني سيدا كما تسمون، فإني لست كأحدهم ممن يسودكم في أسباب الدنيا.

أما قوله صلى الله عليه وسلم في حق الحسن ابن على رضي الله عنه:" **إن ابني هذا سيد**"، فقد بين بعدها حقيقة السيادة فقال صلى الله عليه وسلم:" **ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**".

---

(١) سبق تخريجه قبل قليل

أما قوله صلى الله عليه وسلم لقوم سعد ابن معاذ: "**قوموا إلى سيدكم**" أراد أنه أفضلكم رجلا وأكرمكم. (١).

ومما سبق يتبن لنا أنه يجوز اطلاق لفظ السيد على غير الله تعالى، إذا لم يترتب على ذلك محذورا، أو كلن اطلاق ذلك من باب المفاخرة، قال الخطابي: وإنما منع النبي أصحابه أن يدعوه سيدا، فيما نرى أن يدعوه سيدا، مع قوله: "**أنا سيد ولد آدم**"، وقوله لقومه:" **قوموا إلى سيدكم**"، من أجل أنهم قوم حديث عهدهم بالإسلام(٢).

وقال الإمام النووي:" قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار: " **قوموا إلى سيدكم**"، فيه: إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا، هكذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام، قال القاضي : وليس هذا من القيام المنهي عنه، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس، ويمثلون قياما طول جلوسه، قلت : القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاء فيه أحاديث، ولم يصح في النهي عنه شيء صريح والله أعلم"(٣).

ومما ينبغي التنبيه عليه أنه بعض البلاد العربية يسمون أولادهم باسم سيد، صحيح أنه يجوز اطلاع اسم السيد على غير الله تعالى كما بينا ذلك، لكن باب التأدب مع اسم الله السيد أن لا يسمي المسلم نفسه أو ولده بسيد، ومن سمي بذلك يستحب أن يغيره إلى عبد السيد، أو إلى اسم آخر، وقد ثبت أن النبي –

(١) لسان العرب، لابن منظور ٣/٢١٤٤، باختصار وتصرف .

(٢) معالم السنن، للخطابي ٧/١٧٦، ١٧٧.

(٣) شرح صحيح مسلم، للنووي – ٦/ ٢١٧)

صلى الله عليه وسلم – غير كنية أبي الحكم إلى أبي شرح، فعن أبي شريح بن هانئ: أنه لما وفد إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: "**إن الله هو الحكم وإليه الحكم فلم تكنى أبا الحكم**"؟ فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "**ما أحسن هذا فما لك من الولد**"؟ قال: لي شريح ومسلم وعبد الله قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح، قال: **فأنت أبو شريح** " [1] .

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله السيد

لاسم الله السيد آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وبعض هذه الآثار سوف نتناولها على النحو الآتي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله السيد أن يتخذ المؤمن ربه سيداً له ومولاه، فيطيعه فيما يأمره وينتهي عما نهاه عنه، وإلا كان عبداً آبقاً عن سيده ومولاه؛ لأنه سيد هذا الكون ومالكه، المتصرف فيه، والمدبر لشؤون عباده، وما من دابة في هذا الوجود إلا هو سيدها ومالكها وآخذ بناصيتها.

والمؤمن إن لم يكن عبداً لله سيده ومولاه، اتخذ من دونه أسياداً وأربابا من البشر،

فالمؤمن العاقل يتخذ الله سيداً له ومولاه؛ لان الله له السيادة المطلقة في هذا لكون والوجود، ومن هنا قال أبو الأنبياء إبراهيم – عليه السلام –: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ

---

(١) صحيح النسائي، للألباني، برقم (٥٣٨٧).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ
يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ
﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ
﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٧٥ – ٨٥].

وعلى المؤمن أن يعلم أن الشرف والسيادة الحقيقية في هذه الدنيا إنما ينال بطاعة الله تعالى وتقواه، فأه الإيمان الحق هم السادة الخلق، أما أهل الكفر والنفاق والعصيان فلا كرامة لهم ولا سيادة، وإن حصل لهم نوعا من السيادة الزائفة الخادعة في وقت من الأوقات؛ ولهذا جاء النهي النبوي عن تسمية المنافق بالسيد ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيدا فقد أسخطتم ربكم عز وجل** "[1]، قال العظيم آبادي في شرحه لهذا الحديث:" قوله صلى الله عليه وسلم " **لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيدا**" أي: سيد قوم أو صاحب عبيد وإماء وأموال" **فقد أسخطتم ربكم عز وجل**" : أي أغضبتموه؛ لأنه يكون تعظيما له وهو ممن لا يستحق التعظيم فكيف إن لم يكن سيدا بأحد من المعاني فإنه يكون مع ذلك كذابا ونفاقا.

وقيل معناه إن يك سيدا لكم فتجب عليكم طاعته، فإذا أطعتموه فقد أسخطتم ربكم أو لا تقولوا لمنافق سيد فإنكم إن قلتم ذلك فقد أسخطتم ربكم، فوضع الكون موضع القول تحقيقا له كذا في المرقاة ملخصا.

---

(1) صحيح أبي داود، للألباني ، برقم (٤٩٧٧).

وقال ابن الأثير: لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن كان سيدكم وهو منافق، فحالكم دون حاله، والله لا يرضى لكم ذلك"[1].

فحري بالعبد المؤمن الموحد أن يلجأ إلى سيده ومولاه في حال غناه وفقرة ؛ وبالتالي سيزول منه الخوف والتعظيم ممن يدعون السيادة من البشر؛ لأنهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتاً ولا حياةً ولا نشورا، فضلا عن أن يملكون ذلك لغيرهم، وصدق الله القائل: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴾ [مريم:٩٣]، فلا يذل المؤمن ولا يخضع، إلا لله وحده سيده ومولاه.

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله السيد أن يأخذ المؤمن حظه من هذا الاسم، فإذا أعطى الله تعالى عبداً من عباده سيادةً ووجاهة في قومه وعشيرته فعليه أن يستشعر أنه مهما بلغ من السيادة في هذه الدنيا فهي سيادة ناقصة زائلة، وهذا الشعور يثمر في حياته التواضع، فلا يستخدم سيادته ووجاهته في ظلم الناس والتكبر عليهم أو أخذ حقوقهم؛ لأنه يعلم السيادة الحقيقية والسرمدي لله عز وجل، وأنه الله سوف يجازيه عن كل ما اقترفت يداه بسبب سوء تصرفه بالسيادة التي منحها الله له.

فالسيد الحق من يستخدم هذه السيادة والوجاهة في نفع الناس في الإصلاح فيما بينهم، وهذا ما أشار إليه النبي صلى الله علي وسلم في قوله سبطه عن

---

[1] عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم ابادي ٢٦/ ١٥٩.

الحسن ابن رضي الله حيث قال صلى الله عليه وسلم:" **إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**"[١]

فقول النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسن ابن علي هذه المقالة، فيها هذا دليل على أن السيادة الحقيقة إنما يستحقها من يكون سبباً للإصلاح بين الناس حقناً لدمائهم، وصونا لمقدراتهم وطاقاتهم، وعمل على تقريب وجهات نظرهم عند التنازع والاختلاف فيما بينهم، ولو أدى ذلك لتنازله عن بعض حقوقه.

فقد تنازل الحسن ابن على عن الملك والسلطان لمعاوية ابن أبي سفيان ليس عن ضعف والا عن قلة، بل حقنا لدماء المسلمين ورغبة لما عند الله تعالى من أجر وثواب، فعن أبي موسى قال سمعت الحسن(البصري) يقول: استقبل والله الحسن بن علي بن معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو ابن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها فقال له معاوية – وكان الله خير الرجلين –: أي عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه. فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له فطلبا إليه فقال لهما الحسن ابن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها، قالا فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك قال فمن لي بهذا ؟ قالا نحن لك به فما سألهما شيئا إلا قالا نحن لك به فصالحه. فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول رأيت رسول الله صلى الله

(١) سبق تخريجه قبل قليل.

عليه و سلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول" **إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**"[(١)].

وفي تحقق هذا الإصلاح بين ها تين الطائفتين المؤمنتين المتقاتلتين علم من أعلام النبوة حيث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الإصلاح بين هاتين الطائفتين المؤمنتين فوقع كما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن بطال: "سلم الحسن لمعاوية الأمر وبايعه على إقامة كتاب الله وسنة نبيه، ودخل معاوية الكوفة وبايعه الناس فسميت سنة الجماعة؛ لاجتماع الناس وانقطاع الحرب، وبايع معاوية كل من كان معتزلا للقتال كابن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة، وانصرف الحسن إلى المدينة، وولى معاوية الكوفة المغيرة بن شعبة والبصرة عبد الله بن عامر ورجع إلى دمشق"[(٢)].

٣ـ ومن الآثار الإيمانية للإيمان باسم الله السيد أن يدعو المؤمن ربه باسمه السيد أو بما يدل عليه، ومما ورد في ذلك دعاء الإمام أحمد لما جاءه خادم المأمون وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول: يعز علي أبا عبد الله، إن المأمون قد سل سيفا لم يسله قبل ذلك، وأقسم إن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف، فجثي الإمام أحمد على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء، وقال: سيدي غر حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب

---

(١) صحيح البخاري، برقم (٢٥٥٧)

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني٦٣/١٣ باختصار، للتوسع في موضوع فضل الإصلاح بين الناس، راجع بحث الإصلاح بين الناس في ضوء القرآن الكريم، للمؤلف.

والقتل، اللهم فإن لم يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته، فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل [1].

وتلا يحيي بن معاذ الرازي هذه الآية: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٣ – ٤٤]، قال: إلهي وسيدي، هذا رفقك بمن يزعم أنه إله، فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله؟ " [2] .

لما كان من معاني اسم الله الصمد السيد الذي كمل سؤدده في كل شيء، فإنما دعي به اسم الله الصمد يجوز به دعاء اسم الله السيد، فعن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول:" اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"، فقال صلى الله عليه وسلم:" **لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب**"[3].

---

(1) البداية والنهاية، لابن كثير ٣٣٢/١٠، وحلية الأولياء، لأبي نعيم ١٩٥/٩.

(2) شعب الإيمان، للبيهقي، ١٢١/٤ .

(3) سنن الترمذي ،برقم(٣٥٤٢)، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، برقم (١٣٢٤).

٤٥ ـ الستير جل جلاله

الستير من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" الستير في اللغة على وزن فعيل من صيغ المبالغة، فعله ستر الشيء يستره سترا أخفاه، والستير هو الذي من شأنه حب الستر والصون والحياء، وتستر أي: تغطى، وجارية مسترة أي: مخدرة.

الستر تغطية الشيء، والستر والسترة ما يستتر به، والاستتار: الاختفاء.

والسترة ما يستر به كائنا ما كان، وستر الشيء غطاه، وتستر أي تغطى، وجارية مسترة يعني مستورة في خدرها، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ [الإسراء:٤٥]، أي حجابا على حجاب، فالأول مستور بالثاني، أراد بذلك كثافة الحجاب؛ لأنه جعل على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا [١].

والستر يأتي أيضا بمعنى المنع والابتعاد عن الشيء، فعن أم عائشة رضي الله عنها أنها قالت:" **جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني، فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي – صلى الله عليه وسلم – فحدثته فقال: من يلي من هذه البنات شيئا فأحسن إليهن كن له سترا من النار**" [٢].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٤/ ٣٤٤، المفردات، للراغب الأصفهاني، صـ ٢٢٣.

(٢) صحيح البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ٥/٢٢٣٤ ، برقم(٥٦٤٩) .

وعن أبي سعيد – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه، فإن أبى فليقاتله، فإنما هو شيطان** "[1] .

ثانياً: معناه في الاصطلاح

اسم الله الستير وردت له عدة تعريفات اصطلاحية، ومن هذه التعريفات ما ذكره الإمام البيهقي، حيث قال:" **الستير**: من يستر على عباده كثيرا ولا يفضحهم في المشاهد، كذلك يحب من عباده الستر على أنفسهم واجتناب ما يشينهم والله أعلم"[2] .

وقال ابن منظور: "والستير: من شأنه وإرادته حب الستر والصون، وفي الحديث: "**إن الله حيي ستير يحب الستر**"[3]

قال ابن القيم في نونيته

"وهو الحيي فليس يفضح عبده عند التجاهر منه بالعصيان

لكنه يلقي عليه ستره فهو الستير وصاحب الغفران"[4].

وللستير روايتان: إحداهما بكسر السين وتشديد التاء مكسورة(السِّتِّير)؛ والثانية: بفتح السين وكسر التاء مخففة(السِّتِير)[5] .

([1]) صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب يرد المصلي من مر بين يديه ١/١٩١، برقم (٤٨٧) .

([2]) الأسماء والصفات، للبيهقي، صـ ٩١.

([3]) لسان العرب، لابن منظور ٣/١٩٣٥.

([4]) نونية ابن القيم، ٢/٢٢٧.

([5]) حاشية سنن أبي داود ٤/٣٠٢، لابن القيم، ومختصر السنن ٦/١٥.

وقد جرى على ألسنة كثير من الناس دائهم لله باسم الساتر أو الستار، فيدعون قائلين(يا ساتر أو يا ستار) وهذان الاسمان ولم يردا في السنة الصحيحة، فلا يدعو المسلم ربه بهذين الاسمين ويكتفي بدعر الله باسمه الثابت، فيقول(يا ستير).

قال الشيخ الألباني:" لا يوجد في أسماء الله عز وجل إلا الستير، أما الساتر، والستار فلم يردا في أسماء الله تعالى، وإن كان معناهما صحيح"[١]

ثالثاً: وروده في القرآن والسنة

اسم الله تعالى الستير لم يرد ذكره في القرآن الكريم، وإنما ورد ذكره في السنة الصحيحة، فعن يعلى بن أمية – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يغتسل بالبراز، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال صلى الله عليه وسلم: " **إن الله – عز وجل – حيي ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**"[٢]،

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة** " [٣].

وفي رواية من حديث ابن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**" [٤] .

---

(١) موسوعة الألباني في العقيدة (٦/ ٢٠٩)، بتصرف يسير.

(٢) سنن أبي داود، برقم (٤٠١٢)، وصححه الألباني في صحيح النسائي، برقم (٣٩٣).

(٣) صحيح مسلم في البر والصلة والأدب، برقم(٤٦٩١

(٤) صحيح مسلم ، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٢/٨٦٢، برقم (٢٣١٠) .

وعن عبادة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه** " [١].

قال محمود السبكي في شرحه يعلى بن أمية:" وفى هذا الحديث دلالة على مشروعية الستر عند الغسل. واتفق العلماء على وجوبه في الجلوة حيث يراه الناس، واختلفوا فيه في الخلوة أو في الجلوة ولم يره أحد.

فذهب ابن أبى ليلى إلى وجوبه مستدلا بظاهر حديث يعلى بن أمية السابق الذكر وفيه قال صلى الله عليه وسلم:" **إذا اغتسل أحدكم فليستتر**".

وذهب الجمهور إلى استحبابه مستدلين بحديث أم هانئ قالت ذهبت إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره بثوب، فإنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كان يغتسل في بيته ولم يأمر أبا السمح إلا بانصراف وجهه عنه ولم يأمره بالستر وإنما كان يفعله هو من نفسه وكذلك فاطمة. وهو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وإن أقرّهما على ذلك فلا يلزم من الإقرار الوجوب، وحملوا الأمر في الحديث المتقدّم على ما إذا كان يراه الناس"[٢] .

وعن ابن عباس – رضي الله عنه –: " أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن فقال لهما بن عباس:" **إن الله ستير يحب الستر**" كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما

---

(١) صحيح البخاري في الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار ١/١٥ ، برقم (١٨) .
(٢) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود، لمحمود السبكي، (٣/ ٢٥٢).

فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه في حجره وهو على أهله فأمرهم الله عز و جل أن يتسأذنوا في تلك العورات أو ولده أو يتيمه في حجره وهو على أهله فأمرهم الله عز و جل أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله عز و جل ثم جاء الله عز و جل بعد بالستور وبسط عليهم في الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمر الله به [١] .

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الستير

اسم الله **الستير** له آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وبعض هذه الآثار سوف نتناولها في هذا المقام على النحو التالي:

١ـ ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله الستير أن يحب المؤمن ربه الستير؛ لأنه يستر عباده ولا يفضحهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة على ذنوبهم وخطاياهم، ومن رحمته بعباده أن جعل لهم مكفرات لذنوبهم وخطاياهم، موسى بن طلحة عن أبي اليسر كعب بن عمرو – رضي الله عنه – قال: أتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت: إن في البيت تمرا أطيب منه، فدخلت معي في البيت، فأهويت إليها فقبلتها، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له، قال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا فلم أصبر.

فأتيت عمر فذكرت ذلك له؛ فقال: استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا، فلم أصبر.

---

(١) السنن الكبرى، للبيهقي كتاب النكاح ٧/٩٧، برقم (١٣٣٣٧)، وهو في سنن أبي داود في كتاب الأدب، باب الاستئذان في العورات الثلاث ٤/٣٤٩ ، برقم(٥١٩٢) ولفظه: " **إن الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر**"، قال الألباني: حسن موقوف.

فأتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذكرت ذلك له، فقال له: أخلفت غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا، حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا تلك الساعة، حتى ظن أنه من أهل النار، قال: وأطرق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – طويلا حتى أوحى الله إليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [هود:١١٤]، قال أبو اليسر: فأتيته فقرأها علي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال أصحابه: يا رسول الله: ألهذا خاصة أم للناس عامة؟ قال: "**بل للناس عامة** " [١] .

وإذا تاب العبد إلى ربه توبة صادقة، غفر الله له ذنوبه، ستره في الدنيا والآخرة، ابن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين**" [٢].

فحقيق بمن وصفه الستر مع بقية أوصافه الأخرى الكاملة أن يحب كل الحب، وأن يفرد وحده بكامل المحبة والتعظيم والإجلال.

---

(١) سنن الترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة هود ٥/٢٩٢ ، برقم (٣١١٥)، وقال عنه الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح.

(٢) صحيح البخاري في المظالم، باب قول الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين ٢/٨٦٢ ، برقم (٢٣٠٩) .

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الستير أن يأخذ المؤمن حظه من اسم اله الستير، فإذ وقع في ذنب أو خطأ ستر نفسه، وأن لا يجاهر بذنبه أو معصيه، وجاهد نفسه على التوبة من هذا الذنب والمعصية؛ لعل ألله أن يعافيه ويتوب عليه، أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: " **كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه** " [١].

وعن عبادة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه** " [٢]' وحري بالعبد أن يتأدب مع ربه الستير سبحانه وتعالى أن ويستحي منه؛ لأنه يراه في جميع أحواله، ولا يخفى عليه من عبده خافية، من طاعاته ومعاصيه.

وينبغي للمؤمن إذا اطلع على ذنب وقع فيه مؤمن آخر فعليه أن يستره، وعليه أن لا يكون ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا؛ لأن الله قد توعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة قال تعالى-:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾ { [النور ١٩].

---

(١) صحيح البخاري في الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه ٥/٢٢٥٤ ، برقم(٥٧٢١) .

(٢) صحيح البخاري، برقم (١٨) .

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تتبع عورات المسلمين والبحث عنها وكشفها فقال: "**يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع عورته يفضحه في بيته**"(١).

فمن التزم بهذا الخلق عامله الله من جنس عمله في الآخرة، بأن يستره الله في آخرته، ابن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة** " (٢).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " **لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة** " (٣).

وفي رواية من حديث ابن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**" (٤) .

٣- ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الستير أن يدعو المؤمن ربه أن يستر عليه عوراته وأن يؤمن عليه روعاته، وأسوته في ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فعن خباب الخزاعي – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله –

---

(١) مسند أحمد ٤/٤٢٠، برقم (١٩٧٩١)، قال شعيب الأرناؤوط : صحيح لغيره وهذا إسناد حسن، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود، برقم (٤٠٨٣).

(٢) صحيح البخاري في المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٢/٨٦٢ ، برقم(٢٣١٠) .

(٣) سبق تخريجه قبل قليل.

(٤) سبق تخريجه قبل قليل.

صلى الله عليه وسلم – يقول: " **اللهم استر عورتي وآمن روعتي واقض عني ديني** " [1] .

وعن ابن عمر – رضي الله عنه – أنه قال: لم يكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: "**اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عورتي أو عوراتي، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي** " [2]

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أنه قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال: نعم:" **اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا**" قال: فضرب الله – عز وجل – وجوه أعدائه بالريح، فهزمهم الله عز وجل بالريح " [3] .

---

(1) المعجم الكبير، للطبراني، ٨١/٤ ، برقم(٣٧١٠)، وهو في صحيح الجامع، للألباني، برقم (١٢٦٢) .

(2) سنن أبي داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح ٣١٨/٤ (٥٠٧٤)،وهو في صحيح الجامع ، للألباني، برقم(١٢٧٤) .

(3) مسند حمد ٣/٣ ، برقم (١١٠٠٩)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف، قال الألباني: ضعيف، وله شاهد صحيح من رواية ابن عمر فيما كان يقوله صلى الله عليه وسلم حين يمسي وحين يصبح، السلسلة الصحيحة، لألباني، ٢٩/٥ ، برقم(٢٠١٨) .

٤٦ ـ المعطي جل جلاله

المعطي من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولاً: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" المعطي اسم فاعل فعله أعطى يعطي فهو معط، العطو: التناول، يقال: عطوت الشيء: تناولته باليد، والعطاء والعطية اسم لما يعطي وجمعها عطايا وأعطية، ورجل معطاء: كثير العطاء، وفلان يتعاطى كذا أي: يخوض فيه... واستعطى وتعطى: سأل العطاء، والعطاء إعطاء المال، والعطاء أصله اللفظي عطاو بالواو لأنه من عطوت إلا أن العرب تهمز الواو والياء إذا جاءتا بعد الألف؛ لأنها أفضل في النطق والحركة، ويقال استعطى وتعطي يعني سأل العطاء، وإذا أردت من زيد أن يعطيك شيئا تقول هل أنت معطيه؟ (١).

ثانياً: معناه في الاصطلاح

قال الإمام القرطبي:" المعطي سبحانه هو الذي أعطى كل شيء خلقه وتولى أمره ورزقه في الدنيا والآخرة كما قال تعالى عن موسى – عليه السلام – وهو يصف عطاء الربوبية: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه:٥٠]، وقال تعالى عن عطاء الآخرة: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود:١٠٨].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور ٦٨/١٥، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، صـ٦٧٢ .

وعطاء الله قد يكون عاما أو خاصا، فالعطاء العام يكون للخلائق أجمعين، والعطاء الخاص يكون للأنبياء والمرسلين وصالح المؤمنين، فمن العطاء العام ما ورد في قوله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء:٢٠]، والعطاء هنا هو تمكين العبد من الفعل ومنحه القدرة والاستطاعة، كل على حسب رزقه أو قضاء الله وقدره، ومن العطاء الخاص استجابة الدعاء وتحقيق مطلب الأنبياء والصالحين الأولياء، ومن ذلك الدعاء والعطاء في قول سليمان – عليه السلام –: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ [ص: ٣٥ – ٣٩]، وكذلك في دعاء زكريا – عليه السلام – حيث قال: ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ ﴾ [مريم:٥]، فحقق الله – عز وجل – مطلبه وأعطاه ما تمناه فقال: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ [مريم:٧]، وقال عن عطائه للمؤمنين في الآخرة: ﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النبأ:٣٦] (١).

وقال الإمام ابن القيم في نونيته:

"هو مانع معط فهذا فضله والمنع عين العدل للمنان

(١) الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي ٣٥٥/١، باختصار وتصرف.

يعطي برحمته من يشاء بحكمة والله ذو السلطان"[1].

ثالثاً: وروده في القرآن والسنة

اسم الله المعطي لم يرد في القرآن بالاسم الصريح(المعطي)، وإنما دل عليه القرآن بصيغة المصدر للفعل (عطاء) وذلك في قوله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠]، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره يمدّ ربك يا محمد كلا الفريقين من مريدي العاجلة، ومريدي الآخرة، الساعي لها سعيها وهو مؤمن في هذه الدنيا من عطائه، فيرزقهما جميعا من رزقه إلى بلوغهما الأمد، واستيفائهما الأجل ما كتب لهما، ثم تختلف بهما الأحوال بعد الممات، وتفترق بهما بعد الورود المصادر، ففريق مريدي العاجلة إلى جهنم مصدَرهم، وفريق مريدي الآخرة إلى الجنة مآبهم ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ يقول: وما كان عطاء ربك الذي يؤتيه من يشاء من خلقه في الدنيا ممنوعا عمن بسطه عليه لا يقدر أحد من خلقه منعه من ذلك، وقد آتاه الله إياه"[2].

كما دل القرآن الكريم على اسم الله المعطي بصيغة الفعل(أعطى)، وذلك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١]، ففي هذه الآية يخبر الله تعالى أنه أعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الكوثر، وهو بذلك يرد على المشركين من أهل مكه الذين كانوا يقولون عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه

---

(١) الكافية الشافية، لابن القيم، صـ ٢٤٨.

(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٤١٠.

أبتر، قال سيد قطب:" وهم بقولهم هذا يشيرون بهذا إلى موت الذكور من أولاده، وقال أحدهم: دعوه فإنه سيموت بلا عقب وينتهي أمره، وهذا اللون من الكيد اللئيم لعله أوجع قلب النبي صلى الله عليه وسلم ومسه بالغم والألم، فأنزل الله تعالى سورة الكوثر، وبين فيها أنه أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم خيراً كثيرا، فقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ ﴾ [الكوثر: ١]، أي: إنا أعطيناك ما هو كثر فائض غزير . غير ممنوع ولا مبتور، فإذا أراد أحد أن يتتبع هذا الكوثر الذي أعطاه الله لنبيه فهو واجده حيثما نظر أو تصور.

هو واجده في النبوة، في هذا الاتصال بالحق الكبير، والوجود الكبير، الوجود الذي لا وجود غيره ولا شيء في الحقيقة سواه . وماذا فقد من وجد الله؟

وهو واجده في هذا القرآن الذي نزل عليه، وسورة واحدة منه كوثر لا نهاية لكثرته ، وينبوع ثر لا نهاية لفيضه وغزارته!

وهو واجده في الملأ الأعلى الذي يصلي عليه، ويصلي على من يصلي عليه في الأرض، حيث يقترن اسمه باسم الله في الأرض والسماء .

وهو واجده في سنته الممتدة على مدار القرون، في أرجاء الأرض، وفي الملايين بعد الملايين السائرة على أثره ، وملايين الملايين من الألسنة والشفاه الهاتفة باسمه، وملايين الملايين من القلوب المحبة لسيرته وذكراه إلى يوم القيامة .

وهو واجده في الخير الذي فاض على البشرية في جميع أجيالها بسببه وعن طريقه . سواء من عرفوا هذا الخير فآمنوا به ، ومن لم يعرفوه ولكنه فاض عليهم فيما فاض!

وهو واجده في مظاهر شتى ، محاولة إحصائها ضرب من تقليلها وتصغيرها! إنه الكوثر ، الذي لا نهاية لفيضه ، ولا إحصاء لعوارفه ، ولا حد لمدلوله . ومن ثم تركه النص بلا تحديد ، يشمل كل ما يكثر من الخير ويزيد"[1].

ومن الآيات الدالة على اسم الله المعطي بصيغة الفعل قوله تعالى:﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥]، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" قيل المعنى : ولسوف يعطيك ربك الفتح في الدنيا والثواب في الآخرة ، فترضى . وقيل : الحوض والشفاعة . وقيل : ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك . وقيل : غير ذلك . والظاهر أنه سبحانه يعطيه ما يرضى به من خيري الدنيا والآخرة ، ومن أهمّ ذلك عنده ، وأقدمه لديه قبول شفاعته لأمته"[2] .

أما السنة النبوية فقد جاء فيها ذكر اسم الله المعطي صراحة، فعن معاوية – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، والله المعطي وأنا القاسم، ولا تزال هذه الأمة ظاهرة على من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**"[3] .

وفي رواية أخرى " **من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم ويعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله** "[4].

---

[1] في ظلال القرآن، لسيد قطب ٨/ ١١٣، باختصار تصرف.

[2] تفسير الشوكاني ٨/ ١٥.

[3] صحيح البخاري، برقم (٣١١٦).

[4] صحيح البخاري في الاعتصام، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم:" **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**" ٦/٢٦٦٧ ، برقم(٦٨٨٢) .

ومن مقتضيات اسم الله المعطي أنه تعالى لا يتبرم بعطائه بل إنه سبحانه يحب أن يجود على عباده ويحسن إليهم، والعطاء أحب إليه من المنع، وقد علق الإمام ابن القيم بين عطاء الله تعالى، وبين عطاء خلقه فقال رحمه الله:" فمن جوده ومحبته للجود والإعطاء والإحسان والبر والإنعام والإفضال فوق ما يخطر بال الخلق أو يدور في أوهامهم، وفرحه بعطائه وجوده وإفضاله أشد من فرح الآخذ بما يعطاه ويأخذه أحوج ما هو إليه أعظم ما كان قدرا فإذا اجتمع شدة الحاجة وعظم قدر العطية والنفع بها فما الظن بفرح المعطي.

ففرح المعطي سبحانه بعطائه أشد وأعظم من فرح هذا بما يأخذه ولله المثل الأعلى إذ هذا شأن الجواد من الخلق فإنه يحصل له من الفرح والسرور والإبتهاج واللذة بعطائه وجوده فوق ما يحصل لمن يعطيه ولكن الآخذ غائب بلذة أخذه عن لذة المعطي وابتهاجه وسروره هذا مع كمال حاجته إلى ما يعطيه وفقره إليه وعدم وثوقه بإستخلاف مثله وخوف الحاجة إليه عند ذهابه والتعرض لذل الإستعانة بنظيره ومن هو دونه ونفسه قد طبعت على الحرص والشح

فما الظن بمن تقدس وتنزه عن ذلك كله ولو أن أهل سماواته وأرضه وأول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما سأله ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة

وهو الجواد لذاته كما أنه الحي لذاته العليم لذاته السميع البصير لذاته فجوده العالي من لوازم ذاته والعفو أحب إليه من الإنتقام والرحمة أحب إليه من العقوبة والفضل أحب إليه من العدل والعطاء أحب إليه من المنع

فإذا تعرض عبده ومحبوبه الذي خلقه لنفسه وأعد له أنواع كرامته وفضله على غيره وجعله محل معرفته وأنزل إليه كتابه وأرسل إليه رسوله واعتنى بأمره ولم يهمله ولم يتركه سدى فتعرض لغضبه وارتكب مساخطه وما يكرهه وأبق منه ووالى عدوه وظاهره عليه وتحيز إليه وقطع طريق نعمه وإحسانه إليه التي هي أحب شيء إليه وفتح طريق العقوبة والغضب والإنتقام فقد استدعى من الجواد الكريم خلاف ما هو موصوف به من الجود والإحسان والبر وتعرض لإغضابه وإسخاطه وانتقامه وأن يصير غضبه وسخطه في موضع رضاه وانتقامه وعقوبته في موضع كرمه وبره وعطائه فاستدعى بمعصيته من أفعاله ما سواه أحب إليه منه وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان

فبينما هو حبيبه المقرب المخصوص بالكرامة إذا انقلب آبقا شاردا رادا لكرامته مائلا عنه إلى عدوه مع شدة حاجته إليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين

فبينما ذلك الحبيب مع العدو في طاعته وخدمته ناسيا لسيده منهمكا في موافقة عدوه قد استدعى من سيده خلاف ما هو أهله إذ عرضت له فكرة فتذكر بر سيده وعطفه وجوده وكرمه وعلم أنه لا بد له من وأن مصيره إليه وعرضه عليه وأنه إن لم يقدم عليه بنفسه قدم به عليه على أسوأ الأحوال ففر إلى سيده من بلد عدوه وجد في الهرب إليه حتى وصل إلى بابه فوضع خده على عتبة بابه وتوسد ثرى أعتابه متذللا متضرعا خاشعا باكيا آسفا يتملق سيده ويسترحمه ويستعطفه ويعتذر إليه قد ألقى بيده إليه واستسلم له وأعطاه قياده وألقى إليه زمامه فعلم سيده ما في قلبه فعاد مكان الغضب عليه رضا عنه ومكان الشدة عليه رحمة به وأبدله بالعقوبة عفوا وبالمنع عطاء وبالمؤاخذة حلما فاستدعى

بالتوبة والرجوع من سيده ما هو أهله وما هو موجب أسمائه الحسنى وصفاته العليا فكيف يكون فرح سيده به وقد عاد إليه حبيبه ووليه طوعا واختيارا وراجع ما يحبه سيده منه برضاه وفتح طريق البر والإحسان والجود التي هي أحب إلى سيده من طريق الغضب والإنتقام والعقوبة

وهذا موضع الحكاية المشهورة أنه حصل له شرود وإباق من سيده فرأى في بعض السكك بابا قد فتح وخرج منه صبي يستغيث ويبكي وأمه خلفه تطرده حتى خرج فأغلقت الباب في وجهه ودخلت فذهب الصبي غير بعيد ثم وقف مفكرا فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه ولا من يؤيه غير والدته فرجع مكسور القلب حزينا فوجد الباب مرتجا فتوسده ووضع خده على عتبة الباب ونام فخرجت أمه فلما رأته على تلك الحال، جبلت عليه من الرحمة بك والشفقة عليك وإرادتي الخير لك ثم أخذته ودخلت

فتأمل قول الأم لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة والشفقة

وتأمل قوله لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء

فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به فهذه نبذة يسيرة تطلعك على سر عطاء الله تعالى لعبده، فرحه الله بتوبته وطاعته"(١).

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله المعطي

---

(١) مدارج السالكين ، لابن القيم، ١/ ٢١٢.

لاسم الله المعطي آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وبعض هذه الآثار سوف نتناولها على النحو الآتي:

١ـ أن يحب العبد ربه سبحانه وتعالى المعطي؛ لعطاياه ونعمه عليه التي لا تعد ولا تحصى، قال العلامة ابن القيم:" لو لم يكن من تحببه إلى عباده وإحسانه إليهم وبره بهم إلا أنه خلق لهم ما في السماوات والأرض؛ وما في الدنيا والآخرة، ثم أهلهم وكرمهم؛ وأرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وشرع لهم شرائعه، وأذن لهم في مناجاته كل وقت أرادوا، وكتب لهم بكل حسنة يعملونها عشر أمثالها؛ إلى سبعمائة ضعف؛ إلى أضعاف كثيرة، وكتب لهم بالسيئة واحدة، فإن تابوا منها: محاها؛ وأثبت مكانها حسنة، وإذا بلغت ذنوب أحدهم عنان السماء ثم استغفره: غفر له، ولو لقيه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه بالتوحيد لا يشرك به شيئا: لأتاه بقرابها مغفرة وشرع لهم التوبة الهادمة للذنوب، فوفقهم لفعلها ثم قبلها منهم، وشرع لهم الحج الذي يهدم ما قبله؛ فوفقهم لفعله؛ وكفر عنهم سيئاتهم به، وكذلك ما شرعه لهم من الطاعات والقربات، وهو الذي أمرهم بها؛ وخلقها لهم؛ وأعطاهم إياها؛ ورتب عليها جزاءها.

فمنه السبب ومنه الجزاء؛ ومنه التوفيق ومنه العطاء أولا وآخرا، وهم محل إحسانه كله منه أولا وآخرا، وأعطى عبده المال؛ وقال: تقرب بهذا إلي أقبله منك، فالعبد له والمال له والثواب منه، فهو (المعطي) أولا وآخرا.

فكيف لا يحب من هذا شأنه؟ وكيف لا يستحي العبد أن يصرف شيئا من محبته إلى غيره؟ ومن أولى بالحمد والثناء والمحبة منه؟ ومن أولى بالكرم والجود والإحسان منه؟ فسبحانه وبحمده؛ لا إله إلا هو العزيز الحكيم"(١) .

ومحبة العبد لربه المعطي سبحانه وتعالى، تستلزم من العبد العمل بطاعة ربه واجتناب محارمه وتعظيم أوامره ونواهيه.

كما أن هذه المحبة تستلزم من العبد أن يعمل الأعمال الصالحة التي تؤهله إلى عطية الله العظمى في الآخرة وهي الجنة ونعيمها ورؤية الله – عز وجل – فيها، قال الله تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴿٢١﴾ ﴾[الإسراء: ٢١].

وقد ذكر النبي صلى الله عليه لأمته مقدار العطاء في الجنة الذي سيحصل عليه آخر رجل يدخل الجنة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:"... **ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار، وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها؟ فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال: يا رب**

(١) طريق الهجرتين، لابن القيم، صـ ٥٧١.

قدمني عند باب الجنة فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟ فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك، فيقول: فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسأل غير ذلك، فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا بلغ بابها، فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت، فيقول: يا رب أدخلني الجنة فيقول الله: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك، أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت؟ فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فيضحك الله – عز وجل – منه، ثم يأذن له في دخول الجنة فيقول: تمن، فيتمنى حتى إذا انقطعت أمنيته، قال الله – عز وجل –: تمن كذا وكذا، أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني، قال الله تعالى: لك ذلك ومثله معه " [1]

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال يقول الله تعالى لمن يخرجون من النار "...ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين، فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا " [2] .

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المعطي أن يأخذا المؤمن حظه من هذا الاسم، بأن يكون المؤمن سخياً في عطائه من ماله للفقراء والمساكين؛ لأن

---

(1) صحيح البخاري في الأذان، باب فضل السجود ١/٢٧٨ ، برقم(٧٧٣) .

(2) صحيح مسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية١/١٧٠ ، برقم(١٨٣) .

المال مال الله – عز وجل – والله هو المعطي على الحقيقة، فمن شكر الله – عز وجل – في نعمة المال الجود به وإعطائه لمستحقيه قال الله عز وجل: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾[الحديد: ٧].

وليكن قدته في هذا الباب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر فعن أنس – رضي الله عنه –: أن رجلا سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – فأعطاه غنما بين جبلين، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمدا ليعطى عطاء من لا يخاف الفاقة، وإن كان الرجل ليجيء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما يريد إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون الله أحب إليه أو أعز عليه من الدنيا بما فيها " [١].

وعن ابن عباس – رضي الله عنه –: أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، إن جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ فيعرض عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – القرآن، فإذا لقيه جبريل كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أجود بالخير من الريح المرسلة" [٢]،

وفي المقابل ينبغي للمؤمن أن يستعفف عن أموال الناس وأعطياتهم، وأن لا يسألهم شيئا من ذلك، وإن عرضت له حاجة عليه أن يتوجه إلى الله تعالى

---

(١) مسند أحمد ٣/٢٥٩ ، برقم(١٣٧٥٦)، مشكاة المصابيح (٥٨٠٦) .

(٢) صحيح البخاري، في فضائل القرآن، باب أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان ٢/٦٧٢ (١٨٠٣) .

وحده في طلب حاجياته وقضائها، وليكن حاله كما قال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وليحرص على العمل بيده؛ ليحفظ به ماء وجهه عن ذل مسألة الناس وأعطياتهم، فعن الزبير بن العوام – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:" **لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه** "[١]

كما عليه أن يحرص أن يكون معطي لا آخذ؛ حتى تكون يده عليا، فعن مالك بن نضلة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال:" **الأيدي ثلاثة: فيد الله العليا، ويد المعطى التي تليها، ويد السائل السفلى؛ فأعط الفضل ولا تعجز عن نفسك** " [٢]. .

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله المعطي أن يدعو المسلم ربه باسمه المعطي، وقد ورد الدعاء بذلك في جملة من الأدعية النبوية، فعن ابن عباس – رضي الله عنه – أنه قال: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعلمنا دعاء ندعو به في القنوت من صلاة الصبح: **اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن**

([١]) صحيح البخاري في الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ٢/٥٣٥، برقم (١٤٠٢) .

([٢]) سنن أبي داود في الزكاة، باب الصدقة على بني هاشم ٢/١٢٣ ، برقم(١٦٥٠)، صحيح الجامع، للألباني، برقم (٢٧٩٤) .

عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت " [١] .

وعن أبي سعيد – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا رفع رأسه من الركوع قال: " **ربنا لك الحمد، ملء السموات والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد** " [٢] .

وعن عبد الرحمن بن جبير أنه حدثه رجل خدم النبي – صلى الله عليه وسلم – ثمان سنين قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا قرب له طعام قال: "**بسم الله، فإذا فرغ من طعامه قال: اللهم أطعمت وأسقيت، وأغنيت وأقنيت، وهديت واجتبيت فلك الحمد على ما أعطيت** [٣].

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: " قالت أمي يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له، قال: **اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته** " [٤] .

وعن عبد الله الزرقي – رضي الله عنه – قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : استووا حتى أثنى على ربى، فصاروا خلفه صفوفا، فقال: اللهم لك الحمد كله، **اللهم لا قابض لما**

---

(١) سنن الترمذي، في أبواب الصلاة، باب ما جاء في قنوت الوتر ٣٢٨/٢، برقم(٤٦٤)، وهو في صحيح، الإرواء، للألباني، برقم (٢٠٧٤) .

(٢) صحيح مسلم، في الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة ٣٤٣/١، برقم(٤٧١) .

(٣) صحيح الجامع، للألباني، برقم (٤٧٦٨) .

(٤) صحيح البخاري، في الدعوات، باب الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة٥/٢٣٤٤ ، برقم (٦٠١٧) .

بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت، ولا مباعد لما قربت ولا مباعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة وإلا من يوم الخوف اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين اللهم قاتل الكفرة والذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك وأجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق" [١].

---

(١) مسند أحمد ٣/٤٢٤، وصححه الألباني في الأدب المفرد، برقم (٦٩٩) .

٤٧ ـ الطيب جل جلاله

الطيب من أسماء الله الحسنى، وسوف نتناول الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: معناه في اللغة

قال أهل اللغة:" الطيب في اللغة على وزن فعل، فعله طاب يطيب طيبا فما أطيبه، يعني ما أجمله وما أزكاه وما أنفسه، وما أحلاه وما أجوده.

ومعنى الطيب: الطاهر والنظيف والحسن والعفيف والسهل واللين، والطيب: خلاف الخبيث، يقال: أرض طيبة للتي تصلح للنبات، وطعمة طيبة إذا كانت حلالا، وبلدة طيبة: أي آمنة كثيرة الخير، وريح طيبة: إذا كانت لينة ليست بشديدة، وامرأة طيبة: إذا كانت حصانا عفيفة، وكلمة طيبة: إذا لم يكن فيها مكروه .

والطيب يكون في المحسوسات وغيرها، فالطيب من المحسوسات هو ما لذ وزكا من خيار المطعومات والملبوسات في الدنيا والآخرة كما في قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨]، وقال تعالى عن طيبات الآخرة: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٢﴾ [الصف:١٢].

أما الطيب في غير المحسوسات فهو كالطيب من القول والكلمات أو الباقيات الصالحات كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤﴾ [إبراهيم:٢٤][1].

---

(1) لسان العرب ٥٦٣/١، وكتاب العين، للفراهيدي ٤٦١/٧، والصحاح في اللغة، للجوهري ١٧٣/١، والمغرب في ترتيب المعرب، لابن المطرز ٢٩/٢

ثانيا: معناه في الاصطلاح

قال العلامة ابن القيم:" الله طيب؛ لأنه لا يصدر عنه إلا طيب، ولا يصعد إليه إلا طيب، ولا يقرب منه إلا طيب، وإليه يصعد الكلم الطيب وفعله طيب، والعمل الطيب يعرج إليه، فالطيبات كلها له ومضافة إليه وصادرة عنه ومنتهية إليه ... فإذا كان هو سبحانه الطيب على الإطلاق فالكلمات الطيبات، والأفعال الطيبات، والصفات الطيبات، والأسماء الطيبات كلها له سبحانه لا يستحقها أحد سواه، بل ما طاب شيء قط إلا بطيبته سبحانه فطيب كل ما سواه من آثار طيبته، ولا تصلح هذه التحية الطيبة إلا له"(١).

وقال أبو نعيم الأصفهاني:" الله طيب؛ لأنه طيب الدنيا للعارفين بمعرفته، وطيب لهم الآخرة بمعذرته، فتلذذوا أيام الحياة بالذكر في مجالس معرفته، وغدا يتلذذون في رياض القدس بشراب مغفرته، فلهم في الدنيا زرع ذكر، ولهم في الآخرة ربيع بر، ساروا على المطايا من شكره حتى وصلوا إلى العطايا من ذخره، فإنه ملك كريم"(٢) .

ثالثا: وروده في القرآن والسنة

اسم الله الطيب لم يرد ذكره في القرآن الكريم، وإنما ورد في السنة النبوية، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**أيها الناس إن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به**

---

(١) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم صـ ٢١٤.

(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم، ٤/ ٢٧٢.

.

المرسلين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك**"[١]، قال الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث:" قال القاضي عياض: الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص، وهو بمعنى القدوس، وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث، وهذا الحديث أحد الأحاديث التي هي قواعد الإسلام ومباني الأحكام، وفيه: الحث على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره، وفيه: أن المشروب والمأكول والملبوس ونحو ذلك ينبغي أن يكون حلالا خالصا لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره .

أما قوله صلى الله عليه وسلم: "**ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ....** " معناه:" أنه يطيل السفر في وجوه الطاعات كحج وزيارة مستحبة وصلة رحم وغير ذلك ، قوله صلى الله عليه وسلم:" **فأنى يستجاب لذلك** " أي من أين يستجاب لمن هذه صفته ؟ وكيف يستجاب له ؟"[٢].

رابعاً: الآثار الإيمانية لاسم الله الطيب

---

(١) صحيح مسلم، في الزكاة ، برقم(١٠١٥).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٣/ ٤٥٧، باختصار.

لاسم الله الطيب آثار إيمانية ينبغي أن تظهر على المؤمن، وبعض هذه الآثار سوف نتناولها في هذا المقام على النحو التالي:

١ـ فمن الآثار الإيمانية لاسم الله الطيب أن محبة الله سبحانه تعالى؛ لما أنعم علينا به من نعمه الطيبة الكثيرة، حيث أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا خير كتبه، وشرع لنا أعظم شرائعه، والتي هي كلها طيبة طاهرة، وقد تكفل لكل من عمل بها حياة طيبة هنيئة مطمئنة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧]، قال سيد قطب في ظلاله عند هذه الآية:" :"إن العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال، فقد تكون به، وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية : فيها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيوت ومودات القلوب، وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة، وليس المال إلا عنصراً واحداً يكفي منه القليل ، حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله .

وأن الحياة الطيبة في الدنيا لا تنقص من الأجر الحسن في الآخرة .

وأن هذا الأجر يكون على أحسن ما عمل المؤمنون العاملون في الدنيا، ويتضمن هذا تجاوز الله لهم عن السيئات . فما أكرمه من جزاء"[1].

---

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب٤/ ٤٨٨.

ومحبة العبد لربه الطيب تستلزم منه أن يشكر ربه سبحانه وتعالى على هدايته له لهذه الشريعة الطيبة الكاملة، وعليه أن سعي لنشرها بين الناس، وبيان محاسنها، والعمل على إقامتها في المجتمعات المسلمة، والتحذير من كل ما يضادها من الأحكام البشرية الوضعية الجاهلية، ورفضها؛ لأنها تخالف أحكام الله وشريعته، ولا يكتمل إيمان المؤمن إلا بذلك، وصدق الله القائل الله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥].

٢ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الطيب أن يتحرى المؤمن الحلال الطيب في طعامه وشرابه، وفي أقوله وأفعاله، وقد أمر الله تعالى عباد المؤمنين بذلك، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، قال الشيخ السعدي في تفسيره لهذه الآية:" هذا أمر للمؤمنين؛ وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه، باستعمالها بطاعته، والتقوي بها على ما يوصل إليه، فأمرهم بما أمر به المرسلين في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

والشكر في قوله تعالى: ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ ﴾، هو العمل الصالح، وهنا لم يقل "حلالا "لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة، ولأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس له.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ يدل على أن أكل الطيب، سبب للعمل الصالح وقبوله، والأمر بالشكر عقيب النعم، يدل على أن من لم يشكر الله، لم يعبده وحده، كما أن من شكره، فقد عبده، وأتى بما أمر به ؛ ولأن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلب النعم المفقودة كما أن الكفر، ينفر النعم المفقودة ويزيل النعم الموجودة"(١) .

ومما له علاقة بذلك أن المؤمن إذا أنفق فلا ينفق إلا من الحلال الطيب؛ لان الله طيب لا يقب إلا طيباً، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بذلك حيث : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧﴾ [البقرة:٢٦٧]، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل**"(٢)، ومن تصدق من كسب خبيث كسرقة أوربا أو غلول أو غير ذلك من المكاسب المحرمة، فإن الله تعالى لا يقبلها منه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول**"(٣) .

(١) تفسير السعدي، صـ ٨١، باختصار وتصرف.

(٢) صحيح البخاري في الزكاة، برقم (١٤١٠)، وصحيح مسلم، في الزكاة، برقم (١٠١٤).

(٣) صحيح مسلم، في الطهارة، برقم (٢٢٤).

فإن الطيب لا يناسبه إلا الطيب، ولا يرضى إلا به، ولا يسكن إلا إليه، ولا يطمئن قلبه إلا به، فله من الكلام الكلم الطيب الذي لا يصعد إلى الله تعالى إلا هو، وهو أشد شيء نفرة عن الفحش في المقال، والتفحش في اللسان والبذاء، والكذب والغيبة، والنميمة والبهت، وقول الزور، وكل كلام خبيث.

وكذلك لا يألف من الأعمال إلا أطيبها، وهي الأعمال التي اجتمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية، وزكتها العقول الصحيحة، فاتفق على حسنها الشرع والعقل والفطرة، مثل أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا، ويؤثر مرضاته على هواه، ويتحبب إليه جهده وطاقته، ويحسن إلى خلقه ما استطاع، فيفعل بهم ما يحب أن يفعلوا به، ويعاملوه به، ويدعهم مما يحب أن يدعوه منه، وينصحهم بما ينصح به نفسه، ويحكم لهم بما يحب أن يحكم له به، ويحمل أذاهم ولا يحملهم أذاه، ويكف عن أعراضهم ولا يقابلهم بما نالوا من عرضه، وإذا رأى لهم حسنا أذاعه، وإذا رأى لهم سيئا كتمه، ويقيم أعذارهم ما استطاع فيما لا يبطل شريعة، ولا يناقض لله أمرا ولا نهيا.

وله أيضا من الأخلاق أطيبها وأزكاها، كالحلم، والوقار، والسكينة، والرحمة، والصبر، والوفاء وسهولة الجانب، ولين العريكة، والصدق، وسلامة الصدر من الغل والغش والحقد والحسد، والتواضع، وخفض الجناح لأهل الإيمان والعزة، والغلظة على أعداء الله، وصيانة الوجه عن بذله وتذلله لغير الله ، والعفة والشجاعة، والسخاء، والمروءة، وكل خلق اتفقت على حسنه الشرائع والفطر والعقول.

وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها، وهو الحلال الهنيء المريء الذي يغذي البدن والروح أحسن تغذية، مع سلامة العبد من تبعته.

وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيبها وأزكاها، ومن الرائحة إلا أطيبها وأزكاها، ومن الأصحاب والعشراء إلا الطيبين منهم، فروحه طيبة، وبدنه طيب، وخلقه طيب، وعمله طيب، وكلامه طيب، ومطعمه طيب، ومشربه طيب، وملبسه طيب، ومنكحه طيب، ومدخله طيب، ومخرجه طيب، ومنقلبه طيب، ومثواه كله طيب. فهذا ممن قال الله تعالى فيه: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل: ٣٢]، ومن الذين يقول لهم خزنة الجنة: ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزمر: ٧٣] وهذه الفاء تقتضي السببية، أي: بسبب طيبكم ادخلوها. وقال تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَـٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ﴾ [النور: ٢٦]

وقد فسرت الآية بأن الكلمات الخبيثات للخبيثين، والكلمات الطيبات للطيبين، وفسرت بأن النساء الطيبات للرجال الطيبين، والنساء الخبيثات للرجال الخبيثيين، وهي تعم ذلك وغيره، فالكلمات والأعمال، والنساء الطيبات لمناسبها من الطيبين، والكلمات، والأعمال، والنساء الخبيثة لمناسبها من الخبيثين، فالله سبحانه وتعالى جعل الطيب بحذافيره في الجنة، وجعل الخبيث بحذافيره في النار، فجعل الدور ثلاثة: دارا أخلصت للطيبين، وهي حرام على غير الطيبين، وقد جمعت كل طيب وهي الجنة، ودارا أخلصت للخبيث والخبائث، ولا يدخلها إلا الخبيثون، وهي النار، ودارا امتزج فيها الطيب والخبيث، وخلط بينهما، وهي

هذه الدار، ولهذا وقع الابتلاء والمحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط، وذلك بموجب الحكمة الإلهية، فإذا كان يوم معاد الخليقة، ميز الله الخبيث من الطيب، فجعل الطيب وأهله في دار على حدة لا يخالطهم غيرهم، وجعل الخبيث وأهله في دار على حدة لا يخالطهم غيرهم، فعاد الأمر إلى دارين فقط: الجنة، وهي دار الطيبين، والنار، وهي دار الخبيثين.

وقد يكون في الشخص مادتان، فأيهما غلب عليه كان من أهلها، فإن أراد الله به خيرا طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة، فيوافيه يوم القيامة مطهرا، فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، فيطهره منها بما يوفقه له من التوبة النصوح، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة، ويمسك عن الآخر مواد التطهير، فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة، ومادة طيبة، وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحد في داره بخبائثه، فيدخله النار طهرة له وتصفية وسبكا، فإذا خلصت سبيكة إيمانه من الخبث، صلح حينئذ لجواره، ومساكنة الطيبين من عباده، وإقامة هذا النوع من الناس في النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها، فأسرعهم زوالا وتطهيرا أسرعهم خروجا، وأبطؤهم أبطؤهم خروجا، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد.

ولما كان المشرك خبيث العنصر، خبيث الذات، لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثا كما كان، كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه، فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة.

ولما كان المؤمن الطيب المطيب مبرءا من الخبائث، كانت النار حراما عليه، إذ ليس فيه ما يقتضي تطهيره بها، فسبحان من بهرت حكمته العقول والألباب،

وشهدت فطر عباده وعقولهم بأنه أحكم الحاكمين، ورب العالمين، لا إله إلا هو"[١].

٣ـ ومن الآثار الإيمانية لاسم الله الطيب أن يأخذ المؤمن حظه من اسم الله الطيب؛ وذلك بأن يدعو المسلم ربه باسمه الطيب أو بما يدل على هذا الاسم أو مقتضاه، وقد ورد في ذلك جملة من الأدعية النبوية، فعن عبد الرحمن بن عايش – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " **اللهم إني أسألك الطيبات وترك المنكرات، وحب المساكين وأن تتوب علي، وإذا أردت فتنة في الناس فتوفني غير مفتون** "[٢].

وعن أم سلمة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم: " **اللهم إني أسألك علما نافعا، ورزقا طيبا وعملا متقبلا** "[٣].

عن أبي أمامة – رضي الله عنه – أن النبي كان إذا رفع مائدته قال: " **الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغني عنه ربنا** "[٤].

وعن ابن عباس – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يقول: " **التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله** "[٥]

---

[١] زاد المعاد، لابن القيم ٦٥/١ باختصار يسير.

[٢] مسند أحمد ٣٧٨/٥ ، برقم (٢٣٢٥٨)، قال شعيب الأرناؤوط : إسناده ضعيف، لاضطرابه.

[٣] صحيح ابن ماجة، للألباني، برقم(٧٥٣)

[٤] صحيح البخاري، في الأطعمة، باب ما يقول إذا فرغ من طعامه ٢٠٧٨/٥ ، برقم(٥١٤٢)

[٥] صحيح مسلم، في الصلاة، باب التشهد في الصلاة ٣٠٢/١ ، برقم(٤٠٣) .

وعن رفاعة بن رافع الزرقي – رضي الله عنه – قال: كنا يوما نصلي وراء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما رفع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده قال: رجل وراء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : اللهم ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، فلما انصرف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "**من المتكلم بها آنفا**"، فقال الرجل: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : "**لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول** " [١].

([١]) صحيح البخاري، في الأذان، باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد ١/٢٧٥ ، برقم(٧٦٦) .

فـــهــــــــــرس الجزء الأول